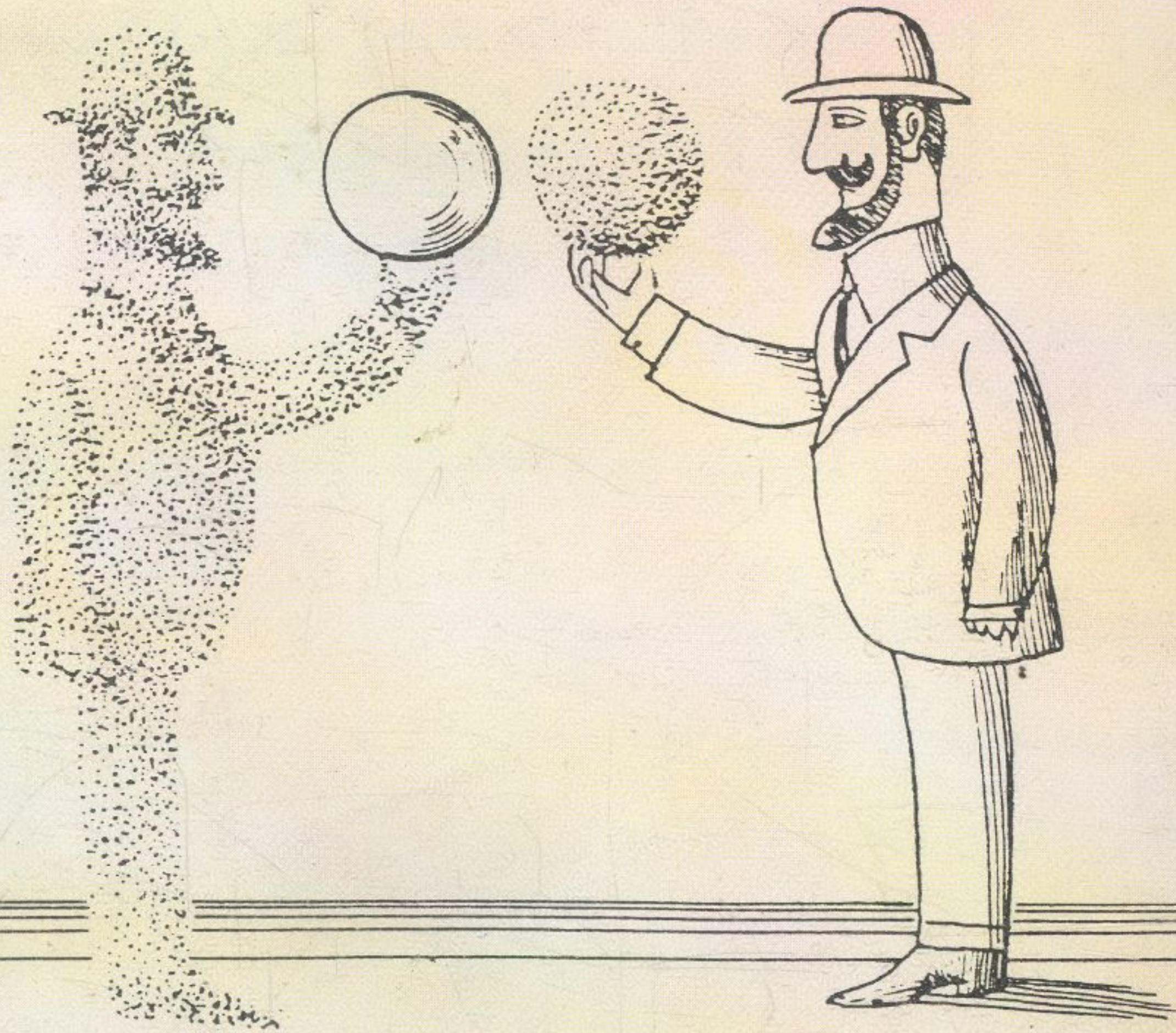


جذور إلحادية في

مذاهب لاهوتية

الكتاب الأول

بول تلش



تأليف

دكتور وهبة طلعت أبو العلا

آداب المنيا

قسم الفلسفة

١٩٩٣

إهداء

إلى الأب والإنسان

إلى الأستاذ الفاضل أ.د. جمال أبو المكارم

رئيس جامعة المنيا

**لمسة وفاء متواضعة تقديرا لنزعتة الإنسانية
التي فاقت عنده كل وصف**

شكر وتقدير

لا يسعني إلا أن أتوجه بخالص الشكر والتقدير والعرفان لكل من ساهم، سواء من قريب أو بعيد، في تكويني العلمي منذ البداية وحتى الآن، وأخص بالشكر أعضاء قسم الفلسفة بجامعة Warwick بانجلترا وعلى رأسهم الأستاذ الفاضل الدكتور / ديفيد وود، وكذا أستاذي الفاضل الدكتور محمود رجب، بقسم الفلسفة بجامعة القاهرة، والأستاذة الدكتورة نازلي اسماعيل حسين بقسم الفلسفة بجامعة عين شمس، وأستاذي الفاضل الدكتور سعد عبد العزيز حباتر بقسم الفلسفة، بكلية البنات، جامعة عين شمس، وأسرة كلية الآداب جامعة المنيا.

مَا لَا يَقْتُلُنِي يَجْعَلُنِي أَقْوَى

نَسْتَعِذُّ
بِ

تصديـر

.... هذا الكتاب الذى بين يديك الآن هو بداية ثلاثية جديدة - قابلة للزيادة - فى الفكر الغربى المعاصر . والكتاب كان فى الأصل عبارة عن دراسة أكاديمية قدمت للحصول على درجة الدكتوراه فى الفلسفة . ولهذا استبقينا النص الأصلي كما هو التزاما بمبدأ الأمانة العلمية من ناحية ، وحتى يظل شاهدا أميناً على مرحلة معينة من مراحل تطورنا الفكرى ، من ناحية أخرى . غير أننا اضطررنا إلى تغيير العنوان الأصلي للدراسة على هذا النحو حتى تستقيم الدراسة مع هذه الثلاثية التى نأمل فى استكمالها فى المستقبل القريب . والهدف من هذه الثلاثية يكمن فى محاولة اكتشاف الجذور الإلحادية التى نراها كامنة فى الكتابات الفلسفية - اللاهوتية لثلاثة من الرواد يعتبرهم اللاهوت المسيحى المعاصر فى الغرب - سواء عن قصد أو غير قصد - من أعظم رواده فى عصرنا هذا !! وإذا كان هذا الكتاب قد خصص للكشف عن الجذور الإلحادية التى وجدناها كامنة فى كتابات بول تلتش ، فإن الكتابين التالين سوف يخصصان للكشف عن الجذور الإلحادية التى نراها كامنة فى كتابات كل من كارل بارت ورودلف بولطمان . فقراءتنا الأولية لهذين الرجلين قد وضعت أيدينا على بعض هذه الجذور التى نجدها لاتقل خطورة عن الجذور الإلحادية التى وجدناها عند تلتش.

ونحن لانستطيع أن نختم هذا التصدير بون الإشارة إلى حقيقة على قدر كبير من الأهمية هى أنه إذا كنا قد أخذنا على عاتقنا هذه المهمة الصعبة، إلا أننا لم نقصد من ورائها الإساءة إلى الديانة المسيحية من قريب أو بعيد . فالديانة المسيحية ، مثلها فى ذلك مثل ديننا الإسلامى الحنيف ، وربما مثل أى دين آخر ، تتمتع بالقدرة على التحرر من أى شكل خاص قد تتبدى فيه . ولعل هذا هو ما دفعنا إلى قصر اهتمامنا على الأشكال أو الضروب التى تبدت فيها عند هؤلاء الثلاثة والتى نراها تقوض "أساس" اللاهوت المسيحى أكثر من كونها تشيده .

وأسأل الله التوفيق

وهبة طلعت أبو العلا

كوكب الأرض

فى ٢٥ / ٢ / ١٩٩٣ م

مقدمه

إن المشكلة الرئيسية لهذه الدراسة تتمثل ، كما هو واضح من عنوانها ، في محاولة اكتشاف أن الموقف الوجودي لتلش هو موقف منقسم إلى النصف ، والنصف ، النقيض ، والنقيض ، إلى نصف ايماني علني أو ظاهري ، ونصف الحادي باطني أو خفي ، وأن فكره ككل ليس سوى " محيطا " يتألف من أي فكرة يمكن تخيلها ، ومن نقيض تلك الفكرة ، وأن العلاقة بين موقفه الوجودي وفكره ككل هي بالتالي علاقة تضمن ، بمعنى أن موقفه الوجودي متضمن في طيات فكره ككل وأن فكره ككل متضمن بمعنى ما في طيات موقفه الوجودي .

هذه الأهداف ، التي تطمح الدراسة إلى تحقيقها ، تنبثق عن اقتناعنا الذي مؤداه : ان تلش لم يهتم بشئ على الاطلاق قدر اهتمامه بمحاولة بلورة الاجابة على سؤالين لم يكف لحظة واحدة عن طرحهما بينه وبين نفسه ، ولم يجرؤ ، لاسباب سوف تتناولها الدراسة ، على الافصاح عنهما طوال حياته . السؤال الأول هو : كيف السبيل إلى اخفاء موقفه الوجودي - الالحادي الخفي في طيات موقفه الديني الصريح على نحو لا يسهل اكتشافه ؟ أما السؤال الآخر فهو : كيف السبيل إلى اقامة نسق فكري شامل يكون موزعا بين أي فكرة يمكن تخيلها ، وبين نقيض تلك الفكرة ، دون أن يفلتن إلى ذلك أحد بسهولة ؟

هذان السؤالان يتمتعان بأهمية كبيرة بالنسبة لهذه الدراسة . هذه الأهمية ترجع إلى أن السؤال الأول يخص ، كما هو واضح ، الموضوع الرئيسي لهذه الدراسة ، أعني ، الموقف الوجودي لبول تلش ، في حين أن السؤال الآخر يخص فكره ككل أو فكره في شموليته ، ذلك الفكر الذي نراه يضم في طياته موقفه الوجودي الذي يعد ، من اعتبار آخر ، كما ستكشف الدراسة ، المقولة الرئيسية التي تلخص حياة وفكر تلش في شموليته .

هذه الأهمية العامة تشير إلى أهمية خاصة متعلقة بالاجابات التي قدمها تلش على هذين السؤالين . فالسبيل الذي ارتآه كاجابة على السؤال الاول هو ، فى رأينا ، مفهوم " الاغتراب " - يدخل فى ذلك المنهج الذى صاغ فى ضوءه هذا المفهوم ومن ثم موقفه الوجودى بأسره أعنى منهج " التضاييف " - فى حين أن السبيل الذى ارتآه كاجابة على السؤال الثانى هو ، فى رأينا ، مفهوم " الهد " باعتباره ، مثله فى ذلك مثل مفهوم " التضاييف " ، كما ستكشف الدراسة ، وثبة مستمرة ولا معقولة من النقيض، إلى النقيض .

لقد أدرك تلش ، هكذا يقول منطق الخفى الذى سنحاول الكشف عنه ، أوجه القصور عند كلتا الشعبتين الوجوديتين المتناقضتين والمتصارعتين ، اعنى الوجودية المؤمنة ، والوجودية الملحدة ، وعرف أنهما لا تمثلان حقيقة الموقف الوجودى الجديد والخفى الذى يعيشه هو شخصيا والذى نعهده موقفا ايمانيا - وجوديا - الحاديا . لقد تمسكت الشعبة المؤمنة بأهداب الدين وأغفلت النتيجة النهائية الحاسمة للموقف الوجودى برمته ، أعنى ، الكفر أو الالحاد أو " موت الله " وعلى النقيض من ذلك ، حملت الشعبة الملحدة ، بشجاعة وجسارة، الموقف الوجودى حتى هذه النتيجة الحتمية ، فأكدت " انقبار الله " ومعه سائر القيم والمعايير .

إن كلا الموقفين ، هكذا سنرى تلش يلمح بخفاء شديد ، يستحيلان من الناحية النظرية والعملية على حد سواء . فمن الناحية النظرية ، يستحيل على الشعبة المؤمنة أن تغفل العنصر الوجودى - الالحادى ، وذلك لأن هذا العنصر هو المرادف المنطقى للموقف الوجودى برمته . هذا هو السبب الذى سيجعله يقرر ، ضد هذه الشعبة ، ان الوجودية متطابقة مع الالحاد ، وانه بدون الالحاد ليست هناك وجودية على الاطلاق ، ومن ثم إذا خلا الموقف الدينى من هذا العنصر الالحادى فلن يصح أن يقال عنه انه موقف وجودى على الاطلاق .

وعلى الصعيد الآخر ، يستحيل على الوجودية الملحدة أن تغفل العنصر الدينى اغفالا تاما ولهذا سنراه يقرر ، ضد هذه الوجودية، ان الوجوديين الملحدة لا يتسمون بالاتساق ، اذ على الرغم من أنهم حملوا الموقف الوجودى ، بطريقة واعية ومتسقة، حتى نهايته الحتمية - "موت الله" - فهم يبتون ، عن غير وعى وبطريقة غير متسقة ، عنصرا دينيا فى موقفهم الوجودى - الالهادى .

ومن الناحية العملية ، يستحيل على الشعبة المؤمنة أن تغفل العنصر الوجودى-الالهادى اغفالا تاما ، وذلك لأن هذا العنصر يضرب بجذوره فى صميم حياة الإنسان نفسها ، إنه البعد الوجودى لهذه الحياة .

من الناحية الأخرى ، يستحيل على الوجودية الملحدة أن تغفل البعد الدينى اغفالا تاما ، وذلك لأن هذا العنصر ، مثله فى ذلك مثل العنصر الدينى، يضرب بجذوره فى صميم حياة الإنسان نفسها من ناحية ، ولأن اغفاله لن يفضى ، من الناحية الأخرى ، إلا إلى اتهامها بالعبث و النزعة العدمية من جانب المتعاطفين مع التيار اللاهوتى المسيطر فى الغرب اعنى اللاهوت المسيحى ، الأمر الذى لن يفضى فى النهاية إلا إلى نبذ الوجودية الملحدة وبالتالي تقويضها واجتثاث جذورها . إن هذا هو السر الذى سيجعله يقرر ان الوجودية الملحدة لا يمكنها أن توجد ، والسبب فى ذلك يرجع إلى أن رد فعل التيار المسيحى لن يؤدى إلا إلى القضاء عليها .

إذا كان تلش لم يقنع بكلا الموقفين ، فما الحل إذن ؟ ، هكذا يجب أن نتساءل. كيف يمكن إقرار النقيضين معا وفى نفس ؟، هكذا راح تلش يتساءل ، على ما يبدو، بينه وبين نفسه. إن الأمر ليس سهلا على الإطلاق بالنسبة له . فهو يقر على الملأ أنه ينتسب إلى اللاهوت المسيحى الذى لا يزال يفرض نفسه على الغرب . ولكنه يدرك أيضا وفى نفس الوقت أن العنصر الوجودى-الالهادى يعمل فى داخله وهيهات أن يتخلى عنه لأن ذلك معناه تخليه عن موقفه الوجودى المتطابق مع ذاته أو حياته نفسها.

وهو يعلم أيضا أنه يستحيل عليه أن يجهر بهذا العنصر الوجودى - الالحادى على الملأ. فهو، كما ستكشف الدراسة ، "براجماتى" ويعرف تماما أنه لو أقدم على ذلك فسوف يلقى نفس مصير الشعبية الملحدة ، اعنى ، النبذ او الطرد والاتهام بالنزعة العدمية والعبث ... الخ . أن "براجماتيته" تهيب به أن يدين بالولاء الظاهرى للاهوت المسيطر من اجل أن يجنى ثمار هذا الخضوع . وهذا هو ما فعله فى الظاهر ، وكانت المكافأة هى تمجيد الغرب المسيحى له وجعله أعظم لاهوتى يظهر فى هذا الزمان !! ولكنه يعلم كذلك أنه يستحيل عليه المجاهرة بالنقيضين - الايمانى ، والالحادى - معا وفى نفس الوقت ، لأن معنى ذلك هو أنه سيلقى الويل من أنصار كل فريق أو نقيض .

فما الحل إذن ؟ ، هكذا يجب أن نتساءل من جديد . ان هذه الدراسة سوف تحاول أن تكتشف أن الحل الوحيد الذى ارتآه تلش للخروج من هذه الورطة هو اخفاء موقفه الوجودى - الالحادى فى طيات موقفه الدينى . هذا الحل هو فى رأينا الحل البراجماتى الوحيد الذى اتفق مع نزعة تلش البراجماتية ، والذى يعد بمثابة الموقف الوجودى الجديد والخفى الذى أخذه تلش على عاتقه من المهد إلى اللحد . إنه موقف ظاهره إيمان ، وباطنه إلحاد ، أو ، إن شئت ، إلحاد يلبس ثوب الايمان ، موقف منقسم إلى نصف ايمانى ، ونصف وجودى - الحادى . هذا الموقف هو فى رأينا الموقف الذى عقد تلش العزم عليه منذ البداية . لقد أصدر قرارا مبكرا باخفاء العنصر الالحادى فى طيات العنصر الدينى ، ولم يتراجع مطلقا عن هذا القرار .

ولكن تلش كان يدرك بالتأكيد أن الامر ليس سهلا بالنسبة له ، ويبدو انه عرف ، كما ستكشف الدراسة ، أنه كتب عليه ، إن صح التعبير ، أن يبلور موقفه الجديد بطريقة لا يسهل اكتشافها . ونحن نرى أن السبيل الوحيد الذى ساعده على ذلك هو ، كما أشرنا ، مفهوم " الاغتراب " ، وذلك لأن هذا المفهوم هو ، كما سوف نرى فى الفصل الأول ، الجامع المانع لموقفه الوجودى الجديد بأسره ، من ناحية ، ولأنه يمكن ،

من الناحية الأخرى ، صياغة جوانب هذا المفهوم بطريقة يفيد ظاهرها نقيض باطنها ، أعنى ، بطريقة جدلية تحتل التفسير بمعنيين : المعنى الدينى ، والمعنى الوجودى - الالهادى . لقد وجد تلش فى هذا المفهوم التربة الخصبة التى يمكن لموقفه الوجودى - الالهادى أن ينمو فيها مع موقفه الدينى بون أن يفتن إلى ذلك أحد بسهولة . إنه ، بتعبير آخر ، الستار الذى ساعد تلش على صياغة موقفه الوجودى الجديد بطريقة لا يسهل اكتشافها . والأمر الذى سهل على تلش هذه المهمة بصورة أكثر هو المنهج السذى عالج فى ضوءه مشكلة الاغتراب أعنى منهج " التضاييف "

طالما أن تلش عقد العزم على اخفاء موقفه الوجودى - الالهادى فى طيات موقفه الدينى ، فمن الطبيعى أن يصطنع الغموض حتى لا يسهل اكتشافه . حقا ، لقد تذر سائر نقاده من الغموض الذى يكتنف كتاباته . هكذا اشار ويب wiebe ، على سبيل المثال ، عندما قرر ان " قراء تلش قد اهتموه بالغموض التام " (١) واكد ماكليود نفس الشيء عندما كتب يقول " إن عدم وضوح تلش ... هو القاسم المشترك بين الانتقادات التى وجهها إليه نقاده " (٢) أما تلش نفسه فقد أشار إلى ذلك عندما قرر ان نقادى " يولون إهتماما خاصا بعدم دقة تعريفاتى وعدم اتساق تأكيداتى " (٣)

ولكن الأمر الذى فات نقاده هو أن هذا الغموض مرده إلى العنصر الوجودى الالهادى الذى يخفيه فى طيات موقفه الدينى تحت ستار " الاغتراب " . وقبل أن ندلل على ذلك من واقع اقوال نقاده أنفسهم ، نود أن نؤكد أولا حقيقة غموض تلش من

-
- 1) Tillich, P., The System of Sciences According to Objects and Methods, Translated by Wiebe, P., Translator's Introduction, P.22, Lewisburg, Bucknell Univ. Press, London and Toronto, 1981.
 - 2) Macleod, A. M., Tillich, an Essay on the Role of Ontology in His Philosophical Theology, P. 19, London, George Allen and Unwin Ltd., 1973.
 - 3) Tillich, P., Reply to Interpretation and Criticism, The Theology of Paul Tillich, P. 329, Ed. by Kegley, C. W. and Bretall, R. W., The Macmillan Company, New York, 1964 .

خلال تناولنا لمثالين - من بين الأمثلة التي لا حصر لها التي ستتناولها الدراسة - نراهما يكشفان بدقة عن حقيقة هذا الغموض .

لقد قدم تلش المثال الأول على النحو التالي " كثيرا ما يوجه إلى السؤال : هل أنا لاهوتي وجودي ؟ وإجابتي دائما مقتضبة ، فأقول : إنني النصف والنصف وهذا يعنى أن الوجودية والماهوية بالنسبة لى ينتميان إلى بعضهما . ومن المستحيل أن يكون المرء ماهويا خالصا إذا كان فى الموقف الانسانى بصفة شخصية ، وليس يجلس على عرش الله ، كما نفهم ضمنا من هيجل وهو ينشئ تاريخ العالم الآتى لنهايته تبعا لمبدأ فى فلسفته . تلك هى الغطرسة الميتافيزيقية للماهوية الخالصة . ومن الناحية الأخرى الوجودية الخالصة مستحيلة . فلكى يصف الانسان الوجود لابد أن يستخدم اللغة ، واللغة تتعامل مع الكليات . وياستعمال الكليات تكون اللغة بصميم طبيعتها ماهوية ، ولا يمكنها التخلص من هذا .^(١) هذا النص يبرز تماما قدرة تلش الخارقة على التخفى . فهو يخفى فيه البنور الأولى التى تؤكد اقتناعنا بأن موقفه الوجودي هو موقف منقسم إلى نصف ايمانى ، ونصف الحادى - وجودي . ويمكننا أن نستجلى ذلك من خلال تحليلنا التالى للنص ، والذي يمكن ابراجه فى النقاط التالية :

أولا : لقد أورد تلش هذا النص كإجابة على هذا السؤال : هل هو لاهوتي وجودي ؟ وواضح بما فيه الكفاية أن هذا السؤال ينطوى على جانبين : أحدهما لاهوتي أو ديني أو ايمانى ، والآخر وجودي . هذا يعنى ، بتعبير آخر ، أن هذا السؤال هو أصلا سؤال عن موقف لاهوتي - وجودي .

1) Tillich, P., A History of Christian Thought, From Its Judaic and Hellenistic Origins To Existentialism, Ed. by C.E. Braaten, Simon, Fehster , New York, 1967

مقتبس من : د. يمنى طريف الخولي ، بول تلش - فيلسوف على الحدود ، ص ٤٣٨ - ٤٣٩ ، عالم الفكر ، المجلد العشرون ، العدد الثانى ، يوليو - أغسطس - سبتمبر ١٩٨٩ . لقد فهمت الدكتورة يمنى الخولى هذا النص على أنه يشير إلى وقوف تلش على الحدود بين ما تسميه المقاطعة اللاهوتية والمقاطعة الوجودية، أما نحن فنراه يؤكد بصورة خفية انقسام تلش إلى نصف أو نقيض إيمانى ، ونصف أو نقيض إلهادى.

ثانيا : ولقد استهل تلش إجابته بقوله إن إجابته هي دوما إجابة مقتضبة . وهذا يعنى فى رأينا ، وكما ستؤكد الدراسة ، أن إجابته ليست دوما اجابة مقتضبة فحسب، بل هي بالاحرى اجابة غامضة لأنها تمس موقفه الالحادى الخفى الذى يستحيل عليه الإفصاح عنه بطريقة علنية أو مباشرة وبإسهاب شديد.

ثالثا : ثم شرع تلش فى تقديم اجابته عندما قرر انه النصف ، والنصف ، والمعنى الذى نجده كامنا فى هذه العبارة هو أن تلش منقسم إلى نصف او نقيض لاهوتى ، ونصف او نقيض وجودى .

رابعا : ولقد أكد النصف أو النقيض الأول من خلال قوله إنه يستحيل عليه - أو على المرء عامة - أن يكون ماهويا خالصا . فهذه العبارة تعنى أنه من المستحيل علي تلش - وعلى أى شخص آخر - أن يكون متدينا تدينا خالصا ، لأن هناك نصفا آخر يضرب بجنوره فى داخله ويستحيل عليه أن يتخلي عنه .

خامسا : ثم أكد تلش النصف الآخر عندما قرر أن الوجودية الخالصة مستحيلة . هنا يكمن النصف الوجودى او الالحادى لتلش ، وذلك لأن الوجودية الخالصة هى فى رأيه ، وكما ستكشف الدراسة ، الوجودية الملحدة . هذا النصف (النقيض) الآخر لتلش يظل دوما ، مثله فى ذلك مثل النصف اللاهوتى ، نصف فقط ، وذلك لأن الوجودية الخالصة هى أيضا مستحيلة .

سادسا : ان النتيجة التى يمكن استخلاصها من كل ذلك هى أنه طالما أنه يستحيل أن يكون هناك تدين خالص بدون الحاد ، وطالما أن العكس صحيح أيضا، فإن هذا يعنى أن موقف تلش الوجودى هو موقف منقسم إلى نصف أو نقيض لاهوتى ، ونصف أو نقيض وجودى - الحادى ، وأن هناك هوة عميقة تفصلهما، هوة لايمكن عبورها إلا بوثبة لامعقولة ومستمرة من احد النقيضين، إلى الآخر .

أما المثال الثانى الذى نود أن نسوقه هنا كدليل دامغ على غموض تلش التام ومكره الشديد ، فقد جاء فى نصه التالى : " لقد تلقي اللاهوت هدايا عظيمة من الوجودية والتحليل النفسى ^(١) ، هدايا لم يكن يحلم بها منذ خمسين أو حتى منذ ثلاثين سنة مضت . نحن نمتلك هذه الهدايا ، ان الوجوديين والمحللين النفسيين ليسوا بحاجة إلى أن يعرفوا أنهم قد أعطوا اللاهوت هذه الهدايا العظيمة . غير أنه يجب على اللاهوتيين أن يعرفوا أنهم تلقوا منهم هذه الهدايا . " ^(٢) نحن نرى أن هذه العبارة الصغيرة المكونة من أربع كلمات - " نحن نمتلك هذه الهدايا We have these gifts " - تخفى أروع ما قدم تلش من دلائل على غموضه . فهذه العبارة هى فى رأينا عبارة مزدوجة المعنى تماما ويستحيل استحالة عمل نواتر مريضة ردها إلى أى من هذين المعنيين التاليين بون أن يؤدى ذلك إلى خطأ فى التفسير : فهى تعنى ، من ناحية ، " نحن معشر الوجوديين نمتلك هذه الهدايا " ولكن تلش يجعل الوجودية مرادفة للالحاد أى وجودية خالصة ، والأمر الذى نجده مترتباً على ذلك هو أنه يريد أن يقول " نحن معشر الوجوديين الملاحدة نمتلك هذه الهدايا " كما تعنى ، من الناحية الأخرى ، " نحن معشر اللاهوتيين نمتلك هذه الهدايا التى تلقيناها من الوجوديين الملاحدة " . وفى ضوء هذين المعنيين يتأكد لنا أن هذه العبارة تعبر بخفاء شديد عن نفس موقف النصف ، والنصف الذى أشرنا إليه فيما سبق . انها وجهان متناقضان لعملة واحدة هى تلش نفسه . إنها تعنى ، بتعبير أوضح ، ان تلش الملحد شارك الوجوديين الملاحدة فى تقديم الهدايا ^(٣) ، إلى تلش اللاهوتى الذى يشارك سائر اللاهوتيين فى الموقف الدينى . أنها ، بتعبير آخر ، هدايا قدمها تلش لنفسه باعتباره منقسماً إلى هذين النقيضين .

(١) ان الأسباب التى جعلت تلش يعتبر التحليل النفسى جزءاً من الوجودية سوف نتعرض لها بالتفصيل فى الفصل الأول .

2) Tillich , P., 'The Theological Significance of Existentialism and Psychoanalysis', Theology of Culture, P. 126, Ed. by Kimball, R.C. , Oxford Univ. Press, London, Oxford, New York , 1959 .

(٣) هذه الهدايا سوف نشير إليها بالتفصيل فى الفصل الأول .

فى ضوء هذين المثالين نستطيع أن نؤكد بصورة أولية أن الغموض الذى اصطنعه تلش يرجع أولا وقبل كل شئ إلى العنصر الالهادى الذى يخفيه فى طيات موقفه الدينى تحت ستار "الاغتراب" . هذا هو ما لم ينتبه له نقاد تلش على الإطلاق . لقد توقفوا عند الظاهر فقط ، وفشلوا فى الغوص نحو الباطن حيث يتخفى العنصر الالهادى . هكذا فعل توماس ، وروبرتس ، وشاخت ، وماكورى ، وماكليود ، وماكلوى ، ومارتن ، وهاموند ، وغيرهم .

صحيح أن البعض قد تشكك فى غموض تلش . ولكن الأمر كان بالنسبة لهم مجرد شك جاء فى عبارات قليلة مقتضبة كان الغرض منها عدم تهويل الموقف ووضع المسألة برمتها فى طى الشك المحض الذى لا يمكن أن يتحول إلى يقين . لقد اتفقوا جميعا ، هذا على الرغم من تشككهم العارض ، على أساءة تفسير موقف تلش عن طريق تقديمه باعتباره موقفا متساوقا أو منسجما أو متناغما مع اللاهوت المسيحى .

هذا هو ما فعله شاخت ، على سبيل المثال ، فى مناقشته المختصرة لمفهوم "الاغتراب" الذى عرضه تلش فى كتابه "اللاهوت النسقى" . لقد أدرك شاخت أن هذا المفهوم ينطوى على العديد من المتناقضات ، ومن ثم كتب يقول : "إن مناقشة تلش للاغتراب تنطوى على كثير من المتناقضات ، التى لا تزججه على ما يبدو- حقا ، أنه يؤكد العديد منها بطريقة علنية - هذا على الرغم من أنها تستوقف حتى القارئ المتعاطف معه ."^(١) وشاخت لم يتوقف عند هذا الحد ، وراح ، فى موضع آخر ، يضيف قائلا : "لقد شيد تلش مفهومه فى الاغتراب على نحو يجعله منطويا على العديد من المتناقضات التى لا تخطئها العين ."^(٢) وفى ضوء ذلك استنتج شاخت "أنه طالما أن التناقض هو السمة البادية على مراحل تطور هذا المفهوم عند تلش فإن تشييد أى

1) Schacht, R. , Alienation , P. 215, London, George Allen and Unwin ltd., Ruskin House, Museum Street, 1970 .

2) Ibid., P. 218.

مفهوم للاغتراب عنده سوف يكون موضع شك .^(١) فهذا التناقض ، هكذا يضيف شاخت فى موضع آخر ، يجعل " مناقشة تلش للاغتراب عاجزة عن تقديم اجابة واحدة محددة على التساؤل المتعلق بالمسائل التى يجب أن تدخل فى دائرة الاغتراب ."^(٢)

نحن نتفق مع شاخت على أن تلش قد شيد مفهومه فى " الاغتراب " بطريقة غامضة متناقضة ، بطريقة تحتمل التفسير بأكثر من معنى . غير أننا نرى أن هذا التناقض يرجع فى النهاية إلى أمر واحد غاب تماما عن ذهن شاخت هو : العنصر الوجودى - الإلحادى الخفى عنده . إن شاخت لم يدرك أبدا أن هذا العنصر يضرب بجنوره ، باعتراف تلش نفسه الذى سنكشف عنه النقاب فى الفصل الأول ، حتى فى قلب " لاهوته النسقى " ، وليس أدل على ذلك من أنه كتب ، فى معرض حديثه عن أهمية مفهوم " الاغتراب " عند تلش ، يقول " ان أهمية مفهوم الاغتراب فى فكر تلش يمكن التعرف عليها من اتخاذها لموقفين . الموقف الأول هو أن تلش يقول أن الاغتراب هو سمة للوجود الانسانى فى ذاته : 'إن حالة الوجود هى حالة اغتراب' ... ' فالانسان ليس متواجدا على نحو ماهوى وكما ينبغى أن يكون . لقد اغترب عن وجوده الأصيل '... أن تلش يرى أن الاغتراب هو 'السؤال' الرئيسى المرتبط بالموقف الانسانى . وطالما أنه يرى أن مهمة اللاهوت تنحصر فى تقديم 'الاجابات' على 'الاسئلة' المرتبطة بالموقف الانسانى ، فإن مشكلة الاغتراب تكون لذلك المشكلة الرئيسية التى يتحتم على تلش التعامل معها . اما الموقف الثانى فهو أن تلش يرى أن أهمية يسوع تكمن فى قهره للاغتراب . أن 'عظمة يسوع' تكمن ، فى رأيه ، فى 'قدرته على قهر الاغتراب الوجودى' وهو يصفه بأنه 'حامل الوجود الجديد او الوحيد الذى قهر الاغتراب الوجودى للإنسان'.. ان أى لاهوتى مسيحى (على

1) Ibid ., Loc. cit.

2) Ibid., PP. 214-215.

غرار تلش) يحدد مشكلة (كالاغتراب) ويخصص يسوع كحل لهذه المشكلة ، لايعنى سوى أنه يضيف على هذه المشكلة كل أهمية ممكنة :^(١)

إن مضامين هذه العبارات التي يوردها شاخت نقلا عن تلش سوف نتعرض لها في الفصل الأول ، والأمر الذي يهمنا هنا هو أن شاخت لم يشك لحظة واحدة ، كما هو واضح من وصفه لأهمية مفهوم " الاغتراب " عند تلش ، في ولاء تلش لللاهوت المسيحي . صحيح أننا نتفق مع شاخت على أن مفهوم " الاغتراب " يشكل أهمية قصوى بالنسبة لتلش . ولقد عبر هو نفسه عن تلك الأهمية عندما كتب يقول : " إننى أريد أن أطرح سؤالاً بخصوص معنى مصطلح الاغتراب Alienation عند فروم ، خاصة وأن فكرى اللاهوتى يتركز إلى حد ما فى مفهوم الاغتراب Estrangement الذى يرادف مصطلح فروم . يبدو لى أن هناك فارقا بين اللاهوت المسيحي (الذى يناصره تلش) وعلم النفس الإنسانى (الذى يتشيع له فروم) فى هذا الشأن هذا على الرغم من استخدامنا لمصطلحات مترادفة :^(٢) إن هذه العبارة توضح تماما أن الفكر اللاهوتى لبول تلش يتركز إلى حد كبير فى مفهوم " الاغتراب " . ويمضى تلش إلى أبعد من هذا عندما يقرر : " أن الموضوعات التى كانت تشغل اهتمامى هى براما الخلق والسقوط ، الخلاص وتحقيق الوجود :^(٣) طالما أن هذه الموضوعات تشكل ، كما ستوضح الدراسة ، محتوى مفهوم " الاغتراب " عند تلش ، وطالما أنها تشكل بؤرة لاهوته ، فإن هذا يعنى أن مفهوم " الاغتراب " هو الموضوع الرئيسى بالنسبة لتلش . ولكن إذا كنا نتفق مع شاخت على كل ذلك ، فنحن لا نتفق معه على أن هذه الأهمية

1) Ibid ., P. 207 .

اضفنا ما بين الأقواس للإيضاح

2) Tillich, P., 'Eric Fromm's The Sane Society', Pastoral Psychology, V1 (September, 1955), P.14, Quoted From: Hammond, G.B., Man in Estrangement: A Comparison of the Thoughts of Paul Tillich and Eric Fromm, P.120, Vanderbilt Univ. Press, Tennessee, U.S.A., 1965 .
اضفنا ما بين الأقواس للإيضاح .

3) Tillich, P., 'Man and Earth', The Boundaries of Our Being, P. 57, Collins Clear- Type Press, London and Glasgow, 1973 .

ترجع إلى أسباب دينية . فمثل هذه الأهمية هي في رأينا أهمية ظاهرة فقط، أما الأهمية الحقيقية فهي تلك التي أشرنا إليها فيما سبق ، اعني ، أن تلش وجد في مفهوم " الاغتراب " القناع الذي ساعده على اخفاء موقفه الوجودي - الالهادي في طيات موقفه الديني . فهذا هو السر الذي جعله يصطنع الغموض والتناقض .

نفس الأمر ينطبق على ماكلوي . لقد اقتنع هذا الباحث أن فهم تلش لوجود " يسوع باعتباره المسيح " ^(١) هو فهم يتسم بالالغاز. ^(٢) ولكن على الرغم من إقراره لذلك الالغاز الذي يكتنف فهم تلش لذلك الوجود الذي يعد ، كما سوف نرى تفصيلا في الفصل الرابع ، أحد الأركان الأساسية لمفهومه في الاغتراب ، إلا أنه راح يؤكد أن ذلك الفهم متناغم أو متسق مع اللاهوت المسيحي ^(٣) ، وهذا هو السبب الذي جعله يقرر ، ضد كلين، "نحن لا نستطيع أن نعد تحذير كلين ، الذي مؤداه ان هناك خطرا حقيقيا ... يتمثل في احتمالية أن يجد الاحقاد في كتابات تلش دينا آخر متساوقا مع الانطولوجيا التي يقدمها ومتعارضا مع المسيح الذي يتشيع له ، تحذيرا خطيرا ."^(٤) ان هذا النقد الذي وجهه ماكلوي ، ضد كلين ، لايعني سوى أنه يرى أن موقف تلش متساوق تماما مع الدين المسيحي . ونحن نرى أن هذه الرؤية يجافيتها الصواب ومتحيزة بشدة لللاهوت المسيحي الذي يناصره ماكلوي . ونحن نحتكم هنا إلى مارتن الذي اوضح أن مذهب تلش في السقوط باعتباره تحولا من الماهية إلى الوجود هو مذهب " يقترب بشدة من الهندوسية أكثر من اقترابه من المسيحية ."^(٥) ان هذه النتيجة التي توصل إليها مارتن تؤكد تماما صحة الخطر الذي وجه إليه كلين الانظار

(١) إن السبب الذي جعل تلش يصر على استخدام التعبير " يسوع باعتباره المسيح Jesus as the Christ " سوف نوضحه في الفصل الرابع .

2) Mckelway, A.J., The Systematic Theology of Paul Tillich, P. 176, London, Lutterworth Press, 1964 .

3) Ibid, Loc.Cit.

4) Ibid., Loc . cit.

5) Martin, B.,The Existentialist Theology of Paul Tillich, P. 136, College and Univ. Press, New Haven, Conn., U. S.A., 1963.

من ناحية ، وتدحض ادعاء ماكلوي من ناحية أخرى ، غير أن مارتن نفسه لم يكن أسعد حظا من ماكلوي إذ على الرغم من أنه وجه الكثير من الانتقادات لعدد من جوانب ما يسميه " اللاهوت الوجودي لبول تلش " ، إلا أنه ظل قانعا بولاء تلش لللاهوت المسيحي ، والدليل على ذلك هو أنه كتب ، في معرض مناقشته للجوانب السلبية والايجابية لمقولات الزمان والمكان والعلية والجوهر عند تلش ، يقول " أن تلش ، على النقيض من هيدجر وغيره ممن يسمون باسم الوجوديين الملاحدة ، ينحاز لصالح الجانب الايجابي لكل مقولة من المقولات. " (١) ونحن نستطيع أن نقرر ، ضد مارتن ، ان تلش ، مدفوعا بموقف النقيض ، والنقيض ، ينحاز لصالح الجوانب السلبية ، والجوانب الايجابية لهذه المقولات ، وهذا يعنى أنه موزع بين الوجودية الملحدة ، والوجودية المؤمنة . هذا ما سوف تكشف عنه هذه الدراسة في سائر فصولها . ان مارتن لم يكتف بذلك ، بل راح ، في عبارة ختامية ، يقدم اسمى " مشاعر التقدير لتعليل تلش اللاهوتى لشخص المسيح... ذلك التعليل الذي يدين له اللاهوتيون المسيحيون بالفضل. " (٢) هكذا ظل مارتن على اقتناع تام بولاء تلش لللاهوت المسيحي .

ان من الغريب بل ومن الطريف حقا أن نجد رجلا مسيحيا مثل توماس يدافع عن غموض تلش ويعتبره أمرا إيجابيا . لقد كتب هذا الرجل ، في وصفه لأهمية تلش ، يقول " الآن وبعد أن قدمت وصفا موجزا لللاهوت بول تلش يمكنني أن أشيد بحقيقة مؤداها انه ليست هناك إجابة واحدة بعينها على السؤال ، ما الذى يجعل تلش عظي بقدر كبير من الأهمية ؟ حقا ، إن تعقيد نسق تلش يعد عند كثير من الناس خيرا على الصعوبة التى يجدون فكره مصطبغا بها . ونحن بحاجة إلى أن نقرر ان هذا السوع من الحيرة التى نتاب الناس إزاء صعوبة فكر تلش هي حيرة مشروعة ، وإلى ان نقرر أيضا ان تلش ليس صعبا فحسب ، بل مبهما فى الغالب . ان طرافة ما كتبه

2) Ibid ., P.96.

3) Ibid., P.179 .

تتش حول كثير من الموضوعات قد جعل الناس لايتذكرون أن غموض تش هو أمر مقصود من جانبه بمعنى أننا في الغالب لن نستطيع استجلاء أى فكرة من أفكاره إلا إذا كافحنا من أجل تعقبها في سائر كتاباته . وعلى نفس النهج أقول لأننا واثقون كل الثقة أن تش رجل لاهوتى عظيم ، فنحن لسنا بمؤمن من أن تعامله مثلما تعامل العظماء من الفنانين ، أن نأخذ بلا أى نقد مخلص أى شئ يقدمه على أنه شئ عظيم . إن كثيرا من الناس يرون أنه لأمر بديهي أن يكون تش على صواب في كل ما يقول . ومع ذلك فإننى أقول إن ذلك ليس هو الدين الذى يريد تش تطويق أعناقنا به، طالما أنه يرى أن لاهوته النسقى هو مجرد نسق يساعد على تقديم اجابات ، ومن ثم فإن الاجابة على السؤال، ما الذى يجعل تش يحظى بقدر كبير من الأهمية؟، لن تخرج عن كونها أن تش قد اجبرنا على أن نسأل أسئلة رئيسية هينة لابد لنا أن نسألها حول اللاهوت وأوضح لنا نوع الشجاعة التى نحتاجها كي نجيب على هذه الاسئلة .^(١) ان ما يقصده توماس هنا هو أن غموض تش كان أمرا إيجابيا مقصودا من جانبه اراد به اجبارنا على أن نأخذ على عاتقنا استجلاء غموضه عن طريق تجشم عناء البحث عن مصادر افكاره في كتاباته كلها . هذا بالاضافة إلى أنه كان يريد أن يوقظ العيون على تلك " الاسئلة " الملحة التى يتحتم عليهم أن يسألوها، وأن يثير فيهم الشجاعة والمقدرة على التنقيب عن " الاجابات " الممكنة على تلك " الاسئلة " . صحيح أن توماس لا يوافق على أن يأخذ بون نقد كل ما يقوله تش باعتباره حقائق مسلم بها . فهذا الأمر يرفضه توماس، كما يرفضه ، كما يقول ، تش نفسه . بل ويهيب بالنقاد أن يأخذوا على عاتقهم قراءة تش قراءة نقدية من أجل استجلاء غموض أفكاره الأمر الذى جعله يقرر في موضع آخر : " ان بول تش هو رجل لاهوتى يتسم بالصعوبة غير أن القراءة النقدية هى الثمن الذى يدفعه لقاء ذلك . إذا كان جزء من الشهرة (او الشعبية) التى حققها تش مؤخرا مرجعه إلى اندفاع قرائه (اى

1) Thomas, J.H., Paul Tillich, P. 42, London, The Carey Kingsgate Press Ltd., 1965 .

تهورهم) إلى استخدام بعض أفكاره الأكثر ابهاما فأننى أمل أن يؤدى الفهم الدقيق المتروى لفكره إلى لاهوت أكثر وضوحا وأكثر ثراء. ^(١) ولكن توماس لم يشك لحظة فى ثراء لاهوت تلتش الغامض ، فالدراسة النقدية التى يهيب بها لن تزيد ذلك اللاهوت إلا ثراء على ثراء. إن إصراره على أن تلتش هو رجل لاهوتى مسيحى مخلص بلا أى جدال هو الذى جعله يؤكد من جديد " أن السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر قد شهدت مولد ثلاثة من اللاهوتيين الرواد فى عصرنا هذا - بارث وبرونر وتلتش. " ^(٢) نحن قد نتفق مع توماس على أن تلتش قد اصطنع الغموض من أجل الوصول إلى غاية إيجابية هى أنه لا يريد تقديم إجابات جاهزة، بل يريدنا أن نطرح السؤال وأن نجد فى السعى وراء الإجابة حتى نفوز بها دون أن تكون مفروضة علينا. فالإجابة الجاهزة المباشرة قد تكون مكروهة لتلتش ، كما هى مكروهة للكثير من الفلاسفة . ولعل هذا يذكرنا بموقف سارتر الشهير حيال ذلك الفتى الذى جاء إليه يلتمس حلا لورطته . لقد وجد هذا الفتى نفسه موزعا بين اختيارين أحلاهما مر. فهو ، من ناحية ، يريد أن يلبي نداء الوطن ، ويأله من نداء! ، الذى يهيب به أن يذهب إلى أنجلترا للانضمام إلى قوات التحرير الفرنسية من أجل الدفاع عن حرية وكرامة وطنه الأم (فرنسا)، وهو ، من الناحية الأخرى، يريد أن يبقى إلى جوار أمه المعذبة التى فقدت كل عزيز لديها فى هذه الدنيا ولم يتبق لها سوى هذا الابن الذى تعيش به ومن أجله فقط. ^(٣) لقد كلن على هذا الفتى، هكذا يقول سارتر ، " أن يختار بين الذهاب إلى أنجلترا للانضمام إلى قوات التحرير الفرنسية وبين البقاء إلى جوار أمه لمساعدتها على البقاء على قيد الحياة. إنه يدرك تماما أن هذه المرأة تعيش من أجله هو فقط وأن اختفائه - أو ربما موته- سوف يلقي بها فى وهدة اليأس . وهو يدرك أيضا أن اختياره البقاء إلى جوار

1) Ibid., P. 48.

2) Ibid., P. 1.

3) Sartre, J. P., Existentialism and Humanism, P. 35, Translated by Mairet, P., Methuen and Co. Ltd., London, 1948.

أما سوف يكون ، فى واقع الامر ومن الناحية المتعينة ، له وقع الاكيد عليها حيث ان بقاءه سوف يساعدها على البقاء على قيد الحياة ، فى حين أن اختياره الذهاب إلى أنجلترا للمشاركة فى الحرب يعد نوعا من الاختيار الفامض الذى قد يتلاشى كتلاشى المياه فى الرمال وقد لا يخدم أى غرض . ان ذهابه إلى أنجلترا ، على سبيل المثال ، يعنى أن عليه أن ينتظر فى الطريق فى أحد المعسكرات الاسبانية ، او، وهذا فى حالة وصوله إلى أنجلترا ... ، قد يوضع فى احد المكاتب وتُسند له وظيفة ملء الاستعمارات وهذا يعنى عدم مشاركته مشاركة مباشرة فى الحرب التى ذهب أصلا للمشاركة فيها. ومن ثم وجد الفتى نفسه وجها لوجه أمام فعلين مختلفين تماما، الأول متعين ، ومباشر، ولكنه موجه صوب شخص واحد فقط ، والآخر موجه إلى غاية أعظم، إلى وطنه القومى ، ولكونه كذلك فهو فعل يتسم بالفموض - وقد يحبط فى الطريق . لقد كان ذلك الفتى موزعا ، فى نفس الوقت ، بين نوعين من الاخلاق ، أخلاق التعاطف والاخلاص الشخصى من ناحية ، وأخلاق ذات مجال أوسع ولكن مشروعيتها مثار جدل أكبر ، من ناحية أخرى . لقد كان على ذلك الفتى أن يختار بين هذين النوعين.^(١) إن سارتر نفسه لم يقدم حلا لهذا الموقف ، وهو لم يكتف بذلك ومن ثم راح يقرر انه لا يوجد شئ ، لا قانون وضعى ولا أى قاعدة أخلاقية ولا أى شئ من هذا القبيل ، يمكنه أن يقدم حلا لهذا الموقف . " من ذا الذى ، " هكذا يقول سارتر، " يمكنه أن يساعد هذا الفتى على الاختيار؟ هل يستطيع الدين المسيحى أن يفعل ذلك؟ إن الاجابة هي قطعاً بالنفى . فالدين المسيحى يقول : تصرف على نحو خير ، حب جارك ، أنكر ذاتك من أجل الآخرين ، اختر الطريق الأصعب ، وهلم جرا . ولكن أى الطريقين هو الأصعب ؟ أيهما يحتم على المرء أن يكرس له حبا أخويا أكثر ، الوطن أم الأم ؟ أى الفايستين أكثر فائدة او نفعا ، الغاية العامة المتعلقة بالقتال وسط ومن أجل المجموع ككل ، أم الغاية الخاصة المتعلقة بمساعدة شخص واحد بعينه على البقاء على قيد

1) Ibid ., P. 35-36.

الحياة؟ من ذا الذى يستطيع أن يقدم إجابة على هذا الموقف 'القبلى'؟ لا شئ على الإطلاق . ان الاجابة لا توجد حتى فى أى نص أخلاقى . إن الاخلاق الكانطية تقول ، لا تتخذ أبدا أى فرد كوسيلة ، بل اتخذه يوما كغاية. حسنا، إذا بقيت مع أمى ، فإن هذا يعنى أننى اتخذها كغاية لا كوسيلة : ولكن لنفس السبب لا اكون بمؤمن من اتخاذ أولئك الذين يقاتلون من أجل كوسيلة ، والعكس صحيح أيضا، بمعنى أننى لو ذهبت لمساعدة رفقاء السلاح فأننى سوف اتخذهم كغاية على حساب المجازفة باتخاذ أمى كوسيلة.^(١) أن سارتر يرى انن أنه ليس هناك شئ على الإطلاق يمكنه أن يقدم حلا لهذه المشكلة . هذا الموقف السارترى قد يبدو غريبا عن بعض المجتمعات خاصة تلك التى تضع ما هو عام فوق ما هو خاص : لكن وجه الغرابه سرعان ما يزول. هذا إذا عرفنا أن العلاقة بين الاثنين هى ، بالنسبة للفلاسفة الوجوديين ، علاقة ارتباط بحيث يستحيل التضحية بالواحد منهما على حساب الآخر ، ومن ثم فإن الحل الوحيد للخروج من هذه الورطة لن يتأتى بقرار موضوعى ، بل بقرار ذاتى أو لاعقلانى . هذا هو ما فعله سارتر عندما قرر ان الحل لن يتأتى إلا عن طريق احتكام الفرد إلى إحساسه الفريزى . " فإذا كانت القيم لا تتمتع بصفة اليقين ، وإذا كانت تتسم بالتجريد إلى حد أنها تعجز عن البت فى هذه الحالة الخاصة المتعينة قيد البحث ، فإن كل ما يتبقى لدينا هو ، " هكذا يقول سارتر ، " أن نثق فى غرائزنا . ذلك ما حاول أن يفعله الفتى الصغير ، فعندما رأته قال لى ، أن الإحساس هو الأمر الذى يجب أن أعول عليه فى نهاية المطاف ، فالاتجاه الذى يدفعنى إحساسى إلى السير فيه هو الاتجاه الذى يجب أن اختاره . فإذا أحسست أنى أحب أمى إلى حد يجعلنى أضحي بكل شئ فى سبيلها ... فسوف أبقي معها ... وإذا أحسست ، على النقيض من ذلك ، أن حبنى لها ليس حبا كافيا ، فسوف أذهب إلى الحرب. ولكن كيف يستطيع المرء تقدير قوة احساس ما ؟ ان مقدار حب ذلك الفتى لأمه يتحدد من خلال بقائه بجوارها.

1) Ibid., P. 36

فقد يكون بإمكانى أن أقول اننى أحب صديقا ما إلى حد يجعلنى أضحي من أجله بهذا المبلغ من المال أو ذاك ، ولكننى لن أستطيع إثبات ذلك إلا إذا فعلته . وقد أقول ، اننى أحب أمى إلى حد يجعلنى لا أستطيع تركها ، هذا إذا بقيت معها بالفعل . اننى لن أستطيع تحديد قوة هذا النزوع إلا إذا مارست فعلا يحسم ويؤكد هذا النزوع . ولكن إذا احتكمت بعدئذ إلى هذا النزوع لايجاد تبريرا لفعلى ، فسوف أجد نفسى واقعا فى الدور^(١) ان معنى هذه العبارة الأخيرة هو أن المرء لا يستطيع أن يجعل من النزوع أو الاحساس الفريزى هاديا أو مرشدا للفعل ، أو بالأحرى قاعدة خلقية ، وذلك لأن الاحساس نفسه لايتشكل إلا من الافعال التى يقوم بها المرء ، ولهذا لا يستطيع الرجوع إليه كمرشد لافعالى . يقول سارتر : " إن الاحساس يتشكل من الافعال التى يقوم بها المرء ، ولهذا لا أستطيع الرجوع إليه كمرشد لافعالى . هذا يعنى أننى لا أستطيع أن أبحث فى داخل نفسى عن دافع أصيل للفعل ، كما أننى لا أستطيع أن أتوقع من أى مذهب أخلاقى قاعدة خلقية تساعدنى على القيام بالفعل^(٢) . هذا يعنى أن سارتر يرى أن الافعال تشكل الاحساس ، ولكن الاحساس ، طالما أنه يتشكل من الأفعال التى يقوم بها المرء ، لا يصلح لأن يكون قاعدة أو هاديا للسلوك . فعلى المرء أن يخترع مع كل موقف جديد قاعدة إحساس جديدة تتشكل من الافعال الجديدة التى يقوم بها المرء بالفعل فى ضوء موقف جديد . لقد تحدث هيدجر عن نفس هذا الاحساس الفريزى السارترى ، ولكن تحت ما أسماه " الاصغاء لنداء الضمير " الذى ستتعرض له الدراسة فيما بعد . ومن ثم نستطيع أن نقرر سلفا هنا أن الأمر واحد بالنسبة لسارتر وهيدجر ، أعنى ليست هناك قاعدة أخلاقية مسبقة يمكنها أن تعلّى على هذا الفعل أو ذاك . وطالما أن الأمر كذلك ، فمن الطبيعى أن يعجز سارتر عن تقديم الحل للفتى الصغير . والشئ الوحيد الذى ذكره للفتى هو " أنت حر ، ولذلك

1) Ibid, P. 37.

2) Ibid., Loc. cit .

يتحتم عليك أن تختار - أعنى، أن تختار. فليست هناك قاعدة أخلاقية عامة يمكنها أن تملئ عليك ما يجب أن تختاره.^(١) إن سارتر لم يقدم حلا والمفترى الذى كان يرمى إليه هو أن يجعل الفتى يطرح سؤاله وأن يبحث عن حل ذاتى لمشكلته. هنا يكمن التماثل بين موقف سارتر وموقف تلش الذى حاول توماس إبرازه. فعلى الرغم من أننا نعى أن هناك تباينا حادا بين الموقفين، إلا أننا نرى أن هناك عنصرا مشتركا بينهما. لقد توقف سارتر عن الحكم - ربما لو وضع فى نفس الموقف لاتخذ، فى ضوء إحساسه الغريزى، قرارا ذاتيا على الفور - كى يضع على عاتق الفتى مهمة إثارة السؤال وكذا مهمة السعى وراء الاجابة، واصطنع تلش الغموض للسبب عينه.

ولكن على الرغم من أننا قد نتفق مع توماس على ذلك، إلا أننا لا نتفق معه على أن ذلك هو كل هدف تلش ومسعاها. فنحن نرى أن غموض تلش يرجع أولا وقبل كل شئ إلى العنصر الوجودى - اللاحادى الخفى عنده. هذا هو ما لم يتنبه إليه توماس الذى لم يدرك أن تلش نفسه يؤكد بصورة خفية، كما ستكشف الدراسة فى فصلها الأول، أن بارث، الذى عده توماس (مع تلش وبرونر) فى عبارة وردت آنفا أحد ثلاثة رواد للاهوت المسيحى المعاصر، يشاركه نفس هذا العنصر اللاحادى.

ولعل ابرز الامثلة على اساءة تفسير غموض تلش قد جاء على لسان روبرتس الذى كتب يقول: " أن الواجهة الرئيسية للمدخل الأنثروبولوجى للانطولوجيا عند تلش تسير جنبا إلى جنب مع الواجهة الرئيسية للمدخل الأنثروبولوجى للانطولوجيا عند هيدجر. ولكن عندما نصل إلى العلاقة بين الوجود واللاوجود، نجد ههما يقفان على طرفى نقيض. فهيدجر يرى أن الموضوع المطلق للميتا فيزيقا يمكن وصفه بأنه 'وجود' أو 'عدم'. وعلى الصعيد الآخر، يرى تلش أن سائر الوجود المتناهى ... هو وجود

1) Ibid, P. 38.

مصدره الله ولكن يجدر بنا أن نتساءل عما إذا كان تلش يؤمن بوجود أسباب فلسفية خالصة قد تؤدي بالتحليل الانطولوجي للطبيعة الانسانية إلى نتائج الحادية بدلا من نتائج مسيحية .^(١) هذا يعنى أن روبرتس قد تشكك فى احتمالية أن تكون هناك أسباب فلسفية خالصة قد تجعل تلش يؤمن بأن البحث الانطولوجي للطبيعة الانسانية يسوق إلى نتائج الحادية ، لا إلى نتائج مسيحية . ولكن بدلا من البحث عن تلك الأسباب ، طرح روبرتس السؤال جانبا ، وأبحر فى الاتجاه المسيحى ومن ثم راح يصور " مذهب تلش الانساني " على أنه متسابق مع اللاهوت المسيحى وخير شاهد على ذلك هو أنه كتب يقول : " ان المذهب الانساني عند بول تلش يعكس بنية ثالوثية ، ومذهبه فى الخطيئة بصفة خاصة يرتبط بتعليقه اللاهوتى لشخص المسيح " .^(٢) هكذا بقى التساؤل الذى أثاره روبرتس مجرد تساؤل لم يحاول - سواء عن قصد أم غير قصد - أن ينقله إلى مرتبة اليقين . من هنا يتحتم علينا الابحار فى الاتجاه الذى لم يستطع روبرتس الابحار فيه حتى نحيل شكه إلى يقين .

ويورد لنا ابوارد مثالا آخر يختلف عن سائر الامثلة السابقة . فهو يقول : " إن التأكيدات التى قدمها تلش للوجود ذاته (اى الله) هى تأكيدات لايمكن للعقل أن يتقبلها ... وفى مقالتى هذه سوف استخدم التعبير 'لامعنى له' ، والتعبير 'لايمكن للعقل أن يتقبله' ، والتعبير 'يخلو من أى مضمون معرفى' ، والتعبير 'لا يقول شيئا على الاطلاق' ، والتعبير 'يفشل فى تقديم تأكيدات' ، والتعبير 'يفتقر إلى معنى يمكن الاستناد إليه' ، بالتبادل ... وسوف أحاول البرهنة على أن لاهوت تلش يتصف بكل الصفات السابقة - فهو لاهوت لامعنى له ، ولا يمكن للعقل أن يتقبله ، وهلم جرا .^(٣) ان وجه الاختلاف هنا يرجع إلى أن ابوارد قد برهن على عدم معقولية لاهوت تلش من

1) Roberts, D. E., 'Tillich's Doctrine of Man', The Theology of Paul Tillich, P. 122, The Library of Living Theology, Vol. 1, Ed. by Kegley, C.W. and Bretall, R. W., The Macmillan Company, New York, 1964.

2) Ibid ., P. 128 .

3) Edwards, P., 'Professor Tillich's Confusions', Mind, A Quarterly Review of Psychology and Philosophy, Vol. LXXIV (1965), P. 194 .

منظور لغوي صرف ، فلم يتطرق مطلقا إلى قضية علاقة ذلك باللاهوت المسيحى ، ولا إلى مناقشة ما إذا كان تلش قد اصطنع الغموض والتناقض لسبب أو لآخر . فكل ذلك لم يضعه فى اعتباره على الاطلاق . ولكنه برهن ، من منظور لغوي صرف ، على أن تأكيدات تلش اللاهوتية ، مثلها فى ذلك مثل أى تأكيدات ميتافيزيقية أخرى ، لا تعنى شيئا على الاطلاق . فاللغة الميتافيزيقية أو بالاحرى اللاهوتية التى يستخدمها تلش هى فى رأيه لغة تخلو من أى مضمون معرفى ، لغة لا تفيدنا بشئ ذى معنى ، انها أغاليط فى أغاليط ، إنها ، كما جاء فى عنوان مقالته ، " اغاليط بروفيسور (الأستاذ) تلش " .

فى ضوء كل ما سبق نستطيع أن نقرر ان نقاد تلش قد تذرروا من غموضه وتعرضوا له بالنقد من أجل الوصول إلى نتيجة إيجابية هى إضفاء مزيد من الثراء على لاهوته الذى يعدونه ثريا . لقد فاتهم جميعا أن هذا الغموض يرجع إلى موقف النصف ، والنصف ، النقيض ، والنقيض ، الايمان ، والالحاد . ولهذا بقيت تساؤلاتهم السلبية مجرد تساؤلات عارضة تبحث عن إجابات . فهم لم يفتنوا إلى أنه لم يكن من قبيل الصدفة ان يصدر تلش مجموعة من مواعظه الدينية فى مجلد واحد أطلق عليه اسم " زعزعة الاساسات " ، اعنى ، أنهم لم يفتنوا إلى أن تلش كان يميل فى الاصل إلى زعزعة أساسيات اللاهوت المسيحى ، أكثر من ميله إلى إعادة تشييده . وهم لم يفتنوا ايضا إلى أنه لم يكن من قبيل الصدفة أن يظهر كتابه " الشجاعة من أجل الوجود " الذى نجده ، على عكس ما يجد سائر الباحثين ، يلقي الضوء على نصفه الالحادى ، فى نفس الفترة التى ظهر فيها الجزء الاول من " لاهوته النسقى " الذى يقدم فيه خلاصة نصفه اللاهوتى . وهم لم يدركوا أن هذا الموقف الخفى لتلش هو الوعاء الذى يصب فيه غموضه . فإيمانهم الشديد بثراء لاهوته حال بينهم وبين تجشم عناء البحث عن ذلك الوعاء . اما غموض أو مكر أو دهاء تلش نفسه فقد كان العامل الحاسم الذى اقصاهم عنه . فتلش بعثر سره الالحادى فى ثنايا كل ما كتب بطريقة خفية تماما ، أعنى ، وكما ستكشف الدراسة ، بطريقة منظمة ومدبرة على نحو خارق . لقد قدم لهم

"السم" في "كؤوس" من "نبیذ" فتجرعوها وهم "يشبون" له على أوتار الغموض .

ان هذه الدراسة سوف تحاول اكتشاف أن منهج "التضایف" ، الذى عالج تلش فى ضوءه مشكلة "الاغتراب" ، قدم مزيدا من المساعدة لتلش على إخفاء موقفه الوجودى - الالحادى فى طيات موقفه الدينى تحت ستار "الاغتراب" ، وأن الغاية النهائية والحاسمة والخفية التى يسوق اليها المنهج هى ، كما ستكشف الدراسة ، غاية الحادية . فالمنهج يزعم فى الظاهر أنه يقيم علاقة ما بين جانبين : أحدهما وضعه تلش على هيئة "سؤال" ، والآخر جاء على هيئة "اجابة" على ذلك السؤال . وإذا كان تلش جعل السؤال يختص بالموقف الانسانى المغترب أو بالازمة الانسانية ، فقد حدد الدين المسيحى كاجابة على هذه الازمة . هذا بالاضافة إلى أن تلش جعل هذين الجانبين - السؤال ، والاجابة - مستقلين عن بعضهما استقلالا تاما من ناحية المضمون ، ومعتمدين أو متواقفين على بعضهما توافقا متبادلا من ناحية الشكل فقط ، وتلك هى باختصار علاقة التضایف الظاهرية التى يقيمها تلش بين الاثنين . فالمنهج يحيل مهمة تحليل وتشيد السؤال ، اعنى ، الموقف الوجودى المغترب أو الازمة الانسانية إلى الوجودية ، فى حين أنه يحيل تقديم الاجابة إلى اللاهوت المسيحى . وهذا يعنى أن تلش يعتمد فى تشييده للسؤال أوللازمة الانسانية على التحليلات التى قدمها سائر الوجوديين لتلك الازمة ، بمعنى أنه قدم تحليلاتهم باعتبارها إيضاحات لموقفه الشخصى ، ويعتمد فى تقديمه للاجابة على اللاهوت المسيحى . هنا يكون تلش ، وكما ستكشف الدراسة ، قد قسم نفسه إلى نصفين: نصف وجودى يقدم السؤال استنادا إلى تحليلات الوجوديين له ، ونصف لاهوتى يقدم الاجابة فى ضوء اللاهوت المسيحى . غير أن تلش ، وكما ستكشف الدراسة ، يجعل الوجودية بأكملها مرادفة للالحاد ، والنتيجة التى نجدها مترتبة على ذلك هى أن النصف الوجودى لتلش هو نصف الحادى . فهذا النصف هو الذى جعله ، وكما ستكشف الدراسة ، يسهب فى تقديم التحليلات الالحادية التى قدمها الوجوديون الملاحدة للازمة الانسانية ، وذلك لأنه قدم

هذه التحليلات الالحادية باعتبارها ايضاحات غير مباشرة لموقفه الالهادى الخفى ، فهو منقسم فى واقع الامر ، وكما ستكشف الدراسة ، إلى نصف أونقيض وجودى - الحادى ، ونصف أونقيض لاهوتى ، وهذه هى النتيجة الالحادية التى يسوق إليها منهج التضاييف ، والتي نقدمها هنا فى شكلها المختصر .

هذه النتيجة الالحادية سوف تسوقنا ، وكما ستكشف الدراسة ، إلى اكتشاف مفهومين متناقضين للاغتراب عند تلش : أحدهما ايمانى متساوق مع تلش المؤمن وبالتالي مع الوجودية المؤمنة أو بالاحرى مع اللاهوت المسيحى ، والآخر مفهوم الحادى متساوق مع تلش الملحد ومن ثم مع الوجودية الملحدة . هنا سينكشف لنا معنى تأكيدنا على أن تلش وجد فى مفهوم "الاغتراب" الترية الخصبة التى ساعدته على اخفاء موقفه الوجودى - الالهادى فى طيات موقفه الدينى دون أن يظن إلى ذلك أحد بسهولة .

إذا كان المفهوم الذى ساعد تلش على اخفاء موقفه الوجودى الالهادى فى طيات موقفه الدينى هو مفهوم الاغتراب ، فإن المفهوم الذى ساعده على أن يجعل فكره ككل موزعا بين أى فكرة يمكن تخيلها ، وبين نقيض تلك الفكرة هو ، كما سوف نكتشف فى الفصل الخامس، مفهوم "الحد" . فهذا المفهوم الاخير يعد بمثابة الستار الذى تمكن تلش من خلاله من تقديم فكره باعتباره "خليطا" من افكار متناقضة . هذا يعنى ضمنا أن المفهوم الذى يخص فكر تلش ككل متناغم تماما مع المفهوم الذى يخص موقفه الوجودى اعنى مفهوم " الاغتراب" . فالمفهوم الاول يشير إلى انقسام فكر تلش ككل إلى افكار متناقضة يمكن أن ترد، كما ستكشف الدراسة، إلى تناقض الايمان - الالحاد، فى حين أن المفهوم الاخير يشير بصورة مباشرة إلى انقسام الموقف الوجودى لتلش إلى تناقض الايمان - الالحاد. هذا يعنى أن العلاقة بين الموقف والفكر هى، كما ستكشف الدراسة، علاقة تضمن بمعنى أن الموقف الوجودى لتلش متضمن فى طيات فكره ككل، والعكس صحيح أيضا، بمعنى أن فكره ككل متضمن بمعنى ما فى طيات موقفه الوجودى. هذه العلاقة تشير، كما ستكشف الدراسة، إلى

علاقة مفهوم "الحد" بمفهوم التضاييف . صحيح أن تلش تعامل مع مفهوم "الحد" فى المرحلة الاولى أو المبكرة من حياته، وصحيح أيضا أنه استبدل هذا المفهوم بمفهوم التضاييف، وذلك منذ بداية نضوجه الفكرى الذى حدث فى اعقاب طرده من المانيا على يد النازى وذهابه إلى أمريكا فى عام ١٩٣٣ م ولم يكن قد تجاوز بعد عامه السابع والاربعين، والتي عاش بها إلى أن توفى عام ١٩٦٥ م عن عمر يناهز تسعة وسبعين عاما (١) ، غير أن هذا الاستبدال لم يكن ، كما ستكشف الدراسة ، سوى استبدال كلمات بكلمات ، لقد بقى مفهوم التضاييف المتأخر مفهوما فى "الحد" بمعنى أن الاثنين يؤكدان انقسام تلش إلى النقيض، والنقيض . اما الفارق الوحيد بين الاثنين فهو فارق شكلى ، بمعنى أن مفهوم التضاييف الناضج والمتأخر أكثر خفاء من مفهوم "الحد" المبكر . ولعل هذا يفسر السر فى طرد تلش من المانيا ورحيله إلى أمريكا ، اذ يبدو أن استخدام تلش لهذا المفهوم الاخير قد أدنى، نظرا لكونه أقل خفاء، إلى ذلك الطرد ، وعندما ذهب إلى أمريكا ووجد، لحسن حظه، كما ستكشف الدراسة، المناخ ملائما لنشر موقف النصف، والنصف اقلع عن مفهوم "الحد" واستبدله بمفهوم التضاييف الأكثر خفاء وذلك من اجل مزيد من الإمعان فى اخفاء موقفه الالحادى حتى لا يتعرض لدرس مماثل لذلك الذى تلقاه فى ألمانيا. هنا يكمن التماثل بين تلش وهيجل. لقد استبدل هيجل، فى كتاباته المتأخرة، كما سنرى فى الفصل الاول، مفهوم "الحياة"، الذى استخدمه فى كتاباته المبكرة، بمفهوم "الروح" أو "العقل"، ولكن هذا المفهوم الاخير بقى مفهوما فى "الحياة". وعلى نفس النهج سار تلش الذى استبدل مفهوم

(١) لمزيد من التفاصيل عن حياة وأعمال بول تلش أنظر المراجع الآتية :

- 1) Martin, B., The Existential Theology of Paul Tillich, PP. 15-26,
- (2) Leibrecht, W., 'The life and mind of Paul Tillich', Religion and culture; Essays in Honor of paul Tillich, pp. 3-37 , Ed. by Leibrecht, W., SCM Press, London, 1959, (3) Tillich, P., The Protestant Era, Author's Introduction, PP. V-XXV1, The Univ. of Chicago Press, Chicago, 1957, (4) Tillich , P., 'On The Boundary', the Boundaries of Our Being, PP. 297- 350 , (5) Thomas, J. H. , Paul Tillich, PP. 1- 4 .

"الحد" المبكر بمفهوم التضاييف المتأخر، ولكن هذا المفهوم الأخير بقى فى جوهره وصميمه مفهوما فى "الحد". هذا بالاضافة إلى أنه إذا كان هيجل قد زعم أنه اقام مذهبا شاملا يحتوى كل حقيقة ممكنة، فإن تلش زعم أيضا أنه اقام نسقا شاملا هو عبارة عن "محيط" من أفكار متناقضة. غير أن هذا التماثل الشكلى بين الاثنى، لايمتد مطلقا إلى الجوهر. فالفارق بين الاثنى عظيم. لقد كان هيجل مولعا بالتركيب الذى يمضى من الفكرة thesis ، الى نقيض الفكرة Anti-thesis ، ثم إلى مركب أعلى من الفكرة ونقيضها Synthesis ، فى حين أن تلش يكره التركيب كراهية ما بعدها كراهية. فهو يصبر يوما ، وكما ستكشف الدراسة ، على أن يبقى النصف ، والنصف ، النقيض، والنقيض ، وأن يثب وثبا لامعقولا ومستعرا من الواحد منهما، إلى الآخر .

ان طابع هذه الدراسة يحتم ، كما هو واضح ، استخدام منهج "نقدى- استبطانى - تحليلى - مقارن " ، وذلك لأننا سنحاول نقد الموقف الدينى العلنى لتلش ، من اجل استبطان موقفه الوجودى - الالحادى الخفى ، وهذا لن يتأتى إلا من خلال تحليل مكثف لمواقف تلش الخفية والعلنية مع المقارنة بينها من أجل اكتشاف وإثبات أن فكره ككل ليس سوى فكر منقسم إلى النقيض، والنقيض .

بقيت نقطة اخيرة ، فى هذه المقدمة ، تتعلق برأى تلش الذى ورد فيما سبق والذى مؤداه: أن مصطلح الاغتراب Estrangement يرادف مصطلح الـ Alienation الذى يترجم فى العربية بالاغتراب أيضا. فالترادف الذى يشير إليه تلش هنا يرجع إلى أنهما يشيران فى رأيه إلى حالة من الانفصال Separation ، وهو يفرق بين نوعين من الانفصال أحدهما ايجابى أو صحى مقبول ، والآخر سلبى أو مرضى مرئول. والنوع الاول يعد فى رأيه شرطا للتفرد (اي صيروة المرء فردا أصيلا) ولذا لا يعده تلش اغترابا على الاطلاق. أما النوع الثانى من الانفصال فهو ذلك النوع الذى ينجم عنه آثارا مدمرة أو محطمة لساثر أوجه الوجود الانسانى. هذا النوع الأخير هو الذى يصفه تلش بالاغتراب. هذه التفرقة متضمنة فى نص تلش التالى الذى يقول: "ان

الانفصال قد يعنى التفرد ، وهو يعد من هذا الاعتبار عنصرا أساسيا فى بنية الوجود، إنه يضرب بجنوره فى الحياة الإلهية : انه أحد شرطى الحب - والشرط الآخر هو إعادة الاتحاد. إن الانفصال باعتباره تفردا يتسم بالخير ، إنه الافتراض المسبق لسائر ألوان الخير الفعلى . غير أن الانفصال يستخدم أيضا للدلالة على الاغتراب والصراع بين الله والانسان ، وبين الانسان والانسان ، وحتى للدلالة على الاغتراب والصراع فى داخل الانسان . والانفصال يعد من هذا الاعتبار خطيئة تستلزم الخلاص منها عن طريق إعادة الاتحاد . إن الانفصال عن الله يعد من الناحية الانطولوجية اعداما Annihilation ... ومن ثم فأننى أنوى اخبار مصطلح الانفصال لاستخدامه فى سياق المعنى الاول للانفصال، وسوف استخدم مصطلح الاغتراب فى سياق المعنى الثانى لهذا الانفصال.^(١) هذا يعنى أن تلش ينوى استخدام مصطلح الانفصال للدلالة على الجانب الايجابى من هذا الانفصال ، كما ينوى استخدام مصطلح الاغتراب للدلالة على الجانب السلبى . هذا الجانب الاخير يتضمن فى رأيه انفصال أو اغتراب الانسان عن الله ، وعن أخيه الانسان، وعن ذاته نفسها . من هنا راح تلش يقرر: " ان الانفصال ينطوى على ثلاثة أوجه : هناك انفصال بين الافراد ، وانفصال للانسان عن ذاته، وانفصال لسائر البشر عن اساس الوجود.^(٢) هذا الانفصال يشير، كما هو واضح، إلى الانفصال السلبى الذى يصفه تلش بالاغتراب والذى ينطوى، كما سنرى من خلال هذه الدراسة ، على نتائج مدمرة للوجود الانسانى فى شتى مظاهره .

نحن نتفق مع تلش على أن حالة الاغتراب هى حالة انفصال. لقد أكد شاخت هذه الحقيقة من خلال دراسته المكثفة لتاريخ تطور مصطلح ومفهوم الاغتراب. هكذا كتب يقول: "عندما أواجه مصطلح الاغتراب، فأننى أكون واثقا إلى حد كبير أن المسألة

1) Tillich, P., 'Reply to Interpretation and Criticism', The Theology of Paul Tillich , PP. 343-344.

2) Tillich, P., 'You Are Accepted', The Shaking of the Foundations, P. 156, Penguin Books, 1949.

قيد البحث هي نوع ما من أنواع الانفصال .^(١) هذا يعنى ، بتعبير آخر ، هكذا يؤكد شاخنت من جديد ، " أنه يمكن القول بصفة عامة ان مصطلح الاغتراب قد استخدم فى العادة فى سياق انفصال شئ ما عن شئ آخر .^(٢)

ولكننا لا نتفق مع تلش على أن حالة الاغتراب تنطوى على دلالات سلبية محضة، وذلك لأنه إذا كان الانفصال ينطوى على جانب سلبى وجانب إيجابى، فإن نفس الأمر يصدق على مرادفه اعنى الاغتراب . ولقد أكد هاينمان هذه الحقيقة عندما كتب يقول :
" أن الاغتراب يجلب معه ... مزايا معينة . فهو يتيح لنا أن نكون بمعنى عن الآخرين وأن نسمو بأنفسنا فوق ما يفعلون . ونحن نرحب به بدرجة ما طالما أنه يظل أقل حدة من احساسنا المناوئ للمعية togetherness والتشارك . ان الاغتراب السوى هو أمر صحى ، فى حين أن الاغتراب غير السوى هو أمر مرضى ، لأن سيادة هذا الاخير تعنى أنه يصبح معوقا للعمل المبدع ، ومحطما للعلاقات السوية ، ومحولا الثقة إلى انعدام ثقة.^(٣) هذا النص يوضح تماما أن الاغتراب ، مثله فى ذلك مثل الانفصال ، ينطوى على نفس الجانبين : السلبى والايجابى . نفس هذه الحقيقة تتأكد بصورة قاطعة من خلال الكلمات التالية التى ساقها استاذنا الدكتور محمود رجب فى معرض حديثه عن المعنى اللغوي لكلمة اغتراب ، والتى تقول : ان "الكلمة العربية 'غريب' تدل ... على امرين: احدهما مقبول مستحسن والآخر مرزول مستهجن . وهذا الازدواج فى الدلالة لا يقتصر على الكلمة العربية فحسب، فقد رأيناها... فى الكلمة اللاتينية Alienato فى سياقها القانونى خاصة، و... نراه فى اشتقاقات هذه الكلمة فى اللغات الاربوية الحديثة . على أن هذا لا يجب أن يمنعنا من ملاحظة أن الدلالة المستهجنة للاغتراب، أعنى النظر إليه كما لو كان مرضا يعانى منه الإنسان، أصبحت تغلب الآن وفى أغلب الاحوال على الدلالة المقبولة، حتى كادت تستبعدهما، ويأتى تبدو كأنما هي

1) Schacht, R., Alienation, P. 241.

2) Ibid., P. 244.

3) Heinemann, F.H., Existentialism and the Modern Predicament, P. 173, London, Adam, and Charles Black, 1953.

الدلالة الوحيدة للاغتراب.^(١) ولقد أوضح استاذنا الدكتور محمود رجب بعض الدلالات السلبية والايجابية للكلمة العربية على النحو التالى: " ان كلمة 'غريب'، وان كانت تطلق على هؤلاء الذين يخرجون فى سلوكهم وتفكيرهم عن المألوف والشائع، لم تكن وصفاً يحمل دلالة سيئة أو مستهجنة، بل كانت على العكس يقال على سبيل المدح (فقد كان اسم الحلاج مثلاً يتبع بهذا النعت 'العالم' (السيد) 'الغريب'، اعلاءً من قدره بين معاصريه) اما كلمة 'غريب' التى تستخدم الآن فى اللغتين الفصحى^(٢) والدارجة فعلى الرغم من أنها تدل أيضاً على الخروج عن المألوف فإنها تقال أحياناً على سبيل الاستهجان. مثلما نقول عن الانسان الذى ينحرف فى سلوكه النفسى والاجتماعى: أنه 'غريب الأطوار' للتعبير عن شذوذه ومرضه، وقد تقال فى أحيان أخرى على الشكوى من بؤس الحال مثل كلمة 'غريب الدار' التى يقولها الانسان الذى يحرم من خيراته أو خيرات وطنه.^(٣)

فى ضوء ذلك يتحتم علينا أن نقساعل: إذا كان الاغتراب والانفصال يحملان هكذا نفس الدالتين - السلبية، والايجابية -، فلماذا أراد تلش قصر استخدام مصطلح الاغتراب على الجانب السلبى من الانفصال بحيث لا يتعداه إلى جانب الايجابى؟ ان الاجابة على هذا السؤال لن تخرج عن كونها أن تلش يعد مثالا بارزا على صدق الملاحظة السابقة لاستاذنا الدكتور محمود رجب التى تقول: إن الدلالة المستهجنة للاغتراب قد غدت تغلب على الدلالة المقبولة، وباتت تبدو تبدو كأنما هى الدلالة الوحيدة للاغتراب. حقا ان رغبة تلش فى ادخار مصطلح الاغتراب لاستخدامه فى السياق السلبى للانفصال تؤكد تماما أنه يعتبر الاغتراب ذا دلالات سلبية محضة

(١) د. محمود رجب ، الاغتراب ، ص ٤٧ ، منشأة دار المعارف بالاسكندرية ، ١٩٧٨ م.

(٢) قمنا بتصويب هذه الكلمة حتى يستقيم النص ، وذلك لوجود خطأ مطبعى فى السياق الاصلى.

(٣) مرجع سابق ، ص ٤٦ - ٤٧ .

ولا ينطوى على أى دلالات ايجابية. لكن على الرغم من أن تلش قد أبدى رغبته فى ادخار مصطلح الاغتراب لاستخدامه فى سياق المعنى السلبى للاتصال ، وقصر مصطلح الانفصال على السياق الايجابى، إلا أنه لا يحتفظ دوما بهذه الرغبة فى كتاباته ، فكثيرا ما يستخدم المصطلحين دون تفريق للحديث عن الجانب السلبى للاغتراب أو الانفصال .

فى نهاية هذه المقدمة يجب أن نوضح أن الدراسة قد قسمت إلى خمسة فصول. **الفصل الأول - المنهج أو الطريق إلى الالهاد -** يتناول بالتحليل والنقد معنى منهج التضاييف، الذي عالج تلش فى ضوء مفهوم الاغتراب، وابعاده، واهدافه، مع التركيز على اكتشاف البعد الالحادى لهذا المنهج . **والفصل الثانى - الطبيعة الانسانية بين الايمان والالهاد -** يتناول البعد الايمانى الذى قدمه تلش المؤمن للطبيعة الانسانية ، ويكشف البعد الالحادى الذى قدمه تلش الملحد للطبيعة الانسانية. **الفصل الثالث - الازمة الانسانية بين الواقع والخيال -** يتناول الازمة الانسانية الخيالية التى يقدمها تلش المؤمن، ويكشف مدى واقعية تلك الازمة فى رأى تلش الملحد. **والفصل الرابع - قهر الاغتراب بين الايمان والالهاد -** يتناول الجانب الايمانى لقهر الاغتراب عند تلش المؤمن ، ويكشف الجانب الالحادى لقهر الاغتراب عند تلش الملحد . **اما الفصل الخامس - الفكر والموقف أو الموقف والفكر -** فيكشف علاقة موقف تلش الوجودى بفكرة ككل أو فكره فى شموليته .

بهذه الكلمات نكون قد وصلنا إلى نهاية تقديمنا لهذه الدراسة، ولكى ندلل على صدق دعوانا أن النتيجة الخفية لمنهج التضاييف عند تلش هى نتيجة الحادية تؤكد انقسام تلش إلى نصف ايمانى، ونصف وجودى - الحادى، يتحتم علينا الانتقال إلى **الفصل الاول .**

الفصل الاول

المنهج او الطريق الى الالحاد

سوف نقوم فى هذا الفصل بفحص مفصل للمنهج الذى يستخدمه تلش فى معالجة مفهوم الاغتراب ، أعنى ، منهج التضاييف، وذلك من أجل اكتشاف أن النتيجة النهائية لهذا المنهج هى أن الموقف الوجودى لتلش هو موقف منقسم إلى النصف ، والنصف، النقيض، والنقيض، الايمان ، والالحاد .

وسوف نقسم هذا الفحص إلى مرحلتين سنطلق على الاولى اسم المرحلة النظرية ، وعلى الثانية اسم المرحلة العملية . والمرحلة النظرية هى المرحلة التى سنجعل تلش يتولى فيها توضيح معنى المنهج وأبعاده توضيحا نظريا بونما أى تطبيق على التحليلات التى قدمها الوجوديون للآزمة الانسانية أو للموقف الوجودى المغترب للانسان . أما المرحلة العملية فهى المرحلة التى سنجعل تلش ينتقل فيها من الجانب النظرى الصرف ، إلى الجانب العملى ، أعنى ، إلى تطبيق هذا المنهج النظرى على التحليلات التى قدمها الوجوديون للموقف الوجودى المغترب للانسان . هذه القسمة للمنهج إلى جانب نظرى ، وجانب عملى لم يجريها تلش نفسه مطلقا ، بل ولم يتعرض لها أحد الباحثين من قبل . إنها محاولة من جانبنا لتبسيط ذلك التعقيد أو بالاحرى الغموض الذى يكتنف كتابات تلش .

يمكننا أن نبدأ المرحلة النظرية بتقرير ان هذا المنهج يعد ، فى نظر تلش، العمود الفقرى لكتابه "اللاهوت النسقى" بمجلداته الثلاثة ، ومن ثم فهو يعد الاساس الذى يرتكز عليه "لاهوته النسقى" بقضيه وقضيضه ، وذلك لان هذه المجلدات الثلاثة تمثل جماع ذلك اللاهوت . حقا ، لقد أكد تلش هذه الحقيقة عندما كتب، فى تقديمه للمجلد الاول ، يقول: "أن النسق التالى يعد محاولة لاستخدام منهج التضاييف كطريقة للتوحيد بين الرسالة والموقف. إنه يحاول أن يضاييف الاسئلة المتضمنة فى الموقف مع الاجابات

المتضمنة في الرسالة . انه لا يشتق الاجابات من الاسئلة .. ولا يسرد الاجابات نون
ربطها بالاسئلة ... انه يضيف الاسئلة والاجوبة ، الموقف والرسالة ، الوجود الانساني
والتجلي الالهي . ^(١) هذه العبارة تؤكد تماما أن منهج التضايف هو الاساس الذي
يرتكز عليه " اللاهوت النسقي " لتلش، كما توضح أيضا أن المنهج يتعامل مع جانبين
أحدهما هو الموقف ، والآخر هو الرسالة . والموقف يشير في رأى تلش إلى الموقف
الوجودي للانسان أو إلى الموقف الوجودي الانساني بما يثيره من أسئلة ملحة يتحتم
الاجابة عليها . أما الرسالة فتشير في رأيه إلى التجلي الالهي بما يتضمنه من إجابات
على تلك الاسئلة الملحة المتعلقة بالموقف الانساني عامة والتي لا مفر للانسان من أن
يسألها وذلك لان " معنى أن يكون الانسان إنسانا هو ، " كما يقول تلش ، " أن يسأل
الاسئلة المتعلقة بوجوده ذاته وان يعيش تحت تأثير الاجابات المقدمة . والعكس صحيح
أيضا لان معنى أن يكون الانسان إنسانا هو أن يتلقى إجابات على السؤال المتعلق
بوجوده وان يسأل أسئلة في ظل تأثير هذه الاجابات . " ^(٢)

ان سؤال او مفهوم الاغتراب هو في رأى تلش أحد الاسئلة الملحة - أن لم يكن
السؤال الوحيد - التي يتضمنها الموقف الوجودي للانسان والتي تتطلب اجابة لاهوتية.
هذا السؤال ليس متضمنا في الموقف الوجودي للانسان فحسب ، بل متطابقا تماما ،
في رأى تلش، مع هذا الموقف ، وذلك لان الاغتراب يؤثر، كما سنرى تفصيلا في هذه
الدراسة، على سائر أوجه الوجود الإنساني الامر الذي يجعل سائر الواجه تتطلب
إجابة لاهوتية . ولقد اكد تلش نفسه هذا المعنى عندما قرر: " أن حالة الوجود هي حالة
اغتراب. " ^(٣) فهذا التأكيد يعنى بالنسبة له " أن وجود الانسان مصطبغ بصيغة

1) Tillich, P. , Systematic Theology, Vol. 1, P. 8, SCM Press, Univ. of Chicago, 1951.

2) Ibid ., P. 62

3) Tillich, P., Systematic Theology, Vol .2 , P.44, SCM Press, Univ. of Chicago, 1957.

التناقض الذاتى او الاغتراب .^(١) وما دام الامر كذلك ، فمن الطبيعى أن يعلن "أن السؤال هو الوجود الانسانى ذاته".^(٢) أى أن السؤال يختص بالوجود الانسانى المغترب او بازمة الانسان . فى ضوء ذلك نستطيع أن نستنتج أنه طالما أن الموقف الوجودى الانسان هو فى رأى تلش موقف مغترب ، فإن هذا يعنى أن مفهوم الاغتراب هو الجامع المانع لموقفه الوجودى باسره ، بمعنى أن تلش تناول هذا الموقف من خلال تناوله لسؤال او مفهوم الاغتراب . هذا يعنى أن الجانب الأول الذى يتعامل معه منهج التضاييف اعنى الجانب المتعلق بالسؤال يشير فى رأيه إلى الموقف الوجودى المغترب للانسان أو إلى الازمة الانسانية .

إذا كان تلش قد أفصح هكذا عن مدلول هذا الجانب ، فهو قد أفصح عن مدلول الجانب الآخر - جانب الاجابة أو الرسالة أو التجلى الذاتى الإلهى - عندما كتب يقول : " إن منهج التضاييف يفسر مضامين الايمان المسيحى من خلال اسئلة وجودية وإجابات لاهوتية متوافقة على بعضها توافقا متبادلا".^(٣) هذا يدل على أن هذا الجانب يشير فى رأى تلش إلى الرسالة المسيحية . فهو مهتم فى المقام الأول بتفسير مضامين الاجابات المسيحية اللاهوتية على الاسئلة الملحة التى يثيرها الموقف الانسانى، وذلك لان " الرسالة المسيحية هى ، " كما يقول هو، "رسالة الخلاص ولان الخلاص يعنى الشفاء ، فإن رسالة الشفاء تناسب موقفنا تماما".^(٤) انها ، كما تقول العبارة ، تناسب الموقف المغترب تماما لانها تستطيع أن تشفى الانسان من ذلك الاغتراب .

بعد أن وضع تلش السؤال (الاغتراب او الموقف الوجودى المغترب للانسان أو الازمة الانسانية) هكذا فى جانب ، والاجابة المسيحية (الشفاء او الخلاص او المصالحة أو قهر الاغتراب عن طريق المشاركة ، من خلال الايمان، فى الوجود

1) Tillich, P., Systematic Theology, Vol.1, P. 66

2) Ibid., P. 64

3) Ibid., P. 60

4) Tillich, P., ' Aspects of a Religious Analysis of Culture,'
Theology of Culture. P. 49.

الجديد الذى تجلى فى يسوع باعتباره المسيح) فى جانب آخر ، راح يجعل من لاهوته النسقى المضاييف لهذين الجانبين . هذا يعنى فى رايه "أن اللاهوت النسقى يياشر عمله، فى ضوء استخدامه لمنهج التضاييف، على النحو التالى : انه يقدم تحليلا للموقف الانسانى الذى تصدر عنه الاسئلة الوجودية ، ثم يبرهن على أن الرموز المستخدمة فى الرسالة المسيحية هى التى تقدم الاجابات على تلك الاسئلة ."^(١) والتضاييف بين الاثنين هو أمر ضرورى بل وحتمى وذلك لان تلش يرى "أن الاجابات المتضمنة فى حادثة الوحي لن تكون ذات معنى إلا من خلال مضاييفتها باسئلة تتعلق بوجودنا ، باسئلة وجودية ."^(٢)

هذا التضاييف يؤكد فى رأى تلش على استقلال الجانبين - السؤال والاجابة - عن بعضهما من بعض الوجوه ، كما يؤكد أيضا وفى نفس الوقت على اعتمادهما أو تواقفهما على بعضهما تواقفا متبادلا من بعضهما الآخر . ولقد أشار تلش إلى ذلك عندما كتب ، فى معرض تقديمه للمجلد الثانى من كتابه " اللاهوت النسقى " الذى ظهر بعد ظهور المجلد الاول بسبع سنوات ، يقول "أن المنهج المستخدم فى هذا النسق اللاهوتى والذى وصفناه فى المقدمة المنهجية للمجلد الاول يسمى " منهج التضاييف "، اعنى ، التضاييف بين اسئلة وجودية واجابات لاهوتية .ان " التضاييف "، تلك الكلمة التى تستخدم بمعان عديدة فى مجال اللغة العلمية ، يجب أن يفهم هنا على أنه اعتماد (او تواقف) عنصرين مستقلين عن بعضهما على بعضهما البعض ... إنه يجب أن يفهم على أنه عبارة عن وحدة تتألف من عنصرين مستقلين عن بعضهما ويعتمدان فى نفس الوقت على بعضهما اعتمادا متبادلا ... إن التضاييف يعنى انه بينما أن الاسئلة والاجابات تكون مستقلة عن بعضها من بعض الوجوه ، فهى تكون أيضا وفى نفس

1) Tillich, P., Systematic Theology , Vol .1 ,P. 62.

2) Ibid., P. 61.

الوقت معتمدة على بعضها اعتمادا متبادلا من بعضها الآخر .^(١) هذه العبارة توضح تماما أن تلش يتعامل من خلال المنهج مع مشكلتين: الاولى تتعلق باستقلال الاسئلة والاجابات عن بعضها البعض ، والاخرى تختص باعتمادها أو توافقها على بعضها توافقا متبادلا رغما عن هذا الاستقلال .

بالنسبة لمشكلة " الاستقلال " يمكن القول انها مشكلة ذات بعدين : البعد الاول يختص باستقلال مضمون السؤال عن مضمون الاجابة ، أما البعد الآخر فيشير إلى العكس أعنى إلى استقلال مضمون الاجابة عن مضمون السؤال.^(٢) البعد الاول ضرورى وذلك لعدم امكانية اشتقاق مضمون السؤال من مضمون الاجابة ، وكذلك لان الاجابة نفسها لن تكون ذات معنى ان لم تكن اجابة على سؤال طرحه الانسان نفسه. ولقد عبر تلش عن ذلك على النحو التالي: " أن السؤال والاجابة مستقلان عن بعضهما، فى منهج التضافى ، طالما انه من المستحيل اشتقاق الاجابة من السؤال او السؤال من الاجابة ... انه ... لمن الخطأ أن يشتق السؤال المتضمن فى الوجود الانسانى من الاجابة القائمة على الوحى. إن هذا أمر مستحيل لان الاجابة القائمة على الوحى لن تكون لها معنى أن لم يكن هناك سؤال هى اجابة عليه . أن الانسان لا يستطيع أن يتلقى اجابة على سؤال لم يسأله ... لأن أى اجابة بهذا الشكل ستكون محض حماقة بالنسبة له ، ستكون مجرد توليفة من كلمات مفهومة - هكذا الحال فى الوعظ الدينى- وليست اجابة تقوم على الوحى .ان السؤال، الذى يسأله الانسان، هو الانسان نفسه. والانسان يسأل هذا السؤال، سواء تفوه به ام لا ، فهو لا يستطيع أن يتجنب السؤال، لان كيفونته نفسها هى السؤال المتعلق بوجوده. وعندما يسأل ذلك السؤال يكون متوحدا مع نفسه. فهو يسأل من 'العمق'، وهذا العمق هو ذاته نفسها.^(٣) هكذا اوضح تلش كيفية استقلال مضمون السؤال عن مضمون الاجابة. فالسؤال يجب أن

1)Tillich ,P., Systematic Theology, Vol .2,PP. 13 -14.

2) Tillich, P., Systematic Theology, Vol.1, P. 64, Vol. 2,PP.13-16.

3) Ibid.,Vol. 2,P.13

يكون صادرا من الانسان نفسه فى استقلاله التام عن الاجابة المسيحية ، لانه إذا لم يطرح السؤال باعتباره سؤالا صادرا منه ، فلن تكون للاجابة أى معنى بالنسبة له . فالسؤال يجب أن يكون صادرا من الانسان عامة ، وليس من نوع معين من الانسان ، إن صح التعبير ، أو من طائفة معينة من البشر ، حتى يكون معبرا عن الموقف الانسانى عامة . فالانسان يسأل السؤال بالحاح فى كل زمان ومكان من أجل أن يتلقى الاجابة عليه .

إذا كان هذا البعد ضروريا ، فإن البعد الآخر لمشكلة الاستقلال - استقلال مضمون الاجابة عن مضمون السؤال - لا يقل أهمية عن هذا البعد . وأهمية هذا البعد ترجع إلى استحالة اشتقاق الاجابة القائمة على الوحي من تحليل الموقف الوجودى المغترب للانسان . هذا يعنى فى رأى تلش أن السؤال الوجودى ، أعنى ، الانسان نفسه فى صراعات موقفه الوجودى ، ليس هو مصدر الاجابة اللاهوتية القائمة على الوحي التى يصيغها اللاهوت . فالمرء لا يستطيع أن يشتق التجلى الذاتى الالهى من تحليل الازمة الانسانية . إن الله يتحدث إلى الموقف الانسانى ، يتحدث ضد هذا الموقف ، ويتحدث لصالحه . إن مذهب ما فوق الطبيعة اللاهوتى ، كما تمثل على سبيل المثال ، فى اللاهوت المعاصر للارثوذكسية الجديدة ، على صواب فى تأكيدده على عدم قدرة الانسان على الوصول إلى الله معتمدا فى ذلك على قوته (أى الانسان) الشخصية (او الذاتية) . ان الانسان هو السؤال لا الاجابة .^(١) ويؤكد تلش ، فى موضع آخر ، نفس هذا الاستقلال من خلال كلماته التالية : أن الرسالة المسيحية تقدم الاجابات على الاسئلة المتضمنة فى الوجود الانسانى ... إن مضمون هذه الاجابات لا يمكن أن يشتق من الاسئلة ، أعنى من تحليل الوجود الانسانى . فهذه الاجابات قد 'أوحى بها' للوجود الانسانى من وراء ذلك الوجود . هذا وإلا لن تكون اجابات ،

1) Ibid., Loc. cit.

لان السؤال هو الوجود الانساني نفسه . ولكن هذه العلاقة أكثر تداخلا من ذلك ، طالما أنها علاقة تضافىف. هناك اعتماد (او توافق) متبادل بين السؤال والاجابة .^(١)

هذه العبارة الأخيرة تحيلنا إلى المشكلة الثانية التى يتعامل معها تلش من خلال المنهج ، أعنى ، مشكلة "الاعتماد" او التوافق . فالتضافىف لا يؤكد استقلال مضمون السؤال وكذا مضمون الاجابة عن بعضهما فحسب ، بل يؤكد أيضا اعتماد شكل السؤال على شكل الاجابة ، والعكس ، رغما عن استقلالهما من ناحية المضمون . ولقد أكد تلش هذا الاعتماد فى عبارة سابقة له تقول " ان منهج التضافىف يفسر مضامين الدين المسيحى من خلال أسئلة وجودية وإجابات لاهوتية معتمدة على بعضها اعتمادا متبادلا." هنا يجب أن نلاحظ أن تلش لا يحتفظ فى هذه العبارة - وحقا فى عبارات كثيرة غيرها - بالتفرقة بين الشكل والمضمون وهذا يثير قطعا نوعا من اللبس. فالقول "إن السؤال والاجابة يتوافقان على بعضهما توافقا متبادلا من ناحية الشكل" ، يختلف قطعا عن مجرد القول إن " السؤال والاجابة يتوافقان على بعضهما توافقا متبادلا ". فهذه الحالة الأخيرة تفيد أنهما يتوافقان على بعضهما من ناحية الشكل والمضمون !! لكن يبدو، على الرغم من ذلك ، أن السمة الغالبة على موقف تلش هى انه يقصد توافقهما من ناحية الشكل فقط ، وليس من ناحية المضمون . فهو يقول : " إن الاجابات المسيحية معتمدة من ناحية المضمون على حقائق الوحي التى تتجلى من خلالها تلك الاجابات ، ومعتمدة من ناحية الشكل على بنية الاسئلة التى تجيب عليها. إن الله هو الاجابة على السؤال المتضمن فى التناهى الانسانى . هذه الاجابة لا يمكن أن تشتق من تحليل الوجود. ومع ذلك ، إذا ظهرت فكرة الله فى 'اللاهوت النسقى' متضاففة مع تهديد اللاوجود المتضمن فى الوجود ، يجب أن يطلق على الله فى هذه الحالة اسم القوة اللامتناهية للوجود التى تقاوم تهديد اللاوجود. هذه التسمية نفسها أطلق عليها

1) Ibid., Vol.1 , P. 64.

اللاهوت الكلاسيكى اسم الوجود ذاته . وإذا عُرِفَ القلق بأنه وعى المرء بقتنايه ، يجب تسمية الله باسم الاساس اللامتناهى للشجاعة . هذه التسمية نفسها أطلق عليها اللاهوت الكلاسيكى اسم العناية الالهية العامة . وإذا ظهرت فكرة مملكة الله متضافرة مع لغز وجودنا التاريخى ، يجب أن تسمى معنى ، واكتمال، ووحدة التاريخ . بهذا نكون قد قدمنا تفسيراً للرموز المسيحية التقليدية يحفظ لها قوتها ويجعلها منفتحة على الاسئلة التى قدمها تحليلنا المعاصر للوجود الانسانى .^(١) هذا الاعتماد الشكلى أعنى لشكل الاجابة على شكل السؤال يتضح بصورة اكثر من خلال النص التالى لتلش الذى يقول : " إن الجانب الآخر من التضافير هو تأثير الاسئلة الوجودية على الاجابات اللاهوتية . لكن يجب أن نؤكد من جديد أن الاجابات لا يمكن أن تشتق من الاسئلة ، فجوهر الاجابات - التجربة القائمة على الوحي - مستقل تماماً عن الاسئلة . فاذا قدم اللاهوت الاجابة ، 'المسيح' ، على السؤال المتضمن فى الاغتراب الانسانى ، فانه يفعل ذلك بطرق مختلفة ، تعتمد على ما إذا كانت الاشارة هنا تتعلق بالصراعات الوجودية اليهودية الناجمة عن تمسكهم المتزمت بحرفية الشريعة^(٢) ، أو باليأس الوجودى للنزعة الشكية الاغريقية ، أو بتهديد النزعة العدمية كما عبر عنها أدب، وفن وعلم نفس القرن العشرين . ومع ذلك، لا يمكن للسؤال أن يخلق الاجابة . فالاجابة 'المسيح' ، لا يمكن أن يخلقها انسان ، غير أن الانسان يستطيع أن يتلقاها وان يعبر عنها طبقاً

1) Tillich, P., Systematic Theology, Vol. 1, P.64

(٢) ان تلش يشير هنا الى المعتقد اليهودى الذى مؤداه : " ان الشريعة صادرة عن الله ، ومن ثم لا يمكن انتهاكها ، وهى صالحة للابد . فالشريعة لا يمكن تغييرها ، كما لا يمكن تعديلها سواء

بالزيادة أو بالنقصان ، بل هى باقية فى شكلها المحدد الذى جاء من عند الله .

Lund , E., Pihl, M., and SlQk,j., a History of European Ideas, P.11, Translated by Jones, W.G., Ed. by Hatton , R., London, C. Hurst and Company Ltd., 1962

هذا التمسك المتزمت بحرفية الشريعة هو فى رأى تلش السبب فى صراعاتهم الوجودية أو فى اغترابهم.

للطريقة التى بها يتساعل عنها .^(١)

إذا كان منهج التضاييف يجعل شكل الإجابة يتأثر هكذا باختلاف شكل السؤال، فإنه يجعل شكل السؤال يتأثر أيضا باختلاف شكل الإجابة ، وذلك لاعتمادهما أو توافقهما المتبادل على بعضهما . ولقد عبر تلتش عن ذلك على النحو التالى :

" بينما أن مادة السؤال الوجودى هى تعبير خالص عن الازمة الانسانية ، فإن شكل السؤال يتحدد فى النسق ككل من خلال الاجابات المقدمة فيه . فالسؤال المتضمن فى التناهى الانسانى يكون موجها نحو الاجابة : الابدى . والسؤال المتضمن فى الاغتراب الانسانى يكون موجها نحو الاجابة : المغفرة . إن هذا التوجيه للاستئلة لا ينفى عنها جديتها ، بل يعطيها شكلا يحدده النسق اللاهوتى ككل . هذا هو الاطار الذى يقع فى داخله تضاييف الاستئلة الوجودية والاجابات اللاهوتية . " ^(٢) يتضح من ذلك أن مشكلة الاعتماد أو التوافق، مثلها فى ذلك مثل مشكلة الاستقلال، هى مشكلة ذات بعدين :

بعد يتعلق باعتماد شكل السؤال على شكل الاجابة، وبعد آخر يتعلق بالعكس . فكل واحد منهما يجب أن يصاغ على نحو يجعله موجها صوب الآخر ، وهذا هو المقصود بتوافقهما الشكلى المتبادل عند تلتش .

طالما أن المنهج يؤكد على استقلال مضمون السؤال عن مضمون الاجابة ، فإن هذا يعنى انه كى يقوم تلتش بعملية التضاييف يتحتم عليه أن يقسم نفسه إلى نصفين :

نصف وجودى يقوم بتحليل الازمة الانسانية من اجل تطوير السؤال (او مفهوم الاغتراب) المنبثق عنها ، ونصف لاهوتى يقوم بتقديم الاجابة المسيحية القائمة على الوحي . ولقد اكّد تلتش على هذه القسمة عندما كتب يقول : "إن بنية النسق اللاهوتى تنبثق عن منهج التضاييف . هذا المنهج يتطلب أن يكون كل جزء من أجزاء النسق مشتملا على قسم يتم فيه تطوير السؤال من خلال تحليل الوجود الانسانى والوجود

1) Tillich, P., Systematic Theology , Vol.2, PP. 15-16

2) Ibid., p.15.

عامة ، وقسم تقدم فيه الاجابة اللاهوتية ... هذا التقسيم يتحتم المحافظة عليه . إنه يعد العمود الفقري لبنية هذا النسق .^(١) هذه العبارة تشير ضمنا إلى أن تشييد تلش للسؤال لن يتم إلا من خلال اعتماده على مادة هذا السؤال ، تلك المادة التى قدمها العقل البشرى من خلال تحليله الذاتى أو الوجودى للموقف الانسانى .حقا ، لقد أكد تلش هذه الحقيقة تماما عندما قرر : أن تحليل الموقف الانسانى يستخدم المواد المتاحة التى قدمها التفسير الذاتى للإبداعى للانسان فى شتى مجالات الثقافة . هذه المواد ليست من إسهام الفلسفة وحدها ، بل أسهم فيها الشعر ، والدراما ، والقصة ، وعلم النفس العلاجى و علم الاجتماع . إن اللاهوت ينظم هذه المواد فى ضوء الاجابة التى تقدمها الرسالة المسيحية .^(٢) هذا يعنى أن تلش يرى أن الانسان قد قام بتحليل موقفه الوجودى المغترب فى شتى المجالات وفى استقلال تام عن أى مؤثرات دينية ، والمادة التى قدمها فى هذا الصدد هى نفس المادة التى يعتمد عليها تلش فى تشييد مفهوم الاغتراب الذى يقدمه .إن بوره ينحصر ، كما تقول العبارة ، فى تنظيم هذه المادة فى ضوء الاجابة ، وهذا يعنى أن مضمون تلك المادة متطابق مع مضمون مفهوم الاغتراب الذى يقدمه .

إذا كان تلش قد أشار فيما سبق إلى أن هذه التحليلات التى قدمت للالزمة الانسانية هى تحليلات وجودية ، فإن الذى يقصده بذلك هو أنها تحليلات ذاتية بمعنى أن الانسان قام بها فى ضوء خبرته المباشرة أو فى ضوء وعيه الذاتى المباشر وبمعزل عن أى سلطة كائنة ما كانت . هذا هو المعنى الكامن وراء تأكيده الذى يقول : أن تحليل الموقف الانسانى قد أجرى بلغة ما يسمى فى عصرنا هذا باسم التحليل 'الوجودى' . هذه التحليلات أقدم بكثير من الحركة الوجودية المعاصرة ، أنها ، حقا ، قديمة قدم تفكير الانسان فى نفسه ، وقدمت فى شكل مفاهيم عديدة متنوعة منذ

1) Ibid., Vol. 1, P.66

2) Ibid., P. 63

بداية الفلسفة .^(١) هذا لا يعنى ، كما أكد تلش سابقا ، ويؤكد هنا من جديد ، أن هذا التحليل هو من عمل الفلسفة وحدها ، بل يعنى أن سائر المجالات تساهم فى ذلك، نظرا لأن " مادة السؤال الوجودى تؤخذ من التجربة الانسانية فى شموليتها وبطرقها المتنوعة فى التعبير، هذا يشير إلى الماضى والحاضر ، إلى اللغة الدارجة والأدب العظيم ، إلى الفن والفلسفة ، إلى العلم وعلم النفس . إنه يشير إلى الخرافات والاساطير ، إلى التقاليد الدينية المتوارثة ، وإلى التجارب او الخبرات الحالية . كل ذلك، طالما انه يعكس الازمة الوجودية للانسان ، يعد المادة التى بدون مساعدتها لن يتم صياغة السؤال الوجودى. " ^(٢)

ولكن على الرغم من أن تلش يزعم هكذا انه يعتمد على كل هذه التحليلات الوجودية لازمة الانسان ، إلا أنه يعتمد فى حقيقة الامر على التحليلات التى قدمتها الحركة الوجودية فقط لا غير ، بمعنى ، أن مفهوم الاغتراب الذى يشيده يعتمد بصفة أساسية على ما قدمته الحركة الوجودية من تحليلات لازمة الانسان. لقد أكد تنسلى هذه الحقيقة بصورة جزئية عندما كتب يقول : "لقد آمن تلش بأن اللاهوت لا يمكن أن يقدم إلا من خلال ربطه بالفلسفة ربطا وثيقا. وهو يرى أن الانسان هو تلك الكينونة التى إذا حللت نفسها تحليلا كاملا فأنها ستثير أسئلة حول العلاقة بين المتناهى واللامتناهى ، الزمان والابدية أو الدهرية، الخ. هذا التحليل هو مهمة الفلسفة ، إنه مهمة الفلسفة الوجودية بصفة خاصة .ان هذه الاسئلة التى يثيرها هذا التحليل هى الاسئلة التى يتحتم على اللاهوت أن يخاطبها". ^(٣) أما تلش نفسه فقد أكد هذه الحقيقة على النحو التالى: " يجب علينا أن نوضح فى 'اللاهوت النسقى' طبيعة الثورة الوجودية وأن نجابه معنى الوجود الذى طورته بالرموز الدينية التى تشير إلى الازمة الانسانية ."^(٤) ان ذلك أمر ضرورى لأن " الوجودية هى التى حللت...أزمة

1) Ibid., P.62.

2) Ibid., Vol.2, P.15.

3) Tinsley, E.T.(Ed.), Paul Tillich : Selections From Twentieth Century Theologians, P.39, London, Epworth Press, 1973.

4) Tillich, P., Systematic Theology, Vol.2, P.25.

الانسان وعالمه في حالة الاغتراب .^(١) وهذا يعنى، بتعبير آخر ، " أن كلام من الوجودية وعلم نفس الاعماق يهتمان بوصف الازمة الوجودية للانسان - فى الزمان والمكان ... إن دائرة اهتمام الوجودية وعلم نفس الاعماق تنصب على الوجود المقرب للانسان ، على سمات واعراض ذلك الاغتراب، وعلى شروط التواجد فى الزمان والمكان ."^(٢) فى ضوء ذلك يتأكد لنا أن تلش يرى أن الوجودية هى التى حللت أزمة الانسان ، ومادام الامر كذلك فمن الطبيعى أن يعتمد تلش فى تطويره لمفهوم الاغتراب على التحليلات التى قدمتها ، بحيث يكون مضمون هذه التحليلات متطابقا مع مفهوم الاغتراب الذى يزعم تلش تشييده من أجل تقديم الاجابة اللاهوتية عليه ، وبحيث يغزو من المستحيل فصل مضمون هذه التحليلات عن مضمون السؤال الذى يطوره . هذا يعنى أن التضايف عند تلش هو تضايف بين السؤال الوجودى الذى يطوره معتمدا فى ذلك على ما قدمته الحركة الوجودية من تحليلات لهذا السؤال، وبين الاجابة اللاهوتية التى يقدمها تلش معتمدا فى ذلك على مضامين الرسالة المسيحية القائمة على الوحي . إنه مضايفة بين نصفه الوجودى الذى يقدم السؤال استنادا إلى ما قدمه سائر الوجوديين من تحليلات لهذا السؤال ، وبين نصفه اللاهوتى الذى يقدم الاجابة المسيحية على هذا السؤال . والامر الذى يبغيه من وراء كل ذلك هو أن يوضح أن الرسالة المسيحية هى الاجابة على سائر المشكلات المتضمنة فى النزعة الانسانية الناقدة لذاتها Self-Criticizing humanism والتى تسمى اليوم باسم الوجودية ، والتى هى نزعة انسانية محللة لنفسها Self-Analyzing Humanism .^(٣) نستنتج من كل ذلك أن مضمون مفهوم الاغتراب الذى يقدمه تلش يقوم على مضمون التحليلات التى قدمتها الوجودية فى هذا الصدد ، بل ومتطابق معها .

-
- 1) Ibid., P.27.
 - 2) Tillich, P., 'The Theological Significance of Existentialism and Psychoanalysis', Theology of Culture, P.117.
 - 3) Tillich, P., A History of Christian Thought, P.293, Ed. by Braaten, C.E., SCM Press Ltd., London, 1968.

إذا كان تلش قد أشار فيما سبق إلى أنه يعتبر علم نفس الاعماق أو التحليل النفسى جزء لا يتجزأ من الفلسفة الوجودية ، فإن الاسباب التى جعلته يفعل ذلك تنحصر فى رأينا فى سببين : احدهما ظاهر جلى ، والآخر باطنى خفى . السبب الاول هو أن تلش يرى أن الوجودية وعلم نفس الاعماق الذى يتزعمه فرويد هما شئ واحد فى واقع الأمر ، بمعنى انهما يهتمان بتحليل الازمة الانسانية ولذلك فهو يدرجهما تحت اسم واحد هو الحركة الوجودية المعاصرة التى يعتمد عليها فى صياغة مفهوم الاغتراب الذى يقدمه . حقا لقد بلغت مطابقة تلش بينهما إلى حد أنه استخدم الاسمين - الوجودية وعلم نفس الاعماق - على نحو مترادف تماما .^(١) أما السبب الخفى فهو أن تلش يريد أن يوسع من نطاق الوجودية كى تشمل علم نفس الاعماق أو التحليل النفسى حتى يتيح لنفسه فرصة ادراج فرويد الملحد فى عداد الوجوديين ومن ثم ابراز الجوانب الالحادية عنده باعتبارها جوانب وجودية يعتمد عليها تلش الملحد فى تشييد مفهوم الحادى للاغتراب استنادا إلى ما تقدمه الوجودية الملحدة من تحليلات الحادية للازمة الانسانية . هذا فى رأينا ، وكما ستكشف الدراسة بالتفصيل، هو السبب الذى جعل تلش يهتم فقط بتوضيح الجوانب الالحادية عند فرويد بالذات ، ولا يعير غيره من المحللين النفسيين أى اهتمام يذكر . حقا يبدو أن تلش قد اعتبر فرويد الممثل الوحيد لمدرسة التحليل النفسى التى يجعلها مرادفة للوجودية ، ولهذا أهمل حتى أتباع فرويد نفسه . وهو نوه إلى ذلك بخفاء شديد فى نصه التالى الذى يقول : "إن التحليل النفسى يمكن أن يعد مصطلحا خاصا ، تحتكره فى الغالب المدرسة الفرويدية ، التى تعلن أنه ليست هناك مدرسة أخرى لها الحق فى استخدام هذا المصطلح . لقد جرت مؤخرا محاورة مع ممثل لهذه المدرسة ، وقد سارت المحاورة بشكل ودى إلى أن حانت اللحظة التى أطلق فيها على اشخاص مثل هورنى ، وفروم ،

1) Tillich, P., 'The Theological Significance of Existentialism and Psychoanalysis', Theology of Culture, PP. 112-126.

وجنق Jung ، ورائك لقب محللين نفسيين . ففي تلك اللحظة اعترض ذلك التابع لفرويد قائلاً 'إذا كانوا يطلقون على أنفسهم هذا الاسم فهم ليسوا إلا خونة . أنهم غير جديرين بالعمل في ميدان التحليل النفسى . فهم يعملون في هذا الميدان بغرض الربح ليس إلا' . هذا الموقف يحتم علينا أن نفعل شيئاً حيال هذا المصطلح . فأننا لا أتوى استخدامه هنا على النحو الذى استخدمه ذلك المحلل النفسى التابع لفرويد ، بل سأنستخدمه بذلك المعنى الذى جعل هذا المصطلح يتبدل ويتسع خلال نصف القرن الماضى . هذه التطورات التى لحقت بالمصطلح معتمدة بالتأكيد على ذلك الاكتشاف الرئيسى لفرويد ، وأعنى به ، نور اللاشعور . ومع ذلك فهناك كلمتان توضحان نفس هذه المسألة ويمكننى استخدامهما هنا : إحداهما هى مصطلح علم النفس العلاجى الذى استخدمه أحياناً ، والآخرى هى علم نفس الأعماق .^(١) هذه العبارة تؤكد أن تلش لا يهتم إلا بفرويد من بين سائر من يسمون باسم المحللين النفسيين . لقد أورد المحاورة كى يوضح بطريقة غير مباشرة أن هورنى وفروم ورائك ومن هم على شاكلتهم لا يستحقون هذا اللقب لأنهم يخونون مبادئ التحليل النفسى ، ولا يؤيدونه إلا بقصد الربح . وهو لا يتابع حتى أتباع فرويد ، ويستخدم مصطلح التحليل النفسى أو علم نفس الأعماق معتمداً فى ذلك على اكتشاف فرويد وحده فى هذا المجال . هذا التخصيص لفرويد دون سواء متضمن أيضاً فى العبارة التالية للمحلل النفسى لورنس فريدمان ، التى تقول : " لقد رحب بول تلش بالتحليل النفسى باعتباره مصدر خصوصية للفكر الوجودى ، واختص فرويد بالاسم باعتباره يتمتع بأهمية خاصة فى هذا الصدد".^(٢) هذا التخصيص لفرويد من جانب تلش نراه على أنه لم يكن من قبيل الصدفة على الإطلاق . لقد وضعه فى عداد الوجوديين بصفة عامة وفى عداد الوجوديين الملاحدة بصفة خاصة من أجل أن يستفيد بتحليلاته اللاحادية للضرورة

1) Ibid., P.112

2) Friedman, L., 'Psychoanalysis, Existentialism, and the Esthetic Universe', The Journal of Philosophy, Vol. LV, No.15 (July 17,1958), P.617.

الإنسانية في تشييد المفهوم الالهادي للاغتراب الذي ستكشفه الدراسة والذي قدمه استنادا إلى ما قدمه الوجوديون الملاحدة من تحليلات الحادية للالزام الإنسانية.

هذه الملاحظة تحتم علينا الإشارة هنا إلى مسألة على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لهذه الدراسة. فتلش يؤكد ، كما أوضحنا ، أنه يعتمد في تشييده لسؤال أو لمفهوم الاغتراب على ما قدمته الحركة الوجودية من تحليلات للالزام الإنسانية ، بمعنى أن هناك تطابقا بين مضمون هذه التحليلات وبين مضمون مفهوم الاغتراب الذي يزعم تشييده من أجل تقديم الإجابة اللاهوتية عليه. غير أن المشكلة التي نراها كامنة هنا والتي ستكشفها الدراسة هي أن تلش يفرق تارة بين نوعين من الوجودية إحداهما مؤمنة ، والاخرى ملحدة، ويجعل الوجودية مرادفة للإيمان تارة، ومرادفة للالحاد تارة أخرى . والنتيجة التي نجدها مترتبة على ذلك هي أننا سنكتشف أن التطبيق العملي لمنهج تلش يتم بطريقتين متناقضتين تماما إحداهما علنية ، والاخرى خفية . الطريقة الأولى هي التي سنراه يقوم فيها بتطبيق المنهج معتمدا في ذلك على ما قدمته الوجودية المؤمنة من تحليلات للموقف الانساني ، وعلى ما قدمه الإيمان من اجابات على الاسئلة المتضمنة في هذا الموقف . هنا سنراه يقسم نفسه إلى نصفين : نصف مسيحي يقوم بتقديم السؤال في ضوء الفهم المسيحي للطبيعة الإنسانية ، ونصف مسيحي يقدم الإجابة المسيحية على هذا السؤال . هذا يعني أن السؤال سوف يكون متطابقا مع الفهم المسيحي للطبيعة الإنسانية ، وليس مع الموقف الانساني عامة ، والإجابة سوف تكون متطابقة أيضا مع الإجابة المسيحية ومن ثم موجهة إلى الموقف الوجودي المسيحي وليس إلى الموقف الانساني عامة . يقول تلش : 'إن مشكلة اعتماد الاسئلة الوجودية والاجابات اللاهوتية على بعضها لا يمكن أن تحل إلا من خلال ما أسميناه ، في الجزء التقديمي للمجلد الاول ، باسم 'الدائرة اللاهوتية'. فاللاهوتي كلاهوتي ملتزم بالتعبير العيني عن الاهتمام المطلق ، عن ، بتعبير ديني ، تجربة خاصة قائمة على الوحي . وعلى أساس تلك التجربة العينية ، يقدم اللاهوتي مزاعمه العامة ،

على نحو ما فعلت المسيحية من خلال تقريرها ان المسيح هو اللوغوس Logos . هذه الدائرة يمكن أن تفهم على أنها قطع ناقص (لا على أنها دائرة هندسية) ، ويمكن أن توصف من خلال نقطتيه المركزيتين - السؤال الوجودي والاجابة اللاهوتية. إن كلا من السؤال الوجودي والاجابة اللاهوتية يدخلان في محيط الالتزام الدينى ، ولكنهما غير متطابقين.^(١) إن هذه العبارة يجب أن تفهم على أنها تعبر عن موقف تلش الذى سنراه يشيده من خلال التطبيق العملى العلنى أو الظاهرى للمنهج والذى سيقوم فيه بتشديد السؤال والاجابة فى ضوء الفهم المسيحى للطبيعة الانسانية ، فكليهما يقع فى محيط الالتزام الدينى .

اما الطريقة الخفية فهى التى سنراه يشيد فى ضوئها سؤال الاغتراب استنادا إلى ما قدمته الوجودية الملحدة من تحليلات للزمة الانسانية ، ويقدم الاجابة استنادا إلى نفس هذه التحليلات . هنا ، وكما ستكشف الدراسة ، سيقسم تلش نفسه إلى نصفين : نصف الحادى يقدم فيه السؤال استنادا إلى التحليلات الالحادية التى قدمتها الوجودية الملحدة ، ونصف الحادى أيضا يقدم فيه الاجابة الالحادية استنادا إلى نفس هذه التحليلات . هنا ، وكما ستكشف الدراسة ، يكمن السبب الذى جعله يخصص معظم - إن لم يكن كل - كتاباته الوجودية للحديث عن الجوانب الالحادية عند الوجوديين الملاحدة من أمثال هيدجر ، وسارتر ، ونيتشة ، وفرويد . فهو قدم تحليلاتهم باعتبارها إيضاحات غير مباشرة لموقفه الشخصى . لقد استحال عليه أن يتحدث عن موقفه الالحادى الشخصى بطريقة مباشرة علنية ، ولهذا لجأ إلى منهج الاتصال غير المباشر الكيركيجورى حتى لا ينكشف أمره . فقدم أبعاد موقفه الوجودى الالحادى تحت اسم الوجودية الملحدة . هذا الاكتشاف سيؤكد لنا أن النتيجة المترتبة على هذين التطبيقين العمليين للمنهج هى أن تلش قد قسم نفسه إلى نصف ، ونصف . النصف الاول منقسم إلى نصفين : أحدهما ايمانى يقوم تلش من خلاله بتقديم السؤال فى

1) Tillich ,P.,Systematic Theology, Vol.2, PP .14 - 15

ضوء التفسير المسيحي للطبيعة الانسانية ، والآخر ايمانى ايضا يقوم من خلاله بتقديم الاجابة المسيحية على هذا السؤال المسيحى . هذان النصفان هما إذن نصف واحد فقط . إنه النصف الايمانى . أما النصف الثانى فهو منقسم أيضا إلى نصفين: نصف الحادى يقوم فى ضوءه بتقديم السؤال استنادا إلى التحليلات الالحادية التى قدمتها الوجودية الملحدة للسؤال ، ونصف آخر الحادى يقدم فى ضوءه الاجابة الالحادية استنادا إلى نفس هذه التحليلات. هذان النصفان هما أيضا نصف واحد هو النصف الالحادى. هذا يعنى باختصار أن التطبيق العلى العلنى للمنهج سوف يكون معبرا عن النصف الايمانى لتلش ، أما التطبيق العلى الخفى للمنهج فسوف يكون معبرا عن نصفه الالحادى . هذان النصفان يتسمان، كما هو واضح ، بالتناقض وسوف نكتشف كيف أن تلش يؤكد أن هناك هوة عميقة تفصل بينهما ، هوة لا يمكن اجتيازها إلا بوثة لا معقولة من أحد النقيضين، إلى الآخر. حقا ، ان تلش يرى أنه كى يقوم أى لاهوتى نسقى من طرازه هو بمهمة صياغة السؤال " يتحتم عليه أن يشارك فى الازمة الانسانية ، ليس مشاركة فعلية - على غرار ما يحدث - فحسب، بل مشاركة واعية قوامها مطابقة نفسه بوعى تام مع هذه الازمة. فهو يتحتم عليه المشاركة فى تنهى الانسان، الذى هو تناهيه أيضا والمشاركة فى قلقه وكأته لم يتلق مطلقا الاجابة القائمة على الوحى والتى هى 'الابدية'. كما يتحتم عليه المشاركة فى اغتراب الانسان وكأته لم يتلق أبدا الاجابة القائمة على الوحى والتى هى 'المغفرة'. إن اللاهوتى لا يركن إلى الاجابة اللاهوتية التى يبشر بها . ولن يستطيع أن يقدمها بطريقة مقنعة إلا إذا شارك بوجوده كله فى موقف السؤال ، أعنى فى الازمة الانسانية. فى ضوء هذا المطلب نجد أن منهج التضاييف يحفظ اللاهوتى من أن يدعى بفطرسة أنه يضع الاجابة القائمة على الوحى تحت تصرفه . ان صياغة الاجابة تحتم النضال من اجلها. " (١)

ان المغزى الحقيقى لهذه العبارة لن ينكشف على النحو الكامل إلا من خلال فحصنا

1) Ibid., P. 15.

للتطبيق العملى لمنهج تلش ، ومن ثم لا نملك الا أن نقرر مقدما أن هذه العبارة تعنى أن تلش يريد أن يقول إن كل لاهوتى نسقى - على غرار - منقسم إلى نصف ملحد يتابع الوجودية الملحدة، ونصف مؤمن يتابع الوجودية المؤمنة أو بالأحرى اللاهوت المسيحى. هذا فى رأينا هو التفسير الذى يجب أن نفهم فى ضوءه عبارته السابقة ، وهو أيضا التفسير الذى يجب أن تفهم فى ضوءه عبارته التالية التى تقول : " إن الانسان الذى دخل الدائرة اللاهوتية بطريقة علنية وواعية يواجه ... مشكلة خطيرة . إن دخوله الدائرة اللاهوتية يعنى أنه اتخذ قرارا وجوديا يحتم عليه البقاء فى الموقف الايمانى . ولكن لا يوجد شخص يستطيع أن ينعت نفسه بالايمان ، حتى وإن كان مدرسا للايمان . فكل لاهوتى يكون ملتزما و مقتريا ، دائما فى حالة ايمان وفى حالة شك ، يكون يوما داخل وخارج الدائرة اللاهوتية. أحيانا يسود أحد الجانبين ، وأحيانا أخرى يسود الجانب الآخر، ولكنه لا يتيقن مطلقا أى الجانبين يسود حقا .^(١)

بقيت نقطة أخيرة فى هذا الجانب النظرى لمنهج تلش تتعلق بحقيقة مؤداها أن استخدامه لهذا المنهج إنما هو انعكاس لرفضه ليس فقط للنسق التركيبى الهيجلى بل للتركيب فى كافة صورته وأشكاله. هذه الحقيقة أكدها تلش نفسه عندما كتب يقول : كى أجد طريقا جديدا يختلف عن ... طرق التركيب ، أخذت على عاتقى استخدام منهج التضاييف ... هذا المنهج ليس منهجا تركيبيا ... انه منهج تضاييف . وأنا أوؤمن أن قصة الفكر المسيحى بأكملها تسير فى هذا الاتجاه .^(٢)

بهذه النقطة الأخيرة نكون قد وصلنا إلى نهاية المرحلة النظرية لمنهج تلش ، ويمكننا أن نلخص أهم ما جاء فيها فيما يلى . لقد بدأ تلش بالتفرقة بين جانبين أحدهما هو السؤال أو الموقف الوجودى المغترب للانسان ، والآخر هو الاجابة اللاهوتية على هذا السؤال والتى فى "الصفح " ، أو "المغفرة" ، أو "المصالحة " ،

1) Ibid., Vol. 1, P. 10

2) Tillich, P., A History of Christian Thought, P.293.

أو "الخلاص" أو "الشفاء" من الاغتراب عن طريق المشاركة من خلال الايمان فى الوجود الجديد الذى تجلى " فى يسوع باعتباره المسيح." ثم أعلن أنه سيقوم ، باعتباره صاحب نسق لاهوتى أو لاهوت نسقى ، بمضايفة هذين الجانبين . ولكى يفعل ذلك قام تلش بتقسيم نفسه إلى نصفين : أحدهما نصف وجودى يقوم بتشبيد السؤال أو الموقف الوجودى المغترب للإنسان استنادا إلى التحليلات التى قدمتها الفلسفة الوجودية للآزمة الانسانية ، نظرا لأن الوجودية هى التى حلت هذه الآزمة . هذا يعنى أن مضمون السؤال أو مفهوم الاغتراب الذى يقدمه تلش متطابق تماما مع مضمون تلك التحليلات ، لأنه قدم هذه التحليلات باعتبارها موضحة لموقفه هو . أما النصف الآخر فهو النصف اللاهوتى الذى يقدم الاجابة اللاهوتية معتمدا فى ذلك على الرسالة المسيحية . حقا ، لقد أكد تلش من جديد على هذه القسمة عندما كتب يقول : " ان مهمة تحليل الوجود الانسانى ، وتشبيد السؤال المتضمن فيه هى مهمة فلسفية ، حتى وإن أجرى ذلك التحليل محلل لاهوتى ، وحتى إذا كان المحلل اللاهوتى رجلا مصلحا مثل كالڤن Calvin . والفارق الوحيد بين تحليل الفيلسوف الذى لا يشتغل باللاهوت للوجود الانسانى وبين تحليل اللاهوتى الذى يعمل كفيلسوف هو أن الأول يحاول تقديم تحليل يكون جزء من عمل فلسفى أوسع ، فى حين أن الآخر يحاول مضايفة مادة تحليله مع المفاهيم اللاهوتية التى يشتقها من الايمان المسيحى . هذا لا يجعل العمل الفلسفى لللاهوتى عملا يتسم بالتبعية للاهوت . فباعتباره لاهوتيا لا يخبر نفسه بشيء عن صدق التحليل الفلسفى ، وباعتباره فيلسوفا لا يخبر نفسه بشيء عن صحة الاجابة اللاهوتية ."^(١) هكذا جعل تلش نفسه منقسما إلى نصف وجودى يقدم مضمون السؤال استنادا إلى الفلسفة الوجودية ، ونصف لاهوتى يقدم الاجابة استنادا إلى اللاهوت المسيحى . والحرية الوحيدة المكفولة له هنا هى حرية التصرف فى شكل السؤال وكذا فى شكل الاجابة ، بحيث يجعل الواحد منهما متجها صوب الآخر . هذه

1) Tillich , P., Systematic Theology, Vol.1, PP. 63-64.

الحرية لا تمتد إلى المضمون ، لأن مضمون السؤال قدم من خلال التحليلات الوجودية للالزمة الانسانية التي قدمت الوجودية، ولأن مضمون الاجابة قد جاء فى الرسالة المسيحية القائمة على الوحي . وتلش لا يهتم بشىء قدر اهتمامه بالحفاظ على تلك المضامين التي يقدمها باعتبارها متطابقة مع موقفه الشخصى .

إذا كان الجانب النظرى للمنهج يهتم بتوضيح معنى المنهج وأبعاده توضيحاً نظرياً ، فإن جانبه العملى يهتم بتطبيق المنهج على التحليلات التي قدمها الوجوديون أنفسهم للالزمة الانسانية . هذا التطبيق العملى يتم ، كما ستكشف الدراسة ، بطريقتين متناقضتين ، وذلك تبعاً لاكتشافنا الذى سنرسي قواعده فى هذه الدراسة ، والذى مؤداه أن تلش يفرق بين نوعين من الوجودية أحدهما مؤمنة ، والاخرى ملحدة، كما يجعل الوجودية باكملها مرادفة للايمان تارة ، ومرادفة للالحاد تارة أخرى. ونحن نقترح هنا تسمية التطبيق الاول باسم التطبيق الايمانى ، كما نقترح تسمية التطبيق الاخر باسم التطبيق الالهادى للمنهج . هذان التطبيقان سيكونان انعكاساً لموقف النصف (النقيض) الايمانى ، والنصف (النقيض) الالهادى عند تلش . ولكن طالما أن التطبيق الايمانى هو التطبيق المباشر أو العلنى -لا الأهم - عنده ، فإنه يتعين علينا أن نجعل منه نقطة انطلاقنا .

لقد قدم تلش تطبيقه الايمانى للمنهج فى ضوء معيارين . المعيار الاول هو أن الالغتراب هو واقعة عامة يتصف بها الوجود الانسانى فى كل زمان ومكان ومن ثم لا يمكن قهره بواسطة أى مجهود انسانى . لقد عبر تلش عن هذا المعيار عندما كتب يقول : " هناك الكثير من التحليلات التي قدمت... للانسان فى المجتمع المعاصر. تلك التحليلات تشير إلى فقد الانسان لذاته وفقده لعالمه، إلى الميكنة (أى صيرورة الانسان مثل الآلة) Mechanization والتموضع، إلى الشعور بالوحدة والخضوع للمجموع، إلى تجربة الخواء واللامعنى. هذه التحليلات هي تحليلات صادقة بقدر ما تبهر، غير أنها تكون تحليلات زائفة هذا إذا اشتقت، فى مرحلتنا التاريخية هذه، شر أزيمة

الانسان من بنية المجتمع الصناعى فهذا الاشتقاق يتضمن الاعتقاد فى أن تغيير بنية مجتمعنا سيؤدى فى حد ذاته إلى تغيير الازمه الوجودية للانسان.^(١) إن تلش يرى أن هذا الاعتقاد هو اعتقاد خاطئ ولا يصدق إلا فى حالة النظر إلى الاغتراب على أنه سمة للمجتمع المعاصر فقط . ففي هذه الحالة وحدها يصدق القول أن تغيير بنية هذا المجتمع سوف يؤدى إلى زوال وقهر الاغتراب. ولكن الاغتراب ليس سمة للمجتمع المعاصر فحسب ، بل سمة للوجود الانسانى فى كل زمان ومكان . إنه ، كما يقول تلش نفسه ، "سمة لبنية الوجود... فهناك بنيات تحطيمية عبر سائر العصور ، وهذه البنيات تشبه بنيات التحطيم فى عصرنا هذا".^(٢) ومن ثم فإن هذه التحليلات ليست على صواب فى اعتقادها أن تغيير بنية المجتمع الصناعى سوف يؤدى إلى قهر الاغتراب. فالاغتراب يضرب بجذوره فى بنية الوجود ذاته، ولهذا السبب "ليس هناك فعل داخل اطار الاغتراب الوجودى يمكنه أن يقهر الاغتراب الوجودى".^(٣) فى ضوء ذلك راح تلش يؤكد على "أن سائر محاولات المرء لقهر الاغتراب عن طريق اعتماده على قدرة كينونته المفترية لن تفضى إلا إلى كدح شديد وفشل مفعج ... إن ذلك القهر للاغتراب لن يتم إلا من خلال وجود جديد".^(٤)

أما المعيار الثانى فهو أن هذا الاغتراب ذاته هو اغتراب عن الماهية الدينية للانسان ومن ثم لا يمكن قهره إلا من خلال المشاركة ، من خلال الايمان ، فى الوجود الجديد الذى تجلى فى "يسوع باعتباره المسيح" وذلك لأن ذلك الوجود الجديد هو فى رأيه المعيار المطلق لكل شفاء من الاغتراب. ولقد عبر هو نفسه عن ذلك المعيار على النحو التالى: "طالما أن وجود الانسان يتسم بالتناقض الذاتى أو الاغتراب يتحتم علينا مراعاة أمرين ، أن يتعامل أحد الجانبين مع الطبيعة الماهوية للانسان (مع ما يجب أن

1) Ibid ., Vol. 2, P. 74.

2) Ibid ., Loc. cit.

3) Ibid., P. 78

4) Ibid., P. 80

يكون عليه الانسان) وأن يتعامل الجانب الآخر مع الانسان في وجوده المغترب اغترابا ذاتيا (مع ما لا يجب أن يكون عليه الانسان) هذان الجانبان متطابقان مع التمييز المسيحي بين مجال الخلق ومجال الخلاص ، ولهذا ، يجب على أحد جانبي النسق أن يقدم تحليلا ... للاغتراب الوجودي الانساني عن الذات (متحدا مع أوجه التحطيم الذاتي للوجود عامة) والسؤال المتضمن في هذا الموقف ، ويجب أن يقدم الاجابة التي هي المسيح^(١) هذان المعياران السابقان يشكلان، كما هو واضح، التفسير المسيحي للطبيعة الإنسانية ، وهذا هو السبب الذي جعلنا نقرر أن التطبيق الايماني للمنهج عند تلش يعتمد على التحليلات التي قدمتها الوجودية المؤمنة او بتعبير ادق على التفسير المسيحي للطبيعة الانسانية الذي يؤكد هذه الاعتبارات الثلاثة : الطبيعة الماهوية او الدينية للانسان، والطبيعة المغتربة، ثم امكانية الشفاء عن طريق المشاركة، من خلال الايمان، في الوجود الجديد الذي تجلى في " يسوع باعتباره المسيح." حقا لقد أوضح تلش هذه الاعتبارات الثلاثة بصورة أكثر تفصيلا عندما كتب يقول: " هناك ثلاثة مفاهيم أساسية في العرف المسيحي . أولا *Esse qua esse bonum est* - هذه العبارة اللاتينية تمثل عقيدة رئيسية في المسيحية انها تعنى أن 'الوجود من حيث هو وجود يتمتع بالخير' أو باللغة الأسطورية للتوراه: 'أن الله رأى كل شيء صنعه ، وقال لقد كان خيرا! والمفهوم الثاني هو السقوط العام - السقوط يعنى التحول من هذا الخير الماهوي إلى الاغتراب الوجودي عن ذات المرء وهو يحدث في داخل كل موجود حي في كل زمان. أما المفهوم الثالث فيشير إلى إمكانية الخلاص. هنا يجب أن نتذكر أن الخلاص *Salvation* مشتق من الكلمة اللاتينية *Salvus* أو *Salus* التي تعنى 'الشفاء' أو 'المعافاة' ، باعتبارها ضد التمزق. هذه الاعتبارات الثلاثة للطبيعة الانسانية حاضرة في كل تفكير لاهوتي أصيل : الخير الماهوي ، والاغتراب الوجودي ، وإمكانية شيء ما ، شيء ثالث ، يتجاوز الماهية والوجود ويتم من خلاله قهر

1) Ibid., Vol .I , P 66.

التصدع بينهما . هذا يعنى ، بتعبير فلسفى ، أن الطبيعتين الماهوية والوجودية للانسان تشيران إلى طبيعته الغائية Teleological (وهى مشتقة من Telos ، أى الغاية ، التى لاجلها ونحوها تتساق حياة الانسان)^(١).

والآن دعنا نرى كيف قام تلش بتطبيق الجانب الايمانى للمنهج على التحليلات الوجودية فى ضوء هذه الاعتبارات الثلاثة . لقد بدأ تلش هذا التطبيق بإعلان أن سائر الوجوديين يتفقون معه على فهم الاغتراب على أنه واقعة عامة يتصف بها الوجود الانسانى فى كل زمان ومكان وعلى أن هذا الاغتراب هو أيضا وفى نفس الوقت اغتراب عن الماهية الدينية للانسان. ولقد كان من المحتم على تلش أن يبدأ بهذا التصريح من أجل أن يبرر مقدمته المنهجية التى تقول إن مضمون مفهوم الاغتراب الذى يقدمه متطابق تماما مع مضمون التحليلات التى يقدمها سائر الوجوديين للزمة الانسانية، وحتى يصل إلى نتيجة مؤداها أن سائر الوجوديين لا يستطيعون اشتقاق أى اجابات على سؤال الاغتراب من تحليلاتهم له بل يشتقونها من الدين المسيحى باعتباره الدين الوحيد القادر على تقديم الاجابة المطلقة على هذا الاغتراب . ولكى يبرر تلش زعمه الذى مؤداه أن سائر الوجوديين يتفقون معه على فهم الاغتراب العام للانسان على أنه اغتراب عن الماهية الدينية، راح يؤكد أنهم جميعا يتفقون معه على معارضة المذهب الماهوى عند هيجل الذى يقول " أن ماهية الانسان قد تحققت من خلال وجوده"^(٢) لقد وجد تلش أن هذا المذهب الماهوى لم يتحقق بصورة كاملة إلا من خلال " نسق هيجل . والسبب فى ذلك يرجع إلى سمة الكلية وكذا سمة الاتساق التى يتسم بها هذا النسق أن شمولية هذا النسق قد قهرت اللاوجود وجعلت التاريخ يصل إلى نهايته ، وجعلت الحرية تتحول إلى حرية فعلية وجعلت مفارقة Paradox المسيح تفقد خاصية المفارقة. لقد جعلت من الوجود التحقق المنطقى للماهية. ليست هناك فجوة ،

1) Tillich, P. ' The Theological Significance of Existentialism and Psychoanalysis', Theology of Culture, PP.118- 119 .

2) Tillich ,P., Systematic Theology, Vol .2, P. 23.

وليست هناك وثبة، بينهما... إن الفجوة أو الهوة قد قهرت ليس فقط على نحو أبدي في داخل الله بل أيضا على نحو تاريخي في داخل الانسان . فالعالم عبارة عن عملية التحقق الذاتى الالهى. ليس هناك ... عدم أمان مطلق، وليست هناك مخاطرة فقد الذات لنفسها عندما تحقق الماهية نفسها في الوجود ... فالعالم هو التحقق الذاتى للعقل الالهى، والوجود هو المعبر عن الماهية وليس ساقطا منها .^(١)

هذا المذهب الماهوى الهيجلى هو الذى أدى فى رأى تلش إلى هجوم الوجوديين عليه. والعنصر المشترك بين سائر أنواع الهجوم التى شنّها الوجوديون عليه هو أن الموقف الوجودى للانسان هو حالة اغتراب عن طبيعته الماهوية . إن هيجل يعنى هذا الاغتراب، غير أنه يؤمن أنه قد قهر وأن الانسان قد تصالح مع وجوده الاصيل. هذا الاعتقاد يعد ، طبقا لسائر الوجوديين، خطأ هيجل الرئيسى. فالمصالحة هى مسألة ترقب وتوقع ولكنها ليست مسألة متحققة بالفعل ، والعالم لم يتصالح سواء داخل الفرد - كما اوضح كيركيجورد - أو فى داخل المجتمع - كما اوضح ماركس - أو فى الحياة كحياة - كما اوضح شوبنهاور ونييتشه . ان الوجود هو اغتراب لا مصالحة، إنه تجريد من الانسانية لا تعبيرا عن الانسانية الماهوية . انه العملية التى يصبح من خلالها الانسان شيئا يكف عن أن يكون شخصا. والتاريخ ليس هو التجلى الذاتى الالهى، ولكنه سلسلة من الصراعات غير المتصالحة ، تهدد الانسان بالتحطيم الذاتى. فوجود الفرد ملئ بالقلق ومهدد باللامعنى . ان سائر الوجوديين يتفقون على هذا الوصف لازمة الانسان ومن ثم يعارضون ماهوية هيجل . إنهم يشعرون أن هذه الماهوية هى محاولة لاختفاء حقيقة الحالة الفعلية للانسان .^(٢) ان تلش لم يكف بذلك، ومن ثم راح، فى ايضاح آخر لماهية هذا الهجوم ، يقرر : " ان الهجوم بعد الهيجلى Post - Hegelian على نسق هيجل الديالكتيكى (الجدلى) هو هجوم موجه ضد

1) Ibid ., PP., 23-24

2) Ibid., P.25

محاولة استغراق الواقع كله ، بوجهه الماهوى ووجهه الوجودى وبخاصة الجانب التاريخى منه، فى الحركة الجدلية للفكر الخالص. والتعبير المنطقى عن هذه المحاولة قد جاء فى عبارات كالعبارات التالية التى تتعلق بالماهية والوجود : إن الماهية تتبدى بالضرورة، وهى تحول نفسها إلى وجود. إن الوجود هو كينونة الماهية، ولهذا يمكن أن يطلق عليه اسم الكينونة الماهوية . إن الماهية قد تحققت فى الوجود ، ولم تعد متميزة عنه إذا كان الوجود متطابقا مع الماهية ، فإن ما هو عقلى يكون واقعيا وما هو واقعى يكون معقولا ولهذا ... تكون مهمة الفلسفة منحصرة فى المصالحة مع الواقع. وعلى النقيض من ذلك أقول : إن مهمة الفلسفة الوجودية كانت تتمثل أولا وقبل كل شىء فى تحطيم هذه المصالحة الهيجيلية ، التى كانت مجرد مصالحة تصورية ، تركت الوجود نفسه غير متصلح. ^(١) لقد رأى الوجوديون، هكذا يضيف تلش من جديد، " أن هذه المصالحة هى مصالحة لا تقبل التحقق، فموقف الفيلسوف ... يكون كموقف الصوفى الذى ترقى تدريجيا إلى عرش المصالحة الابدية ثم راح ينظر من اعلى إلى حيث عالم متناغم متصلح. غير أن هذه المصالحة لا تمت إلى الموقف الانسانى بصلة. فالمصالحة ، بالنسبة للانسان ، تتسم يوما بالمفارقة. إنها مسألة تأرجح بين اليقين وعدم اليقين ، انها مسألة إيمان يتسم بالمخاطرة وصفح لا يمكن توقعه. إن الاغتراب باعتباره حالة وجودية لا يتضمن المصالحة ... بهذه الكلمات أكون قد صغت النقد الذى تلقاه هيجل من سائر المفكرين الوجوديين منذ كير كيجورد وشلنج فى مرحلته المتأخرة وحتى الوجودية الحالية. ^(٢) هكذا أوضح تلش طبيعة الثورة التى قادها هو وسائر الوجوديين ضد المذهب الماهوى عند هيجل. ولقد ألقى فرانكلين مزيدا من الضوء على موقف تلش فى هذا الصدد عندما كتب يقول: " من منظور وجودى مثالى ، كتب تلش،

-
- 1) Tillich, P., 'Existential Philosophy : its Historical Meaning', Theology of Culture, PP. 82-83.
 - 2) Tillich, P., 'Estrangement and Reconciliation in Modern Thought', Review of Religion, No. 1X (Nov., 1944), P.11.

ضد هيجل، يقول إن الانسان يشعر من خلال قلقه أنه اغترب عن ذلك الذى ينتمى إليه انتماء جوهريا ... يشعر أنه اغترب عن وجوده الماهوى. فهو يعانى من صراع دائم فى داخل نفسه ومن عدااء تجاه العالم ... ان الاغتراب هو سلب للانتماء الماهوى. إنه ذات طبيعة وجودية^(١) وهكذا اتفق تلش وسائر الوجوديين على أن حالة الوجود هى حالة اغتراب عام عن الماهية الدينية للانسان. هذه هى النتيجة الاولى التى أراد تلش الوصول إليها من خلال هذا التطبيق الايمانى للمنهج. هذه النتيجة تتضمن ثلاث نتائج أخرى لا تقل أهمية عن هذه النتيجة بالنسبة لتلش. النتيجة الاولى هى أنه طالما أن قواعد منهج التضاييف كما وضعها تلش فى الجانب النظرى تحتم عليه تشييد مفهوم الاغتراب فى ضوء التحليلات التى قدمها سائر الوجوديين للآزمة الانسانية، وطالما أن تلش يفهم الاغتراب على أنه واقعة عامة يتصف بها الوجود الانسانى فى كل زمان ومكان وهو أيضا وفى نفس الوقت اغتراب عن الماهية الدينية للانسان، وطالما أنه قد ثبت له أن سائر الوجوديين يتفقون معه على هذا الفهم، فإن هذا يعنى أنه يلتزم بقواعد المنهج ولا يحيد عنها. والنتيجة الثانية هى أنه طالما أن فهم تلش للاغتراب يتفق مع التفسير المسيحى للطبيعة الانسانية، وطالما أن سائر الوجوديين يتفقون معه على هذا الفهم، فإن هذا يعنى أنه ليس هناك خلاف بين التفسير المسيحى للطبيعة الانسانية وبين التفسير الذى قدمه سائر الوجوديين لها. وأما النتيجة الثالثة فهى أنه طالما أن هذا التفسير المسيحى للطبيعة الانسانية أو لطبيعة الاغتراب الذى يتبناه تلش يجعل من المستحيل على الانسان أن يقهر اغترابه معتمدا فى ذلك على نفسه حيث إن هذه الطبيعة للاغتراب تجعل من المستحيل قهره إلا من خلال الدين المسيحى ، وطالما أن سائر الوجوديين يتفقون معه على هذه الرؤية فى طبيعة الاغتراب ، فإن هذا يعنى أنه يستحيل عليهم اشتقاق إجابات على سؤال الاغتراب من تحليلاتهم للآزمة الانسانية نظرا لأن هذه الاجابات لا تشتق إلا من مصادر دينية أو

1) Franklin , M., 'On Hegel's Theory of Alienation and its Historic Force', Tulane Studies in Philosophy , Vol. 9 (1960), P. 50

مسيحية.

هذه النتيجة الاخيرة تحتاج إلى مزيد من الايضاح . وقبل أن نفعل ذلك نود أن نوضح أولا رأى تلش الذى يؤكد على أن موقف هيجل السابق يضرب بجذوره فى كتاباته المبكرة والمتأخرة على حد سواء الأمر الذى يعنى أن موقفه فى الكتابات المتأخرة لم يكن سوى استمرار لموقفه الذى قدمه فى كتاباته المبكرة . حقا ، لقد عبر تلش عن ذلك بكل وضوح من خلال النص التالى الذى يقول : " إن مقالات هيجل المبكرة التى نشرت لأول مره عام ١٩٠٧ تعد واحدة من أروع الوثائق فى تاريخ الفكر الاوربي والمذهب الفلسفى الذى قدمه هيجل فى هذه المقالات منذ البداية هو 'أن الحياة اغتربت وتصالحت' . (فى هذه المقالات) كتب هيجل الصغير عبارات رائعة حول تصالح الحياة عن طريق الحب . فهو يصف كيف أن الحياة تضاعف نفسها فى حب فتخلق الآخر وتعيد توحيدده مع نفسها . فالانطلاق من الوحدة الاصلية (أو الاولى) مرورا بالاغتراب عن الذات وصولا إلى المصالحة هو طريق الحب . فخصوصية الحياة تكمن فى قابليتها للانقسام إلى متناقضات لا متناهية منفصلة عن بعضها ، غير أن تلك الخصوصية لا تتحقق إلا فى حالة المصالحة بين تلك المتناقضات ومن ثم عدم تحطيم الوحدة الاصلية للحياة . بهذا يكون الحب هو قوام الوجود . فالوجود عبارة عن مركب ، أعنى ، مركب دعامة الحب . وعندما نقرا اليوم عن مشروع الفكرة ، ونقيض الفكرة ، ومركب الفكرة عند هيجل ، وننفر من تطبيقه الآلى ، يجب الا ننسى أن الرؤية الاولى لا تزال تنبض بالحياة حتى عند هيجل المتأخر ، بمعنى أن الفكرة تعنى الحياة ، ونقيض الفكرة يعنى القانون ، الطاغية ، الاغتراب ، ومركب الفكرة يعنى الحب ، المجتمع الكوميونى communal^(١) ، المصالحة ... أن النسق الذى عرضه هيجل فى كتاباته المتأخرة هو تفسير عام متصل ... (لرؤيته المبكرة) فى مصالحة الحياة مع ذاتها .

(١) ان الكوميونين يشير ، كما سوف نرى فيما بعد ، الى ذلك التشارك الماهوى او الدينى الذى يتم فيه تبادل الآراء والافكار والمشاعر بين الانداد .

لقد غير لغته الاصطلاحية ، فاستبدل مفهوم الحياة بمفهوم الروح ، ولكن مفهوم الروح بقي مفهوما في الحياة، بمعنى ان الروح بقيت في حالة ديناميكية دائمة وإبداع مستمر ، دائما في عملية اغتراب عن الذات ومصالحة .^(١)

ان تلش على صواب في تأكيده على أن الموقف المتأخر لهيجل ليس سوى استمرار لموقفه المبكر . ففي كتاباته اللاهوتية المبكرة تعامل هيجل مع مفهوم رئيسي هو مفهوم " الحياة " ، والحياة عنده ، كما أوضح بحق استاذنا الدكتور محمود رجب ، " هي اشبه شيء بالمحيط الجامع " .^(٢) انها ذلك المحيط الذي يجمع ويوحد سائر المتعارضات. في هذه الكتابات ينطلق هيجل من فرض أساسي مؤداه أن هناك وحدة أصلية أو بالاحرى أولية غير واعية او فجة غير ناضجة للحياة، وحدة قوامها الانسان، والآخرين، والعالم ، والله . ونظرا لأن هذه الوحدة هي أصلا وحدة غير ناضجة فإن الحياة تفقدها بالضرورة عبر تطورها وذلك من أجل استردادها على مستوى أعلى يتسم بالنضوج التام. وعندما تفقد الحياة هذه الوحدة غير الناضجة تغترب عن ذاتها وتفترق على هيئة متعارضات كالتعارض بين الانسان والطبيعة ، الذات والموضوع، السيد والعبد، الواجب والرغبة، الانسانية والالوهية ... الخ هذه المتعارضات التي يمكن كما يقول هيجل^(٣)، ردها إلى تعارض واحد هو تعارض الذات - الموضوع ، تظل في حالة انفصال واغتراب عن بعضها ، وإن يتم قهر هذا الاغتراب بين المتعارضات ومن ثم استرداد الوحدة الاعلى الناضجة للحياة إلا من خلال الحب . فالحب عند هيجل هو "الاتحاد الحقيقي ... هذا الحب الاصيل يقهر سائر المتعارضات ... هنا تكون الحياة قد مرت عبر ثورة التطور من وحدة غير ناضجة إلى وحدة ناضجة تماما".^(٤)

1) Tillich, P ., 'Estrangement and Reconciliation in Modern Thought', PP.8-10

(٢) د. محمود رجب ، الاغتراب ، ص ١٤٣ .

3) Hegel, F., Early Theological Writings, P.305, Translated by Knox, T.M. and Kroner, R., Univ. of Pennsylvania Press, Philadelphia, 1948.

4) Ibid, PP. 304-305.

والحب الاصيل عند هيجل هو ذلك الذى يمنع المحب والمحبيب من أن يعامل احدهما الآخر على أنه " موضوع ". فمن خلال هذا الحب يزول التعارض بين الذات والموضوع ويتحقق الاتحاد الكامل بين ذات وذات أو بين فرد وفرد أو بين محب ومحبيب فيصبحان كلا واحدا ، كلا لا تنمى فيه اى من الفرديتين ، بل يتسامى بهما ويوحد بينهما دون القضاء عليهما . " هذا الاتحاد الذى يتم من خلال الحب هو ، " كما يقول هيجل، " اتحاد كامل ، ولكنه يظل كذلك مادام كل محب منفصلا يجعل من نفسه عضوا فى كل حى يجمع المحب والمحبيب. " (١) هذا الحب يراه هيجل على أنه هو الذى يوحد الانسان بالآخرين والعالم . وعندما يحقق المرء عبر تطور حياته هذه الوحدة الجديدة الواعية والناضجة " يكتشف أن الافراد والآخرين والعالم هم أنفسهم يشتركون معه فى ماهية واحدة أساسية هى : الحياة. 'فالحى يشعر بالحى'. وهذا الاكتشاف إنما ينزع عن الفرد الآخر المنفصل كل طابع غريب .. بالحب إنن يدرك الافراد المنفصلون الحياة ، من حيث هى محيط يجمع ويوحد بينهم، ويتم بالتالى تجاوز الاغتراب بمعنى الانفصال والتضاد والتقابل . فالحياة عند هيجل هى أول نموذج لتوحيد حقيقى بين الازداد والمتناقضات . " (٢) هكذا تكون الحياة قد انطلقت من وحدة أولية غير ناضجة ثم اغتربت عن ذاتها من أجل الوصول إلى وحدة جديدة ناضجة ، وما هذه العملية التطورية للحياة إلا " وحدة ، تعارضات مفصلة ، وإعادة اتحاد. " (٣) هذه المصالحة - أو الوحدة الجديدة - لن تكون مصالحة بالمعنى الكامل إلا من خلال الدين الذى يرافقه هيجل بالحياة ويجعله تجسيدا لاكتمال الحب . يقول هيجل: "ما الحب إلا توحيدا للحياة بعد انقسامها، بعد تطورها. " (٤) وما "الدين ... إلا 'بليوراما' (اكتمال) الحب. " (٥) فممارسة الدين هى نفسها تكمل الحب ومن ثم تقود إلى التوحيد الكامل

1) Ibid ., P. 308.

(٢) د. محمود رجب ، الاغتراب ، ص ١٤٤

3) Hegel, F., Early Theological Writings, P.308.

4) Ibid., P.278.

5) Ibid., P.253

بين سائر المتعارضات التي تنشأ بالضرورة عبر تطورتنا. ^(١) فمن خلال هذه الممارسة يتم الارتقاء من مستوى الحياة المتناهية إلى مستوى الحياة اللامتناهية. والمرء الذي يحقق هذا السمو الذاتى ... يضع ذاته ... فيما وراء ذاته المتناهية ويوحد نفسه بعمق بالحياة اللامتناهية التي تسرى فى العالم ... ويصبح عضوا مندمجا فيها. ^(٢) هذا الارتقاء من مستوى الحياة المتناهية إلى مستوى الحياة اللامتناهية الذي يعده هيجل شرطا ضروريا لتحقيق الاتحاد الكامل مع الحياة لا يعنى القضاء على الفردية ومحوها من خلال ذلك الاتحاد . ان العكس هو الصحيح بمعنى أن هيجل يرى أن كل موجود انسانى هو عبارة عن حياة متفردة متميزة عما عداها ، غير أنه لن يكون كذلك إلا من خلال اتحاده فى نفس الوقت مع الكل . فهذا الاتحاد يحفظ الفردية ويتسامى بها فى الآن عينه . ^(٣)

هذا الموقف المبكر لهيجل هو فى الغالب نفس الموقف الذى أخذه على عاتقه فى مرحلته المتأخرة . إذ على الرغم من أنه قد استبدل فى هذه المرحلة الأخيرة مفهوم الحياة بمفهوم " الروح " أو " العقل " أو " الفكر " ، إلا أن الموقف لم يتغير فى المرحلتين : فالروح تمر بنفس المراحل التي تمر بها الحياة. ولقد أكد أستاذنا الدكتور محمود رجب هذه الحقيقة عندما كتب يقول : " وعلى الرغم من أن هيجل لم يذكر فى 'شجرة الحب' ... مصطلح 'الروح Geist' ، وهو مصطلح أساسى فى مناقشته لفكرة الاغتراب فيما بعد ، وذكر بدلا منه مصطلح 'الحياة' ، فإن المراحل التي تمر بها الحياة فى تطورها وسيرها هى نفس المراحل التي تمر بها الروح فى كتاب 'ظاهريات الروح'. وهذه المراحل هى : الوحدة ، فالانفصال على هيئة افراد منفصلة ، فالوحدة الجديدة أو استعادة الوحدة المفقودة ، حيث تتحد الأضداد فى كلية أعلى وأشمل ...

(١) د. محمود رجب ، الاغتراب ، ص ١٤٩ - ١٥٠

2) Schacht , R., Alienation , PP. 21 -22 .

3) Ibid ., P.22

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى سوف نرى الجزء الخاص بالاغتراب في كتاب 'ظاهريات الروح' والسبذي (يحمل) ^(١) عنوان الروح المغترب عن ذاته : الحضارة (الثقافة) يتناول المرحلة الثانية من مراحل سير الحياة في 'شذرة الحب' وهي مرحلة الانفصال ^(٢) . فالروح إذن ، مثلها في ذلك مثل الحياة، تمر بثلاث مراحل هي الروح المباشر، والروح المغترب عن ذاته ، والروح المتيقن من ذاته. ففي المرحلة الأولى تكون الروح أو العقل الانساني في حالة اتحاد غير فاضح أو غير واع مع الواقع بأسره. وفي اللحظة التي تعي فيها الروح أن ذلك الاتحاد إنما هو اتحاد غير واع وناجم عن نقص في التعقل هي اللحظة التي ينفصل فيها الانسان عن الواقع بأسره باعتباره كيانا مستقلا وفردية متميزة عن سائر ما عداها ، ويظل هكذا في حالة اغتراب إلى أن يحقق وحدة جديدة أكثر نضوجا مع الواقع بأسره ، وحدة لاتنمحي فيها الفردية وتكون انعكاسا لاكتمال العقلية . هنا يكون الفرد قد حقق ماهيته الأصلية المتمثلة في اتحاده مع الواقع ككل . هذه الوحدة ، مثلها في ذلك مثل الوحدة السابقة ، تشمل الانسان أو الآخرين والعالم والله، وهي عبارة عن وحدة يتبدى فيها الواقع بأسره على أنه واقع روحاني أو معقول حيث ان الجميع يشتركون في ماهية واحدة هي الروح . هذه الوحدة رأها هيجل المتأخر على أنها تتم من خلال الفلسفة التي تفضي بالانسان إلى المشاركة في مستوى الحياة اللامتناهية فتصبح الفلسفة هي الدين، والدين هو الفلسفة ، ويصير ما هو واقعي معقولا، ويصير ما هو معقول أو روحاني واقعيًا. ^(٣)

هذا هو الموقف الهيجلي الذي حفز تلش وسائر الوجوديين على الثورة عليه والذي دفعهم إلى الاتفاق ، ضده، على أن حالة الوجود هي حالة اغتراب عن الماهية،

(١) لقد اضعنا هذه الكلمة حتى يستقيم السياق اللغوي للنص اذ من الواضح ان هناك كلمة قد سقطت اثناء الطباعة ويبدو ان الكلمة التي اضعناها هي الكلمة المقصودة .

(٢) د. محمود رجب ، الاغتراب ، ص ١٤٣-

3) Hegel, F., Phenomenology of Spirit, PP. 294-365, PP. 119-138,., Translated by Miller, A.V., Clarendon Press, Oxford, 1977

وأن الوجود باعتباره حالة اغتراب لا يتضمن المصالحة. هذا الاتفاق، الذى زعم تلش أنه يجده بين سائر الوجوديين، جعله يستنتج أنه طالما أن سائر الوجوديين يتفقون معه ومن ثم مع التفسير المسيحى للطبيعة الانسانية على أن الاغتراب واقعة عامة يتصف بها الوجود الانسانى فى كل زمان ومكان وهو أيضا وفى نفس الوقت اغتراب عن الماهية الدينية للانسان ، فإن هذا يعنى أنه ليس باستطاعتهم اشتقاق إجابات على سؤال الاغتراب من تحليلاتهم للزمة الانسانية. لقد كان بمقدورهم أن يفعلوا ذلك هذا إذا كان الاغتراب ليس واقعة عامة يتصف بها الوجود الانسانى فى كل زمان ومكان ، أى إذا كان، بتعبير آخر، سمة لحقبة تاريخية بون أخرى ، سمة ، على سبيل المثال، للمجتمع الصناعى المعاصر فقط. ففى هذه الحالة فقط يكون بإمكانهم البحث عن الاسباب التى أدت إلى اغترابه والقضاء عليها. ولكن الاغتراب هو فى حقيقة الامر واقعة عامة يتصف بها الوجود الانسانى فى كل زمان ومكان وهو أيضا وفى نفس الوقت اغتراب عن الماهية الدينية للانسان، ومن ثم يستحيل على الوجوديين اشتقاق إجابات من تحليلاتهم للسؤال، من هنا راح تلش يقرر : " أن الاجابة لا يمكن أن تشتق من السؤال . إنها تقال لذلك الذى يسأل ، ولا تستمد منه. أن الوجودية لا تستطيع أن تقدم إجابات وكل ما يمكنها أن تفعله هو تحديد شكل الاجابة. " (١) هذا يعنى ، كما يقول تلش فى موضع آخر ، " أن الوجودية تطوّر السؤال المتضمن فى الوجود، ولكنها لا تحاول تقديم الاجابة. " (٢) فالاجابة ليست من اختصاصها ، وإنما هى من اختصاص اللاهوت وذلك لأن هذا الاغتراب هو اغتراب عن الماهية الدينية للانسان . " هذا يعنى ، كما يقول تلش ، " أن الوجودى يثير السؤال ويحلل الموقف الانسانى الذى يقدم له اللاهوتى بعدئذ الاجابة، والاجابة ليست مأخوذة من السؤال بل من مصدر آخر، وليس من الموقف الانسانى نفسه. " (٣) هذا يعنى أن تلش يرى " أن تقديم الاجابات من

1) Tillich, P., 'Aspects of a Religious Analysis of Culture', Theology of Culture, P.49

2) Tillich, P., Systematic Theology, Vol.2, P.25.

3) Tillich, P., 'The Theological Significance of Existentialism and Psychoanalysis', Theology of Culture, P. 125

وظيفة الكنيسة التي تقدم الاجابات لنفسها ولاولئك الذين لا ينتمون إليها ^(١) وذلك لأن هذا المهمة ليست من اختصاص الوجوديين .

ولكن الوجودية، مثلها في ذلك مثل اللاهوت، هكذا يرى تلش، تقرر أن الاغتراب هو اغتراب عن الماهية الدينية للإنسان ، ومن ثم فهي حتما تقدم اجابات، هذه الاجابات ليست مشتقة من تحليلات الوجوديين، ولكنها مشتقة من مصادر دينية. هذا هو السبب الذي جعل تلش لا يكتفى بمجرد القول ان الوجودية لا تستطيع أن تقدم اجابات على الاطلاق واضاف إليه قوله : " عندما يقدم الوجودي ، فيلسوفا كان أم فنانا ، الاجابة فإنه يفعل ذلك استنادا إلى مذهب ايماني ينطوي على مصادر مستمدة من الوحي ^(٢) . ولقد أوضح تلش هذه المذاهب الدينية التي يستمد منها الوجوديون اجاباتهم على النحو التالي : " عندما يقدم الوجوديون اجابات ، فإنهم يقدمونها استنادا إلى مذاهب دينية أو شبه دينية غير مشتقة من تحليلاتهم الوجودية . فباسكال يشتق اجاباته من اوغسطين، وكيركيجورد من لوثر ، ومارسيل من توما، وديستوفسكي من المذهب الارثوذكسي الاغريقي. وقد تكون الاجابات مشتقة من عقائد انسانية كما هو الحال عند ماركس، ونيتشه، وهيدجر، وياسبرز. لم يكن بإمكان أى واحد من هؤلاء أن يشتق إجابات من الاسئلة. فاجابات الانسانيين تأتي من مصادر دينية خفية. لأنها اجابات معبرة عن اهتمام مطلق أو ايمان، على الرغم من أنها تلبس ثوبا لنيويا ^(٣) .

هكذا قسم تلش، كما فعل مع نفسه تماما، كل محل من هؤلاء إلى نصفين : نصف وجودي يقوم بتحليل الموقف الانساني واثارة السؤال المرتبط به اعنى الاغتراب العام للإنسان عن طبيعته الماهوية أو الدينية، ونصف ديني يقدم الاجابة اللاهوتية معتمدا في ذلك على اللاهوت المسيحي القائم على الوحي. هذا التفسير

1) Tillich, P., 'Aspects of a Religious Analysis of Culture', Theology Culture, P.49

2) Ibid., Loc. cit.

3) Tillich, P., Systematic Theology, Vol.2, PP. 25-26.

للوجودية جعل تلش يرفض التمييز بين وجودية مؤمنة ، وأخرى ملحدة . فكل واحد من ممثليها هو وجودي من ناحية ، ورجل دين من ناحية أخرى . يقول تلش : " إن التمييز بين الوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة هو تمييز خاطئ . فالوجودية هي عبارة عن تحليل للآزمة الانسانية . والاجابات على الاسئلة المتضمنة في الآزمة الانسانية هي اجابات دينية سواء قدمت بطريقة علنية او خفية . " ^(١) هذا التاكيد على عدم مشروعية التمييز بين وجودية مؤمنة ، وأخرى ملحدة يتجلى بصورة أكثر وضوحاً من خلال النص التالي الذي يقول : " يجب أن أقدم تقريراً حول قدرة الفكر الوجودي على الاجابة على الاسئلة المتضمنة في الآزمة الوجودية للإنسان . ولكي أناقش هذه المشكلة قمت بالتمييز بين الوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة . غير أنه يجب علينا أن ننكر بشدة مشروعية هذا التمييز . صحيح أن هناك طائفة وجودية أجابت على تلك الاسئلة استناداً إلى مذهب ديني بعينه ، وأخرى استناداً إلى مذهب انساني بعينه . ولكن هذه الاجابات ليست مشتقة من تحليلاتهم . إنها مشتقة من المذاهب الدينية أو الثقافية التي انحدرت منها . أن اعادتهم صياغة مضامين هذه المذاهب الدينية قد جعل شكلها يتحدد ، بالطبع ، من خلال نتائج تحليلاتهم . ولكن جوهر هذه المذاهب لم يتغير : فالاجابات هي اجابات اوغسطينية أو كاثوليكية تومانية جديدة ، ارثوزوكسية أو بروتستانتية نقدية ، كاثوليكية اغريقية او يهودية ، مشتقة من المثاليين الالمان أو من الانسانيين الغربيين ، من اصحاب مذهب التطور الطبيعي أو من اصحاب المذهب الاخلاقي الفرنسي . لقد قدم كل مذهب من هذه المذاهب الاجابة لرائد أو أكثر من رواد الوجودية . " ^(٢) أما الإيضاح الكامل لتأكيد تلش على عدم مشروعية للتمييز بين وجودية مؤمنة ، وأخرى ملحدة فقد ساقه في

1) Ibid ., P. 26.

2) Tillich, P., 'Symposium : Existentialist Thought and Contemporary Philosophy in The West', The Journal of Philosophy, Vol. LIII (January-December, 1956), PP. 747-748.

النص التالى الذى يقول: "إن التفسير الذى قدمه التحليل النفسى لازمة الانسان يثير السؤال المتضمن فى وجود الانسان . وما على اللاهوت النسقى إلا أن يوضح أن الرموز الدينية تقدم الاجابات على هذا السؤال . والآن إذا أنت فهمت العلاقة بين اللاهوت وعلم نفس الاعماق على هذا النحو، تكون قد أدركت الاهمية الاساسية ، الاهمية القصوى الحاسمة لكل ذلك بالنسبة للاهوت. ليس هناك تحليل نفسى او وجودية مؤمنة ووجودية غير مؤمنة . فسائر الوجوديين يحللون الموقف الانسانى . وعندما يقدم المحللون أو الفلاسفة الاجابة ، فإنهم يقدمونها ليس باعتبارهم وجوديين بل يقدمونها استنادا إلى عقائد اخرى ، كاثوليكية كانت ، أم برتستاننتية ، لوثرية كانت ، أم إنسانية ...إن العقائد تأتى من كل مكان ، غير أنها لا تأتى من 'السؤال' فى حوار طويل لى فى لندن مع تى . اس . اليوت T. S. Eliot الذى يعد من الوجوديين ، تحدثنا عن نفس هذه المشكلة فقلت له 'أننى أومن أنك لا تستطيع أن تجيب على السؤال الذى تطوره فى رواياتك واشعارك استنادا إلى رواياتك واشعارك ، لأن هذه الروايات والاشعار لا تطور إلا السؤال فقط - لا تصف إلا الوجود الانسانى. ولكن إذا كانت هناك ثمة إجابة ، فإنها تأتى من مصدر آخر.' فأجاب ، 'ذلك بالتحديد ما أناضل من أجله باستمرار . فأنا كما تعلم عضو فى الكنيسة الاسقفية البروتستاننتية.' وهو عضو مخلص حقا ، فهو يجيب باعتباره عضوا فى الكنيسة الاسقفية البروتستاننتية لا باعتباره وجوديا . هذا يعنى أن الوجودى يثير السؤال ويحلل الموقف الانسانى الذى يستطيع اللاهوتى حينئذ تقديم الاجابة عليه ، اجابة لاتستمد من السؤال بل من مصدر آخر، وليس من الموقف الانسانى نفسه .^(١) من هنا يتأكد لنا أن تلش ، مثله فى ذلك مثل اى محلل آخر ، قد قسم نفسه إلى نصف وجودى يقوم بتطوير السؤال معتمدا فى ذلك على تحليلات سائر الوجوديين لهذه الازمة ، ونصف لاهوتى يقوم بتقديم الاجابة

1) Tillich, P., 'The Theological Significance of Existentialism and Psychoanalysis', Theology of Culture, P.125.

استنادا إلى اللاهوت المسيحي القائم على الوحي . هذا هو التطبيق الايماني للمنهج عند تلش . ولزيد من الايضاح يمكننا أن نلخص أهم ما جاء في هذا التطبيق بالنسبة لهذه الدراسة في النقطتين التاليتين . أولا : إن سائر الوجوديين يتفقون مع تلش على أن حالة الوجود هي حالة اغتراب عن الماهية الدينية للانسان . هذا يعنى بالنسبة له أنه يلتزم بقاعدته المنهجية التي تحتم عليه تشييد مضمون مفهوم الاغتراب الذي يقدمه في ضوء تحليلاتهم للارزمة الانسانية . ثانيا : ان سائر الوجوديين ، طالما أنهم يتفقون معه على هذا الفهم للاغتراب ، لا يستطيعون اشتقاق الاجابة من تحليلاتهم . فاجاباتهم مستمدة من اللاهوت المسيحي القائم على الوحي . وهذا يعنى بالنسبة له أنه ليست هناك وجودية مؤمنة ، وأخرى ملحدة . فكل محلل وجودي ، مثله في ذلك مثل تلش نفسه ، منقسم إلى نصف وجودي يقوم بتحليل الموقف الانساني المغتراب واثارة السؤال ، ونصف لاهوتي أو ايماني يستمد الاجابة من اللاهوت المسيحي .

هنا يتحتم علينا أن نتساءل : هل صحيح أن سائر الوجوديين يتفقون مع تلش على هذا الفهم للاغتراب ؟ وهل صحيح ايضا انه ليست هناك وجودية مؤمنة ، واخرى ملحدة ، كما يزعم تلش ؟ إن الاجابة على هذين السؤالين هي قطعاً بالنفى . قطعاً هناك من الوجوديين من لايتفق مع تلش على هذا الفهم للاغتراب ، ومما لاشك فيه أن هناك وجودية ملحدة ، واخرى مؤمنة . نحن نرى أنه إذا كان التطبيق الايماني السابق لمنهج تلش ينطبق على شئ فهو لا ينطبق إلا على الوجودية المؤمنة وبالتالي على التفسير المسيحي للطبيعة الانسانية . إنه لا ينطبق باى حال من الاحوال على الوجودية بسائر معانيها كما يزعم تلش . لقد لجأ تلش إلى هذا التطبيق العلني للمنهج حتى لا يثير الشك في ولائه لللاهوت المسيحي ، فجعل من الوجودية مجرد خادما لذلك اللاهوت . فهي تساعد على تطوير السؤال من اجل تقديم الاجابة عليه . هذا بالاضافة إلى أنها قدمت له ، كما ذكر تلش في عبارته التي وردت في المقدمة ، هدايا لم يكن يحلم بها من سنوات عديدة ماضية . " فالوجودية وعلم نفس الاعماق " ، هكذا

يوضح تلش ، " قدما للاهوت شيئا كان يعرفه يوما غير أنه نسيه وطمس معالمه ، لقد ساعده على أن يكتشف من جديد المادة الهائلة المتعلقة بعلم نفس الاعماق التي قدمها الادب الحديث في الالف سنة الاخيرة بل وقبل ذلك. فكل رؤية في خلجات النفس يمكن أن نجدها في ذلك الادب ، ولعل خير شاهد على ذلك ما جاء في 'الكوميديا الالهية' لدانتي ، خاصة وصفها للجحيم والعذاب ، والتحطيم الذاتى الداخلى للانسان المغترب عن وجوده الماهوى .^(١) هذه هي الهدية الاولى التي قدمتها الوجودية للاهوت فى رأى تلش. اما الهدية الثانية فهي أن الوجودية ساعدت اللاهوت على اعادة اكتشاف معنى كلمة خطيئة التي أصبحت غير قابلة للتعقل تماما بسبب مطابقة الخطيئة بالخطايا ، وبسبب مطابقة الخطايا بأفعال معينة لا تجارى العرف أو غير مقبولة .إن الخطيئة هي شئ مختلف تماما عن ذلك .إنها اغتراب مفاجع ، وعام ، قائم على الحرية والمصير عند سائر الموجودات الانسانية ولا يجب أن تستخدم مطلقا بصيغة الجمع . إن الخطيئة هي انفصال ، اغتراب المرء عن وجوده الماهوى .هذا هو معنى الخطيئة ، وإذا كان هذا المعنى ناتج عن عمل علم نفس الاعماق ، فان هذا يعنى بالطبع أن علم نفس الاعماق والوجودية قد قدما هدية عظيمة للاهوت .^(٢) اما الهدية الثالثة فهي: أن علم نفس الاعماق قد ساعد اللاهوت على أن يكتشف مجددا البنيات الشيطانية التي تتحكم فى شعورنا (او وعينا) وفى قرار اتنا . هنا يجب أن أقرر من جديد أن هذه المعونة تتمتع بقدر كبير من الأهمية . فهذا الاكتشاف يعنى أنه بينما نعتقد أننا نتخذ قراراتنا الواعية بحرية ، قد نجد أن شيئا ما قد حدث لنا ووجه تلك القرارات قبل اتخاذها .إن وهم الحرية المطلقة الذى نادى به البعض يندرج تحت هذا الاكتشاف الجديد . هذا لايجب أن يؤخذ على أنه قول بالحتمية . فمما لاشك فيه أن الوجودية ليست حتمية . غير أن الوجودية وخاصة التحليل النفسى وفلسفة اللاشعور فى مجملها قد اكتشفوا كلية (او شمولية) الشخصية التي تؤكد على أن العوامل الشعورية ليست

1) Ibid ., P. 123.

2) Ibid., Loc. Cit.

وحدها العوامل الحاسمة فى اتخاذ القرارات. فالأشعور يلعب دوراً هاماً فى توجيه القرارات التى تبدو فى الظاهر وكأنها مأخوذة بوعى تام وحرية كاملة. (١) أما الهدية الرابعة فهى "أن اللاهوت قد اضطر إلى أن يتعلم من منهج التحليل النفسى معنى الصفح ، معنى الغفران باعتباره قبول أولئك الذين هم غير مقبولين أصلاً ، لا قبول أولئك الذين يتسمون بالخير ، فالإشراق ، على العكس ، هم أولئك الذين يحونون القبول ، هم ، بتعبير دينى ، الذين تسبغ عليهم المغفرة ، الذين تحل عليهم البواعة من الاثم ... ان كلمة الصفح ، تلك الكلمة التى فقدت معناها ، قد اكتسبت معنى جديداً من خلال الطريقة التى يتعامل بها المحلل مع المريض . فالمحلل يقبل المريض ، وهو لا يقول له 'أنت مقبول' ، بل يقبله دون أن يقول له ذلك . تلك هى الطريقة التى بها يتعامل الله معنا ، كما جاء فى الرموز الدينية ، وتلك أيضاً هى الطريقة التى يجب أن يتعامل بها كل قسيس وكل مسيحي مع أى شخص آخر . قبل الاكتشاف الجديد للاعتراف الكهنوتى والمشورة الكهنوتية (التى لم يكن معترفاً بها فى البروتستانتية على الإطلاق) كان يطلب من كل شخص أن يفعل شيئاً ما ، وإذا لم يفعله كان لايلقى إلا التوبيخ (أو التعنيف) . وفى الوقت الحالى يستطيع المرء أن يذهب إلى شخص ما ويتحدث معه ، وعندما يتحدث معه يوضع الشئ الذى بداخله ويتخلص منه . إذا كان الكاهن الناصح أو كاهن الاعتراف هو شخص على دراية بالموقف الانسانى ، فهو يستطيع فى هذه الحالة أن يكون وسيطاً للصفح بالنسبة للشخص الذى يأتى إليه ، أن يكون وسيطاً للشعور بقهر التصدع بين الماهية والوجود. (٢) وهكذا جعل التطبيق الايمانى للمنهج الوجودية مجرد خادم لللاهوت ، جعلها نعمة ، لانقمة ، عليه . لقد ساعدته على أن يكتشف مجدداً التفسير المسيحى للطبيعة الانسانية حقاً ، لقد كتب تلش يقول : "لقد كتب إيما نويل كانط ذات مرة يقول أن الرياضيات هى الحظ الموفق للعقل

1) Ibid., PP. 123-124.

2) Ibid., PP. 124-125.

الانسانى . وعلى نفس النهج أقول إن الوجودية هي الحظ الموفق للاهوت المسيحى ،
لقد ساعدته على إعادة اكتشاف التفسير المسيحى الكلاسيكى للوجود الانسانى ،^(١)

لكن هذا التطبيق الايمانى للمنهج قد طمس حقيقتين اساسيتين إحداهما أن
هناك وجودية مؤمنة، وأخرى ملحدة ، والأخرى هي أن بعض الوجوديين يرفضون
التفسير الذى قدمه هذا التطبيق لطبيعة الاغتراب. وعلى الرغم من أننا نعى أن هاتين
الحقيقتين هما من الواضوح بحيث لا تحتاجان إلى أى تأكيد - بل وسوف نجد تلش
نفسه يؤكدهما بصورة لا تقبل الشك من خلال تطبيقه الالهادى للمنهج - إلا أننا
سنحاول هنا القاء شئ من الضوء عليهما استنادا إلى اقوال الوجوديين أنفسهم وكذا
استنادا إلى اقوال بعض الكتاب فى هذا الصدد ، وذلك لأن إيضاح هاتين الحقيقتين
على هذا النحو سوف يضيف مزيدا من الواضوح على موقف تلش نفسه .

لقد أكد سارتر الحقيقة الاولى عندما كتب يقول : "هناك ... وجوديون ملحدون ،
يجب أن أنكر من بينهم هيدجر والوجوديين الفرنسيين وأنا نفسى ."^(٢) ثم أقرها
ماكورى فى كتابه "الوجودية" واختص منهم سارتر وكامو بالاسم .^(٣) وأكدها ماكورى
فى كتابه "الفكر الدينى فى القرن العشرين" عندما قال : "إن سارتر يرى أن الوجودية
متطابقة مع الالحاد ."^(٤) وتعرض لها من جديد فى مقالته "لاهوت للاغتراب" عندما
كتب يقول : لقد عبر نيتشه عن "احساسه بالطبيعة الغريبة للعالم بعد موت الله
.. ومنذ نيتشه ، عبرت الوجودية الملحدة عن نفس هذه الحالة فى كتاباتها ، فكما يرى
أننا نعيش فى عالم يتسم بالعيب ولا نملك إلا التمرد عليه ... وفى مجال الادب عبرت

1) Tillich, P., Systematic Theology, Vol.2, P.27

2) Sartre, J.P., Existentialism and Humanism, P.26

3) Macquarrie, J., Existentialism, PP.20-21, Penguin Books, 1972.

4) Macquarrie, J., Twentieth-Century Religious Thought, P.358, SCM Press Ltd., London, 1971.

أعمال كراوية 'القلعة' لكافكا ورواية 'فى انتظار الله' لبيكيت عن الإحساس بالغربة فى عالم يتسم بالتفاهة واللامعنى .^(١) ويؤكد آير نفس موقف سارتر الالحادى على النحو التالى: "أن نقطة الخلاف الوحيدة بينى (آير) وبينه (سارتر) ... هى أنه يؤكد بلا هوادة أنه ليست هناك قيم مطلقة تتمتع بالوجود بمعزل عن أحكامنا (أو تقديراتنا). أحيانا يبدو أنه يعنى ضمنا انه لو كان العالم مختلفا عما هو عليه، لو كان هناك إله ، على سبيل المثال، لكان كدس لنا قائمة بأفعالنا الصائبة التى يتعين علينا القيام بها ومن ثم نغنى أنفسنا من مسئولية اختيارها".^(٢) وفى ايضاحه لموقف نيتشة وماركس ، وفرويد، الذين يعدهم تلش من أبرز رواد الوجودية كتب ستيرن يقول : "إن هؤلاء الثلاثة كانوا ملحدين مجترفين ومن ثم رأوا فى الايمان بالله علامة تاريخية على ضعف الانسان وخضوعه، ولهذا قرروا تحريره من هذا الاعتقاد ، عن طريق البرهنة على وهمه وكذا عن طريق التاكيد على أنواع عديدة من أنواع الاعتماد على الذات وتاكيد الذات كبدائل لذلك الاعتقاد ."^(٣) حقا، لقد كتب نيتشه يقول : "إن الحاجة إلى الايمان ... هى دليل على الضعف. وسائر ألوان الضعف ترد إلى ضعف الإرادة. فالانسان المؤمن ، هو بالضرورة نوع ضئيل من الانسان. ومن ثم فإن حرية 'الروح' أعنى ، عدم الايمان باعتباره غريزة (هو الشرط المسبق للعظمة)."^(٤) نحن نرى انه ليس هناك وجودى اعلن "موت الله" ومضى فى تعقب نتائجه أفضل من نيتشة. لقد جعل من "موت الله" الفكرة المحورية التى تدور حولها معظم - ان لم يكن كل -

- 1) Macquarrie, J., 'A Theology of Alienation in Alienation', Concept, Term, and Meanings, P.316, Ed. by Johnson, F., Seminar Press, New York, and London, 1973.
- 2) Ayer, A.J. Philosophy in the Twentieth Century, P.232, Counterpoint, London, Unwin Paperbacks, Boston, Sydney, 1982.
- 3) Stern, J.P., Nietzsche, P.14, Ed. by Kermode, F., Fontana Modern Masters, London. 1978.
- 4) Nietzsche, F., The Will to Power, PP. 505-506, A New Translation by Kaufmann, W., and Hollingdale, R.J., Lowe and Brydone Ltd., London, 1967.

كتاباتة . ففي كتابه " العلم المرح " ، على سبيل المثال، يورد نيتشه خبر "موت الله" على النحو التالي : "هل سمعت عن ذلك المجنون الذى اوقد مشكاة فى الساعات الاولى المضيفة من الصباح، وهرب إلى حيث السوق وصرخ بلا توقف : إننى أبحث عن الله ! إننى أبحث عن الله ! فأتار الضحك بين أولئك الذين لا يؤمنون بالله الواقفين فى السوق آنذاك ... لقد وقف ذلك المجنون فى وسطهم وحدث فيهم بعينه ثم تساءل وهو يبكى : إلى أين ذهب الله؟ وحينئذ بادره أحد الواقفين بقوله : ساخبرك . 'لقد قتلناه' - أنت وأنا قتلناه. نحن جميعا قتلته ألم نسمع بعد ضوضاء أولئك الذين يحفرون القبر من أجل دفن الاله ؟ أما زلنا نشم بعد رائحة تعفن جسد الاله ؟ إن الآلهة تتحلل وتتلفن أيضا. إن الله قد مات. ولسوف يبقى ميتا . ونحن الذين قتلناه. ولا ندرى كيف سنواسى أنفسنا ، نحن قلة القلة ؟ إن ذلك الذى كان أكثر الامور قداسة وقدرة فى نظر العالم قد نزع حتى الموت تحت خناجرنا ... أليست عظمة هذا العمل هى عظمة جدا بالنسبة لنا ؟ ألا يجدر بنا أن نصير نحن آلهة حتى نصبح جديرين بهذا العمل ؟ لم يكن هناك عملا يفوق عظمة هذا العمل، ولهذا السبب سينتمى كل من سيأتى بعدنا إلى تاريخ اسمى من كل التاريخ الذى انقضى حتى الآن ... يقال إن ذلك المجنون لم يجب إلا بقوله : ما عسى أن تكون كل هذه الكنائس القائمة الآن إن لم تكن مقابر واضرحة للاله".^(١) هذا يعنى أن نيتشه يرى أنه كى يكون الانسان جديرا "بقتل الله" يجب أن يصير هو نفسه الها - سويرمان - حتى يكون جديرا بهذا العمل، إنه يجب عليه أن يأخذ كل السلبيات على عاتقه بدلا من أن يركن إلى أى قوة أخرى لان هذه الحالة الاخيرة ليست سوى دليل على الضعف، فالسويرمان هو الانسان الغنى بذاته والمكتفى بذاته فى نظر نيتشه. فى ضوء ذلك نستطيع أن نفهم السبب الذى جعل نيتشه يوجه هذه الدعوة : "لقد ماتت سائر الآلهة : والآن نحن نريد للسویرمان أن يعيش - دعنا نجعل من ذلك أملنا الوحيد إلى أن يتحقق فى

1) Nietzsche, F., The Gay Science, PP. 181-182, Translated by Kaufmann, W., Vintage Books, New York, 1974.

وقت الظهيرة العظيم لأحد الأيام - هكذا تكلم زرادشت .^(١) ولكن من هو الجدير أن تكون هذه الدعوة موجهة إليه ؟ هذه هي إجابة نيتشه : " إننى أكتب إلى طائفة معينة من البشر لم توجد بعد : أكتب إلى 'سادة الأرض' . إن الأديان - باعتبارها سلوى ومبعث علي الاسترخاء ، تتسم بالخطورة : والانسان يؤمن ان أن من حقه - أن يتحرر منها . لقد جاء فى محاورة Theages لافلاطون : 'أن كل واحد منا يود لو أن يسود سائر البشر بل وأن يصير الها إن أمكنه' . هذا الاتجاه يجب أن يوجد من جديد .^(٢) ويعبر نيتشه بصورة أكثر وضوحا عما يعنيه "قتل الله" بالنسبة له عندما يقرر : " ان أعظم الحوادث ... هي أن الله قد مات ، ان الإيمان بالاله المسيحى قد غدا أمرا لا يمكن الإيمان به ... حقا ، نحن معشر الفلاسفة ونووا الأرواح الحرة نشعر ، عندما نسمع انباء موت الاله القديم ، كما لو أن فجرا جديدا قد أشرق علينا ، فقلوبنا تفيض بالعرفان ، والانبهار ، والتوجس ، والترقب ، أخيرا وبعد طول انتظار يبدو الافق حرا من جديد فى اعيننا ، حتى وإن كان لا يستحق أن يكون مضيقا ، أخيرا وبعد طول انتظار يمكن لسفنتنا أن تغامر من جديد من أجل مواجهة سائر الاخطار ، فسائر مغامرات المحب للمعرفة اصبحت مباحة من جديد . فالبحر ، بحرنا ، مفتوح أمامنا من جديد ، وربما لم يكن هناك مثل هذا البحر المفتوح من قبل .^(٣) هذا هو الموقف اللاحادى الذى أخذه نيتشه على عاتقه واقتفى أثره سائر الوجوديين من بعد ، وكانت النتيجة هي رفضهم القول بالماهية الدينية للانسان ، أعنى ، رفضهم لسائر القيم والمعايير . هذه هي الحقيقة الثانية التى يجب علينا تأكيدها ضد التطبيق الإيمانى للمنهج عند نيتشه .

حقا ، لقد ربطت الوجودية الملحدة نزعتها اللاحادية باقرارها للحرية المطلقة وما ذلك إلا لرفضها القول بان هناك ماهية دينية للانسان يمكنه أن يحققها . فالحرية المطلقة فى نظرها ، " تتخذ شكل الرفض لكل دليل على وجود الله لعدم تساوقه مع هذه

-
- 1) Nietzsche, F., Thus Spoke Zarathustra, P.104, Translated by Hollingdale, R.J., Penguin Books, 1961,1969.
 - 2) Nietzsche, F., The Will to Power, P.503.
 - 3) Nietzsche, F., The Gay Science, PP. 279-280.

الحرية^(١) فمع "موت الله" تموت أيضا سائر القيم والمعايير، كما يقول نيتشه، ولا يتبقى للإنسان سوى حرية المطلقة فيصبح خالقًا لقيمته. هذه القيم تظل بلا معيار موضوعي يمكن من خلاله الحكم بصحتها أو بعدم صحتها، ولا تتمتع بأي وجود شرعي. فعلى كل إنسان أن يخترع القيم الشخصية أو الخاصة التي تناسبه. ولقد عبر كوكلمان عن موقف نيتشه في هذا الصدد عندما كتب يقول: "إن موت الله يعني اختفاء كل الأشياء التي كان مفهوم الألوهية مسئولًا عنها في الماضي. فحقيقة الأمر هي أنه مع موت الله يختفي أساس سائر الأحكام الخلقية، وسائر القيم، وسائر مفاهيم الصواب والخطأ، الخير والشر".^(٢) والشئ الوحيد الذي يتبقى للإنسان هو حرية المطلقة التي تهيب به أن يخلق قيمه ومعاييره. يقول نيتشه: "نحن... لا نؤله ذلك الذي هو بحكم طبيعته غير معروف (أو مجهول)... ومن ثم فإن عالمنا الجديد هو: علينا أن نترك إلى أي حد نكون نحن الخالقون لمشاعرنا القيمة - ومن ثم قاسرون على إضفاء معنى على التاريخ".^(٣) هذا الرفض النيتشوي للطبيعة الماهوية أو الدينية للإنسان هو الذي توسع فيه سارتر من بعده وجعل منه محور الارتكاز لموقفه الوجودي كله. يقول سارتر: "إن الوجودية، التي أعدت نفسها أحد ممثليها، تعلن باتساق عظيم أنه إذا كان الله غير موجود فإن هذا يعني أن هناك موجودًا واحدًا على الأقل يأتي وجوده قبل ماهيته... وما ذلك الموجود إلا الإنسان أو، كما يقول هيدجر، الواقع الإنساني. ولكن ماذا نعني بقولنا إن الوجود يسبق الماهية؟ والإجابة هي أن الإنسان يوجد أولاً وقبل كل شيء، ويلقى ذاته وينبثق في العالم - ثم يحدد ذاته فيما بعد. إذا كان الإنسان كما يراه الوجودي ليس محددًا فما ذلك إلا لأنه في البدء لا يكون

1) Masterson, P., *Atheism and Alienation*, P. 132, Gill and Macmillan, 1971.

2) Kockelmans, J.J., "The Challenge of Nietzsche's 'God is Dead'", *The Great Year of Zarathustra (1881-1981)*, PP.64-65, Ed. by Goicoechea, D., Univ. Press of America, Langham, New York, London, 1983

3) Nietzsche, F., *The Will to Power*, P.523.

شيئا، ولن يكون شيئا إلى حين ، وعندئذ سوف يكون ما يصنعه بنفسه. وهكذا، ليست هناك طبيعة انسانية ، وذلك لأنه ليس هناك إله ليقيم تصورا لها ... إن الانسان ليس سوى ما يصنعه بنفسه .^(١) لقد ربط سارتر هذا الرفض للقول بالماهية الدينية للانسان بالحرية المطلقة على النحوالتالى : " لقد حكم على أن أكون ولابد فيما وراء ماهيتى، فيما وراء بواعث وبوافع فعلى . لقد حكم على أن اكون حرا . وهذا يعنى أنه ليست هناك حدود لحررتى خلاف حررتى نفسها او، أن شئت، نحن لسنا احرارا فى أن نكف عن أن نكون احرارا .^(٢) هذه الحرية السارترية لا تعرف اذن أى عوائق او قيود . وهى تكون مقترنة بوما " برفض القول بالطبيعة الانسانية العامة ومن ثم بإنكار وجود الله باعتباره المبدع الذكى للطبيعة الانسانية.^(٣) حقا ، لقد أكد سارتر " انه حتى لو كان الله موجودا فلن يكون هناك ثمة فارق .^(٤) وذلك لأنه " سواء كان الله موجودا ام لا فان ذلك لا يهم حيث ان الامر الوحيد الذى يهم هو التسليم بان الانسان هو حرية مطلقة وهو لا يرغب تحت سائر الظروف سوى هذه الحرية . وهذا يستلزم أنه حتى لو عرف الانسان نفسه انه مخلوق ، انه موجود هر مخلوق ، سيتخذ موقفا ثابتا مؤداه انه عبو الله وانه مستقل تماما عنه .^(٥) هذا بالاضافة إلى انه يرى أن فكرة الله هى فكرة متناقضة:^(٦) وهو "مقتنع تماما أن وجود الله يبرهن على انه غير متساق مع هذا التصور للحرية الانسانية ... فاذا ما تصورنا أن الله هو الخالق فنحن نتصوره على انه خارق للطبيعة. فكما ينتج الفنان قاطعة الاوراق طبقا لتعريف وصيغة محددة سلفا ، كذلك يكون كل فرد هو عبارة عن تحقق لتصور معين يقطن فى الفهم الإلهى. والنتيجة المترتبة على هذه النظرة هى أن الوجود الانسانى ، وكذا

1) Sartre, J.P., Existentialism and Humanism, PP. 27-28

2) Sartre, J.P., Being and Nothingness, P.439, Translated by Barnes, H.E., Methuen and Co. Ltd, 1943.

3) Masterson, P., Atheism and Alienation, P.132.

4) Sartre, J.P., Existentialism and Humanism, P.56.

5) Masterson, P., Atheism and Alienation, P.133.

6) Sartre, J.P., Being and Nothingness, P.615.

الحرية الانسانية ، يكون مطوقا ومحددا بالطبيعة الانسانية التي وضعها الله . والسبيل الوحيد امام الانسان كي يوجد وجودا اصيلا يكون من خلال مجاراته للمفهوم الذي يقدمه الله عن الانسان . وهكذا يكون إبداع الحرية الانسانية مسلويا .^(١) نخلص من كل ذلك إلى أن سارتر يرى " أن البشر ليسوا شيئا آخر سوى ما يختاروا أن يصيروا إليه وأن ماهيتهم تكمن فيما يختاروا أن يفعلوه ."^(٢) فليست هناك ماهية دينية مسبقة يمكن للناس أن يتصرفوا في ضوئها لأنه ليس هناك اله يمكن القول عنه انه الخالق لتلك الماهية . ولقد سار هيدجر على نفس هذا المنوال ، وكان سؤاله الرئيسي هو : " متى وكيف تتحدد ماهية الانسان ؟"^(٣) وكانت اجابته على النحو التالي : إن ماهية الديرزين Dasein تكمن في وجوده ."^(٤) وهذا يعنى بالنسبة له أن الديرزين ليس سوى ما يفعله . فهو يرى ، كما يقول ستينر ، " انه ليس هناك شيء اسمه ماهية قبلية مؤكدة للانسان ... فالانسان يحقق ماهيته ، انسانيته ، في عملية 'الوجود' ، وهو يفعل ذلك من خلال وضع وجوده موضع التساؤل ، من خلال وضع وجوده الخاص موضع تساؤل ."^(٥) هذا الرفض للمبدأ القائل أن هناك طبيعة ماهوية أو دينية محددة سلفا للانسان هو السبب الذي جعل هيدجر ، كما يقول بارت ، " يتحاشى دوماً استخدام مصطلحات مثل الانسان ، الانساني ، الوجود الانساني ، التي قد تدل على الفكرة التقليدية التي مؤداها أن هناك طبيعة انسانية محددة . وهو يستعيز عن ذلك

1) Masterson, P., Atheism and Alienation, PP. 133-134.

2) Sartre, J.P., Sketch for a Theory of the Emotions, Translated by Mairet, P., Preface, by Warnock, M., P.13, London, Methuen and Co. Ltd., 1962.

3) Heidegger, M., 'Letter on Humanism', Martin Heidegger Basic Writings From Being and Time (1927) to the Task of Thinking (1964), P.200, Ed. by Krell, D.F., Routledge and Kegan Paul, London and Henley, 1977.

4) Ibid., P.205.

5) Steiner, G., Heidegger, P.80, Fontana Modern Masters, Great Britain, 1978.

باستخدام كلمة 'الديزاين'؛ ذلك المصطلح الفلسفي الالمانى الشائع الذى يدل على الوجود ، والذى يقصده هيدجر من وراء ذلك هو الاحتفاظ بمعناها الحرفى الذى هو الوجود هناك Sein Da . فالانسان، فى رأى هيدجر، هو السيد الموجود هناك Mr. being there أعنى أن الانسان يوجد دائما فى موقف، وهو لا يعنى نفسه إلا فى عالم ، ومحاط بأوضاع مصطنعة لم تكن من صنعه هو نفسه .^(١) هذا يعنى أن هيدجر يرى أن " الانسان ليس له ماهية محددة تطلق فوق أوضاع وجوده الرئيسية التى لا يمكنه الفكك منها ، وانه ليس هناك اساس للاحكام القيمية خلاف القرار الشخصى ."^(٢) فى ضوء هذا العرض المختصر يتأكد لنا أن هناك ، على عكس ما يزعم التطبيق الایمانى لمنهج تلش ، وجودية ملحدة وان هذا الوجودية ترفض القول بالماهية الدينية للانسان.

والآن ، هل يقر تلش ، رغما عن تطبيقه الایمانى للمنهج، أن هناك وجودية ملحدة، وان هذه الوجودية تنكر القول بالماهية الدينية للانسان ؟ نحن نرى أن الاجابة على هذين السؤالين هى بالایجاب ، ولكونها كذلك فهى تشكل بؤرة تطبيقه الالحادى للمنهج . ففى كتابه " الشجاعة من اجل الوجود " كتب تلش يقول : " على اساس الرسالة التى مؤداها أن الله قد مات تخلع الوجودية على الانسان 'الاكتفاء الذاتى' (او 'الغنى الذاتى') الالهى ."^(٣)

Existentialism, on the basis of the message that God is dead gives man the divine 'a-se-ity'.

ان هذه العبارة تؤكد وبما لا يدع مجالا للشك أن تلش لا يقر أن هناك وجودية ملحدة فحسب، بل يجعل الوجودية فى مجملها ويسائر ممثليها مرادفة للالحاد. فهى تعلن "قتل الله" وتحل محله "الوهية" الانسان ، إن صح التعبير . هنا نتأكد لنا ملاحظتنا التى اوردناها فى المقدمة والتى نقول ان ظهور كتاب "الشجاعة من اجل الوجود" فى نفس الفترة الزمنية التى صدر فيها المجلد الاول من "اللاهوت النسقى" لم يكن من

-
- 1) Barrett, W., What is Existentialism, P.26, PR. Series, No.2, Copyright 1947, Partisan Review, U.S.A.
 - 2) Schacht, R., Alienation, P.204.
 - 3) Tillich, P., The Courage to Be, P.149, Collins, The Fontana Library, Theology and Philosophy, Collins Clear-type Press, London and Glasgow, 1952.

قبيل الصدفه على الاطلاق . لقد قدم تلش فى هذا المجلد الاخير تطبيقه الايمانى للمنهج ثم راح فى نفس الوقت يقدم تطبيقه الالحادى فى الكتاب الاول وما ذلك إلا انطلاقا من انقسامه إلى النصف ، و النصف ، النقيض ، والنقيض ، الايمان، والالحاد . وفى كتابه "الشجاعة من أجل الوجود " جعل تلش الوجودية فى مجملها مرادفة للالحاد . ثم قدم التحليلات الالحادية التى قدمها الوجوديون الملاحدة للزمة الانسانية باعتبارها تحليلات موضحة - وذلك طبقا للقاعدة المنهجية التى تقول ان تلش يشيد مفهومه فى الاغتراب استنادا إلى التحليلات التى قدمها الوجوديون للزمة الانسانية - للمفهوم الالحادى للاغتراب الذى يشيده تلش الملحد ، والذى ستكشف عنه الدراسة فى الفصول التالية . لقد استحال على تلش أن يفعل ذلك بوضوح فى كتابه "اللاهوت النسقى " كما استحال عليه تقديمه بصورة مباشرة حتى فى كتبه الاخرى . فلجأ إلى الاتصال غير المباشر ، اعنى ، إلى تقديم مفهومه الالحادى للاغتراب على لسان الوجودية الملاحدة وذلك طبقا لقاعدته المنهجية التى خولت له تقديم هذه التحليلات باعتبارها معبرة عن موقفه هو .

إذا كان تلش قد جعل الوجودية مرادفة هكذا للالحاد ، فان هذا يعنى انه يجد عند سائر ممثليها تأكيدا على " موت الله " وموت سائر القيم والمعايير ، ورفضاً للقول بالماهية الدينية للانسان . هذا هو ما اكده تلش فى كتابه " توقع سياسى " ، على سبيل المثال ، وذلك فى معرض ايضاحه لمعنى " النزعة الانسانية Humanism " ، ومعنى "اليوتوبيا Utopia" . يقول تلش : " اننى إذا حاولت أن اجعل النزعة الانسانية؛ تلك الكلمة التى ساء استخدامها كثيرا، تسترد عظمتها واهميتها ، فلربما امكننى أن اقول: ان النزعة الانسانية هى الايمان بان الانسان محدد بماهيته ، التى لم تفقد كلية والتى تظل يوما كحكم وكمعيار ضد الوجود حتى فى ظل أكثر صور الوجود انحرافا . إن كل نمط سياسى (وكل اتجاه) يخلو من هذا المبدأ المتعلق بماهية الانسان يكون نمطا مدمرا بالضرورة. هذا الحديث هو ايضا وفى نفس الوقت حديث عن اليوتوبيا . فمن

الايمان بماهية الانسان ؛ ب تلك الماهية التي ظلت باقية على مر العصور، ينبثق المعيار الذى تقدمه اليوتوبيا باعتباره صورة مسقطة على المستقبل: ^(١) هذا يعنى أن تلش يرى " أن مفهوم اليوتوبيا يعتمد على التمييز بين ما يجب وما يمكن أن يكون عليه الانسان ، وبين ما هو عليه بالفعل من الناحية الوجودية . " ^(٢) من هنا يمكن القول أن كلمة يوتوبيا ، مثلها فى ذلك مثل كلمة النزعة الانسانية، تعنى فى رايه الايمان بان هناك طبيعة ماهوية او دينية للانسان يمكنه أن يحققها وبالتالي يقهر اغترابه عنها . ^(٣) فى ضوء هذا الايضاح كتب تلش يقول : " إن الوجودية ليست نزعة انسانية ، ونفس الامر ينطبق على لاهوت بارث عندما تتحقق مبادئه بطريقة متطرفة. " ^(٤)

Existentialism is not a humanism; nor is Barthian theology when its principles are carried through in a radical way.

والنتيجة التى يرمى اليها من وراء ذلك هى أن الوجودية بسائر ممثليها تنكر القول بالماهية الدينية للانسان وذلك لانها ليست نزعة انسانية - باعتبار أن النزعة الانسانية تحتم الايمان بالماهية الدينية للانسان . نفس هذه النتيجة يجدها تلش ، كما يقول فى نصه السابق، منطبقة على لاهوت بارث وذلك فى حالة فهم مبادئه بطريقة متطرفة او بالاحرى الحادية .

هذه الملاحظة الاخيرة تثير ملاحظة اخرى على قدر كبير من الاهمية بالنسبة لهذه الدراسة. هذه الملاحظة تتعلق باستخدام تلش للصفة متطرف التى سنراه يستخدمها فى عبارات اخرى كثيرة ، بدلا من الصفة الحادى . هذا الاستخدام يرجع

1) Tillich, P., 'The Political Meaning of Utopia', Political Expectation, P.137, Translated by Court, W.R. Bense, W., and Adams, J.L., Ed. by Adams, J.L., Univ. Press of America, Lanham, New York, London, 1971.

2) Ibid., P. 141.

3) Ibid., PP. 136-141.

4) Ibid., P.137.

فى راينا إلى سببين ، احدهما هو أنه يريد صرف الانتظار عن رايه الذى يجعل الوجودية بسائر ممثليها مرادفة للالحاد ، والآخر هو أن الصفة متطرف تنقل بصورة اكثر دقة اقتناعه أن كل وجودى منقسم إلى نصف ايمانى ، ونصف الحادى . فالصفة الحادى لا تعبر إلا عن نصف واحد فقط ، أما الصفة متطرف او راديكالى فتصلح للتعبير عن كلا النصفين.

هذا التأكيد على أن الوجودية بسائر ممثليها تؤكد على " موت الله " ومعها سائر القيم والمعايير ينكشف بصورة أكثر وضوحا من خلال نص تلش التالى الذى يقول : " ان البراجماتيين ينتمون بشدة إلى الوجوديين غير انهم يختلفون عنهم فى نفس الوقت ، وارىد هنا أن اقرر شيئا عنهم من واقع تجربتى فى امريكا . فهذه المجموعة البراجماتية ترى أيضا انه ليست هناك معايير : فالمعايير هى ابوات براجماتية نستفيد منها فى كل لحظة ، وعندما تصبح غير قابلة للاستخدام ، تطرح جانبا على الفور . لقد حدثت مناقشة بينى وبين هؤلاء البراجماتيين ، كما حدثت مناقشات اخرى بين البراجماتيين ومشايعين آخرين للنزعة الانسانية النقدية . ولقد اوضحت نتائج تلك المناقشات انه لو كان البراجماتيون متسقين لنبنوا المعايير ، الخلقية والسياسية (فى هذه الحالة) كما هو الحال عند الوجوديين - وكما هو الحال عند النازيين ، الذين جعلوا المعيار متطابقا تماما مع واقع بيولوجى ، كالامة ، ومن ثم اختفت المعايير النقدية المفارقة (او المتعالية Transcendental) (١)

ولعل اوضح الادلة التى قدمها تلش على اقتناعه التام بان سائر الوجوديين يتسمون بالالحاد قد جاء فى النص التالى الذى يرادف فيه الوجودية والبراجماتية واحد اتجاهات المذهب الطبيعى ، أعنى ، المذهب الطبيعى الرومانتيكى. (٢) يقول تلش : "ان هؤلاء المفكرين يرون أن استرداد الماهية يعد امرا مستحيلا وذلك لانه ليس هناك وجود اصيل للانسان ، ليست هناك 'ماهية' سقط منها . فما نراه على انه سقوط للانسان يروونه على انه الانسان نفسه ، ويؤمنون أن كل من يعتقد أن حالة الانسان هى

1) Ibid., PP. 137-138

(٢) ان السر فى هذا الترادف سنكشف عنه فى هذا الفصل فيما بعد.

حالة 'سقوط' يرتكب منذ البداية خطأ فلسفيا. ان قول سارتر 'ان ماهية الانسان هي وجوده' - هذا إذا اخذ على محمل الصواب ولم يفسر بطريقة خاطئة تجعله متجردا عن الواقع ومن ثم لا يتسم بالضرر- لا يقل في الاهمية عن اعلان نيتشه ان الله قد مات في الحضارة الحديثة. فكلاهما يقول إنه لم يعد هناك عالم من القيم التي يتعين اعتناقها ، لم تعد هناك بنية اصيلة وخيرة للوجود. ذلك هو ما عناه نيتشه عندما اعلن أن الله قد مات ، ولذا يعد ، بمعنى ما ، ابو الفلسفة الوجودية . ان موت الله لم يكن فكرة طفولية للمحد احمق ، فنيتشه لا يمكن أن يفسر بهذه الطريقة العبثية . ان موت الله يعنى ، بالاحرى ، أن نسق القيم الذي يضرب بجذوره في فكرة الله قد انهار وان على الانسان بالتالى أن يخلق قيما جديدة تنبثق عن وجوده . ومع ذلك ، فان هذه القيم لا تكتسب اى شرعية، وتظل بلا اى معيار. وقول سارتر ان وجود الانسان هو ماهيته يعنى أن الانسان يخلق ماهية لنفسه في كل لحظة من لحظات وجوده . نستنتج من ذلك انه ليست هناك يوتوبيا ، وسوف تجد عند سائر الوجوديين ومن هم على شااكلتهم وحيثما تعتنق هذه المبادئ بجدية متطرفة (او الحادية) غيابا كاملا لليوتوبيا: (١)

بدلا من المضى قدما في تقديم مزيد من النصوص التي تؤكد كيف أن تلش يرى أن الوجودية ، بسائر ممثليها، مرادفة للالحاد ، نريد أن نقدم شيئا من التعديل لموقفه. ولكن قبل اجراء هذا التعديل ، نود ، توخيا للوضوح ، أن نلخص اولا الفارق بين التطبيق العملى الايمانى والعلنى لمنهج تلش ، وبين تطبيقه العملى الالهادى والخفى فى النقاط التالية. اولا : إذا كان التطبيق الايمانى يجعل الوجودية ، بسائر ممثليها ، وجودية مؤمنة، فان التطبيق الالهادى يجعل الوجودية، بسائر ممثليها، مرادفة للالحاد. ثانيا: إذا كان التطبيق الايمانى يجعل الوجودية، بسائر ممثليها ، تتفق مع تلش المؤمن على أن الاغتراب هو واقعة عامة وهو ايضا وفى نفس الوقت اغتراب عن الماهية الدينية

(1) Ibid., P. 136.

للإنسان ، فإن التطبيق الالحادى للمنهج قد جعل الوجودية باعتبارها مرادفة للالحاد تتفق مع تلش الملحد على أن الاغتراب لا يشير إلا إلى الإنسان نفسه وذلك لعدم وجود ماهية دينية يمكن أن يقال إن الإنسان "سقط" منها . ثالثا : مثلما أن تلش المؤمن يشيد مفهومه الايمانى للاغتراب فى ضوء ما قدمته الوجودية المؤمنة (وبالتالى التفسير المسيحى للطبيعة الانسانية) من تحليلات للموقف الانسانى ، فإن تلش الملحد يشيد مفهومه الالحادى للاغتراب فى ضوء ما قدمته الوجودية باعتبارها مرادفة للالحاد من تحليلات الحادية لهذا الموقف . اننا يجب أن نتذكر يوما أن منهج التضاييف عند تلش يحتم عليه تشييد مفهومه فى الاغتراب فى ضوء التحليلات التى قدمتها الوجودية للارزمة الانسانية. وما دام قد ثبت لنا أن الوجودية عند تلش مرادفة للايمان تارة ، ومرادفة للالحاد تارة اخرى ، فإن هذا يعنى أن تلش المؤمن يعتمد على التحليلات التى قدمتها الوجودية المؤمنة، وان تلش الملحد يعتمد على التحليلات التى تقدمها الوجودية الملحدة. لهذا السبب سوف نراه فى الفصول التالية يقدم مفهومين للاغتراب ، لا مفهوم واحد، احدهما ايمانى ، والآخر الحادى. الاول يقتضى اجابة ايمانية ، والآخر يقتضى اجابة الحادية، وهذا هو موقف النصف (النقيض)، والنصف (النقيض) عنده ، وهذه هى ايضا النتيجة التى يسوق إليها منهج التضاييف .

ان الحاجة إلى تعديل موقف تلش تنبثق عن حقيقة مؤداها أن تفسيره للوجودية على انها مرادفة للايمان تارة ، ومرادفة للالحاد تارة اخرى يعد اجحافا لكليهما . لقد قدم تلش هذا التفسير نظرا لايمانه أن كل فيلسوف وجودى منقسم إلى نصف مؤمن، ونصف ملحد. ولكن هذا التفسير جاء على حساب اغفاله للحقيقة التى تؤكد على أن هناك وجودية مؤمنة ، واخرى ملحدة . ولهذا سوف نحاول أن نجعل تلش يقدم تمييزا قاطعا بين الوجوديتين ، حتى يضع الوجودية المؤمنة فى جانب ، والوجودية الملحدة فى جانب آخر. هذه القسمة تتطوى على عدة مزايا ندرجها فى النقاط التالية .

أولا : انها ستساعدنا على رد الوجودية المؤمنة (ومن ثم التفسير المسيحى للطبيعة الانسانية) إلى تطبيقه الايمانى للمنهج، ورد الوجودية الملحدة (ومن ثم التفسير الالحادى للطبيعة الانسانية) إلى تطبيقه الالحادى، وعلى هذا النحو نكون قد قدمنا

شيناً من الانصاف لكلا الوجوبيتين. ثانياً: أن هذه القسمة ستساعدنا على إبراز الصراع الذى يقيمه تلش بين هاتين الوجوبيتين المتناقضتين بصورة أكثر وضوحاً. ثالثاً: أنها ستساعد على اضافة مزيد من الوضوح على موقف النصف، والنصف عند تلش.

ولكن هل يقبل تلش هذه القسمة؟ والاجابة على هذا السؤال هي، بالطبع، بالإيجاب فهو يقول: " أن الوجوبية تنقسم إلى تيارين فكريين أحدهما لاهوتى متطرف والآخر متطرف وعدو للاهوت (أى ملحد)".^(١)

There are thus two Currents of thought, one radically theological and one radically antitheological- existentialist.

هذه العبارة توضح تماماً أن تلش يقسم الوجوبية إلى تيارين فكريين، التيار الأول هو الذى يطلق عليه اسم التيار اللاهوتى المتطرف، وهو يصف هذا التيار بالتطرف نظراً لإيمانه أن كل وجوبية تضم عنصراً الحادياً. هذا التيار يتزعمه كيركيجورد، وذلك مصداقاً لقوله أن " كيركيجورد يمثل الجناح الدينى للفلسفة الوجوبية".^(٢) وهو - التيار - متساق مع التطبيق الإيمانى (أو مع التفسير المسيحى للطبيعة الانسانية) لمنهج تلش والذى يوضح أن سائر الوجوبيين يتفقون على أن الاغتراب واقعة عامة وهو أيضاً وفى نفس الوقت اغتراب عن الماهية الدينية للإنسان ومن ثم لا يمكن قهره إلا من خلال الدين المسيحى، كما أنه متساق مع قوله الذى ورد فيما سبق والذى مؤداه: " أن باسكال يستمد اجاباته من أوغسطين، وكيركيجورد من لوثر، ومارسيل من توما، وديستوفسكى من الارثوذكسية الاغريقية". هذا يعنى، باختصار، أن هذا التيار يضم فى رأى تلش المؤمن باسكال، وكيركيجورد، ومارسيل، وديستوفسكى.

أما التيار الآخر فهو التيار الملحد أو المعادى للاهوت، على حد قول تلش. هذا

1) Ibid., P.137.

2) Tillich, P., 'Existential Philosophy : its Historical Meaning'; Theology of Culture, P. 109.

التيار يتزعمه نيتشه الذي يقول عنه تلش انه " الملحد الشهير والعدو اللدود للدين والمسيحية ".^(١) كما يضم ايضا هيدجر وسارتر اللذان يقول عنهما تلش " انهما لا يقدمان شيئا ايجابيا في مواجهة تحليلاتهم السلبية للوجود ".^(٢) حقا ، لقد اكد تلش على أن وجودية سارتر هي "وجودية خالصة Pure existentialism".^(٣) والذي يقصده من ذلك هو أن هذه الوجودية هي وجودية ملحدة ، وذلك لان الوجودية الخالصة هي بالتأكيد الوجودية الملحدة. لقد اكد ماكورى ، على سبيل المثال، هذه الحقيقة عندما قرر : "عندما نصل إلى الوجوديين الملحدين الصرحاء امثال سارتر وكامو، فإن الامر يبدو وكأننا قد وصلنا إلى الوجودية في شكلها الخالص ، وذلك لان معارضة هذين الرجلين لسائر المزاعم الدينية، تأتي على ما يبدو من وازع انهما يؤكدان الاستقلال الكامل والمسئولية المطلقة للفرد".^(٤) نفس هذه الحقيقة اكدها كوكلمان على النحو التالي : بعد موت الله بدا العالم في نظر نيتشه لا معنى له " إلى حد انه كرس حياته كلها من اجل محاولة ايجاد معنى في رحاب وجود انساني خالص".^(٥) يتضح من ذلك أن الوجودية الخالصة هي، كما توضح العبارتان السابقتان، الوجودية الملحدة. هذا المعنى نراه كامنا في عبارة تلش السابقة ، فهو يعلم تماما أن الوجودية الخالصة هي الوجودية الملحدة لانه لو لم يكن يعلم ذلك لما اعلن في موضع آخر " أن الوجودية الخالصة لا يمكنها أن توجد".^(٦)

-
- 1) Tillich, P., 'The Escape from God', The Shaking of the Foundations, P.50.
 - 2) Tillich., P., 'The Political Meaning of Utopia' , Political Expectation, P.135.
 - 3) Tillich, P., 'The Theological Significance of Existentialism and Psychoanalysis', Theology of Culture, P. 121.
 - 4) Macquarrie, J., Existentialism, PP. 20-21.
 - 5) Kockelmans, J.J. " The Challenge of Nietzsche's 'God is Dead'", The Great Year of Zarathustra (1881-1981), PP. 64-65.
 - 6) Tillich, P., 'Relation of Metaphysics and Theology', The Review of Metaphysics , a Philosophical Quarterly , Vol. X , No. 1, Issue No. 37 (September, 1956), P.63.

Existentialism in Purity cannot exist

فهذه العبارة تؤكد تماما أن تلش يعلم حق العلم أن الوجودية الخالصة هي الوجودية الملحدة. هذه الوجودية لا يمكنها أن توجد لسببين سبق الإشارة إليهما. السبب الأول - وهو متضمن في تطبيقه الإيماني للمنهج - يرجع إلى أنه يستحيل عليها أن تغفل العنصر الديني أغفالا تاما. أما السبب الآخر فهو أن رد فعل اللاهوت المسيحي المسيطر في الغرب لن يفضي في النهاية إلا إلى تقويضها والقضاء عليها. هذا السبب الأخير سوف يؤكد تلش مرارا في هذه الدراسة. في ضوء ذلك يتأكد لنا أن الوجودية الملحدة تضم في رأي تلش كلا من نيتشه، وسارتر، وهيدجر الذي يعده تلش أكثر الوجوديين تطرفا^(١) أو بالأحرى الحاداء، وفرويد الذي سيفرد له تلش كما سوف نرى، مكانا خاصا في مفهومه للاغتراب. هذه الوجودية الملحدة تؤكد مع تلش الملحد - وذلك طبقا للقاعدة المنهجية التي تقول أن مضمون مفهومه في الاغتراب متطابق مع التحليلات التي قدمتها الوجودية للموقف الإنساني - أن الاغتراب ليس هو اغتراب عن الماهية الدينية للإنسان لأنه ليس هناك شيء يمكن أن يسمى باسم الماهية الدينية للإنسان بحيث يمكن القول إن الإنسان قد "سقط" منها. فالاغتراب يشير إلى الإنسان نفسه سواء في حالته الماهوية أو حالته الوجودية لأن كلتا الحالتين تشيران إلى حالة واحدة هي الإنسان نفسه وذلك لأنه ليس هناك شيء اسمه الماهية الدينية للإنسان.

بعد أن جعلنا تلش يقسم الوجودية هكذا إلى نصف إيماني، ونصف الحادي، سوف نحاول أن نكتشف فيما يلي كيف أنه قسم نفسه إلى نفس النصفين، وكيف أن نصفه الإيماني قد دفعه إلى بيان أوجه القصور عند الوجودية الملحدة، وكيف أن نصفه الألحادي قد دفعه إلى بيان أوجه القصور عند الوجودية المؤمنة. وذلك انطلاقا

1) Tillich, P., 'The Theological Significance of Existentialism and Psychoanalysis', Theology of Culture, P.121.

من ايمانه بالحاجة إلى كليهما معا، وسوف نبدأ ببياننا لأوجه القصور عند الوجودية الملحدة، وذلك لأن تلش المؤمن قد وجه نقده للوجودية الملحدة بطريقة مباشرة أو علنية.

ان اوضح الادلة على أن تلش لم يوجه نقده للوجودية الملحدة إلا انطلاقاً من مصفه الايماني قد ساقه لنا في النص التالي الذي اوردنا جزء منه في معرض ايضاحنا لتطبيقه الايماني للمنهج، والذي يقول: "والآن كيف يمكن تطبيق الاحكام اللاهوتية على علم نفس الاعماق والوجودية (اللذان هما شيء واحد في واقع الامر). ان العلاقة بين الطبيعة الماهوية للانسان وبين ازمتة الوجودية هي السؤال الرئيسي الذي يطرحه اللاهوت عندما يواجه التحليلات الوجودية وكذا التحليلات التي قدمها التحليل النفسي، ففي العرف المسيحي هناك ثلاثة مفاهيم اساسية. اولاً:

Esse Qua esse bonum est. هذه العبارة اللاتينية تعد عقيدة رئيسية في المسيحية، انها تعني 'ان الوجود من حيث هو وجود يتمتع بالخير' او باللغة الاسطورية للتوراة: 'ان الله رأى كل شيء صنعه، وقال لقد كان خيراً'. والمفهوم الثاني: هو السقوط العام - السقوط يعني التحول من هذا الخير الماهوي إلى الاغتراب الوجودي عن ذات المرء، وهو يحدث في داخل كل موجود حتى في كل زمان، اما المفهوم الثالث فيشير إلى امكانية الخلاص. هنا يجب أن نتذكر أن الخلاص Salvation مشتق من الكلمة اللاتينية Salvus أو Salus التي تعني 'الشفاء' او 'المعافاة'، باعتبارها معارضة للتمزق. هذه الاعتبارات الثلاثة للطبيعة الانسانية حاضرة في كل تفكير لاهوتي أصيل: الخير الماهوي، والاغتراب الوجودي، وإمكانية شيء ما، شيء ثالث، فيما وراء الماهية والوجود، يتم من خلاله قهر التصدع بينهما. هذا يعني، بتعبير فلسفي، أن الطبيعة الماهوية والوجودية تشيران إلى الطبيعة الغائية Teleological (وهي مشتقة من Telos، أي الغاية، التي لاجلها ونحوها تتدفع الحياة). إذا لم تميز بين هذه العناصر الثلاثة الحاضرة في كل انسان، سوف تقع

فى أغاليط لا حصر لها. ان كل نقد للوجودية والتحليل النفسى فى ضوء هذه النظرة الثلاثية للطبيعة الانسانية يكون موجها ضد طمسهما لهذه العناصر الثلاثة الاساسية التى يتحتم يوما التمييز بينها على الرغم من انها حاضرة جميعا فى داخل كل واحد منا.^(١) فى ضوء التفرقة التى اجريناها بين التطبيق الايمانى، والتطبيق الالحادى للمنهج عند تلش، وفى ضوء تفرقته بين الوجودية المؤمنة، والوجودية الملحدة، يجب أن يكون واضحا أن المقصود من هذا النص هو أن تلش المؤمن يشارك الوجودية المؤمنة ومن ثم اللاهوت المسيحى فى نقده للوجودية الملحدة وذلك لأن هذه الوجودية الاخيرة هى وحدها، وكما سنرى تفصيلا فيما بعد، التى تطمس او بالاحرى ترفض القول بالماهية الدينية للانسان. صحيح أن تلش لا يفرق فى هذا النص بين هاتين الوجوديتين. غير أن السبب فى ذلك يرجع بالطبع إلى اعتقاده أن الوجودية المؤمنة، مثلها فى ذلك مثل الوجودية الملحدة، ترفض القول بالماهية الدينية للانسان. حقا، لقد اكد تلش هذا الموقف بصورة اكثر وضوحا عندما قرر أن الوجودية "قد تخلت عن القول بالماهية الانسانية... وترتب على ذلك أن معايير الافعال السياسية (والخلقية) قد اصبحت فى نظرها مستحيلة"^(٢) فهنا لا يفرق تلش، وكما هى عادته دائما، بين الوجوديتين، والامر الذى يهدف إليه من ذلك هو انه يريد أن يقول بخفاء شديد أن نفس الامر ينطبق على كلا الوجوديتين، لكن فى ضوء التفرقة التى اجريناها يجب أن يكون واضحا أن الوجودية الملحدة هى وحدها التى تتبنى هذا الموقف، ومن ثم يكون النقد الذى يوجهه تلش هنا موجها ضد الوجودية الملحدة فقط. انه يشارك الوجودية المؤمنة وكذا اللاهوت المسيحى فى نقده لهذه الوجودية. والدليل على ذلك هو أن تلش لم يوجه نقده اللاهوتى - وذلك فى المقال الذى اقتبسنا منه نصه المطول السابق والذى

1) Ibid., PP. 118-119.

2) Tillich, P., 'The Political Meaning of Utopia', Political Expectation, P.137

يسمى " الأهمية اللاهوتية للوجودية والتحليل النفسى " - إلا إلى سارتر، وهيدجر، وفرويد، وهم جميعا من ممثلى الوجودية الملحدة.

فحسن موقوف فرويد ، كتب تلش اللاهوتى يقول : " أن الانسان ، فى رايه ، (هو) (١) ليبدو (٢) لا متناهى ولا يشبع ابدا ، ولكونه كذلك فانه يقضى إلى الرغبة فى التخلص من الذات، إلى الرغبة التى اسمها فرويد غريزة الموت . هذا لا يصدق على الفرد فحسب ، بل يصدق ايضا على علاقة الانسان بالحضارة فى مجملها " (٣) هذه الرؤية الفرويدية هى فى راي تلش اللاهوتى رؤية الحادية وذلك لان فرويد الملحد وجدها منطبقة على الحالة الوجودية والماهوية للانسان معا وفى نفس الوقت. هذا يعنى، بتعبير آخر ، أن فرويد يعرف نوعا واحدا من الانسان هو ذلك الذى وصفه تلش فى نصه السابق . وسواء قلنا انه يصف الانسان الوجودى أو الماهوى (الدينى) ، فان الامر واحد عند فرويد بمعنى انه لا يعرف انسانا آخر غير هذا الانسان ، ولقد عبر تلش عن ذلك بكل وضوح عندما كتب يقول : "فى ظل غياب مذهب الخير الماهوى ، يتطابق الانسان مع اللبدو اللامتناهى ومع الياس من الحياة باعتباره النتيجة الضرورية لذلك التطابق ، ومن ثم يغدو الشفاء الكامل امرا مستحيلا. ان فرويد على صواب فى دمج

(١) لقد أخطرنا إلى كتابة ما بين القوسين نظرا لأن هناك خطأ لغوى فى النص الأصلى. فالنص

يقول Man, according to him, as infinite libido

والمقصود هو فعل الكينونة is بدلا من as التى جاءت فى الجملة .

(٢) يشير اللبدو إلى " سائر الطاقات والرغبات الغريزية المشتقة من هذا " Id.

The New Hamlyn Encyclopedic World Dictionary, P.960, The Hamlyn Publishing Group Ltd., 1971.

والهذا هو ذلك " الجزء من النفس الكامن فى اللاشعور وهو مصدر الطاقة الغريزية ، والذى تتعدل بواقعه ، التى تتشد الإشباع طبقا لبدأ الرغبة أو اللذة ، بواسطة الأنا والسوبر أنا وذلك قبل تحققها فى الواقع الخارجى. " Ibid., P. 819

3) Tillich,P., 'The Theological Significance of Existentialism And Psychoanalysis', Theology of Culture, P 119.

لذهبه في الليبيو بعهذه في غريزة الموت سواء بالنسبة للفرد او بالنسبة للحضارات، ولكن خطأ يكمن في قوله إن ذلك يعبر عن طبيعة الانسان الماهوية (لاعت طبيعته الوجودية المتشوهة)^(١) هذا يعنى أن فرويد قد طابق في رأى تلش بين الحالة الدينية للانسان وبين حالته المغترية وجعل الحالتين تشيران إلى حالة واحدة هي حالة الليبيو الذى لا يشبع ابدا والذى ، لكونه كذلك، يفضى بالانسان إلى التخلص من ذاته عن طريق الموت . هذه الرؤية تجعل الشفاء الكامل من هذه الحالة التى يعدها تلش اللاهوتى حالة اغتراب امرا مستحيلا ، وذلك لان شرط الشفاء هو أن تكون هذه الحالة عبارة عن حالة اغتراب عن الماهية الدينية ، وهذا هو ما يرفضه فرويد نظرا لان اقراره "لموت الله" جعله لا يعرف شيئا عن الانسان الماهوى او الدينى الذى يراه تلش المؤمن . لقد وجد تلش اللاهوتى نفس الشيء عند نيتشه بعهذه في "ارادة القوة" التى يعتبرها "قوة دافعة غير محدودة في سائر اشكال الحياة ، ولهذا تفضى بالانسان إلى الاستكانة عن طريق السلب الذاتى للارادة"^(٢) هذا يعنى أن تلش المؤمن يجد في "ارادة القوة" عند نيتشه نفس الشيء الذى وجدته في "الليبيو" الفرويدى، فهى دافع لا متناهى لا يشبع ابدا، ولكونها كذلك فهى لا تفضى بالانسان إلا إلى الاستكانة او الموت عن طريق سلب الارادة او القضاء عليها . من هنا انتهى تلش إلى أن نيتشه، مثله في ذلك مثل فرويد ، قد طابق بين الحالة الماهوية او الدينية للانسان وبين الحالة الوجودية وجعل الحالتين تشيران إلى حالة واحدة هي "ارادة القوة" بالمعنى السابق، وهذا هو السبب الذى جعل تلش يصرح أن نيتشه وفرويد "يتجاهلان التناقض بين الوجود الماهوى للانسان وطبيعته الوجودية"^(٣) هذا التجاهل راجع بالطبع إلى إيمانهما "بموت الله" ومعهما سائر القيم والمعايير.

بعد أن اوضح هذا الموقف الذى اخذته الوجودية الملحدة - متمثلة هنا في شخص فرويد ونيتشه - على عائقها ، راح تلش اللاهوتى يوجه لها النقد على النحو التالى : "إن فرويد لم يستطع التمييز بين الطبيعة الماهوية والطبيعة الوجودية للانسان.

1) Tillich, P., 'Psychotherapy and a Christian Interpretation of Human Nature', Review of Religion, Vol. XIII (March, 1949), P.268.

2) Tillich, P., Systematic Theology, Vol.2, P. 55.

3) Ibid., P.53.

وهذا يعتبر نقدا لاهوتيا رئيسيا ، لا لنتيجة معينة من نتائج فكره، بل لمذهبه الانسانى كله ولحدسه الرئيسى عن الانسان . فالافكار التى قدمها عن اللبيدوتيين هذا القصور تماما ... دعنا نوضح ذلك بواسطة مفهوم لاهوتى قديم جدا ، هو مفهوم الكونكيوبسنس Concupiscence الكلاسيكى .^(١) لقد استخدم اللاهوت المسيحى هذا المفهوم بطريقة تماثل استخدام فرويد للبيدو ، غير أن اللاهوت المسيحى استخدمه للتعبير عن الانسان فى ظل اوضاع الوجود ، للتعبير عن السعى اللامتناهى لتجاوز اى اشباع معطى بالفعل ، من اجل التماس اشباع آخر فيما وراء الاشباع المعطى . ولكن طبقا للعقيدة اللاهوتية ، نجد أن الحالة الماهوية الخيرة للانسان ليست حالة كونكيوبسنس او لبيدو لامتناهى . فالانسان يكون بالأحرى متجها صوب موضوع خاص محدد، إلى مضمون ، إلى شخص ، إلى شىء ما تربطه به علاقة حب او ايروس Eros^(٢) او آقاب Agape^(٣) او ما شابه ذلك . وإذا كان الامر كذلك فإن

(١) هذا المفهوم سوف يناقش بالتفصيل فى الفصل الثالث .

(٢) يشير المعنى الحرفى لهذه الكلمة الى " اله الحب عند الاغريق ، وهو متطابق مع كيبيد عند الرومان " .
The New Hamlyn Encyclopedic World Dictionary ,P.555

(٣) يشير المعنى الحرفى لهذه الكلمة الى " عيد الحب عند المسيحيين الأوائل وكان يتم فيه تناول العشاء الربانى وتجمع فيه الهدايا للفقراء ، احياء لذكرى العشاء الربانى . Ibid., P. 31 اما تلش فيستخدم هاتين الكلمتين بمعنى خاص اعنى للدلالة على نوعين مختلفين من الحب . ولقد اوضح ماكلوى هذين النوعين من خلال النص التالى الذى يفرق فيه بين اربعة انواع للحب عند تلش . يقول ماكلوى : " ان تلش يفرق بين اربعة انواع من الحب . النوع الاول ، اللبيدو ، يشير الى اتجاه المحتاج نحو ما يشبع له حاجته . والنوع الثانى من الحب ، الفيليا Philia ، يشير الى رأى تلش الى اتجاه الند نحو الاتحاد بالند . والنوع الثالث ، الايروس ، يشير الى اتجاه من هو أقل فى القوة والمعنى نحو من هو أعلى فى القوة والمعنى . اما النوع الرابع من الحب ، الآقاب ، فيختلف تماما عن الأنواع السابقة نظرا لأنه يمثل رغبة المرء فى الاتحاد مع الآخر لا من أجل الرغبة فى ذاتها بل من أجل اكتمال الآخر . فهو مستقل عن أى ربود افعال هارضة من قبل المحبوب ، انه لا مشروط . "

Mckelway, A.J., The Systematic Theology of Paul Tillich, PP. 134 - 135.

الموقف يكون مختلفاً تماماً . ففي هذه الحالة يجوز أن يكون لديك لبيدو، غير أن اللبيدو المشيع يكون في حالة اشباع تام ، وأن تكون مدفوعاً نحو هذا الاشباع بطريقة لامتناهية. هذا يعني أن اللاهوت ينظر إلى وصف فرويد للبيدو على أنه وصف للإنسان في اغترابه الوجودي عن الذات. غير أن فرويد لا يعرف ذلك الإنسان الماهوي وهذا هو النقد الرئيسي الذي يوجهه اللاهوت ضده .^(١) هكذا أوضح تلش اللاهوتي أن فرويد الملحد ورفاقه لا يعرفون ذلك الإنسان الماهوي أو الديني ، نظراً لأنهم لا يقرون سوى طبيعة واحدة هي الطبيعة اللاحادية.

لكن تلش يرى أن كل وجودي ، مثله في ذلك مثل تلش نفسه ، منقسم بالضرورة إلى نصف ايماني ، ونصف الحادي . فالوجودي الملحد يبحث عن غير وعي وبصورة غير متسقة عنصراً ايمانياً في موقفه اللاحادي ، والوجودي المؤمن يبحث أيضاً عن غير وعي أحياناً عنصراً الحادياً في موقفه الايماني. هذا هو السبب الذي جعل تلش لا يكتفى بالقول أن الوجوديين الملاحدة لا يعرفون ذلك الإنسان الماهوي أو الديني، وراح يفتش عن ذلك النقيض المتخفي في طيات موقفهم اللاحادي، وفي النهاية قرر : " الآن وإحسن الحظ لم يكن فرويد ، ونفس الأمر يصدق على سائر العظماء ، متسقاً . ففيمما يختص بالشفاء نجد أنه قد عرف شيئاً عن الإنسان المعافي ، عن الشكل الثالث للإنسان، الإنسان الغائي. وطالما أنه مقتنع هكذا بإمكانية الشفاء ، فإن ذلك الاقتناع يناقض بعمق تقيده التام بالإنسان الوجودي. هذا يعني ، باللغة الدارجة ، أن تشاؤمه من طبيعة الإنسان ، وتفاؤله بخصوص إمكانية الشفاء لم يتصالحا مطلقاً عنده أو عند اتباعه^(٢) هذا يعني أن تلش اللاهوتي قد وجد عند فرويد شيئاً من عدم الاتساق أو

1) Tillich, P., ' The Theological Significance of Existentialism and Psychoanalysis, ' Theology of Culture, PP.119-120.

2) Ibid ., P. 120

لقد لخص بيك فكرة الشفاء عند فرويد على النحو التالي : "عندما يطبق أي إنسان نكاه على نفسه فإنه يكون قد وضع قدميه على عتبات تلك العملية التي تشكل الوجود. فالإنسان الذي يعيش على نحو أفضل هو الإنسان الذي يستطيع استخدام تلك الهبة الجليلة التي يملكها - أعني ذكاه. وعندما يطبق هذه الهبة على نفسه بصورة أفضل فإنه يستطيع أن يتخلص من توتراته وأحزانه الداخلية التي تلم به. هذا يعني الوصول بطريقة حديثة لطريقة العلم الاكلينيكي، إلى المبدأ السقراطي - السعادة هي الحكمة - وعكسه : الجهل هو المعاناة. هذه الرؤية، مثلها مثل رؤية سقراط، تعزو عدم الشفاء إلى عدم استخدام المريض لذكائه استخداماً سليماً وذلك مرده إلى قصور في نظراته لذاته".

Beck, S.J., Implications for Ego in Tillich's Ontology of Anxiety ', in Philosophy and Phenomenological Research, a Quarterly Journal , Vol. XV111(September , 1957 - June , 1958) ,P. 451.

التناقض. فهو، من ناحية ، يقول بطبيعة واحدة هي الطبيعة المغترية ويجعلها مطابقة لطبيعة الماهوية بمعنى أن الطبيعتين تشيران إلى طبيعة واحدة مغترية نظرا لعدم وجود شئ اسمه الطبيعة الماهوية أو الدينية لتكون مناقضة للطبيعة المغترية. هذه الرؤية ، هكذا يرى تلتش اللاهوتى تجعل من المستحيل على الانسان أن يقهر اغترابه، لان قهر ذلك الاغتراب - عن طريق الدين المسيحى - لن يتم إلا فى حالة إقرار أن هذا الاغتراب هو اغتراب عن الماهية الدينية للانسان. غير أن فرويد يؤمن ، من الناحية الأخرى ، بإمكانية الشفاء ، وهذا يعنى انه يعرف شيئا عن الطبيعة الماهوية أو الدينية للانسان أو عن الانسان المعافى . هذا الايمان بالشفاء يناقض اذن موقفه الاول ولا يمكن أن يتصالح أو يتناغم معه . لقد بقى فرويد منقسما إلى نصف الحادى صريح ، ونصف ايمانى خفى . فهذان النقيضان لم يتصالحا سواء عند فرويد أو عند اتباعه من العظماء اعنى من الوجوديين الملاحدة امثال نيتشه ، وهيدجر، وسارتر.

ولهذا راح تلتش اللاهوتى يضيف قائلا : نحن نستطيع أن نوجه نفس النقد إلى وجودية سارتر الخالصة (اى المنحدة) وإلى تحليله النفسى المرهف. ان عظمة هذا الرجل تكمن فى كونه المفسر السيكلوجى لهيدجر. لقد اساء النقاد تفسيره فى مواضع كثيرة ، غير أن خطراته السيكلوجية تتسم بالعمق . ولكننا نجد هنا نفس الشئ الذى وجدناه عند فرويد : فسارتر يقول ان ماهية الانسان هي وجوده. هذا القول يجعل من المستحيل انقاذ الانسان أو شفاؤه. ان سارتر يعرف ذلك ، وكل واحدة من رواياته توضح ذلك أيضا. ولكننا نجد هنا ايضا عدم اتساق سارتر Happy inconsistency. فهو يطلق على وجوديته اسم النزعة الانسانية . لكننا كان يسميها كذلك. فان هذا يعنى أن لديه فكرة عما يكون عليه الانسان من الناحية الماهوية ويتحتم عليه أن يضع فى اعتباره امكانية فقد الانسان لوجوده الماهوى، لحريته. واذا كان ذلك امرا ممكنا، فإن هذا يعنى أن سارتر يقدم ، رغما عن ارادته، تمييزا بين ما يكون عليه الانسان من الناحية الماهوية وبين ما يمكن أن يكون عليه فى حالة الفقد (اى الحالة الوجودية). حالة الانسان الحر الخالق لذاته. نفس هذه المشكلة

نجدها عند هيدجر. فهيدجر يتحدث أيضا وكأنما ليست هناك معايير من أي نوع، ليس هناك انسان ماهوي، كأن الانسان يصنع نفسه، ويتحدث من الناحية الاخرى عن الفارق بين الوجود الاصيل والوجود غير الاصيل، الساقط في الوجود العادي ذات التفكير السطحي العابث. وذلك شيء يبعث على الاهتمام، لانه يبين انه حتى اكثر الوجوديين تطرفا (أي الحادا)، إذا اراد أن يقول شيئا، يركن بالضرورة إلى بعض الصيغ الماهوية لانه بدون هذه الصيغ لن يستطيع حتى أن يتحدث.^(١) هذا يعني أن تلش اللاهوتي يجد عند سارتر وهيدجر نفس عدم الاتساق أو التناقض الذي وجده عند فرويد. فالوجودية الملحدة لا تستطيع أن تغفل العنصر الايماني، الذي يناقض موقفها الالحادي. انها تقره رغما عنها ويصورة غير متسقة مع موقفها الالحادي.

ولكن إذا كان تلش اللاهوتي قد نقد الوجودية الملحدة هكذا من اجل ايضاح انه يستحيل عليها أن تغفل العنصر الديني اغفالا تاما، فان تلش الملحد راح في كتابه "الشجاعة من أجل الوجود" يدافع عنها ضد الاتهامات الموجهة إليها من خصومها وعلى رأسهم رجال الدين، فهو يقول أن الوجودية - والمقصود هنا الوجودية الملحدة - قد اتهمت "بانها شوق مرضى لكل ما هو سلبي"^(٢) وهو يدافع عنها بقوله "انها تمثل التقبل الشجاع لما هو سلبي"^(٣) ثم يقول انها هوجمت على اعتبار انها تعبير عن "الانحطاط decay"^(٤) وهو يدافع عنها بقوله "انها التعبير الابداعي عن الانحطاط The creative expression of decay"^(٥) ثم يضيف انها اتهمت "باللامعنى meaningless"^(٦) وهو يدافع عنها بقوله إنها في واقع الامر "المحاولة

1) Tillich, P., 'The Theological Significance of Existentialism and Psychoanalysis', Theology of Culture, P. 121 .

2) Tillich, P., The Courage to Be, P.139 .

3) Ibid., Loc. cit.,

4) Ibid., Loc. cit. .

5) Ibid., Loc. cit

6) Ibid., Loc.cit.

المليئة بالمعنى التى تكشف أن موقفنا هو موقف لا معنى له.^(١) وفى النهاية يختم تلش دفاعه عنها بقوله إن الوجودى (الملحد) "يستطيع الرد على التوبيخ المستمر الذى يتلقاه والذى يتهمة بالعصاب بواسطة ايضاحه لميكانيزمات الدفاع العصابى التى يلجأ اليها اولئك الذين لديهم الرغبة المعادية للوجودية فى الامان التقليدى (اى فى احضان الدين)."^(٢) هذا النص يشير إلى أن هذه الانتقادات موجهة من اولئك الذين يؤكدون فقط الشجاعة الدينية ، اعنى ، الشجاعة من أجل الوجود كجزء من التراث الدينى السائد. هذا يحتم علينا أن نشير من جديد إلى حقيقة مؤداها أن تلش يفرق ، كما سنرى بالتفصيل فى هذه الدراسة ، بين نوعين من الشجاعة احدهما هو الشجاعة الدينية ، او الشجاعة من أجل الوجود كجزء من التراث الدينى السائد ، والآخر هو الشجاعة الالحادية ، اى الشجاعة من أجل الوجود كذات مستقلة تتمتع بالاكتماء الذاتى او بالفنى الذاتى وبالتالي بالحرية المطلقة التى لا تتحقق إلا فى ظل الايمان " بموت الله " هذا النوع الاخير يناقض النوع الاول ، ولا يمكن أن يتناغم معه . ولكن نظرا لان تلش يرى أن كل وجودى منقسم بالضرورة إلى النقيض الدينى ، والنقيض الالحادى ، فسوف نراه يؤكد ضمنا أن كل وجودى منقسم إلى هذين النوعين من الشجاعة. ولعل هذا هو السبب الذى جعله لا يفرق فى الموضع الذى يدافع فيه عن الاتهامات الموجهة إلى الوجودية الملحدة فى كتابه " الشجاعة من أجل الوجود " بين الوجودية المؤمنة ، والوجودية الملحدة الامر الذى يعنى أن هذه الانتقادات موجهة إلى الوجودية بسائر ممثليها. ولكن طبقا للتفرقة التى اجريناها فيما سبق ، يمكننا رد النوع الاول من الشجاعة إلى الوجودية المؤمنة، ورد النوع الآخر إلى الوجودية الملحدة. هذا يعنى أن الوجودية المؤمنة تؤكد ذاتها من خلال تاييدها للشجاعة من أجل الوجود كجزء من التراث الدينى السائد ، اما الوجودية الملحدة فتؤكد الشجاعة من أجل الوجود كذات تتمتع بالحرية المطلقة. وفى ضوء ذلك يصح القول ان الوجودية المؤمنة ومن ثم

1) Ibid .. Loc .cit .

2) Ibid .. Loc cit .

اللاهوت المسيحي هو الذى يهاجم الوجودية الملحدة بالصورة التى ذكرها تلش فيما سبق، وأن تلش الملحد يدافع عنها ضد هذا الهجوم .

إذا كان تلش اللاهوتى قد وجه نقده للوجودية الملحدة بطريقة علنية، فإن تلش الملحد لم يستطع توجيه نقده للوجودية المؤمنة ومن ثم للاهوت المسيحي بنفس الطريقة. فولاؤه الظاهري لهذا اللاهوت قد حال دون ذلك ، ولهذا لجأ إلى توجيه نقده لها بطريقة خفية. وهو فعل ذلك من خلال تطبيقه الالهادى للمنهج ، الذى كشفنا عنه فيما سبق ، والذى أكد من خلاله أن الوجودية ، بسائر ممثليها ، هى المرادف للالحاد. فهذا التأكيد لا يعنى سوى أنه يريد أن يقول أن الوجودية المؤمنة ، مثلها فى ذلك مثل الوجودية الملحدة، تتسم بعدم اتساق او تناقض سار . فهى لا تستطيع أن تغفل العنصر الالهادى اغفالا تاما لأن هذا العنصر هو المرادف للوجودية ويدون هذا العنصر لن تكون هناك وجودية على الإطلاق . ومن ثم إذا أضيفت الصفة وجودى إلى ذلك التيار الدينى فإن هذا لا يعنى سوى أنها تضم عنصرا الحاديا فى طيات موقفها الدينى الصريح . حقا لقد كتب تلش يقول : "من الهام أن نشير هنا إلى أن البلد الذى يخلو من الوجودية هو البلد الذى يكون فيه ... الدافع الدينى هو الدافع الأقوى. هذا يبرهن من جديد على اعتماد الفلسفة الوجودية على المشكلات الناجمة عن انهيار التراث الدينى فى القارة الأوروبية".^(١) وهذا يبرهن أيضا على أن تلش يرادف الوجودية بالالحاد بحيث لا يمكنها أن توجد حيثما يكون الايمان قويا. والنتيجة المترتبة على ذلك هى أن تلش يريد أن يقول هنا ، بطريقة غير مباشرة ، إنه يستحيل على الوجودية المؤمنة أن تغفل هذا العنصر الالهادى الذى بدونه لن تكون وجودية على الإطلاق .

1) Tillich ,P., 'Existential Philosophy:its Historical Meaning', Theology of Culture , P.108 .

إن تلش يستشهد هنا بانجلترا التى بقى فيها الدافع الدينى بمثابة الدافع الأقوى وذلك فى الفترة ما بين عام ١٨٢٠م إلى عام ١٩٢٠، وليس بعد ذلك .

وهكذا قام تلش المؤمن بنقد الوجودية الملحدة من اجل ايضاح استحالة اغفالها للعنصر الايماني اغفالا تاما ، وقام تلش الملحد بنقد الوجودية المؤمنة من اجل التأكيد على استحالة اغفالها للعنصر الالهادي اغفالا تاما . والهدف الذى كان يسعى اليه من وراء كل ذلك هو اثبات أن موقف النصف ، والنصف ، النقيض ، والنقيض ، الايمان ، والالحاد لا ينطبق على موقفه الوجودى الشخصى فحسب، بل ينطبق أيضا على الموقف الوجودى لسائر ممثلى الوجودية . فكل واحد من هؤلاء، مثله فى ذلك مثل تلش نفسه، منقسم إلى هذين النقيضين غير المتصالحين ، على حد تعبيره الذى جاء فى سياق نقده السابق لفرويد . حقا ، لقد اشار تلش ويكل وضوح إلى مشاركته سائر الوجوديين فى عدم الاتساق (أو التناقض) عندما كتب يقول : "هناك عدم اتساق معين ، يضرب بجنوره ، حتى فى كتابى 'اللاهوت النسقى' الذى يعتبر عملا منظما تماما ، هناك تآثر بدوافع فكرية مختلفة ومتناقضة (أو بالأحرى متناقضة) أحيانا . (١)"

There is even in a well organized work such as 'Systematic Theology' a certain inconsistency; there is the influence of different, sometimes competitive motives of thought

فى ضوء تفسيرنا للموقف الوجودى عند تلش، يتأكد لنا وبما لا يدع مجالا للشك أن عدم الاتساق الذى ينوه اليه تلش هنا هو نفس عدم الاتساق الذى وجدته عند سارتر ، وفرويد، وهيدجر، ونييتشه، فهو منقسم إلى النقيض الايماني، وإلى النقيض الالهادى - الوجودى. هذا الانقسام يتخفى، كما يقول هنا، وكما سنرى تفصيلا فى هذه الدراسة، حتى فى ثانيا كتابه "اللاهوت النسقى" المفترض فيه الاتساق التام !! لقد اخفى نصفه الالهادى حتى فى هذا العمل الذى يعد عملا لاهوتيا فى المقام الاول!! وهو لم يكف

1- In The Theology of Paul Tillich, P.15, Ed. by Kegely, C.W., and Bretall, R.W., New York, 1952, Quoted from Clayton, J.P., The Concept of Correlation: Paul Tillich and the Possibility of a Mediating Theology, PP. 30 - 31, Gruyter, W.D., Berlin, New York, 1980.

مطلقا، كلما سنحت له الفرصة، عن خداع اللاهوت المسيحي بالتتويه بخفاء شديد إلى نصفه الالهادي. فالنص التالي، على سبيل المثال، يقول : "لقد قال نيتشه إن الفكرة لن تكون صادقة ما لم يتم التفكير فيها في الهواء الطلق . وعلى نفس النهج أقول اننى تأملت الكثير من افكارى فى العراء وأنجزت الكثير من كتاباتى بين الاشجار او على شاطئ البحر". (١)

Nietzsche said that no idea could be true unless it was thought in the open air. Many of my ideas were conceived in the open and much of my writing done among trees or by the sea

ان هذه العبارة تعد فى راينا واحدة من ابرز الامثلة على دهاء تلش الشديد وعلى قدرته البارعة على خداع ذلك اللاهوت الذى يزعم فى الظاهر انه ينتمى اليه . فهو يعلم تماما أن "الهواء الطلق" او "الوين اير open air" الذى يقصده نيتشه ليس هو "الهواء الطلق" الذى يشير إليه المعنى الظاهرى لكلماته ، بل هو "الهواء الطلق" الكامن بين السطور ، اعنى ، المناخ الالهادي الطليق من سائر القيود . إن هذا المناخ الأخير هو نفس المناخ الذى بلور فيه تلش نصفه الالهادي. وهذا هو السبب الذى جعله يقول : "انه لا يمكن تخيل أن يكون هناك دينا اصيلا يخلو من عنصر الالهادي". (٢)

Genuine religion without an element of atheism cannot be imagined .

فهذا القول يعكس تماما وبلا اى شك موقف النصف ، والنصف عند تلش.

ان السؤال الذى يطرح نفسه الآن هو : ما هو الطريق الذى سلكه تلش فى انتقاله من احد النقيضين ، إلى الآخر ؟ لقد كتب تلش يقول : "إن الطريق من الماهية

1) Tillich, P., 'on The Boundary', The Boundaries of Our Being, PP. 300-301.

2) Tillich, P., 'Two Types of Philosophy of Religion', Theology of Culture, P . 25

إلى الوجود هو طريق لا معقول.^(١)

The way from essence to existence is irrational

ومادام هذا الطريق هو طريق لا معقول، فهو يتخذ طابع الوثبة . "فالوثبة... تصور القفز من الطبيعة الماهوية للإنسان ، إلى حيث تشوه هذه الطبيعة في الوجود".^(٢)
(T)he jump ... mirrors the Leap from man's essential nature to its distortion in existence.

هذه الوثبة التيلشية هي نفس الوثبة الكيركيغوردية اللامعقولة من البراعة إلى الاثم. فهذا التحول يأتي ، كما يقول كيركيغورد، "على شكل مفاجأة، أعنى ، بوثة".^(٣) هذه الوثبة الكيركيغوردية هي أيضا وثبة لا معقولة ولا يمكن تفسيرها ، وذلك لأن "محاولة تفسير كيفية دخول الخطيئة إلى العالم تفسيراً منطقياً (أو عقلانياً) هي محاولة حمقاء".^(٤) فهذه الوثبة هي وثبة "لم ولن يستطيع أى علم من العلوم أن يفسرها".^(٥)

وعلى نفس المنوال نقول: إذا كان الطريق من الماهية إلى الوجود يتخذ في رأى تلش طابع الوثبة اللامعقولة، فنحن لا نجد مبرراً واحداً يمنعنا من أن نقرر في ضوء ذلك أن الطريق الذى سلكه من الوجودية المؤمنة ، إلى الوجودية الملحدة، والعكس، يتخذ نفس طابع الوثبة اللامعقولة المستمرة من الواحدة منهما، إلى الأخرى، من النقيض، إلى النقيض. لقد انقسم تلش إلى النقيضين : الايمانى، والالهادى ،

1) Tillich .P., Systematic Theology, Vol .2, P.3.

2) Ibid ., PP. 3-4

3) Kierkegaard , S.,The Concept of Dread, P.29, Translated by Lowrie, W ., Oxford Univ. Press, 1946

4) Ibid ., P. 45

5) Ibid .. P.55

واقام بينهما ، كما هو واضح ، وكما ستكشف الدراسة ، هوة عميقة لم يتمكن من اجتيازها إلا بوثبة لا معقولة من الواحد منهما، إلى الآخر. هذا الطريق لا علاقة له، كما هو واضح ، بطريق التضاييف. فتلش ، كما ستكشف الدراسة ، سد الطريق تعاما بين النقيضين ، وجعل من المستحيل اقامة علاقة بينهما. لقد وضع السؤال المسيحي والاجابة المسيحية في جانب ، ووضع السؤال الالهادي والاجابة الالحادية في جانب آخر. ثم اقام بينهما هوة عميقة لم يعبرها إلا بوثبة لا معقولة ومستمرة من أحد الجانبين ، إلى الآخر. ولقد وجد تلش في مفهوم الاغتراب وفي منهج التضاييف الستار الذي ساعده على تشييد هذا الانقسام. لقد زعم في الظاهر انه يقيم علاقة تضاييف ، اما في الخفاء فقد اقام - وذلك باستخدام نفس المنهج - هوة عميقة يستحيل عبورها إلا بوثبة لا معقولة ومستمرة . وهو اضطر إلى أن يفعل ذلك في الخفاء بسبب متابعته الظاهرية المزعومة للاهوت المسيحي. لقد استحال عليه أن يجهر بالحاده على الملأ والسبب في ذلك متضمن في النص التالي الذي يقول : " إن المسيحية ترى أن نقيض الحقيقة هو الأكنوية ... ومن ثم يكون القرار بالتصويب لصالح او ضد الحقيقة هو قرار حياة - او - موت ، وهذا القرار متطابق مع قرار قبول أو معارضة المسيح ... فإذا تابعت المسيح فتلك هي الحقيقة، وإذا خرجت عليه فتلك هي الأكنوية: "(١) هذا يعني أن تلش يرى أن المسيحية تقدم لك اختيارين لا ثالث لهما : اما متابعة المسيح ، او "الطوفان". ولقد خشى تلش على نفسه من " الطوفان " فاضطر الي متابعة المسيحية في الظاهر، واعتنق الالحاد في الباطن. لقد استحال عليه أن يفعل خلاف ذلك.

واخيرا يبقى السؤال : هل يفضل تلش موقف النصف ، والنصف هذا ؟ إذا كانت الاجابة التي ذكرناها مرارا وتكرارا هي بالايجاب ، فقد أن الاوان كي تلقى مزيدا من الضوء على هذا التفضيل . ونحن نستطيع أن نوضح تفضيل تلش لهذا الموقف

1) Tillich, P., 'Doing the Truth', The Shaking of the Foundations, PP.120-121.

بطريقتين . الطريقة الاولى تتعلق " بتفضيله لمجموعة صغيرة يطلق عليها اسم المجموعة البوهيمية" ^(١) فمن هو البوهيمي في المقام الاول ؟ لقد قدم ريزلر الاجابة على سؤالنا هذا على النحو التالى : " يبدو أن نيتشه هو رجل سهل القراءة. لقد وجد فيه قراءه الاوائل ، الرجل البوهيمي ، اى الرجل اللا أخلاقى الذى قلب الاخلاق رأسا على عقب " ^(٢) هذه العبارة توضح تماما أن البوهيمي هو الرجل اللاأخلاقى ، الرجل الذى يرفض مجازاة العرف الاخلاقى القائم ، الرجل الملحد. ويؤكد تلش من جديد تعاطفه مع هذه المجموعة البوهيمية عندما يقرر أن حياته فى مدينة برلين قد " ادت به إلى أن يتفهم وان يتعاطف مع الحركة البوهيمية ، تلك الحركة التى لا يمكنها أن توجد إلا فى المدن الكبيرة . لا فى القرى الريفية الصغيرة . " ^(٣) أليست هذه العبارة تشير بخفاء شديد إلى أن الحياة فى المدن الكبيرة ، على عكس الحياة فى القرى الصغيرة التى تتسم بالنزعة المحافظة ، تتسم بالفسق او الفجور أو بطابع الحادى متحرر ، وهذا هو السبب الذى يجعل هذه الحركة ، التى تضم عنصرا الحاديا ، لا تستطيع أن تكتسب اى وجود إلا فى المدن ؟ حقا ، لقد وصف تلش هذه الحركة على النحو التالى : " ان هذه المجموعة تتصف بافتقارها إلى تقاليد برجوازية فكرية وسلوكية معينة ، كما تتصف بتطرفها الفكرى، وبقدرتها البارعة على النقد الهزلى. لقد كان البوهيميون ... متشككين ، ويتسمون بالتطرف الدينى والرومانتيكية ، وكانوا يعادون سياسة الاستعداد العسكرى العدوانى وتأثروا بنيتشه، والمدرسة التعبيرية ، وبمدرسة التحليل النفسى" ^(٤) نحن نرى أن هذه العبارة تشير بخفاء شديد إلى أن هذه المجموعة كانت متشككة فى الدين بمعنى انها تضم عنصرا الحاديا ، ولهذا جاء تدينها تدينا

1) Tillich, P., 'On the Boundary' , The Boundaries of Our Being , P. 303

2) Reizler, K., 'Discussion', Journal of The History of Ideas, Vol. VI, No.1(January, 1945) , PP. 305 - 306

3) Tillich, P., 'On the Boundary', The Boundaries of Our Being, P. 299

4) Ibid., P. 303

متطرفا أى يضم هذا العنصر الذى استمدته من نيتشه ومن فرويد باعتبارها، فى رأى تلش، أمام مدرسة التحليل النفسى. هذا يعنى ، باختصار ، أننا نرى أن هذه المجموعة تقر ، كما ينوه النص ، موقف النصف ، والنصف وهذا هو السبب فى تفضيل تلش لها .

إذا كان تلش قد أكد هكذا تفضيله لهذه المجموعة فى مقالته " على الحد " فهو راح فى كتابه " الشجاعة من أجل الوجود " يضم هذه الحركة إلى الحركة الرومانتيكية الطبيعية ويضم الاثنين معا إلى الحركة الوجودية المعاصرة . هكذا كتب يقول : " إن الحركة الرومانتيكية والحركة البوهيمية التى ليست سوى استمرار لها قد قدمت مساهمات حاسمة للوجودية المعاصرة .^(١) ولكن ماذا قدمت الحركة الرومانتيكية الطبيعية فى رأى تلش ؟ أن إجابته على هذا السؤال تجرى على النحو التالى : " لقد قدمت الحركة الرومانتيكية نوعا متطرفا من الشجاعة من أجل الوجود كذات ورغبة (غير أن هذه الرغبة قوبلت بالرفض) فى نفس الوقت فى تقديم الشجاعة من أجل الوجود كجزء .^(٢) أى أنها أكدت الشجاعة المتطرفة أو الإلحادية من أجل الوجود كذات تتمتع بالاكتمال الذاتى فى ظل "موت الله" وعندما أبدت رغبتها فى إقرار الشجاعة الدينية من أجل الوجود كجزء من التراث الدينى السائد ، قوبلت رغبتها بالرفض من جانب التراث الدينى ، وذلك لأن هذا النوع الأخير من الشجاعة يناقض النوع الأول . هذا يعنى أنها كانت تقر إلى حد ما موقف النصف، والنصف. حقا ، أن إقرار هذه الحركة للشجاعة الإلحادية من أجل الوجود كذات هو الذى يفسر فى رأينا قول تلش الذى مؤداه أن هذه الحركة " قد سمعت بالفرد فسوق كل مضمون (أو محتوى أو فوق كل اعتبار) وجعلته يتسم بالخواء (الدينى خاصة) : فهو لم يعد يلتزم بالمشاركة فى أى شيء مشاركة جادة .^(٣) هذا يعنى ضمنا أن تلش يرى أن

1) Tillich, P., The Courage to Be, P.119

2) Ibid ., P.118

3) Ibid., Loc cit

تأكيد هذه الحركة للشجاعة الالحادية من اجل الوجود كذات هو الذى جعلها تؤكد الذاتية المطلقة التى تضع الفردية فوق كل اعتبار ولا تقيم وزنا إلا للحرية المطلقة التى لا تعرف الالتزام الدينى. لقد كانت البوهيمية ، هكذا يقول تلش ، "استمرارا للشجاعة الرومانتيكية من اجل الوجود كذات : لقد استمرت فى الهجوم الرومانتيكى على النظام البرجوازى القائم وعلى طريقته فى المجازاة".^(١) هذا يعنى فى راينا أن الحركة البوهيمية قد تابعت الحركة الرومانتيكية فى تأكيدها للشجاعة الملحدة وفى هجومها بالتالى على النظام البرجوازى القائم الذى هو فى حقيقة الامر النظام المحافظ فى الغرب والذى يجارى التقاليد الدينية الموروثة بمعنى أنه يؤكد الشجاعة الدينية.

ان تلش يعتبر نيتشه الممثل الرئيسى لهذه الحركة الرومانتيكية وبالتالى للبوهيمية والوجودية وذلك لان هاتين الحركتين ليستا سوى استمرار للحركة الاولى. هكذا كتب تلش يقول : "إن نيتشه يعد احد الممثلين البارزين ... للمذهب الطبيعى. فهو طبيعى رومانتيكى ويعد ، فى نفس الوقت ، واحدا من أهم اسلاف - ربما اهمهم على الاطلاق - الشجاعة الوجودية من اجل الوجود كذات ... ويمكن دمج المذهب الطبيعى الرومانتيكى فى الحركة البوهيمية والحركة الوجودية وذلك بسبب تأكيده على أن قطبية التفرد هى القطبية الحاسمة فى بنية ما هو طبيعى . نفس الشئ يصدق على اشكال المذهب الطبيعى القائلة بحرية الارادة . فهى ترى انه إذا كانت الطبيعة (والطبيعة تعنى فى رأى المذهب الطبيعى ، الكينونة) هى التعبير الخلاق عن ارادة لا شعورية ، او هى تموضع لارادة القوة او نتاجا 'للدافع الحى' ، فان هذا يعنى أن مركز الارادة ، أى النوات المتفردة ، هو الذى يحسم حركة الذات ككل . فالحياة تؤكد نفسها او تسلب نفسها عن طريق التأكيد الذاتى للفرد . حتى إذا كانت النوات معرضة لمصير كونى مطلق فإن ذلك لن يمنعها من تأكيد كينوناتها بحرية".^(٢) هذا يعنى فى راينا أن تلش يرى انه طالما أن نيتشه قد اكد الشجاعة الالحادية أى الشجاعة من اجل الوجود

1) Ibid ., PP. 118- 119

2) Ibid., PP. 119 - 120

كذات تتمتع بالحرية المطلقة ولا تقيم وزنا للقيم والمعايير لان "الله قد مات"، فهو يعد الممثل البارز لهذه الحركات الثلاث لانها تؤكد جميعا نفس الشيء . فالانسان فى نظره ليس سوى ما يفعله بحرية مطلقة ، وهذا يعنى أن تأكيد الذاتى لذاته ليس سوى تموضع او تحقق لارادة القوة باعتبارها قوة دافعة لا متناهية ولا تشبع ابداء، وباعتبارها ممكنه فقط فى ظل "موت الله" ، حيث يحل الانسان السوبرمان محل الاله ، فلا يكون امامه سوى أن ياخذ على عاتقه سائر السلبيات وان يحقق ذاته بحرية مطلقة رغما عنها .

غير أن تلش يرى " أن لفظة 'طبيعى رومانتيكى' تتكون من حدين متناقضين. هناك هوة عميقة تفصل التجاوز الذاتى الرومانتيكى الخيالى عن التقيد الذاتى الطبيعى بالواقع الامبريقي المعطى".^(١)

The Phrase 'romantic naturalist' seems to be a contradiction in terms. The self- transcendence of romantic imagination and the naturalistic self-restriction to the empirically given appear to be separated by a deep gap.

هذا يعنى فى رأينا أن تلش يرى أن المذهب الطبيعى الرومانتيكى، مثله فى ذلك مثل البوهيمية والوجودية، تقرر موقف النصف، والنصف ، النقيض-، والنقيض . فهذا المذهب يقر التجاوز الذاتى الرومانتيكى المستمر والقائم على ارادة القوة المتمتعة بالحرية المطلقة والتي تؤكد الشجاعة الالحادية من اجل الوجود كذات. تلك هى النزعة الرومانتيكية عند هذا المذهب. ولكن هذا المذهب يقر ، من الناحية الأخرى ، الشجاعة الدينية من اجل الوجود كجزء من التراث الدينى القائم ، التى هى شجاعة المجازاة لما هو معطى او قائم بالفعل فى الواقع الامبريقي . وتلك هى النزعة الطبيعية عند هذا المذهب . النوع الاول من الشجاعة نوع رومانتيكى او خيالى بمعنى انه لايمكن أن يتحقق بالفعل فى ظل التراث الدينى المسيطر الذى يتمسك بالشجاعة الدينية التى تناقض

1) Ibid ., P. 119

النوع الاول من الشجاعة. ومن ثم يتحتم على هذا المذهب اقرار الشجاعة الدينية او شجاعة مجارة النظام الدينى القائم وذلك من اجل اكتساب استمرارية الوجود . وهذا هو ما فعلته الحركة الرومانتيكية الطبيعية الامر الذى جعلها تكتسب استمرارية. لقد عدلت من موقف نيتشه الذى اكد النوع الاول من الشجاعة بصورة علنية . والنوع الآخر جاء عنده عن غير وعى وبصورة ضمنية . هذا يعنى أن هذه الحركة تقر موقف النصف ، والنصف، او النقيض ، والنقيض.

هذا الموقف اوضحه تلش بصورة افضل من خلال اضافته للحليف الرابع لهؤلاء الحلفاء الثلاثة - الوجودية، والبهيمية، والرومانتيكية الطبيعية - أعنى البراجماتية . يقول تلش : " ان جانبا كبيرا من البراجماتية الامريكية ينتمى إلى المذهب الطبيعى الرومانتيكى. فعلى الرغم من المجارة الامريكية وشجاعتها من اجل الوجود كجزء ، فقد شاركت البراجماتية ذلك الاتجاه المعروف فى اوربا باسم 'فلسفة الحياة' ^(١) العديد من المفاهيم . فالمبدأ الاخلاقى عند البراجماتية هو التطور (النمو) ومنهجها التربوى هو التاكيد الذاتى للذات المتفردة ، ومفهومها المفضل هو الابتكار (او الاختراع او الابداع). إن الفلاسفة البراجماتيين ليسوا يوما على علم بالحقيقة التى مؤداها أن شجاعة الابتكار تتضمن شجاعة احلال الجديد محل القديم - الجديد الذى لا يعرف مبادئ او معايير ، الجديد الذى هو مخاطرة والذى ، إذا ما قيس بالقديم ، لا يمكن التنبؤ به . فمماراتهم الاجتماعية تخفى عنهم ذلك الذى عبر عنه فى اوربا بصراحة واتساق. انهم لا يدركون أن النتيجة المنطقية للبراجماتية (هذا إذا لم تنقيد

(١) هنا ينوه تلش الى "فلسفة الحياة" عند نيتشه وذلك لأنه كتب فى كتابه " الحقبة البروتستانتية " يقول : " ان نيتشه هو ابرز ممثل لما يسمى باسم 'فلسفة الحياة'، تلك الفلسفة التى تشيع لها ايضا مجموعة كبيرة فى المانيا وفرنسا "

Tillich, P., The Protestant Era, P. 193

وفى كتابه " الشجاعة من اجل الوجود " اكد تلش نفس الشيء عندما قرر : " ان نيتشه هو ابرز ممثل مؤثر لما يمكن ان يسمى باسم 'فلسفة الحياة' .

Tillich , P., The Courage to Be, P. 37

البراجماتية بمجاعة مسيحية او انسانية^(١) تفضى إلى تلك الشجاعة من اجل الوجود كذات التى نادى بها الوجوديون المتطرفون (اى الملحدون).

They do not realize that pragmatism in its logical consequence (if not restricted by Christian or humanist conformity) leads to that courage to be as oneself which is proclaimed by the radical existentialists.

ان النوع البراجماتى من المذهب الطبيعى يعد فى طابعة. وان يكن عن غير قصد منه، تابعا للمذهب الفردى الرومانتيكى romantic individualism وسلفا للمذهب الاستقلالى الوجودى existentialist independentism. فطبيعة التطور غير الموجه عندها لا تختلف عن طبيعة ارادة القوة والدافع الحى. غير أن الطبيعيين أنفسهم يختلفون فيما بينهم. فالطبيعيون الاوريون يتسمون بالاتساق او التحطيم الذاتى، فى حين أن الطبيعيين الامريكيين قد انقلبوا انفسهم بواسطة عدم اتساق سار : لقد استمروا فى قبول الشجاعة من اجل الوجود كجزء التى تتسم بالمجاعة^(٢) نحن نرى أن هذا النص يوضح تماما أن تلش يجد فى البراجماتية نفس التناقض او عدم الاتساق الذى وجدته فى الوجودية، والبهيمية، والمذهب الطبيعى الرومانتيكى. وهذا هو السبب الذى جعله يطلق على كل هذه المجموعات اسم الطبيعيين. لكن هناك ، كما يقول النص، شيئا من الاختلاف بين هؤلاء الطبيعيين. هذا الاختلاف هو أن الوجودية الملحدة قد أكدت الشجاعة الالاحادية بطريقة علنية، وأقرت الشجاعة الايمانية بطريقة خفية وعن غير وعى وعلى نحو غير متسق الامر الذى أدى إلى تحطيمها فى اوربا

(١) هذه العبارة توضح بما لا يدع مجالاً للشك ان الشجاعة من اجل الوجود كذات هى فى رأى تلش الشجاعة الملحدة التى لاتقبل ان تقيد نفسها بالمجاعة المسيحية او بالشجاعة من اجل الوجود كجزء من التراث الدينى السائد ، انها الشجاعة التى نادت بها الوجودية الملحدة .

2) Tillich, P., The Courage to Be, PP. 120 -121

بواسطة اللاهوت المسيطر ، فى حين أنقذ البراجماتيون الأمريكيون انفسهم بواسطة عدم اتساق سار . happy inconsistency . فهم أكدوا الشجاعة الدينية اى مجازاة العرف المسيحى بطريقة علنية ، وأكثروا الشجاعة الالهابية بطريقة خفية فى اغلب الاحيان ، وبطريقة علنية فى احيان قليلة جدا وذلك لان تلش يقول ، فى الجزء الثالث من " لاهوته النسقى " ، هناك رجال يعارضون كل المعايير بطريقة علنية (نذكر منهم البراجماتيين ، على سبيل المثال) .^(١) إن " عدم الاتساق هذا " ، هكذا يضيف تلش فى كتابه " توقع سياسى " ، قد أنقذهم من المصير الاوربى .^(٢) هذا يعنى ، بتعبير آخر ، " أنه لو كان البراجماتيون متسقين ، لما كان لديهم معايير ... كما هو الحال عند الوجوديين (الملاحدة) .^(٣) هذا بالاضافة إلى انه لو كانوا متسقين ، لاقضى بهم الاتساق العلنى إلى التحطيم - على غرار ما حدث للوجودية الملاحدة على يد اللاهوت المسيطر فى اوربا - لأن هذا الاتساق يعنى النبذ العلنى لساتر القيم والمعايير بسبب " موت الاله " . غير أن البراجماتيين قد انقذوا انفسهم من ويلات اللاهوت المسيطر بواسطة عدم اتساق سار او يبعث على السرور والبهجة . لقد استمروا فى القبول العلنى للشجاعة الدينية او شجاعة مجازاة التراث المسيحى القائم ، واخفوا العنصر الالهادى او الشجاعة الالحادية من اجل الوجود كذات فى طيات هذا الموقف العلنى .

والآن ، طالما أن تلش يدمج هكذا البوهيمية ، والنزعة الرومانتيكية الطبيعية ، والبراجماتية ، والوجودية ، وطالما انه يرى انهم يقرون جميعا موقف النصف ، والنصف ، فإن هذا يعنى أن تفضيله لواحدة منها (البوهيمية) يعنى تفضيله لهم جميعا . فهو

1) Tillich, P., Systematic Theology, Vol .3, P. 50, SCM Press Ltd., Univ of Chicago, 1963 .

2) Tillich, P., 'The Political Meaning of Utopia' , Political Expectation, P.138.

3) Ibid., PP. 137- 138

بوهيمي ، طبيعي رومانتيكي ، براجماتي ، وجودي ، وكل هذا لا يعنى سوى أن موقفه الوجودي هو موقف منقسم إلى نصف الحادي خفي ، ونصف ايماني علني أو ظاهري . فالمعايير بالنسبة له ، وكما هو الحال عند البراجماتيين ، هي ادوات يستفيد منها ، وفي حالة عدم قدرتها على تقديم النفع له فهو يطرحها جانبا ويتخلص منها على الفور ، وهو اخفي النصف أو النقيض الاحادي في طيات النصف أو النقيض الديني وبهذا انقذ نفسه بواسطة هذا التناقض (أو عدم الاتساق) السار

اما الطريقة الثانية التي تتعلق بتفضيل تلش لموقف النصف ، والنصف ، فقد اشار اليها بخفاء شديد عندما كتب ، في مقالته " مناقشة : الفكر الوجودي والفلسفة المعاصرة في الغرب ، طبيعة واهمية الفكر الوجودي " ، يقول : " هناك حركات فلسفية معاصرة مهدت إلى حد ما الطريق للوجودية وسارت إلى حد ما في خط مواز لها ... ان الحركة التي سارت في خط مواز للفلسفة الوجودية ، واعتمدت عليها إلى حد ما - خصوصاً على كيركيجورد - هي حركة 'لاهوت الازمة' التي انقسمت في الآونة الاخيرة إلى جناحين احدهما هو الجناح التقليدي ويمثله كارل بارث Karl Barth بمدرسته الواسعة ، والآخر هو الجناح النقدي ويمثله رودلف بولطمان Rudolph Bultmann الذي ترك انطباعاً مؤثراً في السنوات الاخيرة ، بسبب نقده الجريء للكتاب المقدس استناداً إلى تفسير هيدجر للوجود . انتهى (اي تلش) اعتبر نفسي احد ممثلي هذه المجموعة I see myself within this group " (١) طالما أن هذه العبارة توضح أن مدرسة " لاهوت الازمة " قد سارت في خط مواز إلى حد ما للخط الذي سارت فيه الوجودية ، وطالما انه قد ثبت لنا أن تلش قد جعل الوجودية منقسمة إلى النصف، والنصف أو مرادفة للايمان تارة ، ومرادفة للالحاد تارة أخرى،

1) Tillich, P., 'Symposium:Existentialist Thought and Contemporary Philosophy in the West, the Nature and the Significance of Existentialist Thought', The Journal of Philosophy, Vol. L111 (January - December, 1956) , P.747

وطالما انه يعتبر نفسه احد أفراد مدرسة " لاهوت الأزمة "، فإن هذا يعنى من حيث المبدأ أن هذه المدرسة تتبنى، مثل تلش، موقف النصف، والنصف وهذا هو السبب الذى جعله ينضم إليها . والأمر الذى يؤكد ذلك هو أن تلش قد نوه ، فى كتابه "توقع سياسى"، إلى الموقف الالحادى لهذه المدرسة، عندما كتب، فى معرض تقييمه لموقف بارث ، يقول : " أن المدرسة البارثية تعلن أن سقوط الانسان يفضى إلى خضوع العالم الامبريقي لقوى شيطانية مأساوية ، أو، على حد تعبير علم النفس ، لبنيات قهرية . فكما أن المريض لا يستطيع أن يفعل شيئاً لمقاومة هذه البنيات القهرية ، كذلك لا يستطيع الانسان كإنسان أن يفعل شيئاً لمقاومة هذه القوى الشيطانية ، وعلى هذا يستحيل التخلص منها فى هذا العالم . هذا يشير إلى الفكرة ... التى مؤداها أن القوى الشيطانية المهيمنة على حالة السقوط - والشيطانية تشير هنا إلى 'بنيات التحطيم' - لا يمكن قهرها فى هذا العالم." (١) نحن نرى أن هذا النص ينوه إلى أن موقف بارث هو نفس موقف الوجودية الملحدة والتحليل النفسى الفرويدى الذى يرى أن الاغتراب أو ، بتعبير دينى، "السقوط"، كما سوف نرى فى الفصل الثانى، هو واقعة عامة يتصف بها الوجود الانسانى فى كل زمان ومكان وهو ايضا وفى نفس الوقت لا يعد اغتراباً عن الماهية الدينية للإنسان ، ومن ثم يستحيل على الانسان الشفاء منه حتى من خلال المشاركة فى الدين المسيحى . ولقد نوه تلش إلى هذا التماثل بين موقف بارث وموقف الوجودية الملحدة فى هذا الصدد بصورة أكثر وضوحاً عندما كتب يقول : " لقد اتفق هذان التياران الفكرى ، التيار المسيحى الكلاسيكى (الذى يتزعمه بارث) والتيار الوجودى المتطرف (أو الملحد)، اتفاقاً على استحالة أن تكون هناك يوتوبيا وذلك لانكارهما لمفهوم الماهية . اننى اندمشت كثيراً للتماثل المذهل بين صياغات بارث وسارتر فى هذا الصدد . ولو أننى كشفت لهما عن هذا التماثل ، فمن المحتمل أن ينتابهما الغضب وذلك لأن سارتر لا يفرم كثيراً بموقف بارث ، والعكس صحيح ايضا .

1) Tillich , P., 'The Political Meaning of Utopia', Political Expectation, P.135

غير أن التماثل بينهما قائم ومن هذا الاعتبار يجب تصنيف بارث ضمن قائمة الوجوديين اللاهوتيين ، طالما أن لاهوته يعارض المذهب الانساني (او المسيحي) القائل بأن الانسان الماهوي لا يزال حاضرا بعد السقوط - مهما كانت درجة تشوه ذلك الحضور او مهما كان ذلك الحضور مفارقا . إن سارتر هو لا إنساني وكذلك بارث .. فالوجودية ليست نزعة انسانية ، ونفس الامر يصدق على لاهوت بارث إذا ما تحققت مبادئه بطريقة متطرفة (او الحادية) .^(١) ان هذا النص يؤكد تماما كيف أن تلش يجد عند بارث نفس العنصر الالهادي الذي يتبناه سارتر . فكلاهما ينكر القول بالماهية الدينية للإنسان ، بل ويتفقان ، كما يقول تلش ، على النتيجة المترتبة على هذا الموقف والتي تقضى " باستحالة أن تكون هناك يوتوبيا وباستحالة أن تكون هناك معايير ... فعلية للأفعال الانسانية . "^(٢) فاذا اخذ هذا الموقف لبارث بطريقة متطرفة او الحادية ، هكذا يرى تلش ، فسوف يفضى حتما إلى نتيجة سارتر التي تقول إن انكار الماهية الدينية للانسان يرجع إلى "موت الله" . هذا العنصر الالهادي الذي يجده تلش عند بارث هو الذي جعله يصنفه ضمن قائمة الوجوديين وذلك لأن الوجودية عنده مرادفة للالحاد . اما قوله " إن بارث هو لاهوتي وجودي " فلا يعنى سوى انه اضاف إلى النصف الوجودي الالهادي لبارث ، النصف الديني الامر الذي يعنى أن تلش يرى أن بارث منقسم هو الآخر إلى النقيض الديني ، والنقيض الالهادي . هذا النقيض الاخير هو الذي جعل تلش يقول إن وجودية بارث ، مثلها في ذلك مثل وجودية سارتر ، هي وجودية لا انسانية . فهي لا تقر المذهب الانساني او المذهب المسيحي الذي يؤمن بحضور الطبيعة الدينية الماهوية للانسان ، بغض النظر عن مقدار ذلك الحضور ، ومن ثم فهي وجودية مدمرة وذلك لان تلش يرى ، كما اوضحنا فيما سبق ، أن كل اتجاه لا يقر هذا المذهب الانساني المسيحي يكون اتجاها مدمرا بالضرورة . ولكن على الرغم من هذا التماثل بين موقف سارتر وموقف بارث ، فان سارتر لا يعجب كثيرا بموقف بارث ، وبارث لا يعجب كثيرا بموقف سارتر . و السبب في ذلك يكمن في رأينا في أن

1) Ibid., PP. 136- 137 .

2) Ibid ., PP. 137 - 138.

سارتر قد حمل موقفه بشجاعة وجسارة ووعى وبطريقة علنية حتى نتيجته الحتمية أعنى "موت الله"، فى حين أن بارث قد أخفى، على نحو ما ينوه تلش، موقفه الالهادى فى طيات موقفه الدينى العلنى الذى يقول: "إذا كان من المستحيل اشتقاق معايير من ماهية الانسان فإن هذه المعايير يجب أن تستمد اذن... من لاهوت خالص Pure قائم على الوحي".^(١) هذا هو الستار الذى أخفى تحته بارث موقفه الالهادى، وهذا ايضا هو السبب الذى جعل سارتر لا يعجب كثيرا بموقفه، وجعل بارث لا يعجب كثيرا بموقف سارتر. لقد أنقذ بارث نفسه بهذا التناقض السار. يتضح من ذلك أن تلش يرى أن بارث - ومن ثم مدرسة لاهوت الأزمة - منقسم إلى نقيض ايمانى أو لاهوتى خالص، ونقيض الحادى خفى أو وجودى خالص. هذا يعنى أن بارث يشارك سائر من تعرضنا لهم من شخصيات ومذاهب متعلقة بالموقف الوجودى عند تلش فى عدم الاتساق. لهذا لم تكن صدفة أبدا أن يأتى حديث تلش عن عدم الاتساق السار الذى يجده عند البراجماتية فى كتابه "توقع سياسى" فى اعقاب حديثه الغامض عن عدم الاتساق الذى يجده عند بارث. فهو يجد نفس عدم الاتساق عند الجميع.

ونفس الأمر ينطبق على الممثل الآخر لمدرسة "لاهوت الأزمة" أعنى رودلف بولطمان - ذلك الناقد الجريء للكتاب المقدس استنادا إلى تفسير هيدجر للوجود. لأنه إذا كان تلش قد ذكر ذلك عن بولطمان فى مقالته "مناقشة: الفكر الوجودى والفلسفة المعاصرة فى الغرب، طبيعة وأهمية الفكر الوجودى"، فقد راح فى نفس الموضع الذى أوضح فيه موقف بارث السابق فى كتابه "توقع سياسى" يضيف: "ان سارتر وهيدجر واتجاه معين من اتجاهات البراجماتية الامريكية واتجاه معين من اتجاهات المذهب الطبيعى (اي الاتجاه الطبيعى الرومانتيكى)... لا يقدمون شيئا ايجابيا يعارض تحليلاتهم السلبية للوجود".^(٢) والآن طالما أن تلش يرى أن بولطمان

1) Ibid., P. 137

2) Ibid., PP. 135- 136

قد نقد الكتاب المقدس نقدا جريئا استنادا إلى تفسير هيدجر للوجود ، وطالما أن هذا التفسير هو في رأى تلمش تفسير سلبي أو بالاحرى الحادى ، فان هذا يعنى ضمنا أنه يرى أن بولطمان قد نقد الكتاب المقدس استنادا إلى نزعة الالحادية التى استمدها من هيدجر والتى يخفيها فى طيات موقفه الدينى اللاهوتى وهذا يعنى أن بولطمان منقسم هو الآخر إلى النصف ، والنصف. لقد انقذ نفسه بهذا التناقض السار.

ان النتيجة التى نستطيع أن نستخلصها من كل ذلك هي أن موقف البوهيمية ، والبراجماتية ، والمدرسة الطبيعية الرومانتيكية ، ومدرسة لاهوت الأزمة هو فى رأى تلمش موقف النصف ، والنصف ومن ثم إذا فضل واحدة منها (البوهيمية) ، أو اعتبر نفسه أحد ممثلى واحدة منها (مدرسة لاهوت الأزمة) ، فان هذا لا يعنى سوى أن موقفه الوجودى هو النصف ، والنصف ، النقيض ، والنقيض، الايمان ، والاحاد ، كما يعنى أن هناك ، كما ذكر هو فى حديث سابق له عن تناقض نيتشه، هوة عميقة تفصل النقيضين ، هوة لا يمكن اجتيازها إلا بوثبة لا معقولة ومستمرة من النقيض ، إلى النقيض .

بهذه النتيجة الاخيرة نكون قد وصلنا إلى نهاية هذا الفصل ، ولكى نكتشف كيف طبق تلمش نفس هذا الموقف على مفهوم الاغتراب ، يتحتم علينا الانتقال إلى الفصل التالى.

الفصل الثانى

الطبيعة الإنسانية بين الإيمان والإلحاد

لقد أوضحنا فى الفصل السابق أن التفسير المسيحى للطبيعة الانسانية يركز على ثلاثة أوجه: الأول هو الطبيعة الماهوية أو الدينية للانسان التى خلقها الله تعالى، والثانى هو طبيعته المفترية، والثالث هو إمكانية الشفاء أو قهر الاغتراب، هذه الالوجه الثلاثة تشكل أيضا مضمون مفهوم الاغتراب أو الموقف الوجودى عند تلش المؤمن. ولهذا فقد خصصنا الفصل الثانى، والفصل الثالث، والفصل الرابع لتناول هذه الالوجه تباعا. ولكن طالما أن الهدف الاساسى لهذه الدراسة يطمح إلى اكتشاف كيف أن مفهوم الاغتراب أو بالاحرى الموقف الوجودى عند تلش هو موقف النصف، والنصف، النقيض، والنقيض، الايمان، والالحاد، فسوف نقسم كل فصل من هذه الفصول إلى نصفين: نصف نتناول فيه وجها من هذه الوجوه التى يتعامل معها تلش المؤمن، ونصف آخر نكشف فيه الموقف الخفى لتلش الملحد من ذلك الوجه. ولسوف نتناول فى هذا الفصل موقفه الايمانى، وكذا موقفه الالحادى من الطبيعة الانسانية، ولسوف نبدأ بتناول مفهومه فى الطبيعة الماهوية أو الدينية للانسان والتى تناقض طبيعته المفترية أو المتشوهة، وذلك استنادا إلى قوله الذى مؤداه: "لكى يفهم المرء أى تشوه يتحتم عليه أن يعرف قبلا طبيعته الماهوية أو غير المتشوهة".^(١) فمعرفة الطبيعة الماهوية أو الدينية للانسان هى، كما تؤكد هذه العبارة، الشرط المسبق لمعرفة الطبيعة المفترية.

لقد بدأ تلش المؤمن هذا الجانب الايمانى بتخصيص ثلاث دلائل أو علامات marks للطبيعة الماهوية أو الدينية للانسان. هذه الدلائل هى: الايمان faith، واقرار الانسان لتناهيه الفعلى الذى خلقه الله عليه، والحب. وهو لم يفرد لهذه الدلائل

1) Tillich, P., Systematic Theology, Vol. 2, P.4.

مناقشة خاصة في كتابه " اللاهوت النسقي " الذي يقدم فيه خلاصة مذهبه في الطبيعة الماهوية أو الدينية للإنسان ، بل ناقشها في ثنايا مناقشته لثلاثة دلائل أخرى - هذه الدلائل الأخيرة سوف نناقشها تفصيلا في الفصل الثالث الذي خصصناه لمناقشة موقف تلش من الطبيعة المغترية للإنسان - تناقض هذه الدلائل ومن ثم تميز الحالة المغترية للإنسان باعتبار أن هذه الحالة الأخيرة تناقض ، كما سبق أن ذكرنا ، حالته الدينية .. هذه الدلائل هي : اللإيمان (أو عدم الإيمان unbelief والهيوبرس Hu-bris أو التكبر pride أو السمو - الذاتى self-elevation^(١) الذي يشير في رأيه إلى تلك الحالة التي يرفض فيها الإنسان اقرار تناهيه الفعلى ومن ثم يحاول السمو بذاته فوق كل ما هو معطى اعتقادا منه أن بإمكانه أن يجعل من ذاته ذاتا معادلة للذات الالهية أعنى ذاتا لامتناهية ، وأخيرا الكونكيويسنس Concupiscence الذي يناقض في رأيه ، كما سوف نرى تفصيلا في الفصل الثالث ، الحب.

والإيمان عند تلش يشير إلى تلك الحالة التي يكون فيها الإنسان متحدا مع الله ومتجها بكيونوته كلها صوب الإله .^(٢) والإيمان بهذا المعنى ليس هو مجرد الرغبة في الإيمان بتعاليم الكنيسة ، ولا هو مجرد فعل صادر عن ملكة معينة من الملكات التي يتمتع بها الإنسان كالرغبة، أو الإرادة ، أو العاطفة ، بل هو بالاحرى فعل صادر عن شخصية المرء كلها أو عن كيونوته في شموليتها وتشارك فيه سائر الملكات التي تشكل هذه الكيونة.^(٣) هذا هو السبب الذي جعل تلش يهتم في كتابه "اللاهوت النسقي" بتوضيح الجوانب الخلقية ، والعقلية أو المعرفية ، والعاطفية للإيمان .

فمن الناحية الخلقية ، هكذا يؤكد تلش ، يشير الإيمان -باعتباره أحد الدلالات الرئيسية للطبيعة الماهوية أو الدينية للإنسان - إلى عدم انفصال ارادة الإنسان عن ارادة الله ومن ثم إلى عدم حاجته إلى شريعة أو قانون يملسى عليه ما يجب

1) Ibid ., PP . 49-51 .

2) Ibid ., P.47.

3) Ibid ., PP. 47-49 .

أن يفعله وما لا يجب أن يفعله ، وذلك بسبب عدم انفصاله عن مصدر كل قانون وكل شريعة وكل قاعدة خلقية أعني الإله .^(١) ففي الحالة الماهوية أو الدينية التي يعتبرها تلش ، كما سنرى فيما بعد ، حالة إمكان صرف لم تتحقق مطلقا في أى مرحلة من مراحل التطور التاريخي للمرء بل تظل دوما حالة إمكان هذا على الرغم من أنها تكون حاضرة دوما في داخلنا ، والتي يعتبرها أيضا ، متابعا في ذلك كيركيجورد ، حالة من البراعة المخلوقة من قبل الله تعالى وتشبه تماما براءة الطفل ، ليس هناك قانون (أو شريعة) منفصل عنى يملى على ما يجب وما لا يجب أن يكون وذلك لأن الإنسان يكون في هذه الحالة متحدا مع الله الذى هو مصدر كل قانون وكل شريعة ومن ثم يكون هناك تطابق في حالة الامكان بين ما يجب أن يكون وما هو كائن . هذا التطابق المطلق أو الهوية المطلقة بين الحالتين لا يفسح مكانا لشريعة أو لقانون منفصل قد يملى على ما يجب وما لا يجب أن أفعل . ولقد لخص تلش كل ذلك عندما كتب يقول : "في حالة الامكان الصرف أو البراعة المخلوقة (وهي ليست مدرجا تاريخيا يتحقق بالفعل في أى مرحلة من مراحل تطور المرء) ليست هناك شريعة ، لأن الإنسان يكون متحدا من الناحية الماهوية مع ذلك الذى ينتمى إليه : مع الأساس الإلهي لعالمه ولذاته . ففي هذه الحالة التي هي حالة إمكان يكون هناك تطابق بين ما يجب أن يكون وما هو كائن".^(٢) والايمان يشير من الناحية العقلية أو المعرفية إلى عدم تمزق أو اصر التشارك العقلي أو المعرفي للإنسان في الحياة الإلهية .^(٣) وذلك لان الحالة الماهوية أو الدينية للإنسان ، التي هي مجرد حالة إمكان صرف ، تتسم باتحاد الذات العارفة بذلك الذى تنتمى إليه والذى هو مصدر كل معرفة . ومن ثم فهو في هذه الحالة لا يتسائل عن الإله ، وذلك لانه يكون أصلا متحدا معه ، حيث ان التساؤل عن الإله يشترط سلفا الانفصال أو الاغتراب عنه . وأخيرا يشير الايمان من الناحية العاطفية إلى اتحاد حب الإنسان لذاته

1) Ibid ., PP. 47 -48.

2) Ibid ., Vol .3,P. 48 .

3) Ibid ., Vol .2, P. 47 .

مع حبه لله، بحيث لا يكون هناك ثمة تغاير بين هذين الضربين من الحب، نظرا لان الحالة الماهوية أو الدينية للانسان تنقسم " بوحدة حب الانسان لذاته مع حبه لله".^(١) هذا المعنى للايمان يظل ناقصا إلى أن يتحد مع اقتناع تلش الراسخ الذي أكد مرارا وتكرارا والذي مؤداه : " إن معنى الايمان هو أن تكون مهتما اهتماما مطلقا بذلك الذي يجب أن يكون والذي هو بالفعل محل اهتمامنا المطلق . هذا يعنى أن الايمان هو الحالة التى يستحوذ فيها على المرء اهتماما مطلقا والاله هو الاسم الذى يخلع على مضمون ذلك الاهتمام ... إن المسيحية تزعم أن الاله الذى تجلى فى يسوع الذى هو المسيح هو الاله الحقيقى ، الموضوع الحقيقى لاهتمام مطلق ولا مشروط . وتزعم أيضا أن سائر الآلهة الأخرى ، مقارنة بهذا الاله ، أدنى من أن تكون موضوعات مشروعة لاهتمام مطلق ، وإذا ما أحييت إلى موضوع لاهتمام مطلق ، فإنها تغدو أصناما ."^(٢) هذا المعنى للايمان أو للاهتمام المطلق يتضح بصورة أكثر من خلال نص تلش التالى الذى يقول : "إن الدين هو الحالة التى يستحوذ فيها على المرء اهتماما مطلقا ، اهتماما يجعل سائر الاهتمامات الأخرى تبدو ، مقارنة به ، اهتمامات ثانوية ويكون ذلك الاهتمام ذاته محتويا على الاجابة على التساؤل المتعلق بمعنى حياتنا . ولهذا يكون هذا الاهتمام اهتماما جادا تماما وينم عن الرغبة فى التضحية بنى اهتمام متناه متعارض معه . والاسم الدينى الشائع لمضمون ذلك الاهتمام هو الله - الاله أو الآلهة".^(٣) فى ضوء هاتين العبارتين يمكن القول أن تلش يرى أن الايمان أو الدين هو حالة اهتمام مطلق . هذه الحالة تتملك المرء فيبدو كل اهتمام آخر ، مقارنة بهذا الاهتمام ، اهتماما عارضا أو ثانويا أو تافها . والاسم الدينى الشائع الذى يطلق على مضمون ذلك الاهتمام هو الله . والدين بهذا المعنى ليس هو مجرد ملكة خاصة

1) Ibid ., P.48 .

2) Tillich , P., 'Aspects of a Religious Analysis of Culture', Theology of Culture , P.40

3) Tillich , P., Christianity and the Encounter of the World Religions , P. 45 , Columbia Univ . Press , New York and London , 1963 , 1964.

تضاف إلى سائر الملكات الأخرى الخاصة بالحياة الروحية للإنسان ، " بل يمثل بعد العمق في سائر ملكات الحياة الروحية للإنسان .^(١) هذا يعنى ، هكذا يكرر تلش في موضع آخر ، " أن الإيمان باعتباره اهتماما مطلقا هو فعل للشخصية في شموليتها . إنه يحدث في مركز الشخصية الحية بسائر عناصرها . فالإيمان هو أكثر أفعال الذهن الإنسانى تمركزا . إنه ليس مجرد حركة لقطاع خاص أو لوظيفة خاصة من الوظائف التى تشكل كينونة الإنسان ككل . إن سائر الوظائف تتحد في فعل الإيمان .^(٢) هذا المعنى الذى قدمه تلش للإيمان ينطوى في رأينا على نتائج الحادية خطيرة سوف نكشف عنها في الجزء الثانى من هذا الفصل وذلك في معرض اكتشافنا لموقف تلش الملحد من الطبيعة الماهوية أو الدينية التى يخلعها تلش المؤمن على الإنسان .

أما الدلالة الثانية التى قدمها تلش المؤمن للطبيعة الماهوية أو الدينية للإنسان فهى إقرار الإنسان لتناهيه الفعلى الذى فطره الله عليه . هذه الدلالة يعدها تلش الوجه الآخر للإيمان .^(٣) والذى يقصده بذلك هو أن حالة الإيمان تحتم إقرار الإنسان لتناهيه الفعلى ، فكلاهما وجهان لعملة واحدة هى الإنسان نفسه . هذا الإقرار للتناهي يجعل الإنسان بئامن من خطر داهم يتربص به يوما . فالإنسان يستطيع يوما ، وكما وكما سنرى تلش يؤكد فيما بعد ، تصور امكانية لاتناهيه . غير أن هذا التصور يظل يوما . محض تصور أو امكانية مجردة يستحيل تحقيقها بالفعل ومن ثم فإن تصور الإنسان أن بإمكانه تحويل هذه الامكانية المتخيلة إلى حقيقة واقعة هو تصور أحمق يستحيل تحقيقه بالفعل . فالإنسان لا يملك سوى أن يقر تناهيه الفعلى ، وأن يقر بالتالى أن اللاتناهي هو صفة لله وحده . هذا الإقرار هو فى رأى تلش أحد الدلالات

1) Tillich , P., 'Religion as a Dimension in Man's Spiritual life', Theology of Culture , PP. 5-6 .

2) Tillich , P., Dynamics of Faith , P.4, Ruskin House , George Allen and Unwin Ltd., London , 1957 .

3) Tillich , P., Systematic Theology , Vol .2, P.50 .

الرئيسية للطبيعة الماهوية أو الدينية للإنسان . (١)

هذا الاقرار للتناهي لا يعده تلش فعلا صادرا عن ملكة او جانب معين من الجوانب التي تشكل الانسان كإنسان ، بل يعده ، مثله في ذلك مثل فعل الايمان ، فعلا تقوم به الشخصية أو الكينونة في شموليتها . ولكونه كذلك فهو ينطوى في رأيه على جانب ميتا فيزيقي ، وجانب أخلاقي ، وجانب معرفي . والجانب الميتافيزيقي يتمثل في رفض الانسان مطابقة الحقائق الجزئية التي يقوده إليها بحثه الميتافيزيقي بالحقيقة المطلقة . فالبحث الميتافيزيقي هو في جوهره بحث عن الحقيقة . وإقرار التناهي يعنى هنا إقرار المرء أن أى حقيقة قد يصل إليها من خلال بحثه الميتافيزيقي هي حقيقة جزئية لا ترقى مطلقا إلى مرتبة الحقيقة المطلقة أو الحقيقة في ذاتها . (٢) أما الجانب الاخلاقي فيتمثل في رفض الانسان مطابقة خيره المحدود بالخير المطلق . فالخير المطلق هو صفة لله وحده ، أما سائر الوان الخير الانساني فهي ، قياسا بالخير الالهي المطلق ، خيارات محدودة أو متناهية . (٣) أما الجانب المعرفي فيتمثل في رفض المرء مطابقة إبداعاته الثقافية والحضارية التي يتوصل إليها بالابداع أو الخلق الالهي ، فلا يعزو لابداعاته أهمية لامتناهية لان ذلك يحيلها إلى أصنام تتمتع بصفة الاهتمام المطلق . (٤)

أما الدلالة الثالثة التي يعزوها تلش المؤمن للطبيعة الماهوية أو الدينية للإنسان فهي الحب . هذه الدلالة قدمها تلش المؤمن باعتبارها تناقض تلك الدلالة التي يخلعها على الحالة المغترية للإنسان والتي سوف نناقشها تفصيلا في الفصل الثالث أعنى الكونكيوبسنس التي يعتبرها ، كما سوف نرى ، رغبة لا تشبع مطلقا . وهو فعل

1) Ibid ., PP. 49 - 51 .

2) Ibid ., P. 51 .

3) Ibid ., Loc . cit .

4) Ibid ., Loc . cit .

ذلك فى كتابه " اللاهوت النسقى " الذى خصصه لتقديم مذهب فى الطبيعة الماهوية أو الدينية ، وكذا مذهب فى الطبيعة المغترية ، بطريقة مفصلة مدروسة . حقا ، لقد كتب تلش يقول : " من الواضح أن صفات الوجود الجديد تناقض صفات الاغتراب ، أعنى الايمان بدلا من اللايمان ، وإقرار التناهى بدلا من الهيويرس ، والحب بدلا من الكونكيويسنس . " (١) وهذا القول يعنى أن الدلائل الثلاث التى يخلعها تلش على الحالة الماهوية أو الدينية للانسان - الايمان ، وإقرار التناهى ، والحب - تناقض تلك الدلائل الثلاث التى يخلعها على الحالة المغترية والتى سوف نناقشها بالتفصيل فى الفصل الثالث أعنى اللايمان ، والهيويرس ، والكونكيويسنس . ولكن تلش عرف الكونكيويسنس ، كما سوف نرى فى الفصل الثالث ، بأنها رغبة لا محدودة لا تشبع أبدا نظرا لأنها ليست موجهة إلى موضوع محدد ، ثم جعل الحب ، باعتباره يصف الحالة الماهوية للانسان ، مناقضا للكونكيويسنس ، والأمر الذى يريد أن يصل إليه من ذلك هو أن الحب فى سائر صورته وأشكاله - الابيثيميا أو اللبيدو غير المتشوه ، والايروس ، والفيليا ، والآقاب - يتجه يوما ، على النقيض من الكونكيويسنس ، إلى موضوع محدد . " فالحب فى سائر صورته وأشكاله ، " هكذا يقول تلش ، " يتجه يوما إلى موضوع محدد يرغب حامل الحب فى الاتحاد معه . " (٢) وذلك بغية الحصول على الاشباع . أما الكونكيويسنس فلا يتجه إلى موضوع محدد لانه عبارة عن رغبة متشوهة ولا متناهية ومن ثم لا تشبع أبدا من خلال أى موضوع معطى . هذا المعنى سوف يأتى بصورة مفصلة فى الفصل الثالث .

إذا كان تلش يرى أن الطبيعة الدينية للانسان تتمتع بالدلائل الثلاث السابقة ، فهو يرى أيضا أن هذه الطبيعة تتمتع كذلك ببنية أنطولوجية خاصة . هذه البنية لا يشارك فيها الانسان فحسب ، بل تشارك فيها سائر الموجودات الأخرى ، وهذا هو

1) Ibid., P.177.

2) Ibid., P. 54 .

المقصود بكونها انطولوجية . وهو يتابع هيدجر فى التاكيد على أن طبيعة الانسان تحتوى على المدخل الممكن الوحيد المفضى إلى الانطولوجيا . فالتعرف على طبيعة الانسان سوف لا يؤدي فى رأيه إلى تشييد مذهب انسانى انثروبولوجى فحسب، بل إلى تشييد مذهب انطولوجى أو مذهب فى الوجود عامة أو فى الوجود ذاته . هذا هو السبب الذى جعله يؤكد على أنه يتحتم على الانسان " أن يعى الحقيقة التى مؤداها أن الانسان نفسه هو الباب المفضى إلى مستويات أعمق للوجود ، أن وجوده نفسه يحتوى على المدخل الممكن الوحيد إلى الوجود ذاته . (١)

تجدر الإشارة هنا إلى أنه يمكن النظر إلى طبيعة الانسان بطريقتين . هاتين الطريقتين هما ، كما يقول تلش ، انعكاس " للحقيقة التى مؤداها أنه فى حالة معرفة الانسان لنفسه (أو لطبيعته) يكون الانسان نفسه ليس فقط الموضوع القابل لأن يعرف بل أيضاً الذات العارفة نفسها . فباعتباره جزء من الحقيقة التى يحاول تفسيرها يكون الانسان نفسه موضوعاً لسائر مناهج المدخل العلمى إلى الحقيقة .. وباعتباره الذات التى تنظر إلى الحقيقة (بما فى ذلك ذاته هو) لن يستطيع أن يفهم نفسه إلا من خلال وعيه المباشر ببنيته الذاتية ... والمناهج التى استخدمت فى هذا الصدد هى المنهج الحدسى (برجسون) ، والمنهج الفينومينولوجى (هوسرل) ، والمنهج الوجودى (هيدجر- سارتر). (٢) هذه الطائفة الاخيرة من المناهج هى التى ينتمى إليها مدخل تلش إلى طبيعة الانسان ومن ثم إلى الانطولوجيا أو إلى طبيعة الوجود عامة . فهو الذات التى تنظر إلى الحقيقة (بما فى ذلك ذاته هو) ، وهو يفهم نفسه من خلال وعيه المباشر - أعنى من خلال وعيه الذاتى أو معرفته الذاتية أو خبرته المباشرة الفورية بلا واسطة - ببنيته الذاتية التى لا يجدها فى ذاته وفى كل موجود انسانى آخر فحسب ، بل يجدها

1) Ibid ., Vol.1, P. 62.

2) Tillich ,P., 'Abstracts of Papers', The Journal of Philosophy , Vol . XL 111 (January - December , 1946) , PP. 675 -676 .

أيضا ، بطريق المماثلة أو القياس على الأقل ، فى كل شىء يتمتع بالوجود . فالانسان فى رأيه يعنى " بطريقة مباشرة وفورية بنية الوجود وعناصرها .^(١)

إذا كان تلش يرى هكذا أن التعرف على طبيعة الانسان أو على الوجود الانسانى هو الطريق المفضى إلى التعرف على طبيعة الوجود عامة ، فإن هذا لا يعنى أنه يرى أن دراسة الانسان ، كموضوع للمعرفة ، أكثر يسرا من دراسة الموضوعات غير الانسانية . إن العكس هو الصحيح . فالانسان فى رأيه " هو أصعب موضوع بالنسبة للعملية المعرفية .^(٢) ولكن إذا كان الأمر كذلك ، فلماذا يصر تلش على أن الطريق إلى الانطولوجيا يتحتم أن يبدأ بدراسة طبيعة الانسان ؟ إن إجابة تلش على هذا السؤال تجرى على النحو التالى : "إن كل موجود يشارك فى بنية الوجود ، ولكن الانسان هو الموجود الوحيد من بين سائر الموجودات الذى يعنى هذه البنية بطريقة مباشرة .^(٣) هذا بالإضافة إلى أن الانسان هو الموجود الوحيد " الذى يعنى البنيات التى تجعل المعرفة ممكنة . إنه يعيش فى هذه البنيات ويتصرف من خلالها .^(٤) إنه ، بتعبير آخر ، الموجود الوحيد الذى يعنى بنية الذات - الموضوع - حيث أن سائر البنيات التى تجعل المعرفة ممكنة ترد فى النهاية إلى هذه البنية - التى تجعل المعرفة أو الخبرة المباشرة ممكنة . ومن خلال " خبرته المباشرة بوجوده يستطيع المرء أن يكتشف شيئا من طبيعة الوجود عامة .^(٥) وذلك لان الانسان هو " ذلك الموجود الذى تتحد فيه سائر مستويات الوجود .^(٦) ولهذا السبب يستطيع ، من خلال المعرفة الذاتية أو الوعى الذاتى أو الخبرة المباشرة بلا واسطة ، أن يصل ليس إلى معرفة وجوده فحسب ، بل إلى معرفة انطولوجية فى نفس الوقت . فعندما يحلل الانسان

1) Tillich ,P., Systematic Theology , Vol . 1, P. 169 .

2) Ibid ., Loc . Cit .

3) Ibid ., P. 168 .

4) Ibid ., P. 169 .

5) Ibid ., P. 62 .

6) Ibid ., P . 168 .

البنيات التي تجعل المعرفة ممكنة (بنية الذات - الموضوع) ، فإن المفاهيم التي تنتج عن هذا التحليل لا تنطبق على وجود الانسان فحسب ، بل تنطبق أيضا ، بطريق المماثلة أو القياس على الأقل ، على سائر الموجودات الأخرى .

هذه المفاهيم (أو البنيات) الانطولوجية التي يتوصل إليها الانسان من خلال تحليله للبنيات التي تجعل المعرفة أو الخبرة المباشرة ممكنة والتي ترد في النهاية إلى بنية الذات - الموضوع هي في رأي تلتش مفاهيم " قبلية " A priori . فما هو المقصود بكونها كذلك ؟ هل هي " قبلية " بمعنى أن المعرفة بها تكون سابقة على التجربة أو الخبرة المباشرة أو بمعزل عنها ؟ إن اجابة تلتش على هذا السؤال هي بالنفي . " فكلما قبلي ، " هكذا يؤكد هو ، " لا تعنى أن معرفة المفاهيم الانطولوجية هي معرفة سابقة على الخبرة المباشرة .^(١) وإنما تعنى أن هذه المفاهيم " قبلية " بمعنى " إنها تحدد طبيعة الخبرة المباشرة : فتكون حاضرة مع حضور موضوع الخبرة ... إنها تشكل بنية الخبرة ذاتها .^(٢) هذا يعنى أنه على الرغم من أن المعرفة بهذه المفاهيم لا تكون معرفة سابقة على الخبرة أو التجربة المباشرة ، فإن هذه المفاهيم ذاتها تكون " مفترضة سلفا في كل خبرة فعلية .^(٣) إنها تكون معطاة given للخبرة ، وذلك لان هذه المفاهيم تشكل بنية الخبرة ذاتها . إنها لا تتمتع بوجود موضوعي جامد ومستقل عن التجربة المباشرة ، ولكنها تكون حاضرة مع حضور موضوع التجربة . أما صياغة هذه المفاهيم صياغة علنية فتكون " نتاجا للتحليل النقدي (الفيينومينولوجي) للخبرة .^(٤) هذا يعنى ، بتعبير آخر ، أنه بينما أن هذه المفاهيم الانطولوجية هي مفاهيم " قبلية " بمعنى أنها تكون مفترضة سلفا في كل خبرة أو تجربة فعلية ، فإن الصياغة العلنية لهذه المفاهيم هي وحدها التي تكون صياغة بعدية بمعنى إنها تكون نتاجا للتحليل النقدي

1) Ibid ., P.166 .

2) Ibid ., Loc . cit .

3) Ibid ., Loc . cit .

4) Ibid ., Loc . cit .

الفينومينولوجى للخبرة أو التجربة ذاتها . وعلاوة على ذلك ، إذا كان تلش قد أكد هكذا على أن كلمة "قبلية" لا تعنى أن المعرفة بالمفاهيم الانطولوجية تكون معرفة سابقة على التجربة أو الخبرة المباشرة، فهو أكد أيضا أن كلمة "قبلية" لاتعنى أن هذه المفاهيم تؤلف نسقا جامدا لا يتغير . حقا ، لقد أكد تلش أن العكس هو الصحيح . فهو يقر أن شكل الخبرة أو التجربة الانسانية قد يتغير يوما على مدار التاريخ .^(١) غير أنه يصر في نفس الوقت على أن الشيء المؤكد الوحيد الذى لم يتغير على مدار التاريخ هو أن هناك خبرة ، "وطالما أن هناك خبرة ... فهناك أيضا بنية للخبرة، بنية يمكن التعرف عليها من خلال عملية الخبرة ذاتها كما يمكن براستها دراسة نقدية".^(٢) هذا يعنى أن تلش يجد في الانسان التاريخى أو بالأحرى في تاريخية الانسان بنية قبلية تتمتع إلى حد ما بالثبات. " هذه البنية هي موضوع المذهب الانسانى الانطولوجى واللاهوتى ... إن الانطولوجيا واللاهوت يتعاملان مع تاريخية الانسان كما هي معطاة للخبرة الحالية والذاكرة التاريخية ."^(٣) هذه البنية التى تتمتع بها تاريخية الانسان هي في رأيه التى تجعل من المستطاع تأسيس مذهب انسانى انطولوجى لاهوتى .^(٤)

من هذا المنطلق ينتقد تلش كل أولئك الذين لا يقرون إمكانية تأسيس مذهب انطولوجى انسانى وذلك استنادا إلى حاجتهم التى تقول : إن الطبيعة الانسانية تتغير يوما على مدار العملية التاريخية وإن هذا التغير المستمر يجعل من المستحيل الحديث عن طبيعة إنسانية محددة ، ومن ثم إذا كان " المذهب الانسانى ... هو المدخل الرئيسى للانطولوجيا وهو المرجع الاساسى لللاهوت ، فإن هذا يعنى أن الانطولوجيا

1) Ibid ., Loc . cit .

2) Ibid ., P. 167 .

3) Ibid ., Loc . cit .

4) Ibid ., Loc . cit .

واللاهوت لن يكونا ممكنين. (١) وهو يذكر هنا الفلسفة العملية وما يطلق عليه اسم المذهب النسبي التاريخي أو النسبية التاريخية Historical relativism باعتبارهما أبرز ممثلي هذا الاتجاه . وهو يرى أن هذين المذهبين ليسا على صواب فيما ذهبوا إليه ، وذلك لأن تاريخية الإنسان تتمتع في رأيه ببنية قبلية تنقسم إلى حد ما بالثبات وتشكل الأساس التحتي لسائر التغيرات التي حدثت والتي قد تحدث للطبيعة الانسانية . هذه البنية يطلق عليها تلش أحيانا اسم بنية التناهي ، وذلك لأن التناهي finitude يعد بالنسبة له ، كما سنرى فيما بعد ، الموضوع الرئيسي للوجود وبالتالي للانطولوجيا . ولقد عبر هو نفسه عن ذلك من خلال النص التالي الذي يقول : " إن الانطولوجيا التي تقصر نفسها على بنية التناهي هي انطولوجيا ممكنة . هذه الانطولوجيا يمكن أن تسمى مذهباً في الطبيعة الانسانية ... فالمذهب الانطولوجي الانساني يشيد ببنية التناهي كما يجدها الإنسان في داخله وباعتباره مركز وجوده الشخصي . فالإنسان هو الوجود الوحيد من بين سائر الموجودات المتناهية الذي يعي تناهيه ، ولهذا يمر الطريق إلى الانطولوجيا عبر المذهب الانساني . (٢)

هذا المدخل التيلشي إلى الانطولوجيا يماثل تماماً مدخل هيدجر الذي عرضه في كتابه " الوجود والزمان " . فكلاهما يتخذ من الوجود الانساني مدخلا إلى الانطولوجيا . ولقد عبر هيدجر عن موقفه على النحو التالي : " إذا كنا ننشد الوصول إلى المفهوم الاساسي للوجود 'وإلى تلخيص المفاهيم الانطولوجية التي يتطلبها وكذا إلى التغيرات التي تخضع لها بالضرورة ، فنحن نحتاج إلى مفتاح لحل هذا اللغز . ولسوف نواصل سعيينا نحو مفهوم 'الوجود' من خلال تفسيرنا لكيثونة خاصة معينة ، أعني الديزاين ، ولسوف نصل عن طريق الديزاين إلى آفاق فهم الوجود وإمكانية تفسيره ، وهذا الطابع الخاص نسبيا المميز لفحصنا لن يطمس عمومية مفهوم

1) Ibid ., Loc . cit .

2) Tillich , P., 'Existential Philosophy : its Historical Meaning',
Theology of Culture , P . 98.

الوجود'. ولكن هذه الكينونة نفسها ، الـديـزايـن ، هـي كـينـونـة تـاريـخيـة . ولـهـذا يـغـدو الـايـضـاح الـانـطـولـوجـي لـها بـالـضـرـورـة ايـضـاحـا تـاريـخـيا .^(١) وفـي مـوضـع آخـر لـخـص هـيـدـجـر نـفس هـذا المـدخـل فـي الـكـلمات الـآتـية : " إن الـاقـتـراب مـن حـقيـقـة الـوـجـود يـكـون ... مـن خـلال الـديـزايـن (الـكـينـونـة) الـتي يـكـون عـلـيـها الـانـسـان .^(٢) وأـوضـح وليم بـاريت هـذا المـدخـل الـذي تـبـنـاه هـيـدـجـر عـلى النـحو التـالـي : " إن هـيـدـجـر يـهـدف إلـى تـوضـيح مـعـنى الـوـجـود - الـوـجـود العـام - كـما هـو كـائـن فـي كـل مـكان وفـي سـائـر الـأشـياء ... إنـه يـنـشـد اكـتـشـاف مـعـنى الـوـجـود مـن خـلال تـحـلـيل ووصـف الـوـجـود الـانـسـانـي .^(٣) ونـظـرا " لـأن هـيـدـجـر يـرى ، " هـكـذا يـضـيف بـاريت ، " أن الـانـسـان هـو حـيـوان مـيتـافـيزيـقي (انـطـولـوجـي)؛ فـهـو يـكـون فـي الـوـجـود مـهـتـما بـوـجـودـه هـو . فالـانـسـان يـسـعى إلـى فـهـم وـجـودـه هـو ، وـهـذا السـعى نـفسـه هـو حـقيـقـة تـصـف وـجـودـه بـعمق . وـهـو يـطـرح مـشـكـلة الـوـجـود العـام ، مـن خـلال وـضـع وـجـودـه هـو مـوضـع تـساؤل . ولـهـذا يـجـب أن تـبـدأ دـراسـة الـوـجـود العـام مـن هـذا الـمـوجـود المـهـتم بـوـجـودـه ، هـذا إذـا كـانـت تـلك الدـراسـة تـبـغـى إحـراز شـيـء جـديـد مـتـعـين".^(٤) أمـا تـلـش نـفسـه فـقـد نـوه إلـى التـمـائـل بـيـن مـدخـله ومـدخـل هـيـدـجـر إلـى الـانـطـولـوجـيا عـندما قـرر أن هـيـدـجـر يـرى " أن الـكـينـونـة الـوـجـودـية ، أو الـديـزايـن ، أو الـانـتـمـاء الـذاتـي ، هـي البـاب الـوـحـيد المـفـضـى إلـى الـوـجـود ذاتـه .^(٥) نـسـتـخلص مـن كـل ذلـك أن تـلـش وهـيـدـجـر يـتـخـذان مـن الـانـسـان أو الـوـجـود الـانـسـانـي نـقـطة انـطـلاقـهما نـحو الـانـطـولـوجـيا أو الـوـجـود العـام ، وأن كـليـهما يـجـد فـي تـاريـخـية الـانـسـان بـنية قـبـليـة تـتمـتـع إلـى حد ما بـالـثـبـات وتـنـطـبـق ، بـطـريق المـمـائـلة أو القـياس عـلى الـاقل ، عـلى سـائـر الـمـوجـودات الأخرى .

-
- 1) Heidegger ,M., Being and Time, P. 63, Translated by Macquarrie, J., and Robinson . E ., Basil Blackwell , 1962 .
 - 2) Heidegger , M., 'On the Essence of Truth', Martin Heidegger Basic Writings from Being and Time (1927) to the Task of Thinking (1964) , P. 141 .
 - 3) Barrett , W ., What is Existentialism ? , P. 25 .
 - 4) Ibid ., P. 26 .
 - 5) Tillich , P., 'Existential Philosophy : its Historical Meaning', Theology of Culture , P. 93 .

والبنية الانطولوجية الرئيسية للوجود التي يجدها تلش مميزة للطبيعة الماهوية أو الدينية للانسان هي بنية (أو تضاييف أو قطبية) الذات - العالم أو الذات - الموضوع. وعن هذه البنية كتب تلش يقول : " إن الانسان يكشف من خلال خبرته أن ذاته لديها عالم تنتمي إليه . والبنية الانطولوجية الرئيسية تشتق من تحليل تلك العلاقة الجدلية المعقدة بين قطبي هذه البنية . فالانتماء الذاتى متضمن فى كل خبرة ... والتساؤل الحقيقى لا يتعلق بما إذا كانت هناك نوات تتمتع بالوجود . بل يتعلق بما إذا كنا نعى انتماعنا لنواتنا . وهذا الوعى لا يمكن انكاره إلا بعبارة تؤكد ضمنا الانتماء الذاتى ، وذلك لان الانتماء الذاتى يتأكد من خلال الافعال السلبية كما يتأكد من خلال الافعال الايجابية . إن الذات ليست شيئاً قد يوجد وقد لا يوجد ، إنها ظاهرة أصلية تسبق من الناحية المنطقية سائر قضايا الوجود .^(١) هذا النص يؤكد على أن الذاتية هي أمر واضح بذاته ، ومن ثم فإن إثباتها لا يحتاج إلى براهين ، وأى محاولة لإنكارها هي محاولة عبثية لا طائل من ورائها ، لانه " حتى السؤال الانطولوجى (ما الوجود ذاته؟) " ، هكذا يوضح تلش من جديد ، " يفترض سلفاً ذاتاً تسأل وموضوعاً تسأل عنه الذات ، إنه يفترض سلفاً بنية الذات - الموضوع باعتبارها بنية الوجود ، وهذه بدورها تفترض سلفاً بنية الذات - العالم باعتبارها الرابط الاساسى للوجود . فالذات لديها عالم تنتمي إليه - هذه البنية ذات الطابع الجدلى الكبير - تسبق من الناحية المنطقية ومن ناحية الخبرة سائر البنيات الاخرى . إن تحليل هذه البنية يجب أن يكون المهمة الاولى لكل تحليل انطولوجى .^(٢) هذا يعنى أن تلش يرى أنه ليس هناك من سبيل لانكار الذاتية أو الانتماء الذاتى (أى انتماء المرء لذاته) الذى يعادله تلش بالتمركز الذاتى أى تمركز المرء فى داخل ذاته Self-centeredness . فالانسان ، هكذا يؤكد تلش ، هو ذات أولاً وقبل كل شيء ، وتلك حقيقة يستحيل إنكارها .

1) Tillich , P., Systematic Theology , Vol . 1, P . 169 .

2) Ibid ., PP.164 - 165 .

ولكن ما الذى يقصده تلش بقوله إن الانسان هو عبارة عن ذات أو هو كائن يتمتع بالذاتية ؟ وإجابته على هذا السؤال هي أن تكون ذاتا معناه أن تكون موجودا متمركزا، منفصلا عن كل شيء آخر حتى تستطيع النظر إليه وأن تتدبره وتتصرف حياله . "فعملة الانسان، " هكذا يؤكد تلش، " تكمن في كونه متمركزا في ذاته، فانفصاله عن عالمه ، يجعله قادرا على النظر إليه باعتباره عالما ."^(١) ولكن الانسان لا يعي نفسه على أنه ذات متمركزة في ذاتها أو منتمية إلى ذاتها ومن ثم منفصلة عن كل شيء آخر فحسب ، بل يعي أيضا وفي نفس الوقت أن ذاته تنتمي إلى ذلك الذى تنظر إليه . ولقد أكد تلش نفسه ذلك الانتماء من خلال كلماته التالية التى تقول : " أن تكون ذاتا معناه أن تكون منفصلا إلى حد ما عن كل شيء آخر ، وأن تضع كل شيء آخر كمقابل للذات ، وأن تكون قادرا على النظر إليه والتصرف حياله . ومع ذلك ، فإن هذه الذات تعي في نفس الوقت أنها تنتمي إلى ذلك الذى تنظر إليه . فالذات تكون 'فيه' The self is 'in' it"^(٢) ولكن ما هو ذلك الشيء الذى تنظر إليه الذات كشىء منفصل عنها ومنتمية إليها في نفس الوقت ومن ثم تكون "فيه" بمعنى ما ؟ والاجابة على هذا السؤال هي أن الانسان يعي أولا وقبل كل شيء أنه جزء من البيئة التى يعيش فيها . وهو ، بتعبير أدق ، يعي أنه على الرغم من أنه منفصل بمعنى ما عن البيئة التى يعيش فيها ، إلا أنه ينتمي إليها ويعتمد عليها فى الآن عينه . وهذا يعنى أن كليهما " يحدد الآخر ."^(٣) والمقصود بذلك هو أن العلاقة بينهما هي علاقة قطبية أو علاقة تضاييف . فكل قطب منهما يكون محددًا بالقطب الآخر بمعنى أنهما يعتمدان أو يتوافقان على بعضهما توافقا متبادلا ، هذا على الرغم من أنهما يكونان في نفس الوقت مستقلين عن بعضهما استقلالا تاما . هذا يعنى باختصار أن تلش يرى أن كل قطب منهما يكون منفصلا عن القطب الآخر، ومعتمدا عليه في نفس الوقت.

1) Tillich , P., 'Loneliess and Solitude' , The Boundaries of Our Being, P . 17 .

2) Tillich , P., Systematic Theology , Vol . 1,P. 170 .

3) Ibid ., Loc . cit .

من هنا راح تلش يقرر أن كل موجود يتمتع بالوجود " لديه بيئة يعيش فيها ... هذه البيئة تتكون من تلك الأشياء التي يقيم معها علاقة متبادلة فعالة. فالموجودات المختلفة التي تتواجد في حيز مكاني محدد تكون لديها بيئات مختلفة . فكل موجود لديه بيئة على الرغم من أنه ينتمى إلى بيئته .^(١) والعلاقة بين الاثنين هي لذلك علاقة قطبية أو تضاييف أو تواقف متبادل .

ولكن الانسان ، هكذا يقول تلش، هو الموجود الوحيد من بين سائر الموجودات الذي لديه أنا - ذات ego-self . ولهذا فهو الموجود الوحيد الذي لديه ذاتا بالمعنى الكامل . ولقد عبر هو عن ذلك على النحو التالي : "يمكننى أن أقول إن الذرات وكذلك الحيوانات تتمتع بالتمركز الذاتى وذلك فى حالة ما يكون رد فعلها تجاه أى منبه معتمدا على كل بنيوى structural whole . ولكن الانسان وحده يتمتع بذات متمركزة على النحو الكامل . إنه يمتلك ذاته فى شكل الوعى الذاتى . فهو لديه أنا - ذات.^(٢) هذا يعنى أن تلش يرى أن الذاتية (أو التمرکز الذاتى أو الانتماء الذاتى) لا تنطبق على الانسان فحسب، بل تنطبق أيضا على كل شىء يتمتع بالوجود. فكل شىء يتمتع بكل بنيوى منفصل ومتمركز فى ذاته الامر الذى يجعل رد فعله تجاه أى منبه أو مشير أو باعث أو دافع آخر معتمدا على ذلك الكل البنيوى، يكون متمتعا بمعنى ما بالذاتية. هذا ينطبق على الحيوانات كما ينطبق على الجماد بل وعلى الذرات ، طالما أن كل واحدة منها هي عبارة عن كل بنيوى منفصل ومتمركز فى ذاته ويمارس عملية رد الفعل تجاه أى منبه طبقا لذلك الكل البنيوى. هذا بالاضافة إلى أن كل شىء يتمتع بالوجود لا يتمتع بالذاتية فحسب ، بل ينتمى أيضا إلى البيئة التى هو منفصل عنها ومنتمى إليها فى نفس الوقت وبالتالي يوجد "فيها" بمعنى ما . ولكن الانسان، هكذا يؤكد

1) Ibid ., Loc . cit .

2) Ibid ., PP . 169 - 170 .

النص، هو الوجود الوحيد الذى يتمتع بالذاتية على النحو الكامل ، وذلك لان لديه وعيا ذاتيا أو أنا - ذات . وهذا يجعله يتركز فى ذاته تركزا كاملا ويمتلك ذاته على النحو الكامل . هذا لا يعنى أن تلش يجعل الذات مرادفة للآنا - ذاتا أو لوعى المرء المباشر بذاته . فمثل هذا الظن هو ظن خاطيء ، وذلك لان تلش يرى أن معنى الذات اشمل من معنى الآنا - ذات أو الوعى الذاتى . هذه الرؤية متضمنة فى النص التالى الذى يقول : " إن مصطلح الذات أشمل من مصطلح 'الآنا' . فهو يشتمل على الاسس الواعية (أو الشعورية) واللاواعية (أو اللاشعورية) للآنا الواعى بذاته وللوعى الذاتى (الكوجيتو بالمعنى الديكارتى) . ولهذا يجب أن نعزو الذاتية أو التمرکز الذاتى بمعنى ما إلى سائر الموجودات الحية وأن نعزوها ، بطريق المماثلة (أو القياس) ، إلى أى كل متفرد حتى فى المملكة غير العضوية . من هنا أستطيع أن أقول ان الذرات وكذلك الحيوانات تتمتع بالتمرکز الذاتى ، وذلك عندما يكون رد فعلها تجاه أى منبه معتمدا على كل بنىوى . ولكن الانسان وحده يتمتع بذات متطورة تماما ومتمركزة على النحو الكامل . إنه يمتلك ذاته فى شكل الوعى الذاتى . فهو لديه أنا - ذات .^(١) هذا النص يوضح أن تلش يرى أن معنى الذات يشتمل على الشعور واللاشعور ، اللذان يشكلان الاساس لكل من الآنا ذات أو الآنا الواعية بذاتها على نحو مباشر ، والوعى الذاتى أو الكوجيتو الديكارتى الذى يشير إلى الذات المفكرة . والذات هى فى النهاية كل متفرد تتمتع بالتمرکز الذاتى أو الانتماء الذاتى ، لذلك فهى لا تطلق على الانسان فحسب ، بل تطلق أيضا على أى موجود آخر وذلك فى حالة ما يكون ذلك الموجود - حيوانا كان أم نباتا أم خلاف ذلك - يقوم برد فعله تجاه منبه أو مثير معين ككل متفرد . ولكن الانسان هو الموجود الوحيد من بين سائر الموجودات الذى ارتقى أو تطور إلى درجة الوعى الذاتى أو الآنا - ذاتا وبالتالي إلى مستوى الذاتية بمعناها الكامل. إنه يمتلك ذاته على النحو الكامل من خلال وعيه الذاتى. هذا بالاضافة إلى أن الوعى الذاتى لا

1) Ibid ., Loc . cit

يجعل الانسان لديه بيئة أسوء بسائر الموجودات الأخرى فحسب، بل يمكنه من أن يتجاوز كل بيئة ممكنة وأن يكون لديه عالم . ولقد كتب تلش في هذا المعنى يقول :
نظرا لأن الانسان لديه انا - ذات فهو يستطيع أن يتجاوز كل بيئة ممكنة . إن الانسان لديه عالم . والعالم ، مثله في ذلك مثل البيئة ، هو مفهوم تضائفي . فالانسان لديه عالم ، على الرغم من أنه 'فيه' في نفس الوقت .^(١) والعالم في رأى تلش هو ذلك الكل البنيوي الذي يشمل ويتجاوز سائر البيئات ، إنه يتجاوز تلك البيئات التي لدى الموجودات التي تفتقر إلى الذات بالمعنى الكامل ، كما يتجاوز أيضا البيئات التي يعيش فيها الانسان بصورة نسبية .^(٢) فالانسان يعيش في البيئة بصورة نسبية (غير مطلقة) أو كمرحلة أولية فقط نظرا لأنه ، على النقيض من سائر الموجودات ، ليس لديه بيئة فحسب ، بل أيضا لديه عالما ، والعالم هو الوحدة البنيوية المكونة من سائر المضامين الممكنة . وهذا هو ما يجعل الانسان اسمى الموجودات .^(٣) حقا، لقد أكد تلش مرارا وتكرارا على " أن الانسان لديه عالما اعنى ، كلا بنيويا مؤلفا من اجزاء لا تحصى ، لديه كونا cosmos، على حد قول الاغريق ، وذلك نظرا لذلك الطابع البنيوي لعالمه الذي يجعل الانسان منفتحا عليه من خلال أفعال التلقى والتبديل التي يقوم بها .
إن امتلاك عالم يفوق امتلاك بيئة . صحيح أن الانسان ، مثله في ذلك مثل أى موجود آخر ، يمتلك بيئة ، ولكنه ، على النقيض من الحيوانات ذات المرتبة العليا ، على سبيل المثال ، ليس محبدا ببيئة . إنه يستطيع أن يتجاوز بيئته في أى اتجاه ، في الخيال ، والفكر، ومن خلال الفعل (هذا يتبدى ، على سبيل المثال ، من خلال الوان البوتوييا الاجتماعية أو من خلال المفاهيم الانطولوجية أو من خلال اكتشافات الفضاء). إن الانسان يمتلك العالم عبر كل جزء من أجزاء بيئته . إن ملاقاته لاي موضوع من الموضوعات المحيطة به هي دوما ملاقة مع الكون المتجلى في موضوع معين . إن

1) Ibid., P. 170

2) Ibid., Loc . cit .

3) Ibid., Vol .3,P. 36 .

الانسان لا يلقى هذه الشجرة عينها ، إنه يلاقيها باعتبارها شجرة من بين أشجار عديدة ، كمثال لجنس الأشجار (فهذه الشجرة عينها تعد تجل خاص للقوة العامة للوجود) . هذه الملاقاة تفترض سلفا التحرر مما هو خاص ، والقدرة على رؤية ما هو عام داخل ما هو خاص . واللغة هي التجلى لهذا التحرر . فاللغة تحيا من خلال عموميات . ولهذا يكون امتلاك العالم ، مرادفا لتجاوز البيئة ، وللحديث بمفاهيم وقضايا ذات معنى .^(١) حقا ، إن القدرة على التحرر مما هو خاص ، وعلى رؤية ما هو عام داخل ما هو خاص ، تتبدى حتى عند ملاقاتنا ، على سبيل المثال ، لشجرة من الأشجار . فنحن لا نلقى هذه الشجرة أو تلك بعينها ، بل نلقى أصلا سائر اجناس الأشجار ، وذلك لأن هذه الشجرة أو تلك تحيلنا إلى ما ورائها اعنى إلى المعنى العام للشجرية أو للشجرية في ذاتها ومن ثم إلى سائر الأشجار التى توجد فى هذا العالم والتى قد توجد حتى فى سائر أرجاء الكون . ونفس الامر ينطبق على ملاقاتنا لانسان ما ، أو حتى لكوكب من الكواكب كالارض مثلا . هنا يستطيع الانسان أن يلقى سائر أجناس الكواكب التى قد توجد فى سائر أرجاء الكون من خلال ملاقاته لهذا الكوكب . والامر الذى يساعد الانسان على هذا التحرر مما هو خاص ورؤية ما هو عام داخل ما هو خاص هو اللغة . فاللغة تتعامل مع كليات أو عموميات ، ومن خلالها يستطيع الانسان المشاركة هكذا فى الكون بلا حدود . حقا إنه يستطيع أن يشارك حتى فى أكثر الكواكب انعزالا وبعدا عن الارض . إنه لا يكون أبدا محكوما ببيئته . ففى كل لحظة من لحظات حياته يستطيع الانسان أن يتجاوز أى بيئة معطاة وأن يكون لديه عالما ، وأن يشارك فى الكون بلا حدود .

إن التضاييف (التواقف أو الاعتماد المتبادل) الذى يراه تلتش بين الذات والعالم هو الذى جعله ينقد سائر النظريات التى تحاول تفسير سلوك الانسان " من منظور بيئى فقط .^(٢) فتلك النظريات تفترض أن الانسان محكوم ببيئته تماما ، فى حين أن

1) Tillich , P., Morality and Beyond , PP .19-20, Ed . By Anshen , R.N., London , Routledge and Kegan Paul , 1963 .

2) Tillich , P., Systematic Theology, Vol .1 , P. 170 .

تلش يؤكد ، على النقيض من تلك النظريات ، " أن الانسان لا يكون أبدا محكوما ببيئة معينة . إنه يتجاوز البيئة دائما عن طريق فهمها وتشكيلها طبقا لمعايير وأفكار عامة . واللغة ، باعتبارها القوة المعبرة عن العموميات (أو الكليات) ، هي المعبر الرئيسي عن تجاوز الانسان لبيئته ، عن كونه لديه عالما .^(١) هذا يعنى ، بتعبير آخر ، أن تلش يؤكد ، ضد هذه النظريات ، " البنية الماهوية (أو الدينية) للواقع ، أى بنية الذات والعالم ، باعتبارها تناقض الاحوال الوجودية (المفتربة) التى تجعل الانسان محكوما تماما بالبيئة .^(٢)

طالما أن تلش يرى أن العلاقة بين الذات والعالم هى هكذا علاقة تضافىف ، فإن هذا يعنى بالنسبة له " أن الذات بدون عالم سوف تكون ذاتا خاوية ، وأن العالم بدون ذات سيكون عالما ميتا .^(٣) فالذات بدون العالم تكون خاوية بمعنى أن الوعى الذاتى يكون وحيا بلا مضمون حيث أن العالم هو الذى يزود الذات بكل مضمون ممكن ومن ثم لن يكون هناك وعى بالذات ما لم يكن هناك وعى بالعالم . والعكس أيضا صحيح بمعنى " أن الوعى بالعالم ، " هكذا يقول تلش ، " لن يكون ممكنا إلا على أساس الوعى الذاتى الكامل . فالانسان يجب أن يكون منفصلا تماما عن عالمه حتى يستطيع أن ينظر إليه كعالم .^(٤) هذه البنية - بنية الذات - العالم - التى يعتبرها تلش البنية الأساسية للواقع تعد فى رايه " الأساس لبنية الذات - الموضوع الخاصة بالعقل .^(٥) هذا يعنى أنه يرى أن بنية الذهن تسمى بنية الذات - الموضوع ، أما بنية الواقع فتدعى بنية الذات - العالم . هذه البنية الأخيرة هى فى رايه اساس البنية الاولى ، وذلك لان الذات أو الذهن - حيث أنه يجعل الذات مرادفة

1) Ibid ., Loc . cit .

2) Ibid ., Vol . 3, P. 39 .

3) Ibid ., Vol . 1, P. 171 .

4) Ibid ., Loc . cit .

5) Ibid ., Loc . cit .

للذهن (١) - يعد بالنسبة له الحامل الوحيد للعقل الذاتى ، فى حين أن العالم الذى تنظر إليه الذات يعد الحامل الوحيد للعقل الموضوعى . هذا الارتباط بين البنيتين يعنى أن اختفاء أو زوال بنية الذات - العالم يؤدي حتما إلى اختفاء بنية الذات - الموضوع . والعكس صحيح أيضا بمعنى أن اختفاء بنية الذات - الموضوع الخاصة بالعقل يؤدي إلى اختفاء بنية الذات - العالم الخاصة بالواقع وذلك لأن العقل ، بمعنى ما ، هو الذى " يجعل الذات ذاتا ، اعنى ، بنية متمركزة ، ويجعل ... العالم عالما ، أعنى ، كل بنوى . فبدون العقل ، أى بدون لوغوس الوجود ، لن يكون الوجود وجودا فعليا بل وجودا ممكنا فقط ... فى حين أنه حيثما يكون هناك عقل تكون هناك ذات وعالم متواقفان (أو معتمدان) على بعضهما تواقفا متبادلا . " (٢) من هنا يمكن القول إن هناك ارتباط وثيق ، فى رأى تلش ، بين بنية الذات - العالم المتعلقة بالواقع وبنية الذات - الموضوع الخاصة بالعقل .

تجدر الإشارة هنا إلى أن تلش يفرق بين نوعين من العقل . النوع الاول يطلق عليه اسم العقل التكنيكى أو الفنى technical أما النوع الثانى فيطلق عليه اسم العقل الانطولوجى . والعقل الاول يختزل العقل إلى مجرد القدرة على الاستدلال ومن ثم يعبر فقط عن الجانب المعرفى للعقل . أما العقل الانطولوجى فقد عرفه تلش بأنه بنية الذهن التى تساعد - أى الذهن - على أن يفهم ويدرك ويشكل الواقع . هذا العقل الانطولوجى يشتمل على سائر ملكات الذهن الإنسانى ومن ثم يضم فى طياته العقل التكنيكى . وفى كتابه " اللاهوت النسقى " يتعامل تلش مع العقل الانطولوجى ، ولكنه يحدد فى نفس الوقت دورا هاما للعقل التكنيكى . فهذا العقل يزود العقل الانطولوجى بالمناهج العلمية اللازمة للاستدلال ومن ثم يساعده على تشييد نسق منطقى مترابط ومحكم . ويؤكد تلش أن العقل الانطولوجى هو عقل متجسد أو متجل

1) Ibid ., PP. 171 - 172

2) Ibid ., P.172 .

فى الذهن والواقع معا ، وهو يسمى العقل الانطولوجى المتجسد فى الذهن باسم العقل الذاتى ، فى حين أنه يطلق على العقل الانطولوجى المتجسد فى الواقع اسم العقل الموضوعى . هذا يعنى أنه يرى أن الواقع نفسه ، مثله فى ذلك مثل الذهن ، ينطوى على بنية عقلية أو لوغوسية logos structure . فبدون هذه البنية لن يمكن للذهن المدرك والمُشكّل أن يدرك ويشكل الواقع . وهو يرى كذلك أن هناك تطابقا بين البنية العقلية أو اللوغوسية للذهن المدرك والمُشكّل والبنية العقلية أو اللوغوسية للواقع المدرك والمتشكل . وهذا هو السبب الذى يجعل بإمكان الذهن المدرك والمُشكّل أن يدرك ويشكل الواقع .^(١)

فى ضوء ما سبق نستطيع أن نلخص بنية الذات - العالم عند تلش فى الكلمات الآتية : إن الانتماء الذاتى والانتماء للعالم معتمدان على بعضهما البعض ، ومستقلان عن بعضهما البعض معا وفى نفس الوقت . وكل موجود من الموجودات يشارك فى هذه البنية . ولكن هذه البنية لا تتحقق على النحو الكامل إلا على المستوى الانسانى . فالانسان وحده ، من بين سائر الموجودات ، يتمتع بالوعى الذاتى أو الاتما - ذات . ولهذا السبب فهو ينتمى إلى ذاته أو يتمركز فى ذاته تمركزا كاملا الامر الذى يجعله يتمتع بالذاتية بكل ما فيها من معنى . هذا الوعى الذاتى يمكن الانسان من أن يتجاوز البيئة وأن يكون لديه عالم ينتمى إليه ومنفصل عنه معا وفى نفس الوقت . هذا يعنى ، بتعبير آخر ، أن هذه البنية متحققة بمعنى ما فى سائر الموجودات ، ولكنها لا تتحقق على النحو الكامل إلا فى حالة الانسان . وهى لذلك تعد فى رأى تلش البنية الانطولوجية الرئيسية للوجود ، وهى أيضا البنية الرئيسية التى تصف الحالة الماهوية أو الدينية للانسان . وهو يعد تحليل هذه البنية بمثابة الخطوة الاولى فى كل مشروع انطولوجى .

1) Ibid ., PP . 71 - 79 .

هذا الموقف الذى يتخذه تلش يماثل تماما موقف هيدجر الذى عرضه فى كتابه " الوجود والزمان ". فكلهما يؤكد على أن بنية الذات - العالم هى البنية الرئيسية للوجود وأن تحليلها يعد بمثابة الخطوة الاولى فى كل مشروع انطولوجى . ولقد عبر هيدجر عن موقفه على النحو التالى : " فى ضوء المنظور الذى حددناه كبداية لفحصنا الانطولوجى ، يتحتم علينا أن نكشف عن بنية أساسية للديزاين : بنية الوجود - فى - العالم . فمن خلال تفسيرنا للديزاين ، نجد أن هذه البنية هى بنية 'قبلية' ، وهى لا تتكون من قطعتين ملتصقتين ببعضهما البعض ، بل هى كل اولى دائم . ومع ذلك فهى تخول لنا النظر بطرق عديدة إلى الاشياء العديدة التى تتكون منها هذه البنية . هذا يعنى أن الكل الذى يشكل هذه البنية يأتى يوما فى البداية . وإذا وضعنا ذلك فى اعتبارنا دائما ، فسوف نستطيع إبراز تلك الاشياء باعتبارها ظواهر . من هنا يكون تحليلنا الانطولوجى مشتملا على الموضوعات الآتية : العالم فى عالميته ... ، والوجود - فى - العالم باعتباره وجودا - مع (الآخرين) وباعتباره وجود المرء لذاته ... ، والوجود فى (العالم) من حيث هو كذلك ... إن وجود الديزاين لا يمكن إيضاحه إيضاحا صحيحا إلا من خلال تحليل هذه البنية الرئيسية .^(١)

إن البنية الانطولوجية الرئيسية (الذات - العالم) تنطوى فى رأى تلش على ثلاث بنيات أخرى هى : بنية التفرد - التشارك ، وبنية الديناميكية - الشكل (أو الثبات) form ، وبنية الحرية- المصير . هذه البنيات الثلاثة تشكل البنية الانطولوجية الرئيسية أى بنية الذات - العالم أو بنية الذات - الموضوع ، وتضرب بجذورها فيها . هذا بالإضافة إلى أن هذه البنيات الثلاث ، مثلها فى ذلك مثل البنية الرئيسية ، هى بنيات قطبية أو بنيات متضايقة بمعنى أن كل قطب من أقطابها يعتمد على القطب الآخر اعتمادا متبادلا ، هذا على الرغم من استقلالهما عن بعضهما . فمن خلال هذه البنيات الثلاث ، نجد أن كل قطب يكون قطبا ذا معنى طالما أنه يشير ضمنا إلى القطب

1)Heidegger , M., Being and Time , P. 65 .

المعاكس opposite له... فنحن نجد في هذه القطبيات الثلاث أن العنصر الأول في كل قطبية يكون معبرا عن الانتماء الذاتى لكل موجود ، عن قدرته على أن يكون شيئا لذاته ، بينما يكون العنصر الثانى معبرا عن انتمائه للوجود ، عن كونه جزء من كون universe موجود .^(١) وطالما أن الانسان يستطيع من خلال وعيه الذاتى المباشر أو من خلال خبرته المباشرة أن يدرك ذاته باعتبارها ذاتا لديها عالم تنتمى إليه ومنفصلة عنه فى نفس الوقت، فإن هذا يعنى أنه يستطيع أيضا ، من خلال خبرته المباشرة وكذا من خلال تحليله النقدي الفينومينولوجى ، أن يكتشف هذه البنيات الثلاث وأن يعزوها إلى وجوده هو وكذا ، عن طريق المماثلة أو القياس على الأقل ، إلى سائر الموجودات الأخرى . هذا يعنى ، بتعبير آخر ، أن تلش يرى أن هذه البنيات لا تنطبق على الوجود الانسانى فحسب ، بل تنطبق أيضا على كل شيء يتمتع بالوجود ، ولهذا السبب فهى مثلها فى ذلك مثل البنية الانطولوجية الرئيسية ، بنيات انطولوجية .

إن قطبية التفرد - التشارك هى القطبية الاولى التى يناقشها تلش ، ونقطة البدء هنا هى تأكيد تلش الذى مؤداه أن " التفرد والتشارك يتوافقان على بعضهما توافقا متبادلا فى سائر مستويات الوجود ."^(٢) هذا يعنى أن تلش يرى " أن التفرد ليس صفة مميزة لطائفة معينة من الموجودات فحسب ، بل هو عنصر انطولوجى ولهذا يتصف به كل شيء يتمتع بالوجود . انه يشكل كل ذات ومتضمن فيها ، وهذا يعنى انه يشكل ، بطريق المماثلة (أو القياس) على الأقل ، كل موجود ومتضمن فيه ."^(٣) ويمضى تلش إلى أبعد من هذا عندما يقرر^(٤) ، مع ليبنتز ، أن الذوات هى عبارة عن نوات مغلقة لا نوافذ فيها يمكن من خلالها التطرق أو النفاذ إليها ، حقا ، إن الحقيقة

1) Tillich , P., Systematic Theology , Vol. 1, P. 165 .

2) Ibid ., P. 177.

3) Ibid ., PP . 174 - 175 .

4) Ibid ., PP. 174 -176 .

التي مؤداها أن كل انسان ، مثله في ذلك مثل أى موجود آخر ، هو ذات متمركزة في ذاتها بحيث يستحيل اختراقها ، تجعل وجود قطب التفرد أمرا بديها أو واضحا بذاته بحيث لا يحتاج إلى برهان . فالتمركز الذاتى معناه التفرد . وطالما أن التمرکز الذاتى هو ، كما رأينا ، أمر واضح بذاته ، فإن هذا يعنى أن التفرد هو أيضا أمر واضح بذاته . هذا الارتباط الذى يجده تلش بين الذاتية أو التمرکز الذاتى والتفرد يتبدى بصورة واضحة من خلال كلماته التالية التى تقول : " إن كل ذات تنتمى إلى ذاتها والذات الكاملة هى التى تنتمى إلى ذاتها على النحو الكامل . إنها تكون مركزا مستقلا ، لا تقبل التجزئة أو النفاذ إليها ، ولهذا فهى تسمى بحق باسم الفرد . " (١)

نفس الامر يصدق على القطب الآخر المكون لهذه القطبية فى مجموعها أعنى قطب التشارك ، بمعنى انه إذا كان قطب التفرد أمرا بديها أو واضحا بذاته ، فإن قطب التشارك يتمتع أيضا بهذه الصفة ، وذلك لأن كل موجود متفرد يجب أن يحقق فى نفس الوقت نوعا من التشارك ، حيث أنه ليس هناك ، فى رأى تلش ، تفرد بدون تشارك ، أو تشارك بدون تفرد . فهذان القطبان يتواقفان على بعضهما تواقفا متبادلا فى سائر مستويات الوجود . ولكن الموجودات غير الانسانية لا تتمتع بالذاتية والتفرد الكاملين ومن ثم لا تشارك تشاركا كاملا نظرا لأنها تشارك فى بيئاتها فقط . اما فى حالة الانسان فتصل هذه القطبية إلى شكلها الكامل . " فعندما يصل التفرد إلى الشكل الكامل الذى نطلق عليه اسم الشخص person ، يصل التشارك إلى الشكل الكامل الذى نطلق عليه اسم الكوميونين communion . " (٢) فاكتمال أحدهما يتضمن اكتمال الآخر وذلك لأن هذين القطبين ، مثلهما فى ذلك مثل قطبية التفرد -

1) Tillich ,P., Love , Power , and Justice , PP. 25-26, Oxford Univ . Press , London , New York, Toronto , 1954.

2) Tillich , P., Systematic Theology, Vol. 1, P. 176.

نظرا لأننا لم نجد مقابلا ملائما لكلمة communion الإنجليزية فى اللغة العربية فقد اضطررنا إلى نقلها معربة . وهى تشير فى رأى تلش إلى الدرجة الأرقى من التشارك الذى يميز علاقة شخص بشخص أوند بند ، والذي يتم من خلاله تبادل الآراء والأفكار والمشاعر .

التشارك ، يتواقفان على بعضهما توافقا متبادلا . هذا هو الفارق بين تفرد وتشارك الانسان ، وتفرد وتشارك سائر الموجودات الاخرى . هذا الفارق ليس هو الفارق الوحيد الذى يورده تلش هنا ، فهو يكشف عن فارق آخر فى هذا الصدد . فسائر الموجودات الاخرى تشارك فى بيناتها فقط ، أما الانسان فهو الوحيد الذى يستطيع من خلال وجوده الشخصى أن يشارك فى الكون بلا حدود . وذلك يرجع إلى أن التفرد الشخصى للانسان ينطوى على سمات خاصة كالعقل، واللغة ، والكليات أو العموميات. هذه السمات تجعل البنيات العقلية للكون بكل اشكاله وقوانينه " مفتوحة أمامه . فكل شىء يمكن أن يُدرك وان يتشكل فى الكون يكون مفتوحا أمامه وذلك لأنه يمتلك العقل، واللغة والكليات .^(١) ولكن على الرغم من أن الانسان يستطيع ، من ناحية الامكان ، هكذا يقول تلش ، أن يشارك فى الكون بلا حدود ، " إلا أنه لا يستطيع أن يشارك مشاركة فعلية كاملة إلا فى ذلك المستوى من الحياة المتعلق ببناء جنسه (اى المستوى الانسانى) - إنه لا يمارس الكوميونين إلا مع أشخاص .^(٢) هذا " الكوميونين ليس شيئا قد يتصف به المرء أو قد لا يتصف به .^(٣) بل هو بالاحرى " صفة جوهرية للفرد ، وليس صفة عارضة .^(٤) هذا بالاضافة إلى أن " الكوميونين يعنى مشاركة الذات المتمركزة والمتفردة تماما لذات اخرى متمركزة ومتفردة تماما ... إذ لا يمكن لفرد أن يوجد بدون تشارك ، كما لا يمكن لشخص أن يوجد بدون كوميونين . ويستحيل أن يتمتع شخص بذات متفردة ومتطورة تماما بدون نوات اخرى متطورة تماما ، فإذا لم يواجه الشخص مقاومة من النوات الاخرى ، ستحاول كل ذات أن تجعل من نفسها ذاتا مطلقة. ولكن مقاومة النوات الاخرى هى مقاومة لا مشروطة . فقد يستطيع فرد ما أن يقهر عالم الموضوعات بأكمله ، ولكنه لن يستطيع قهر شخص آخر بون تحطيمه كشخص . والفرد يكتشف ذاته من خلال هذه المقاومة . وإذا كان لا

1) Ibid ., Loc . cit .

2) Ibid ., Loc . cit .

3) Ibid ., Loc . cit .

4) Ibid ., Loc . cit .

يرغب في تحطيم الشخص الآخر ، فإنه يتحتم عليه الدخول معه في علاقة كوميونين. فالشخص لن يكون شخصا إلا من خلال مقاومة الشخص الآخر . ولهذا ، لن يكون هناك شخص بدون ملاقاته مع الأشخاص الآخرين . فالأشخاص لن يكونوا أشخاصا إلا من خلال ملاقاتهم الكوميونية مع أشخاص آخرين.^(١)

لقد تأثر تلش هنا بالتحليل الذي قدمه المفكر اليهودي كارل بوهر حول علاقة "الانا - الانت I- Thou". ولقد أشار تلش نفسه إلى حقيقة هذا التأثير عندما كتب يقول : " أن التفسير الذي قدمه بوهر للدين يمكن أن يسمى تفسيرا وجوديا. لقد ميز بوهر بين الانا -الانت العاقل وبين الانا - الانت غير العاقل . هذا التمييز ينطوي على المشكلة الرئيسية بالنسبة للوجودية أعنى المشكلة التي تتعلق بكيف تصوير أنا واعية أو عاقلة لا أنا غير واعية أو غير عاقلة ، كيف تصوير أو تصبح شخصا لا شيئا ، كيف تصوير أو تصبح حرا لا مجبرا . قبل ظهور الفكر الوجودي المعاصر بوقت طويل ، طرح بوهر هذه التساؤلات وأجاب عليها في ضوء وكذا من خلال قوة دين نبوي prophet- ic (أي الدين اليهودي) : وكانت إجابته هي أن الطريقة الوحيدة كي تصبح انا لن تكون إلا من خلال مواجهة 'انت' وقبولها باعتبارها 'انت' ، والطريقة الوحيدة لمواجهة وقبول 'الانت' لن تكون إلا من خلال مواجهة وقبول 'الانت الابدی' في الانت المتناهي. غير أن هذه العلاقة تخضع للخطر المفجع الذي مؤداه أن هذه العلاقة تتحول دوما إلى علاقة 'انا - أنت غير عاقل' . فالانت تصبح شيئا (تتشيا) ، ونحن الذين نجعلها كذلك في كل زمان ومكان ... فالعلاقة التي يجب أن يستغرق فيها الطرفان تماما أصبحت علاقة انفصال ، وأصبح الله والإنسان ، مثلها مثل الأشجار ، أشياء أو موضوعات ، وأصبحت 'الانا' هي الذات التي تنظر إليهما ، لا من خلال علاقة تستغرق تماما 'الانا' وهذه الموضوعات ، بل من خلال علاقة انفصال بينهما. والجانب الوحيد من وجود المرء

1) Ibid ., PP. 176-177

الذى يكون مستغرقا فى هذه العلاقة هو الجانب المتعلق بالاهتمام المعرفى أو العلمى . إن قدرنا المفجع يكمن فى أن ذلك يحدث على نحو ابدى، لقد حدث منذ بداية التاريخ الإنسانى وسيظل يحدث دوما طالما أن هناك حياة إنسانية واعية . لقد تأثر اللاهوتيون البروتستانتيون (وتلش يعتبر نفسه أحد هؤلاء) بعمق بهذه الأفكار الدينية الوجودية التى قدمها بوبر .^(١)

أما البنية الثانية التى ناقشها تلش فهى بنية أو قطبية الديناميكية - الشكل (أو الثبات) . هذه البنية، هكذا يرى تلش ، تشبه سائر البنيات الأخرى من حيث كونها بنية انطولوجية لا تصف الوجود الإنسانى فحسب، بل تصف أيضا سائر الموجودات الأخرى . فكل موجود يتمتع بالوجود يشارك بدرجة ما فى هذه البنية . ولكن على الرغم من أن هذه البنية تصدق على كل شىء موجود ، إلا أن الوعي الإنسانى المباشر يمثل هذه البنية ليس باعتبارها بنية الديناميكية - الشكل ، بل باعتبارها بنية أو قطبية أو تضاف الحيوية - القصدية . هذا يعنى " أن قطبية الديناميكية - الشكل تتبدى من خلال خبرة الإنسان المباشرة على صورة قطبية الحيوية - القصدية ."^(٢) فقطب الحيوية هو إذن القطب الذى يخلعه الإنسان على قطب الديناميكية الانطولوجى ، فى حين أن القصدية هى اللقب الذى يخلعه الإنسان على قطب الشكل أو الثبات الذى يتمتع أيضا بطابع انطولوجى . هذا يعنى، بتعبير آخر ، أن تلش ينسب قطب الحيوية الإنسانى إلى قطب الديناميكية الانطولوجى ، ويعزو قطب القصدية الإنسانى إلى قطب الشكل (الثبات) الانطولوجى . والحيوية عند تلش هى " القوة التى تبقى كل موجود

-
- 1) Tillich , P., 'An Evaluation of Martin Buber : Protestant and Jewish Thoughts', Theology of Culture, PP. 189 - 190 .
 - 2) Tillich , P., Systematic Theology , Vol . 1, P. 180

على قيد الحياة وتجعله في نمو مضطرد^(١)، والحيوية أو الديناميكية مفهومة على هذا النحو تكون في رأى تلش سمة لكل شيء يتمتع بالوجود، ولكن "الحيوية بالمعنى الكامل تنطبق على الانسان وحده^(٢)، والسبب في ذلك يرجعه تلش إلى أن "العنصر الديناميكي في الانسان يكون مفتوحا على سائر الاتجاهات، ولا تحده أى بنية قبلية، فالانسان يستطيع أن يخلق عالما فيما وراء العالم المعطى، إنه يخلق (يبدع) العوالم التكنيكية والروحية. إن ديناميكية الحياة شبه الانسانية تظل داخل حدود الضرورة الطبيعية، بغض النظر عن الاشكال اللامتناهية التى تنتجها تلك الحياة وبغض النظر عن الاشكال الجديدة التى تنتجها العملية التطورية. ان الديناميكية الانسانية وحدها هى التى تستطيع أن تتجاوز الطبيعة. تلك هى حيوية الانسان ولهذا يتمتع الانسان وحده من بين سائر الموجودات بالحيوية بمعناها الكامل^(٣)، هذا لا يعنى أن تلش يرى أن حيوية الانسان أو ديناميكيته تظل مفتوحة هكذا إلى ما لا نهاية بحيث لا تحدها حدود ولا تقيدها قيود. إن العكس فى رأيه هو الصحيح، فهو يؤكد على أن "حيوية الانسان تعيش فى تناقض مع قصديته وتكون محكومة بها^(٤)، هذا يعنى أن تلش يرى أن حيوية الانسان أو ديناميكيته، التى تشتمل على الوجود وكذا على قدرته على التجاوز الذاتى، ليست حيوية غير محددة وغير موجهة، بل هى حيوية محددة يوما بل وموجهة بقصديته. والقصدية هنا لا تعتبر فى رأى تلش "مجرد الرغبة فى الفعل طبقا لغرض ما، بل هى العيش فى توتر مع (وتجاه) شيء موضوعى مشروع^(٥)، والقصدية مفهومة على هذا النحو "تعني أن تكون منتشيا إلى بنية ذات معنى، وأن تعيش على أفكار عامة، وأن تدرك وتشكل الواقع^(٦)، فالقصدية لا تعنى ببساطة أن يكون لديك

1) Ibid., Loc. cit

2) Ibid., Loc. cit

3) Ibid., Loc. cit

4) Ibid., Loc. cit

5) Ibid., Loc. cit

6) Ibid., Loc. cit

عقلا ، بل تعنى " تحقق العقل فى عملية الحياة " (١) فى ضوء ذلك يؤكد تلش على أن التوازن الماهوى أو الدينى أو المخلوق بين الحيوية والقصدية هو الذى يمنع حيوية الانسان من أن تكون حيوية " غير موجهة أو عمياء ، أو منغلقة على ذاتها " (٢) فعنصر التجاوز الذاتى الكامن فى حيوية الانسان يكون " موجهها ، ومتشكلا ، إنه يتجاوز ذاته نحو مضامين ذات معنى " (٣) والعكس ايضا صحيح بمعنى أن قصدية الانسان تكون محكمة دوما بحيويته.

ويعضى تلش إلى أبعد من هذا عندما يقرر أن كلا من التجاوز الذاتى الكامن فى حيوية الانسان والحفظ الذاتى الكامن فى قصديته يرتكزان ايضا على هذه البنية القطبية اعنى بنية الحيوية - القصدية . " فعلى أساس الحفظ الذاتى (اى حفظ الانسان لانسانيته) ، يستطيع الانسان أن يتجاوز اى موقف معطى " (٤) انه يستطيع أن يتجاوز الطبيعة وان يتجاوز ذاته نفسها ، وذلك لان حيوية الانسان وقصديته يقودانه دوما إلى انتاج أشكال جديدة فى كل مجال ، وعندما يفعل الانسان ذلك فانه يكون قد غير الطبيعة ذاتها. (٥) " وعندما يعيش على هذه الاشكال فهو يبدل نفسه " (٦) ولكن على الرغم من أن الانسان يستطيع ، من خلال العلم التطبيقى والتقدم الحضارى والثقافى ، أن يتجاوز اى موقف معطى ، فإن هناك فى رأى تلش حدودا بنيوية لتجاوزه الذاتى البيولوجى . فالانسان لا يستطيع أن يتجاوز البنية التى تجعل " قصديته وتاريخيته أمرا ممكنا " (٧) إنه ، بتعبير آخر ، لا يستطيع أن يتجاوز البنية الرئيسية للوجود ، وذلك لان

1) Ibid ., Loc .cit

2) Ibid ., Loc . cit

3) Ibid ., PP. 180 -181

4) Ibid ., 181.

5) Ibid ., PP. 181 -182

6) Ibid ., P. 182

7) Ibid ., Loc .cit

مثل هذا التجاوز " سيكون انهيارا، نموا زائفا ، وتحطيمًا لقدرة الانسان على التجاوز الذاتى اللامتناهى ، فالسوبر مان ، بالمعنى البيولوجى، لن يكون إنسانا، وذلك لان الانسان يتمتع بالحرية ، والحرية لا يمكن انتهاك حرمتها انتهاكا بيولوجيا.^(١)

أما البنية الثالثة التى يناقشها تلش فهى بنية أو قطبية أو تضادى الحرية - المصير . هذه البنية تعد بالنسبة لتلش أهم البنيات على الإطلاق ، وذلك لان تفسيره لامكانية التحول من الطبيعة الماهوية أو الدينية للانسان إلى الطبيعة المغترية يرتكز ، كما سنرى فيما بعد ، على تفسيره لطبيعة هذه البنية.

وفى البداية يجب أن نقرر ان أى مناقشة لمشكلة الحرية يتحتم عليها إما أن تتخذ موقفا من النزاع القائم بين الحتمية (التى تنكر الحرية) واللاحتمية (التى تقر الحرية) بخصوص مشكلة الحرية ، أو تنحاز إلى أحد هذين الجانبين المتناقضين والمتصارعين . فما هو الموقف الذى اتخذه تلش حيال هذين المعسكرين ؟ والاجابة على ذلك هى أنه يتخذ الموقف الاول بمعنى أنه يرى أن كلا من الحتمية واللاحتمية لا تفهمان الحرية التى تند عن الخبرة المباشرة ، أو الوعى الذاتى المباشر للانسان، فهما صحيحا ، والسبب فى ذلك يرجع فى رأيه إلى أن كلا من هذين الجانبين المتصارعين يفترضان مسبقا أن هناك شيئا من بين اشياء اخرى عديدة يسمى 'الارادة' التى قد تتصف أولا تتصف بالحرية .^(٢) وطالما أن كلا الجانبين ، هكذا يؤكد تلش، ينطلقان من هذا الفرض المسبق ، فإن الصراع القائم بينهما يحسم يوما لصالح الحتمية ، وذلك لان الشئ بحكم تعريفه هو الموضوع المحدد تماما ولكونه كذلك فهو يفتقر الى الحرية.^(٣) وحتى إذا كانت اللاحتمية على صواب فى تأكيدها، ضد الحتمية، أن الوعى الاخلاقى والمعرفى يفترض سلفا القدرة على اتخاذ القرار الحرامسئول، فإنها لا تستطيع أن

1) Ibid., Loc . cit .

2) Ibid., P. 183.

3) Ibid., Loc .cit

تفسر طبيعة الحرية التي يعيها الانسان ، من خلال خبرته المباشرة ، تفسيراً صحيحاً ، وذلك لأن الاحتمية ، مثلها في ذلك مثل الحتمية ، تعزو الحرية إلى موضوع أو وظيفة تسمى 'الارادة' .^(١) صحيح ، " أن الحرية الاحتمية هي سلب (أو نفى) للضرورة الحتمية . ولكن سلب الضرورة لا يشكل مطلقاً الحرية التي تند عن الخبرة المباشرة . فذلك السلب يؤكد شيئاً عارضاً تماماً ، قراراً بدون دافع ، حادثة لا معقولة لا يمكنها أن تنصف الوعي الاخلاقي والمعرفي .^(٢) من هنا انتهى تلش إلى " أن الحتمية والاحتمية تستحيلان من الناحية النظرية لانهما تناقضان ضمناً إدعاءهما أنهما تعبران عن حقيقة .^(٣)

ولكن ماهي حقيقة الحرية التي يراها تلش صادرة عن الخبرة المباشرة للانسان والتي تبرر رفضه لدخل كل من الحتمية والاحتمية إلى مشكلة الحرية ؟ إن اجابته على هذا السؤال تجرى على النحو التالي : " إن الحرية التي اعنيها لا علاقة لها على الاطلاق بالحرية التي تكشف عنها المناظرة بين الحتمية والاحتمية ، بين مذهب 'حرية الارادة' ومذهب 'عبودية الارادة' . إنني اعتبر هذه المناظرة مناظرة عاف عليها الزمن ، ولا يحق لها أن تستمر على هذا النحو لأنها تبدأ ، كما هو واضح ، من فروض تجعل التصويت لصالح الحتمية أمراً يستحيل تجنبه من البداية . وذلك يحول الاحتمية إلى مجرد احتجاج عاجز عن تقديم أي رؤية صادقة . إن ما اعنيه بالحرية هو شيء مختلف تماماً ، شيء معطى لخبرتنا المباشرة ، لوعي كل واحد منا ، واعني به ... أن الانسان يستطيع أن يفعل (يتصرف) باعتباره شخص كلي ، باعتباره ذاتاً تتمتع بوجود كلي ، والانسان لن يستطيع أن يعي من خلال خبرته المباشرة هذه الظاهرة (الحرية) التي لأجلها استخدمت سائر اللغات مصطلح (الحرية) أو كلمات مماثلة إلا عندما يتصرف

1) Ibid., Loc .cit.

2) Ibid., Loc .cit.

3) Ibid., Loc. cit.

كشخص كلى. والحرية بهذا المعنى لا يمكن أن تكون حرية صادرة عن حل لمشكلة الحتمية ونقيضها أعنى الاحتمية ، بل هى ظاهرة نعيها جميعا عندما ننظر إلى أنفسنا بلا أى محاباة (تحيز) نظرية. ففي هذه الحالة سنجد أننا ... نكون احرارا فى حالة واحدة اعنى عندما نتصرف كشخصيات كلية .^(١) هذا يعنى أن تلش يؤكد، ضد الحتمية واللاحتمية، " أن الحرية ليست هى حرية وظيفية (الارادة) بل هى حرية الانسان ."^(٢) وهذا يعنى بدوره " انه عندما يتحدث المرء عن حرية الانسان ، يجب عليه أن يوضح أن كل جزء وكل وظيفة تشكل الانسان كذات شخصية تشارك فى حرية . إن ذلك يشمل حتى خلايا جسده ."^(٣) يتضح من ذلك أن تلش يرى أن الانسان هو ذات كلية متكاملة ، وأن الفعل الحر هو فعل صادر عن هذه الذات فى شموليتها ، لا عن شىء أو وظيفة يطلق عليها اسم الارادة. فكل ما يشكل الانسان كذات كلية يشارك فى هذه الحرية . صحيح أن تلش يقرر اننا لو نظرنا إلى كل جزء من الاجزاء التى تشكل الانسان كذات أو موجود كى على حده ، فسوف نتفق مع الحتمية على أن كل جزء هو شىء أو موضوع محدد تماما ومن ثم يفتقر إلى الحرية . غير أن تلش يؤكد فى نفس الوقت "أن تحدد الاجزاء او خضوعها لمبدأ الضرورة او التحديد لا يعد مبررا لاعتبار وجود الانسان ككل وجودا خاضعا لمبدأ الضرورة ، نظرا لاستحالة اشتقاق (او استنباط) تحدد الكل، بما فى ذلك اجزاءه غير المنفصلة ، من تحدد اجزائه المنفصلة ، فالكلى يسبق الاجزاء من الناحية الانطولوجية وكذا يسبق عليها صفة كونها اجزاء من ذلك الكل . ومن الممكن أن نفهم تحدد الاجزاء المنفصلة فى ضوء حرية الكل - اعنى باعتبارها تفكك جزئى للكل - ولكن العكس هو امر غير ممكن ."^(٤)

1) Tillich , P., 'The Political Meaning of Utopia', Political Expectation, PP 126 -127

2) Tillich , P., Systematic Theology , Vol .1, P. 183

3) Ibid., Loc .cit

4) Ibid., P. 184.

ان فعل الحرية عند تلش يمر بثلاث مراحل هي "التروى، والقرار، والمسئولية".^(١) ومن خلال الفعل الاول يقوم الانسان بتقييم سائر البواعث أو الدوافع والمبررات التى تدفعه إلى اتخاذ هذا القرار الحر أو ذاك ، وذلك من أجل تفضيل إمكانية علي أخرى . وفى حالة القيام بعملية التروى أو بالأحرى بعملية تقييم الدوافع يكون الانسان فوق الدوافع والمبررات ، بمعنى ، " انه لا يكون متطابقا مع أى دافع من الدوافع بل يكون طليقا منها جميعا".^(٢) انه لا يكون محددًا بأى باعث قبلى ، وهذا هو المقصود بكونه فوق سائر الدوافع أو البواعث . وعندما يصل الانسان إلى الفعل الثانى للحرية اعنى القرار، فإنه يبتتر أو يستبعد إمكانيات . " هذه الامكانيات كانت ، " كما يقول تلش ، " امكانيات حقيقية ، الامر الذى جعل عملية البتر عملية ضرورية . والشخص الذى يقوم بالبتر او الاستبعاد يجب أن يكون فوق ما يبتتره او يستبعده".^(٣) اما الفعل الثالث للحرية فهو المسئولية. والمسئولية عند تلش " تشير إلى التزام الشخص الحر بالاجابة إذا ما سئل عن الاسباب التى أدت به إلى اتخاذ قراراته . إنه لا يستطيع أن يلتمس الاجابة من أى شخص آخر".^(٤)

إذا كان تلش قد أكد هكذا على حرية الانسان، فهو أكد أيضا وفى نفس الوقت أن " حرية الانسان لن تكون حرة إلا من خلال توافقها القطبى المتبادل مع المصير".^(٥) هذا يعنى أن تلش المؤمن يرى أن حرية الانسان ليست حرية مطلقة ، بل حرية محددة ومشروطة بالمصير . والمصير " لا يشير ، " فى رأيه، " إلى نقيض الحرية بل إلى شروطها والى حدودها".^(٦) فالذات المتعينة التى تصدر عنها القرارات لا يمكن اعتبارها مجرد ذات ابستمولوجية أى متطابقة مع الوعى الذاتى ليس إلا . فالقرارات

1) Ibid ., Loc .cit.

2) Ibid ., Loc .cit.

3) Ibid ., Loc .cit.

4) Ibid ., Loc .cit.

5) Ibid ., P. 182.

6) Ibid ., P.185.

تصدر عن الذات باعتبارها مشكلة من عناصر عديدة، وهذه العناصر تؤلف مصير الذات وتدخل جميعها في القرارات التي تتخذها. " إن ذلك يشير، " هكذا يقول تلش، " إلى بنيتي الجسدية، وإلى المجاهدات النفسية، وإلى الطابع الروحي. إنه يشير إلى المجتمعات التي انتمى إليها، وإلى الماضي الذي أتذكره والذي لا أتذكره، وإلى البيئة التي شكلتني، وإلى العالم الذي أثر في. " إنه يشير إلى كل قراراتي السابقة. إن المصير ليس قوة غريبة تحدد ما سوف يحدث لي. إنه ذاتي كما هي معطاة وكما هي متشكلة بواسطة الطبيعة، والتاريخ، وبواسطة أنا نفسي. إن مصيري هو أساس حريتي، وحريتي تشارك في تشكيل مصيري: (١)

والمصير بهذا المعنى يختلف في رأى تلش عن القدر. فالمصير لا يناقض الحرية بل يدخل معها في علاقة قطبية. إنه يشير إلى حدود الحرية وشروطها وليس إلى نقيضها. أما القدر فهو يشير إلى نقيض الحرية. حتى إذا احتج أحد المشايخين للمذهب الحتمي على ذلك بقوله إن كلمة مصير، مثلها في ذلك مثل كلمة قدر، تشير بطبيعتها إلى شيء محدد سوف يحدث لهذا الشخص أو ذاك في المستقبل، فإن تلش يرد على ذلك بقوله إن الحرية تشير بطبيعتها إلى قدرة المرء على تحقيق أو عدم تحقيق مصيره. وهذا يعني أنه حتى استخدام المشايخ للمذهب الحتمي لكلمة قدر " يفسح مكانا للحرية، حيث أنه لا يزال بإمكان المرء إما أن يقبل قدره أو أن يتمرد عليه وطالما أنه لا يزال لديك هذا البديل فإن هذا يعني أنك حر. (٢)

هذا لا يعني أن تلش يرى أن قطبية الحرية - المصير تنطبق على الوجود الانساني فقط. إن العكس هو الصحيح. " فطالما أن الحرية والمصير يشكلان بنية انطولوجية، فإن هذا يعني، " هكذا يؤكد تلش، " أن كل موجود ... يشارك في هذه

1) Ibid., Loc. cit.

2) Ibid., Loc. cit

القطبية. ولكن الانسان هو الموجود الوحيد الذى يتمتع بالحرية التى تعنى التروى ، والقرار، والمسئولية ، وذلك لانه الموجود الوحيد الذى يتمتع بالذاتية بمعناها الكامل وكذا ينتمى إلى عالم لا إلى بيئة. ومن ثم يمكن تطبيق قطبية الحرية والمصير على الموجودات شبه الانسانية بطريق القياس فقط ... هنا نستطيع أن نتحدث بطريق القياس عن قطبية التلقائية spontaneity والقانون law.^(١) هذه القطبية الاخيرة التى يعزوها تلش إلى الموجودات شبه الانسانية والموجودات غير الانسانية تماثل فى رأيه قطبية الحرية - المصير التى يعزوها إلى الانسان وحده . فطالما أن كل موجود هو عبارة عن كل بنيوى يتمتع بالتمركز الذاتى او الانتماء الذاتى ، فإن هذا يعنى انه يقوم برد فعل تلقائى تجاه أى مؤثر وذلك فى ضوء بنيته الفردية . ولكن هذا الرد التلقائى يكون فى نفس الوقت محددا ومشروطا بالحدود أو الشروط التى وضعتها قوانين أو نواميس الطبيعة والتى لا يمكن له أن ينتهك حرمتها.^(٢) من هنا يمكن القول طبقا لتلش أنه فى حالة الموجودات الاخرى " تكون التلقائية متحدة بالقانون بنفس الطريقة التى تتحد بها الحرية و المصير على الصعيد الانسانى. فقوانين الطبيعة لا تزيل ردود افعال الكل المتمركز فى ذاته ، ولكنها تضع الحدود التى لا يمكن له أن يتخطاها."^(٣) والامر المترتب على ذلك هو " أن التحديد المطلق هو شىء مستحيل يستثنى من ذلك المعادلات الميكروفيزيكية فقط لا غير."^(٤) فالتعميمات الاستقرائية ، التى تشكل قوانين الطبيعة ، لا تستطيع أن تزيل التلقائية ، او الانتماء الذاتى وذلك لانه على الرغم من أن التعميمات الاستقرائية تستطيع أن تصل إلى درجة عالية من احتمالية الصدق ، إلا أنها لا تستطيع أبدا الوصول إلى اليقين الكامل بمعنى الضرورة الكاملة أو التحديد المطلق. من هنا انتهى تلش إلى أنه طالما أن التلقائية متحدة مع القانون بنفس الطريقة التى

1) Ibid ., Loc .cit.

2) Ibid ., PP.185-186.

3) Ibid ., P.186.

4) Ibid ., Loc .cit .

تتحد بها الحرية مع المصير ، فإن هذا يعنى أن ' قطبية الحرية والمصير تنطبق (بطريق القياس على الأقل) على كل شيء يتمتع بالوجود . ' (١)

إن مناقشة تلش لقطبية الحرية - المصير تعد تمهيدا لمناقشته للتناهي وذلك لان هذين الاثنين معا يشكلان فى رأيه، كما سنرى، القوة الدافعة لامكانية التحول من الحالة الماهوية أو الدينية للانسان إلى حالة الاغتراب . هذا هو السبب الذي جعل مناقشته للتناهي فى كتابه "اللاهوت النسقى" تأتى فى اعقاب مناقشته لقطبية الحرية - المصير مباشرة .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو : ما الذى يعنيه تلش بالتناهي ؟ واجابته على هذا السؤال هى : " ان التناهي يعنى أن الوجود محدد باللاوجود . " (٢) هذا يعنى أن تلش يرى أن التناهي يعنى أولا وقبل كل شيء أن وجود الانسان محدد باللاوجود . هذه الحقيقة لا تنطبق على وجود الانسان فحسب ، بل تنطبق أيضا على كل موجود آخر . فسائر الموجودات لا تشارك فى الوجود فحسب ، بل تشارك أيضا فى اللاوجود . ولكن الانسان هو الموجود الوحيد الذى يستطيع من خلال حريته أن يتجاوز أى موقف معطى إلى ما وراءه ، وهذا هو السبب فى كونه الموجود الوحيد الذى يستطيع أن يعى " صدمة اللاوجود ، وأن يتصور العدم ، وأن يتساءل بالتالى عن لفظ الوجود . إنه يستطيع أن يسأل : لماذا هناك شيء وليس بالآخرى عدم ؟ وذلك لان الذى يسأل السؤال الذى مؤداه 'لماذا هناك شيء وليس بالآخرى عدم ؟' هو الذى يجرب صدمة اللاوجود: (٣) حقا، إن "صدمة اللاوجود" هى التى تفضى إلى التساؤل عن الوجود والانسان هو الموجود الوحيد الذى يستطيع أن يسأل السؤال الانطولوجى لانه الوحيد الذى يستطيع أن ينظر إلى ما وراء حدود وجوده وحدود

1) Ibid ., Loc .cit.

2) Ibid .,P.189.

3) Tillich ,P., Biblical Religion and the Search for Ultimate Reality,P.49, The Univ.of Chicago Press ,1955.

وجود أى موجود آخر. والوجود، منظورا إليه من منظور إمكانية اللاوجود، يكون لغزا، والانسان يستطيع أن يتخذ هذه النظرة لانه يتمتع بحرية تجاوز أى موقف معطى. إنه غير محدد بأى تواجد ، ويستطيع أن يتصور العدم ، إنه يستطيع أن يسأل السؤال الانطولوجى . وعندما يفعل ذلك ، يتحتم عليه أن يسأل عن ذلك الذى يخلق لغز الوجود . بمعنى انه يتحتم عليه أن يضع فى اعتباره لغز اللاوجود . لقد سار كلا السؤالين جنبا إلى جنب منذ بداية التفكير الانسانى^(١).

هذا النص يتضمن رأى تلش الذى مؤداه " أن الانسان لا يشارك فى الوجود فحسب، بل يشارك ايضا فى اللاوجود ."^(٢) هذه المشاركة " تؤكد الطابع الانطولوجى للوجود"^(٣) ولهذا إذا ادعى شخص أن اللاوجود مثله فى ذلك مثل أى حكم منطقى سلبى ، هو مجرد حكم منطقى ينكر أو ينفى تأكيد حقيقة شىء ايجابى اعنى الوجود ، أو إذا ادعى شخص أن اللاوجود هو مجرد حكم سلبى يخلو من أى أهمية انطولوجية، " فان ردنا على ذلك ، " هكذا يقول تلش ، " هو أن كل بنية منطقية..... تضرب بجذورها فى بنية انطولوجية . فالحقيقة التى مؤداه أن هناك سلبا (او نفيا) منطقيا تفترض سلفا نوعا من الوجود الذى يستطيع أن يتجاوز الموقف المعطى المباشر عن طريق توقع توقعات اخرى تتجاوز الموقف المعطى المباشر . هذه التوقعات قد لا تصدق. فإذا كان هناك توقع بحوث حادثة ما ولم يتحقق ذلك التوقع ، فإن هذا معناه أن الحكم على الموقف كان حكما خاطئا، أن الشروط الضرورية لوقوع الحادثة المتوقعة لم توجد. وهكذا يخلق التوقع الذى لم يصدق التمييز بين الوجود واللاوجود. ولكن كيف يكون ذلك التوقع ممكنا فى المقام الاول؟ ما هى بنية هذا الموجود الذى يستطيع أن يتجاوز الموقف المعطى وأن يقع فى الخطأ؟ والاجابة على ذلك هى أن الانسان، باعتباره هذا

1) Tillich , P., Systematic Theology, Vol .1 , P. 186.

2) Ibid., P., 187.

3) Ibid., Loc .cit.

الموجود ، يجب أن ينفصل عن وجوده على نحو يجعله قابرا على النظر إليه كشيء غريب وموضع تساؤل. وهذا الانفصال هو انفصال حقيقي لأن الانسان لا يشارك في الوجود فحسب ، بل يشارك أيضا في اللاوجود . ومن ثم فإن كل بنية تجعل الاحكام السلبية أحكاما ممكنة تؤكد الطابع الانطولوجي للوجود. إن الاحكام السلبية ، بل وسائر الاحكام الاخرى على الاطلاق ، لن تكون ممكنة إلا إذا كان الانسان يشارك أصلا في اللاوجود: ^(١) هذا يعنى أن تلش يرى أن فعل السلب المنطقي الذي تدل عليه، على سبيل المثال ، كلمة لا وجود التى هى سلب أو نفى للوجود ، هو فعل ممكن نظرا لأنه يضرب بجنوره فى بنية انطولوجية . حقا ، إن الانسان يستطيع أن يمارس هذا الفعل لأنه يعنى قبلا التمييز بين الوجود واللاوجود . وهذا هو السبب الذى يجعله يضع فى اعتباره لوما ليس فقط وجود الموجودات بل أيضا إمكانية لوجودها . فهو يعنى أن كل موجود يشارك فى الوجود ويشارك أيضا فى اللاوجود ، ومن ثم فعندما يتسائل عن الوجود ، يتحتم عليه أيضا أن يتسائل عن اللاوجود. حقا، إذا كان الوجود محددا باللاوجود ومتحدا معه فى نفس الوقت ، فلماذا يكون هناك وجود وليس بالآخرى عدم ؟ فضلا عن ذلك ، طالما أن الانسان يشارك فى الوجود واللاوجود، فإن هذا يعنى أن اللاوجود ليس بالعدم المحض ، لأنه لو كان كذلك ، لكان ذلك معناه أن هناك تناقضا مطلقا بين الوجود واللاوجود. وإذا وضع الوجود واللاوجود فى وضع التناقض المطلق لتمخض عن ذلك إقصاء كل شيء فيما عدا الوجود ذاته (اعنى إقصاء العالم كله) فلن يكون هناك عالم ما لم تكن هناك مشاركة جدلية للوجود فى اللاوجود: ^(٢) والمقصود بهذه المشاركة الجدلية للوجود فى اللاوجود هو أن هناك عنصرا من اللاوجود يضرب بجنوره فى كل موجود ، الأمر الذى يجعل كل موجود محددا باللاوجود ومتحدا معه فى نفس الوقت .إنه يكون خليطا من الوجود واللاوجود . وهذا يجعل من المحال أن يكون اللاوجود عدما صرفا، فالعدم الصرف أو المحض يعنى أن اللاوجود يناقض الوجود من كل اعتبار، انهما يقفان على طرفى نقيض ، وهذا يعنى

1) Ibid ., Loc . cit .

2) Ibid ., Loc. cit.

بالتالى خلو الوجود من عنصر اللاوجود ، الامر الذى يعنى اقضاء كل شىء ، حيث ان كل شىء يتمتع بالوجود يكون فى حالة ديناميكية مستمرة وتجاوز لذاته ، وهذه الديناميكية المستمرة تعنى أن الوجود هو وجود عارض بطبعه ، وجود ينطوى على عنصر من اللاوجود. " انه وجود فى عملية مجيء دائم من اللاوجود وذهاب دائم إلى اللاوجود" (١) وطالما أن كل موجود ينطوى على هذا العنصر من اللاوجود ، فإن اقضائه عن طريق وضع الوجود فى وضع التناقض المطلق مع اللاوجود معناه اقضاء كل الموجودات على الاطلاق اعنى اقضاء العالم كله. من هنا انتهى تلش إلى أن وجود الانسان محدد باللاوجود ، ومتحد معه فى نفس الوقت ، إنه خليط من الوجود واللاوجود ، وهذا هو المقصود بكونه وجودا متناهيا. "فالتناهى يوحد بين الوجود واللاوجود الجدلى" (٢)

هذا اللاوجود، هكذا يؤكد تلش ، يضرب بجنوره فى البنية الرئيسية للوجود وكذا فى سائر البنيات التى تشكل هذه البنية والتى تحدثنا عنها فيما سبق . هذا يعنى، بتعبير تلش نفسه ، " أن كلا من البنية الانطولوجية الرئيسية وكذا العناصر الانطولوجية تتضمن التناهى . فالذاتية ، والتفرد ، والديناميكية ، والحرية تشتمل جميعها على التضاعف (اى على قدرتها على أن تكون شيئا آخر غير الذى هى عليه بالفعل) ، والتحدد ، والتنوع ، والقصور . فان تكون شيئا معناه ألا تكون شيئا آخر ، أن تكون، من خلال عملية الصيرورة ، ما عليه الآن معناه أنك لست ما سوف تكون عليه فيما بعد. ان سائر مقولات الفكر والواقع تعبر عن هذا الموقف . ان تكون شيئا معناه ان تكون متناهيا. (٣) ولكن على الرغم من أن البنية الانطولوجية الرئيسية التى تميز الطبيعة الماهوية أو الدينية للانسان تشتمل هكذا على التناهى ، إلا أن الانسان لا يستطيع أن يعى تناهيه ، أن يعى أن وجوده مهدد باللاوجود ، إلا إذا كان هو نفسه فوق التناهى أو متجاوزا له بمعنى ما . هذا يعنى ، بتعبير آخر ، أن الانسان لا يستطيع

1) Ibid., P. 189.

2) Ibid ., Loc .cit .

3) Ibid ., PP .189-190.

أن يعى تناهيه ، أن وجوده مهدد باللاوجود ، إلا من خلال وعيه بإمكانية لا تناهيه . هذا الوعي الأخير يرتكز في رأى تلش على الحقيقة التي مؤداها أن الإنسان لديه قدرة جوهرية لامتناهية على التجاوز الذاتى . " فلكى يعى الإنسان تناهيه ، يتحتم عليه ، " هكذا يقول تلش ، " أن ينظر إلى ذاته من منظور إمكانية اللاتناهى . ولكى يعى أن وجوده يمضى نحو الموت ، ... يتحتم عليه أن يكون بمعنى ما فوق وجوده المتناهى . إنه يتحتم عليه أن يتخيل إمكانية اللاتناهى ، ... باعتبارها إمكانية مجردة ، وليست إمكانية معينة أو متحققة بالفعل . " (١) والإنسان يستطيع أن يفعل ذلك لأنه يتمتع ، باعتباره فردية متناهية ، بقدرة على المشاركة العامة ، هذا بالإضافة إلى أن حيوية الإنسان متحدة مع قصدية جوهرية لا محدودة ، كما أن الإنسان يكون ، باعتباره حرية لا متناهية ، منخرطاً في مصير شامل . (٢) يتضح من ذلك أن الوعي بالتناهى يقترب في رأى تلش بالوعي باللاتناهى وهذا هو السبب الذى جعله يؤكد على أن العلاقة بين الاثنين هى علاقة قطبية أى علاقة توافق أو اعتماد متبادل . هذا لا يعنى أن تلش يرى أن اللاتناهى يعد ، مثله في ذلك مثل العناصر القطبية الأخرى التى تحدثنا عنها فيما سبق ، أحد العناصر التى تشكل البنية الانطولوجية الرئيسية للوجود . إن العكس فى رآيه هو الصحيح ، بمعنى أنه يرى أن اللاتناهى لا يمكن أن يعد عنصراً من العناصر التى تشكل البنية الرئيسية للوجود ، كما أنه لا يعتبر شيئاً متحققاً بالفعل . " فاللاتناهى ، " هكذا يؤكد تلش ، " هو مفهوم موجه directing ، وليس مفهوماً مشكلاً constituting . أنه يوجه الذهن نحو الوعي بإمكاناته اللامتناهية ، ولكنه لا يشكل وجوداً لامتناهياً . " (٣) ولهذا فهو يعرف ، كما يشير إلى ذلك الطابع السلبي للكلمة ، بأنه التجاوز الذاتى

1) Ibid ., P. 190.

2) Ibid ., Loc .cit .

3) Ibid ., Loc . cit.

الديناميكي الحر للوجود المتناهي^(١).

إن الوعي بالتناهي لا يقتزن بالوعي بإمكانية اللاتناهي فحسب ، بل يقتزن أيضا بالقلق . ففي اللحظة التي يصبح فيها الانسان واعيا بتناهيه، يصبح قلقا . وما ذلك إلا لأن الانسان لا يعي تناهيه إلا في اللحظة التي ينظر فيها إلى وجوده المتناهي ككل من منظور إمكانية اللاتناهي . إنه يعي في هذه الحالة أن وجوده كله هو وجود موجه نحو الموت ، نحو اللاوجود . والنتيجة الحتمية المترتبة على هذا الوعي هي القلق . ونظرا لأن تهديد اللاوجود هو تهديد قائم في كل لحظة من لحظات الوجود ، فإن القلق يكون حاضرا أيضا في سائر اللحظات^(٢).

والقلق، مثله في ذلك مثل التناهي ، هكذا يرى تلش ، هو صفة أساسية أو جوهرية بالنسبة للوجود الانساني . كما أنه يتمتع بمكانة انطولوجية ، وليس مجرد حالة سيكولوجية كما قد يعتقد . " انه يعبر عن التناهي من الداخل"^(٣) وهذا هو السبب في كونه يتمتع بمكانة انطولوجية . فالقلق هو التعبير " الداخلي " أو " الباطني " أو " الذاتي " عن التناهي " الخارجي " أو الموضوعي أو الانطولوجي ومن ثم إذا كان التناهي يتمتع بمكانة انطولوجية ، فالقلق يتمتع أيضا بنفس هذه المكانة نظرا لاقتترانهما الدائم . هذا يعنى ، بتعبير آخر ، أن تلش يرى أن التناهي ، باعتباره تحرك الوجود نحو اللاوجود أو الموت ، ليس مجرد حركة تحدث في داخل الوعي ، بل هو حركة انطولوجية بمعنى انها تحدث باستمرار في الواقع الموضوعي الخارجي ، وما الوعي بهذه الحركة إلا انعكاسا لهذه الحركة الانطولوجية . أما القلق فهو حركة تحدث في داخل الوعي بمعنى انها حركة داخلية أو ذاتية أو باطنية . ولكن هذا القلق يكون

1) Ibid ,Loc .cit.

2) Ibid ., P. 191.

3) Ibid ., PP. 191- 192.

مقترنا دوما بالتناهي ، والتناهي هو أمر حاضر دوما وباستمرار ، ومن ثم لا يكون القلق حاضرا باستمرار حضور التناهي ذاته فحسب ، بل يكون متمتعا أيضا ، مثله في ذلك مثل التناهي ، بمكانة انطولوجية . " فالقلق ، باعتباره صفة انطولوجية ، يكون حاضرا باستمرار حضور التناهي نفسه ... إنه يكون حاضرا باستمرار على الرغم من أنه يكون كامنا في الغالب " (١) إن كمونه لا يعنى عدم حضوره ، بل يعنى ، على العكس ، أنه يكون في حالة أشبه بحالة النائم ، إن صح التعبير ، الذى قد يستيقظ فى أى لحظة ، أنه يكون ، بتعبير آخر ، موجودا حتى وإن كان الانسان لا يعى وجوده أو حضوره .

هذا القلق الذى يعده تلش مميزا للحالة الماهوية أو الدينية للانسان ، يختلف عن الخوف . فالخوف هو حالة سيكولوجية خاصة ، إنه يكون موجها نحو موضوع محدد . ونظرا لكونه ينتج عن موضوع محدد ، فهو يكون دوما خوفا من موضوع ما أو من موضوعات معينة ، يزول أو يتلاشى أو يقهر كلية بزوال ذلك الموضوع (أو الموضوعات) الذى سبب الخوف . أما القلق فليس مجرد حالة سيكولوجية خاصة ، بل هو حالة عامة بمعنى أنه مقوم أساسى من مقومات وجود الانسان . هذا بالاضافة إلى أنه لا يعتمد أو يتوقف على موضوع خاص ، بل يتوقف فقط على تهديد الوجود المتضمن فى التناهي . هذا يعنى أن موضوع القلق هو العدم - والعدم ليس بموضوع على الاطلاق . (٢) وطالما أن موضوع القلق هو العدم ، وطالما أن العدم ليس موضوعا كسائر موضوعات الخوف التى يمكن التعامل معها ، فإن هذا يعنى أن القلق لا يمكن قهره من خلال الفعل . هذا القلق يختلف أيضا ، هكذا يرى تلش ، عن الاشكال القهرية للقلق . فعلى الرغم من أن الصور القهرية للقلق (كالقلق الهائم الطليق ، على

1) Ibid., P. 191.

2) Ibid., Loc .cit.

سبيل المثال) قد لا يكون لها أيضا موضوعا محددا ، إلا أنها تختلف عن القلق الذى نحن بصدده . فالصور القهرية للقلق يمكن أن تقهر بواسطة العلاج النفسى عن طريق شفاء الصراعات الباطنية أو الداخلية . ولكن العلاج النفسى لن يستطيع أن يزيل القلق الانطولوجى ، وذلك لأن السبب فى هذا القلق يرجع إلى بنية التناهى المخلوقة والتى لا يستطيع العلاج النفسى تبديلها . هذا يعنى ، بتعبير تلش نفسه ، " أن العلاج النفسى لا يستطيع أن يزيل القلق الانطولوجى ، وذلك لأنه لا يستطيع تغيير بنية التناهى . إن العلاج النفسى لا يستطيع أن يزيل سوى الصور القهرية للقلق".^(١) .

تجدر الإشارة هنا إلى أن سائر الوجوديين يتفقون على هذه التفرقة بين القلق والخوف . فكيركيجورد ، على سبيل المثال ، لاحظ قبل تلش بوقت طويل " أن مفهوم القلق لم يعالج من قبل فى مجال علم النفس . ولهذا يجب أن أوضح (كيركيجورد) أنه يختلف تماما عن الخوف وما شاكل ذلك من مفاهيم تشير إلى شئ محدد ."^(٢) فالقلق فى رأيه ليس له موضوع محدد ، فموضوعه هو " شئ وهذا الشئ هو لاشئ (أو عدم)".^(٣) هذا بالإضافة إلى أن كيركيجورد قد أوضح أيضا أنه حتى الاستخدام اللغوى يكشف عن حقيقة أساسية هى أن قلق المرء لا يعنى سوى " أنه قلق تجاه لاشئ".^(٤) وعلى نفس النهج سار هيدجر الذى يقرر : " أن القلق يختلف تماما عن الخوف . فنحن نصبح خائفين فى مواجهة ذلك الموضوع المعين الذى يهددنا من هذا الاعتبار المعين أو ذاك . والخوف فى مواجهة شئ ما هو دوما وفى سائر الاحوال خوف لاجل شئ معين . ونظرا لان الخوف يتمتع بصفة كونه خوفا فى مواجهة كذا وخوفا لاجل كذا ، فإن الذى يخاف والذى هو خائف بالفعل يكون واقعا فى أسر الحالة التى يجد نفسه عليها . وأثناء محاولته إنقاذ نفسه من ذلك الشئ يفقد الثقة فى أى

1) Ibid ., Loc. cit (Footnote) .

2) Kierkegaard , S., The Concept of Anxiety , P. 42, Translated by Thome , R., in collaboration with Anderson, A. B., Princeton Univ. Press , New Jersey, 1980 .

3) Ibid., P. 43.

4) Ibid ., Loc. cit

شيء آخر ويفقد صوابه تماما .^(١) ولكن على الرغم من أن القلق ، وهو يشبه في ذلك الخوف تماما ، هكذا يقول هيدجر ، هو يوما قلق في مواجهة كذا ، فإنه لا يكون قلقا في مواجهة هذا الشيء أو ذاك . هذا بالإضافة إلى أن القلق في مواجهة كذا .. يكون يوما قلقا لاجل كذا .. ، ولكنه لا يكون قلقا لاجل هذا الشيء أو ذاك . إن عدم تحديد ذلك الذى نصبح في مواجهته ولأجله قلقون لا يرجع إلى افتقارنا إلى القدرة على تحديده بل يرجع إلى أن ذلك الشيء هو أصلا وبحكم طبيعته شيء لا يقبل التحديد .^(٢) هذا يعنى أن هيدجر يرى أن " القلق يكشف عن العدم .^(٣) والانسان نفسه يؤكد هذه الحقيقة " فى أعقاب زوال القلق مباشرة . فمن خلال رؤيتنا التى أصبحت صافية فى أعقاب زوال القلق وبمساعدة الذكرى التى لاتزال طازجة يجب أن نقول إن ذلك الذى كنا نقلق فى مواجهته ولأجله كان قطعاً لشيء أو عدم - حقا إن العدم نفسه - العدم فى ذاته - كان هناك .^(٤)

إذا كان تلش يرى أن القلق هو قرين التناهى ، فهو يرى أيضا أن مقولات التناهى - الزمان ، المكان ، والعلية ، والجوهر - هى " أربعة أوجه للتناهى .^(٥) وطالما أنها كذلك ، فإن هذا يعنى أنها ، مثلها فى ذلك مثل التناهى ، تتمتع فى رأيه بطابع انطولوجى . وطالما أنها " مقولات انطولوجية ، فهى تكون حاضرة فى كل شيء يتمتع بالوجود .^(٦) ولكن كل شيء يتمتع بالوجود هو ، كما رأينا ، خليط من الوجود واللاوجود . ولهذا يجب أن نتناول هذه المقولات من منطلق علاقتها المزدوجة بالوجود واللاوجود وذلك لأنها تعبر فى رأى تلش عن الوجود وتعبر أيضا عن اللاوجود . هذا يعنى ، بتعبير تلش نفسه ، " ان المقولات تكشف عن طابعها الانطولوجى من خلال

1) Heidegger, M., 'What is Metaphysics?', Martin Heidegger : Basic Writings ... , P. 102 .

2) Ibid., PP. 102-103.

3) Ibid., P. 103.

4) Ibid., Loc .cit .

5) Tillich , P., Systematic Theology, Vol. 1,P. 198.

6) Ibid., P. 192.

علاقتها المزدوجة بالوجود واللوجود .إنها تعبر عن الوجود ، ولكنها تعبر أيضا وفي نفس الوقت عن اللوجود الذى يتعرض له كل شئ يتمتع بالوجود .^(١) هذا بالإضافة إلى أنه يجب تناول هذه المقولات ليس فقط من الخارج أعنى من خلال علاقتها بعالم الموضوعات الخارجية ، بل أيضا من الداخل أعنى من خلال علاقتها بالذات. وفي حالة تناولها من الخارج سوف نراها تعبر عن وحدة الوجود واللوجود التى يشارك فيها كل شئ يتمتع بالوجود .أما إذا نظرنا إليها من الداخل فسوف نجدها تعبر عن وحدة القلق والشجاعة . لقد عبر تلس نفسه عن ذلك على النحو التالى : " عندما نتعامل مع المقولات الاربعة الرئيسية - الزمان ، المكان ، والعلية ، والجوهر - يجب أن نضع فى اعتبارنا عناصرها الايجابية والسلبية ليس فقط من الخارج أى من ناحية علاقتها بالعالم، بل أيضا من الداخل أعنى ، من ناحية علاقتها بالذات . فكل مقولة لاتعبر عن وحدة الوجود واللوجود فحسب بل تعبر أيضا عن وحدة القلق والشجاعة .^(٢) يتضح من ذلك أن تلس يرى أن مقولات التناهى تعبر عن الموقف الانسانى من الناحية الموضوعية ومن الناحية الذاتية . هذا لايعنى أنه يرى أن الجانب الذاتى هو مجرد جانب سيكولوجى لا يتمتع بمكانة انطولوجية . إن العكس هو الصحيح . فطبقا للبنية الانطولوجية الرئيسية للوجود أعنى بنية الذات - العالم يمكن القول ان تلس يرى أن الجانب الذاتى ، مثله فى ذلك مثل الجانب الموضوعى ، يتمتع بمكانة انطولوجية . فالذات هى كل بنىوى متمركز فى ذاته أو تنتمى إلى ذاتها . هذا الكل تشارك فيه سائر العناصر التى تشكل الذات كذات . وطالما أن الذات مفهومة على هذا النحو تتمتع بمكانة انطولوجية بمعنى انها تنطبق بمعنى ما على كل شئ يتمتع بالوجود ، وطالما أن الجانب الذاتى للمقولات أعنى وحدة القلق والشجاعة يدخل ضمن العناصر التى تدخل فى تكوين الذات ككل بنىوى ، فإن هذا يعنى أن هذا الجانب الذاتى يتمتع بنفس المكانة الانطولوجية التى تتمتع بها الذات.

والهدف الرئيسى الذى يحاول تلس تحقيقه من خلال تحليله التالى لمقولات

1) Ibid., Loc. cit .

2) Ibid., P. 193 .

التناهى هو إيضاح أن كل مقولة تنطوى على جانبين أحدهما إيجابى ويشير إلى الوجود والآخر سلبى ويشير إلى اللاوجود ، وكذا إيضاح أن هذين الجانبين يسيران فى خطين متوازيين تماما بمعنى أن هناك توازنا مطلقا بينهما الأمر الذى يجعل من المستحيل ترجيح جانبا على آخر بقرار موضوعى . أن ذلك يحتم اتخاذ قرار ذاتى أو بالآخرى لا عقلانى بخصوص ترجيح أحد الجانبين على الآخر .

والزمان هو المقولة الاولى التى يناقشها تلش ، وذلك لأنه يرى " أن الزمان هو المقولة الرئيسية للتناهى . فالطبيعة الغامضة للزمان جعلت سائر الفلاسفة يفتنون به ويرتبكون حياله ."^(١) وإذا ما نظرنا إلى الزمان من الناحية الخارجية أو الموضوعية ، فسوف نجد أنه ينطوى على عنصرين أحدهما سلبى والآخر إيجابى . والعنصر السلبى للزمان يشير إلى " تلاشى كل شئ زمانى وإلى استحالة تحديد اللحظة الحاضرة فى مجرى الزمان الذى لا يتوقف أبدا .. انه يشير إلى حركة الزمان من الماضى الذى كف عن الوجود إلى المستقبل الذى لم يوجد بعد عبر الحاضر الذى لا يعدو أن يكون سوى الخط الحدى المتحرك بين الماضى والمستقبل ."^(٢) فالحاضر من هذا الاعتبار ، هكذا يقرر تلش فى موضع آخر ، " يكون عدما ، إنه يكون خطأ بين الماضى والمستقبل ، خطأ بدون عرض يمكن لى شئ أن يقف عليه ، ولهذا السبب ليس هناك شئ يمكن أن يقال عنه ."^(٣) هذا يعنى أن تلش يرى أن العنصر السلبى للزمان يشير إلى أن اللحظة الحاضرة هى مجرد لحظة وهمية ، مجرد لحظة يستحيل تحديدها عبر التعاقب المستمر للزمان من المستقبل إلى الماضى . فاللحظة التى تتحول فيها اللحظة المقبلة إلى لحظة حاضرة ، هى نفس اللحظة التى تتحول فيها اللحظة الحاضرة إلى لحظة ماضية ، وذلك لأن كل شئ زمانى يتلاشى أو يزول باستمرار ويصبح ماضيا . وعلى ذلك يكون الحاضر بمثابة الخط الحدى المتحرك بين الماضى

1) Ibid ., Loc . cit.

2) Ibid ., Loc . cit.

3) Tillich , P., The Religious Situation , PP. 31- 32, Translated by Niebuhr, H. R., Meridian Books , New York, 1956 .

والمستقبل ، وتكون اللحظة الحاضرة مجرد لحظة وهمية . ولكن تلش يؤكد أيضا وفي نفس الوقت أنه إذا كان صحيحا أن الحاضر هكذا عبارة عن وهم ، لكان معنى ذلك " أن اللاوجود قد قهر الوجود .^(١) ولكن طالما أن اللاوجود لم يقهر الوجود ، فإن هذا يعنى أن الحاضر ليس وهما .^(٢) فالتواجد معناه تواجد فى الحاضر .^(٣) وعلى الصعيد الآخر ، نجد أن العنصر الايجابى للزمان يشير فى رأيه " إلى الطبيعة الابداعية للعملية الزمانية ، .. إلى كل جديد يبدع فى داخلها .^(٤) ولكن تلش يؤكد أيضا وفي نفس الوقت أنه على الرغم من أن الزمان يتسم قطعاً بطبيعة إبداعية ، إلا أنه " يستحيل إغفال الحقيقة التى مؤداها أن الزمان يبتلع كل ما يبدعه ، وأن الجديد يصبح قديما ويتلاشى ، وأن النمو الابداعى يكون مصحوبا فى كل لحظة بتحلل تحطيمى .^(٥) وهكذا يسوقنا هذا التحليل التيلشى إلى استحالة ترجيح أى جانب من الجانبين على الآخر بقرار موضوعى . فكل من يرجع الجانب السلبى لمقولة الزمان على الجانب الايجابى يتحتم عليه ، كما يقول تلش ، أن يقر " استحالة أن يكون الحاضر وهما ، وذلك لان الماضى والحاضر وكذا الحركة من الواحد منهما إلى الآخر لن يمكن قياسها الا من خلال قوة الحاضر الذى يعيه المرء بخبرته المباشرة .^(٦) وكل من يرجع ، على الصعيد الآخر ، الجانب الايجابى يستحيل عليه أن يتجاهل الجانب السلبى للزمان ، الذى مؤداه أن الزمان يبتلع فى كل لحظة من لحظاته ما يكون قد ابدعه ، وأن الجديد يصبح فى كل لحظة قديما ويتلاشى ، وأن كل تطور إبداعى بناءً يكون مصحوبا يوما بتحلل تحطيمى . هذا التحليل يبرر إذن رأى تلش الذى مؤداه أن ترجيح أحد الجانبين على الآخر لن يتأتى بقرار موضوعى، بل بقرار ذاتى أو لاعقلانى، وذلك لان هناك توازنا مطلقا بين الجانبين : السلبى ، والايجابى .^(٦)

1) Tillich , P., Systematic Theology , Vol . 1, P. 193.

2) Ibid., Loc .cit.

3) Ibid., Loc. cit.

4) Ibid., Loc .cit .

5) Ibid., Loc. cit .

6) Ibid., Loc. cit .

هذا التوازن بين الجانب السلبي والجانب الايجابي لمقولة الزمان يعبر عن علاقة الزمان بالوجود واللاوجود من الخارج أو من الناحية الموضوعية ، اما من الناحية الذاتية أو الباطنية أو الداخلية ، فنجد أن الانسان يعي بخبرته المباشرة أن هذا التوازن هو توازن بين قلق التلاشى وشجاعة التأكيد الذاتى للحاضر . هذا يعنى ، كما يقول تلش ، " أن الانسان يعي بخبرته المباشرة أن الزمان يوحد بين قلق التناهى وشجاعة التأكيد الذاتى للحاضر".^(١) والجانب السلبي يشير هنا إلى وعى الانسان بقلق التلاشى، أعنى إلى وعيه أن الزمان يتحرك به من الوجود نحو اللاوجود، نحو الموت. ومن خلال قلقه الناجم عن وعيه بأنه يمضى نحو الموت يكشف الانسان عن وعيه الداخلى (أو الباطنى) باللاوجود. هذا القلق يكون حاضرا فى كل لحظة من اللحظات^(٢) هذا القلق الذى هو قلق التلاشى والموت ، هكذا يقول تلش، " ينتمى إلى طبيعة الكينونة التى خلقها الله بمعزل تام عن الاغتراب والخطيئة "^(٣) إنه، بتعبير آخر، ينتمى إلى البنية الماهوية أو الدينية للانسان ، وليس ناجما عن تحطيم هذه البنية بسبب الاغتراب والخطيئة . إنه ينتمى إلى التناهى الذى خلقه الله، ولهذا " فهو متحقق بالفعل فى حالة ادم (قبل السقوط) (أعنى فى الطبيعة الماهوية للانسان) وكذا فى حالة المسيح (أعنى فى الوجود الجديد للانسان)".^(٤) فى ضوء ذلك يستنتج تلش أن "القلق على التلاشى ، على الانسياق نحو الجانب السلبي للزمان ، يضرب بجنوره فى بنية الوجود (الماهوية أو الدينية) وليس فى تشوه هذه البنية (بسبب الاغتراب والخطيئة)".^(٥)

نخلص من ذلك إلى أن الجانب السلبي المتعلق بالجانب الذاتى لمقولة الزمان يكمن فى وعى الانسان ، وهذا الوعى يعن له من خلال القلق المميز لحالته الماهوية أو

1) Ibid ., Loc. cit

2) Ibid ., Loc. cit

3) Ibid ., P. 194

4) Ibid ., Loc. cit

5) Ibid ., Loc. cit

الدينية ، أن الزمان يمضى به ، ويسائر الموجودات ، من الوجود إلى اللاوجود .^(١) ولكن هذا القلق يكون فى نفس الوقت فى حالة توازن مطلق مع الجانب الإيجابى اعنى مع الشجاعة التى تؤكد إيجابية الزمان . هذا يعنى ، على حد قول تلتش ، " أن هذا القلق على التواجد الزمانى المؤقت لن يكون ممكنا إلا لكونه فى حالة توازن مع الشجاعة التى تؤكد إيجابية الزمان . فبدون هذه الشجاعة سيستسلم الإنسان للطابع العدمى للزمان ، سيتخلى عن الحاضر . ولكن الإنسان يؤكد اللحظة الحاضرة ، .. ويدافع عنها ضد القلق الذى يعن له بسبب تلاشى هذه اللحظة . إنه يؤكد الحاضر من خلال شجاعة انطولوجية أصيلة أصالة قلقه على العملية الزمانية . هذه الشجاعة تكون مؤثرة فى سائر الموجودات ، ولكنها تكون مؤثرة او فعالة على النحو الكامل وبطريقة واعية فى حالة الإنسان فقط ، لأن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذى يستطيع أن يتوقع نهايته . ولهذا السبب يحتاج الإنسان إلى أقصى درجات الشجاعة حتى يأخذ قلقه على عاتقه . إن الإنسان هو أكثر الموجودات شجاعة .^(٢) وهو أكثرها شجاعة نظرا لأنه يتمتع بقدرة لا تعدلها قدرة على مقاومة القلق . وهو أيضا وفى نفس الوقت أكثر الموجودات قلقا " نظرا لأنه يستطيع أن يتصور مستقبلا ليس بمستقبله بعد ، وأن

(١) يقول تلتش " أن الأدب الذى تركه لنا الجنس البشرى ملئ بالقصص التى تذكر الملوك بل والشحاذين أن مآلهم فى النهاية إلى الموت . والإنسان لا يستطيع أن يتحمل توقع الموت ، ولذا فهو يكبحه . ولكن كبح ذلك التوقع لا يزيل قلقه الحاضر يوما ... أن معنى القلق على الموت هو أنه يكون قلقا على أن المرء سوف ينسى إلى الأبد .. أن الإنسان لم يستطع أبدا احتمال هذا الضرب من التفكير . وخير شاهد على مقاومة الإنسان للقلق لذلك يتمثل فى الطريقة التى تحدث بها الاغريق عن المجد باعتباره تعويضا عن النسيان بعد الموت . فالمرء يود لو أن يبنى لنفسه قاعات ونصب تذكارية وذلك لأن الإيمان بأن الذكرى سوف تبقى لوقت ما بعد الموت يعد نوعا من السلوى صحيح أن بعض الأسماء تظل مذكورة لفترة طويلة . وقد تفاخر أحد الشعراء بهذا الأمل عندما يكتب يقول : ' أن الآثار التى خلفتها حياته على الأرض لن تمحوها دهور ' . ولكن تلك الآثار ، التى توجد بلاشك فى العالم الفيزيقي ليست متطابقة مع أنفسنا ، ولا تحمل اسماعنا . انها لا تبقى ذكرانا إلى الأبد . "

Tillich , P., ' Forgetting and Being Forgotten ' , The Boundaries of Our Being , PP. 29 -30 .

2) Thillich , P., Systematic Theology , Vol .1, P. 194 .

يتصور ماضيا لم يعد يمتلكه . انه يتحتم عليه أن يدافع عن حاضره ضد تصوره لماضي لامتناه ولستقبل لامتناه ، لقد اقصى من كليهما .^(١) يتضح من ذلك أن هذا التوازن المطلق بين قلق التلاشى وشجاعة التأكيد الذاتى للحاضر يصف الجانب السلبي والجانب الايجابى لمقولة الزمان من الداخل أى من الناحية الذاتية . هذا التوازن المطلق هو أمر يعيه الانسان من خلال خبرته المباشرة أو وعيه المباشر . ولكن السؤال الهام هنا هو : ماهو الاساس المطلق لهذه الشجاعة؟ يقول تلش : إن الانسان لا يستطيع أن يهرب من التساؤل عن الاساس المطلق لشجاعته الانطولوجية .^(٢) وسوف نقدم إجابته على هذا التساؤل فى الفصل الرابع .

إن مناقشة تلش السابقة لمقولة الزمان ترتبط تماما بمناقشته للمقولة الثانية للتناهى أعنى مقولة المكان . هذا الارتباط يرجع إلى أنه يرى أنه إذا كان معنى التواجد هو التواجد فى الحاضر ، فإن التواجد فى الحاضر يعنى بالضرورة التواجد فى مكان ما . " فالحاضر يتضمن المكان . والزمان يخلق الحاضر من خلال اتحاده مع المكان . ومن خلال هذا الاتحاد يتوقف جريان الزمان وذلك لأن هناك شيئا يقف عليه .. إن معنى التواجد هو التواجد فى مكان . فكل موجود من الموجودات يكافح من أجل أن يجد لنفسه مكانا ومن أجل أن يحتفظ لنفسه بمكان .^(٣) والمكان لا يشير فى معناه إلى المكان الفيزيقي فحسب ، بل أيضا إلى المكان الاجتماعى . والمكان الفيزيقي يشير ، على سبيل المثال ، إلى " المنزل ، أو إلى المدينة ، أو إلى الوطن . أما المكان الاجتماعى فيشير ، على سبيل المثال ، إلى " مهنة معينة ، أو إلى طائفة معينة ، إلى حقبة تاريخية ، أو إلى شئ فى الذاكرة أو شئ متوقع ، .. إلى شئ داخل بنية القيم والمعانى .^(٤) ويمضى تلش إلى أبعد من هذا عندما يقرر أن " الكفاح من أجل الحصول على مكان يعد ضرورة انطولوجية .^(٥) وفى حالة امتلاك المكان يدرك الانسان الجانب الايجابى

1) Ibid., Loc . cit .

2) Ibid., Loc . cit.

3) Ibid., Loc . cit.

4) Ibid., Loc . cit.

5) Ibid ., Loc. cit .

لمقولة المكان كما يؤكد وجوده بالمثل ، وما ذلك إلا لأن " عدم امتلاك المكان يعنى الكف عن الوجود .^(١) ولكن إذا كان امتلاك المكان يشير إلى الجانب الايجابى لهذه المقولة ، فإن الجانب السلبى منها يشير إلى الحقيقة التى مؤداها " أن تكون فى مكان ما لايعنى سوى أن تكون معرضا للوجود . حيث إنه ليس هناك موجود متناه يمكنه أن يمتلك وإلى الأبد مكانا محددًا خاصا به. كما أنه ليس هناك موجودا متناهيًا يمكنه أن يعتمد على المكان إلى الأبد ، وذلك لأن كل موجود سوف يتعرض بالضرورة وفى نهاية المطاف لفقد هذا المكان أو ذاك لأنه 'سائح فى الأرض' من ناحية، ولأنه سوف يتعرض حتما لفقد سائر الامكنة التى امتلكها وكذا الامكنة التى كان بإمكانه أن يمتلكها من ناحية أخرى ... إن التناهى يعنى عدم امتلاك مكان محدد ، إنه يعنى حتمية فقد كل الامكنة وفقد الوجود نفسه فى نهاية المطاف.^(٢) والانسان لايسطيع أن يهرب من هذا المصير " عن طريق اللجوء إلى زمان بدون مكان .^(٣) إن ذلك أمر مستحيل، لأن " فقد المكان يشتمل على فقد الحاضر الزمانى، وفقد الحاضر معناه فقد الوجود.^(٤)

هذا التوازن بين الجانب الايجابى والجانب السلبى لمقولة المكان يعبر عن علاقة هذه المقولة بالوجود واللاوجود من الخارج أو من الناحية الموضوعية من ناحية ، ويؤكد استحالة ترجيح أى جانب من الجانبين على الأخرى بطريقة موضوعية من ناحية أخرى . أما من الناحية الداخلية أو الذاتية ، فيمكن القول طبقا لتلش ان المرء يعى هذا التوازن الموضوعى على انه توازن بين القلق على حتمية فقد المكان وبين شجاعة التاكيد الذاتى للحاضر وبالتالي - حيث ان الزمان يتضمن المكان - المكان . إن قلق الانسان على المكان يتبدى من خلال إحساسه بعدم الامان وكذا من خلال " قلقه على غده ، إنه يتبدى من خلال محاولاته القلقة تزويد نفسه بمكان أمين ، فيزيقيا كان أم اجتماعيا . إن

1) Ibid., Loc . cit.

2) Ibid., P. 195 .

3) Ibid., Loc . cit.

4) Ibid., Loc . cit.

كل حياة تتمتع بهذه السمة . والرغبة في الامان تصبح رغبة مهيمنة في أزمان معينة وفي مواقف اجتماعية وسيكولوجية معينة . فالبشر يخترعون نظما أمنية من أجل الحفاظ على اماكنهم . وسائر محاولاتهم هذه لاتؤدى إلا إلى كبت القلق، لا إلى القضاء عليه قضاء تاما ، وذلك لان هذا القلق يتوقع الفقد الحتمى للمكان .^(١) حقا ، إن سائر محاولات الإنسان تزويد نفسه بمكان ما لايمكنها أن تقضى على قلقه قضاء تاما ، وذلك لأن الإنسان يعلم أنه سوف يفقد في النهاية سائر الامكنة ، وهذا هو السر في قلقه . ولكن على الرغم من أن الإنسان يعلم ذلك ، فهو يؤكد ، في الآن عينه ، حاضره وبالتالي مكانه بشجاعة فائقة . هذا يعنى "أن قلقه على حتمية فقدانه لمكانه يكون متوازنا مع شجاعته التى يؤكد بها الحاضر وبالتالي المكان ."^(٢) هذه الشجاعة تنطوى على سمة انطولوجية بمعنى انها صفة مميزة لكل شئ يتمتع بالوجود . " فكل موجود يؤكد المكان الذى زود نفسه به داخل الكون . وهو يقاوم بنجاح القلق المتعلق بحتمية فقد المكان طوال بقاءه على قيد الحياة . إنه يواجه بشجاعة تلك اللحظات التى تصبح فيها حتمية فقد المكان تهديدا فعليا . إنه يقبل عدم امانه الانطولوجى وعلى اساس هذا القبول يصل إلى ضرب من الامان ."^(٣) ولكن : هذا الموجود لا يستطيع أن يهرب من التساؤل عن السبب فى كون أن هذه الشجاعة امر ممكن . كيف يمكن للموجود المتعرض لامكانية فقد مكانه أن يقبل الفقد الحتمى المؤقت والنهائى لمكانه ؟^(٤) إن إجابة تلش على هذا السؤال سوف نتناولها فى الفصل الرابع .

إن العلية هى المقولة الثالثة التى يناقشها تلش . وهو يتعامل مع هذه المقولة ، وكما هو الحال فى المقولات الأخرى ، من اعتبارين أحدهما خارجى أو موضوعى ، والآخر داخلى أو باطنى أو ذاتى . ومن الناحية الاولى يمكن القول طبقا لتلش ان هذه المقولة تنطوى على جانبين متوازيين تماما أحدهما إيجابى ، والآخر سلبى . والجانب

1) Ibid ., Loc. cit.

2) Ibid ., Loc . cit .

3) Ibid ., Loc . cit

4) Ibid ., Loc . cit .

الايجابي ، هكذا يقول تلش ، " يؤكد قوة الوجود من خلال الإشارة إلى ذلك الذي يسبق الشيء أو الحادثة باعتباره مصدرها ، وفى حالة تفسير شيء ما تفسيراً علياً ، تتأكد حقيقته ، وتفهم قدرته على مقاومة اللاوجود " .^(١) هذا يعنى أننا إذا عرفنا علة شيء ما ، فإننا نكون قد عرفنا بذلك المصدر الذى جاء منه ذلك الشيء وهذا يؤكد لنا ذلك الشيء باعتباره حقيقة واقعة ويجعلنا نفهم مصدر القوة التى يقاوم بها اللاوجود ويؤكد نفسه باعتباره أمراً واقعاً . " هذا المعنى الايجابى لمقولة العلية ، " هكذا يقول تلش : " ... هو الجانب العكسى لمعناها السلبى ."^(٢) وذلك لان " التساؤل عن علة شيء ما او حادثة ما يفترض سلفاً أن ذلك الشيء لا يتمتع بالقدرة على المجئ بنفسه إلى حيث الوجود... فالاشياء أو الحوادث لا تتمتع بالاكْتفاء الذاتى . فهذا الاكْتفاء صفة لله وحده . أما الاشياء المتناهية فليست علة ذاتها ، لقد قذف بها إلى الوجود (هيدجر) . والسؤال ، من أين ؟ ، هو سؤال عام ، سؤال يتفوه به الاطفال والفلاسفة على حد سواء . ولكن هذا السؤال هو سؤال لا إجابة عليه ، لان كل إجابة ، كل تقرير ، عن علة شيء ما يكون عرضة لنفس السؤال وهكذا إلى ما لا نهاية . هذا التسلسل اللانهائى لا يمكن أن يتوقف حتى بواسطة إله يفترض أنه الاجابة على التسلسل بكامله . لان ذلك الاله يجب أن يسأل نفسه ، من اين اتيت ؟ (كانط) .^(٣) أن العلية تعبر ضمناً عن عدم قدرة أى شيء على أن يعول على نفسه . فكل شيء منساق فيما وراء ذاته إلى علته والعلة منساقة فيما وراء ذاتها إلى علتها ، وهكذا إلى ما لا نهاية . ان العلية تعبر بقوة عن هوة اللاوجود التى تضرب بجنورها فى كل شيء يتمتع بالوجود ."^(٤)

1) Ibid ., Loc . cit .

2) Ibid ., P.196

٣) هنا يشير تلش الى حجة كانط التى جاءت في كتابه " نقد العقل النظرى الخالص " والتى صاغها كانط نفسه على النحو التالى : " نحن لا نستطيع ان نتنحى جانباً ، كما لا نستطيع ايضا ان نتحمل ، الفكرة التى مؤداها ان الوجود الذى تقدمو لانتفسنا باعتباره اسمى الموجودات ، يجب ان يقول لنفسه : ... من اين اتيت ؟ "

Kant, I., Critique of Pure Reason , P .513, Translated by Smith , N. K., Macmillan Press Ltd ., London , 1983 .

4) Tillich , P ., Systematic Theology , Vol . 1, P. 196

هذا التوازن بين الجانب الايجابي والجانب السلبي لمقولة العلية يعبر عن علاقتها بالوجود واللاوجود من الخارج أو من الناحية الموضوعية. أما من الناحية الداخلية أى من ناحية الوعي الذاتى المباشر للفرد فيمكن القول طبقا لتلش ان الانسان يعنى ذلك التوازن على أنه توازن بين القلق على كون أن وجوده هو وجود غير خاضع لمبدأ الضرورة وبين شجاعة تقبل الطابع العارض لوجوده الذى يفتقر إلى الضرورة. فمن خلال القلق يعنى الانسان أن وجوده المتناهى ، وكذا وجود أى موجود آخر، ليس وجودا مطلقا أو علة ذاته، بل هو بالاحرى "وجود عارض" ، يفتقر إلى الضرورة، ومن ثم يعنى انه فريسة اللاوجود . فنفس الحادثة العارضة التى قذفت بالانسان إلى الوجود قد تدفع به إلى خارجه.... ان الحقيقة التى مؤداها ان الانسان هو موجود محدد بالعلية تجعل وجوده وجودا عارضا ... والقلق الذى يعنى للانسان من خلال هذا الموقف هو قلق على افتقار وجوده إلى الضرورة. هناك احتمال ألا يكون موجودا!! إذن فلماذا يتمتع بالوجود؟ ولماذا يستمر فى الوجود؟ ليست هناك إجابة معقولة على هذه الاسئلة. هذا هو بالتحديد القلق المتضمن فى الوعي بالعلية باعتبارها إحدى مقولات التناهى^(١) ولكن هذا القلق يكون فى نفس الوقت فى حالة توازن مع " شجاعة تقبل الاشتقاق (أى كون أن وجود المرء مشتق من علة أخرى). إن الانسان الذى يمتلك هذه الشجاعة لا ينظر فيما وراء ذاته إلى حيث ذلك الذى انحدر منه ، بل يعول (أو يعتمد) على ذاته . فالشجاعة تتجاهل الاعتماد العلى الذى يتصف به كل شىء متناهى . وبدون هذه الشجاعة تستحيل الحياة ."^(٢) ولكن يبقى السؤال : " كيف يمكن لموجود يعتمد على الروابط العلية وطبيعتها العارض أن يقبل هذا الاعتماد وأن يعزو لنفسه، فى الآن عينه ، نوع من الضرورة والاعتماد الذاتى يناقضان ذلك الاعتماد ؟"^(٣) هنا يجب أن نكرر من جديد أن الاجابة على هذا السؤال سوف ترد فى الفصل الرابع .

1) Ibid ., Loc . cit .

2) Ibid ., P . 197

3) Ibid ., Loc. cit.

أما المقولة الأخيرة التي يناقشها تلش فهي مقولة الجوهر . والجوهر عند تلش " يشير إلى ذلك الشيء الذي يشكل الأساس التحتى للتغير الظاهرى ، والذي يتمتع نسبيا بالثبات ويكون تاما فى ذاته. " (١) والجانب الايجابى لهذه المقولة يشير فى رأيه إلى الهوية الذاتية ، إلى ثبات بنية معينة يمكن أن تتم من خلالها عملية التغير المستمر أعنى التغير المستمر للأعراض . " فالاعراض تستمد قوتها الانطولوجية من الجوهر الذى تنتمى إليه. " (٢) ولكن جوهرية الانسان أو هويته الذاتية لا تتمتع بالثبات إلا من خلال الاعراض ، وليس بمعزل عنها. هذا هو السبب الذى جعل تلش يقرر : " إذا عزل الجوهر عن الاعراض التى يعبر من خلالها عن نفسه فلن يكون شيئا على الإطلاق " (٣) هذا يعنى أن الجوهر يعتمد على اعراضه والعكس أيضا صحيح بمعنى أن الاعراض تعتمد أيضا على الجوهر. " ومن ثم يكون العنصر الايجابى متوازنا مع العنصر السلبي فى كل من الجوهر والاعراض. " (٤) أى أن الجانب الايجابى لمقولة الجوهر - ذلك الجانب الثابت يوما فيما وراء التغير المستمر للأعراض والمتمتع لذلك بصفة الوجود - يكون فى حالة توازن كامل مع الجانب السلبي لهذه المقولة أعنى مع التغير المستمر الذى يلحق بالاعراض والذي يشير بالتالى إلى اللاوجود . هذا التوازن المطلق بينهما يميز كل من الجوهر واعراضه ، وذلك لأن الجوهر بدون أعراضه لن يكون شيئا على الإطلاق ، والعكس صحيح أيضا ، فالواحد منهما لا وجود له بدون الآخر .

هذا التوازن يصف علاقة هذه المقولة بالوجود واللاوجود من الناحية الخارجية أو الموضوعية . أما من الناحية الداخلية أو الذاتية أو ناحية الوعى الذاتى فيمكن القول طبقا لتلش أن الانسان يعى الجانب السلبي لمقولة الجوهر على أنه قلق على حتمية الفقد المطلق للجوهر من خلال الموت وكذا الفقد النسبى المستمر الذى يحدث من خلال التغير المستمر . هذا يعنى أن تلش يرى " أن هذا القلق يشير إلى التغير المستمر وكذا

1) Ibid ., Loc . cit .

2) Ibid ., Loc . cit .

3) Ibid ., Loc . cit .

4) Ibid ., Loc . cit .

إلى الفقد النهائي المطلق للجوهر .^(١) هذا القلق على التغير ، هكذا يضيف تلش ، هو قلق على تهديد الوجود المتضمن في التغير ، وذلك يتبدى في سائر التغيرات الكبرى التى تحدث فى محيط الحياة الشخصية والاجتماعية ... ويصل إلى أقصى درجاته عند توقع الفقد النهائي للجوهر - وللأعراض أيضا . إن وعى المرء أن مآله إلى الموت يعنى أنه يتوقع الفقد الكامل للهوية مع ذاته . والتساؤلات التى تدور حول امكانية وجود جوهر خالد للروح تعبر عن القلق العميق المرتبط بتوقع الموت .^(٢) ولكن هذا القلق يكون فى نفس الوقت فى حالة توازن مطلق مع شجاعة " تقبل التهديد بفقد الجوهر الفردى وجوهر الوجود عامة . إن الانسان يعزو جوهرية لشيء يتسم فى واقع الامر بكونه عارضا تماما - كأن يعزو جوهرية لعمل إبداعى ، أو لعلاقة حب ، أو لموقف متعين ، أو لذاته ، على سبيل المثال لا الحصر . تلك ... هى شجاعة تأكيد ما هو متناهى ، شجاعة أخذ المرء للقلق على عاتقه .^(٣) فالانسان يؤكد ويعزو ، بشجاعة ، جوهرية لهذه الاشياء المتناهية ، على الرغم من وعيه بحتمية فقد جوهر هذه الاشياء المتناهية . " ولكن المشكلة التى تكمن هنا تتعلق بكيف تكون هذه الشجاعة ممكنة . كيف يمكن لموجود متناهى ، يعنى الفقد الحتمى لجوهره ، أن يقبل هذا الفقد ؟^(٤) والاجابة على هذا السؤال سوف تأتى فى الفصل الرابع .

إن مناقشة تلش للبنية الماهوية أو الدينية للانسان لا تتوقف عند هذا الحد . فهو يرى أن العناصر القطبية التى تحدثنا عنها فيما سبق (قطبيات التفرد - التشارك ، والديناميكية - الشكل ، والحرية - المصير) تثير نوعا آخر من القلق يختلف عن ذلك القلق المرتبط بالتناهى والذى تناولناه فيما سبق أعنى القلق الماهوى أو الدينى المخلوق ، والمرتبط بتهديد الوجود أو الموت . هذا القلق الجديد الذى سنتعرض له الآن ينتج فى

1) Ibid ., Loc . cit

2) Ibid ., PP. 197-198.

3) Ibid ., P. 198.

4) Ibid ., Loc . cit .

رأى تلش عن وعى المرء بامكانية فقد أى عنصر من هذه العناصر القطبية وبالتالي فقد التوازن الذى يشكل الحالة الماهوية أو الدينية للانسان .

ويمهد تلش لايضاح هذا النوع من القلق بقوله : "فى أى قطبية من القطبيات، يكون كل قطب محددًا بالقطب الآخر ومتأزرا به . والتوازن الكامل بين سائر الاقطاب ينتج كلا Whole متوازنًا ."^(١) هذا التوازن الكامل بين سائر الاقطاب يشكل الحالة الماهوية أو الدينية للانسان . ولكن التناهى ، هكذا يرى تلش ، يستطيع أن يحول ذلك التوازن إلى توتر tension . والتوتر يشير فى رأيه " إلى ميل العناصر القطبية المتحدة مع بعضها إلى الابتعاد عن بعضها ، إلى التحرك فى اتجاهات عكسية ."^(٢) ونحن نعى هذا التوتر الانطولوجى ، هكذا يضيف تلش ، " من خلال القلق على فقد بنيتنا الانطولوجية بسبب فقد أى عنصر من عناصرها وبالتالي فقد القطبية التى ينتمى إليها ذلك العنصر . هذا القلق يختلف عن ذلك القلق الذى اشرنا إليه فى سياق حديثنا عن المقولات ، أعنى القلق على الوجود . حيث إن هذا القلق الذى سنتناوله الآن هو قلق على عدم البقاء فى الحالة الماهوية . إنه قلق على التفكك والسقوط فى الوجود من خلال التمزق الوجودى . إنه قلق على تصدع التوتر الانطولوجى بين القطبيات وماينجم عن ذلك من تحطيم للبنية الانطولوجية."^(٣) هذا القلق هو إذن قلق على إمكانية التمزق الوجودى ، على إمكانية اغتراب المرء عن ذاته الماهوية أو الدينية . هذا التمزق يكون ، على الصعيد الماهوى ، مجرد امكانية . إنه لا يكون أمرا ضروريا بمعنى أن الانسان لا يكون مجبرا على الوقوع فى هذا التمزق . هذا يعنى أن الانسان يكون ، فى الحالة الماهوية ، على وعى بالامكانية التى مؤداها أن ذلك التوتر بين القطبيات والذى يسببه التناهى قد يقضى إلى الاغتراب .

هذه الامكانية ، هكذا يضيف تلش ، " تضرب بجنورها فى كل قطبية من

القطبيات ."^(٤) فالتناهى يحول القطبية الاولى - التفرد - التشارك - إلى توتر.

1) Ibid ., Loc.cit .

2) Ibid ., Loc . cit .

3) Ibid ., P. 199 .

4) Ibid ., Loc . cit .

والأمر المترتب على هذا التوتر هو التهديد بإمكانية تصدع التوازن بينهما وما يصاحبه من قلق متعلق بهذا التهديد . هذا يعنى ، بتعبير آخر ، أنه فى اللحظة التى يحول فيها التناهى ذلك التوازن الماهوى بين الفرد والتشارك إلى توتر ، يصبح الإنسان قلقا على إمكانية تصدع هذه القطبية ، وذلك لأن التوتر يسبب خطرا مؤداه أن الإنسان قد يتشدد بإفراط بالتفرد على حساب التفريط فى التشارك . والنتيجة المترتبة على ذلك هى " التهديد بالشعور بالوحدة التى تفضى إلى فقد العالم والكوميونين . "(١) هذا بالإضافة إلى أن ذلك التوتر قد يسبب ، من الناحية الأخرى ، خطرا مؤداه أن الإنسان قد يتشدد بإفراط بالتشارك ويغفل التفرد . والنتيجة المترتبة على ذلك هى " التهديد بالانغماس الكامل فى المجموع ، الأمر الذى يعنى فقدان التفرد والذاتية وفقد الذات انتمائها لذاتها وتحولها إلى جزء من كل شامل . "(٢) فالإنسان يتذبذب بين التفرد والتشارك ، بين إمكانية الشعور بالوحدة وإمكانية الانغماس فى المجموع . ويعنى من خلال قلقه أن وقوعه فى براثن أحدهما يعنى فقد وجوده الماهوى . هذا يعنى ، بتعبير تلش نفسه ، " أن الإنسان يعنى من خلال قلقه ذلك التحول من إمكانية الشعور بالوحدة إلى الانغماس فى المجموع ، ومن إمكانية الانغماس فى المجموع إلى الشعور بالوحدة ، إنه يتذبذب بقلق بين التفرد والتشارك ، واضعا فى اعتباره الحقيقة التى مؤداه أن فقدته لى قطب يعنى الكف عن الوجود ، وذلك لأن فقد أى قطب يعنى فقد الاثنين معا . "(٣)

والتناهى يحول أيضا القطبية الثانية أى " قطبية الديناميكية والشكل إلى توتر . هذا التوتر يسبب التهديد بإمكانية تصدعها وكذا القلق على هذا التهديد . "(٤) فعندما يحول التناهى ذلك التوازن القطبى بين الاثنين إلى توتر ، يصبح الإنسان قلقا على إمكانية تصدعها ، وذلك لأن التوتر يسبب خطرا مؤداه أن الديناميكية - وذلك من خلال اندفاعها نحو الشكل - " قد تفقد نفسها فى الأشكال المتصلبة . "(٥) وإذا حاولت

1) Ibid ., Loc . cit .

2) Ibid ., Loc . cit .

3) Ibid ., Loc . cit .

4) Ibid ., Loc . cit .

5) Ibid ., Loc . cit .

الديناميكية ، من الناحية الاخرى ، " اختراق تلك الاشكال ، فإن النتيجة التي قد تقترب على ذلك هي الهيولى ، التي تعنى فقدان الديناميكية والشكل. " (١) هذا بالاضافة إلى أن هذا التوتر يجعل الانسان ، من الناحية الاخرى ، قلقا على امكانية فقد حيويته اثناء اندفاعها نحو انتاج اشكال جديدة ، حضارية كانت أم غير ذلك ، من خلال ممارسة قصديته . وهو يقلق على احتمالية فقد حيويته لذاتها في هذه الاشكال الجديدة التي تحاول ابتلاعها . وهو يقلق ، من الناحية الاخرى ، على الحقيقة التي مؤداها انه إذا حاولت حيويته اختراق تلك الاشكال ، فقد تفصل نفسها عن قصديته والنتيجة المترتبة على ذلك هي " هيولى لا شكل لها تؤدي إلى فقدان حيويته وقصديته. " (٢)

أخيرا يؤكد تلش " أن التناهي يحول قطبية الحرية و المصير إلى توتر ينتج تهديدا بامكانية تصدع التوازن بين هذين القطبين وكذا قلقا مصاحبا لهذا التهديد. " (٣) فعندما يحول التناهي الماهوى ذلك التوازن القطبى الماهوى بين هذين العنصرين إلى توتر ، يصبح الانسان قلقا على إمكانية تصدعهما . إنه يعنى بقلق أنه قد يفقد " حريته بسبب ألوان الضرورة المتضمنة فى مصيره ، " ولهذا فهو يحاول " الاحتفاظ بحريته عن طريق تحديه لمصيره. " (٤) هذا بالاضافة إلى أن قلقه على الحقيقة التي مؤداها انه قد يفقد " مصيره من خلال الاشياء العارضة المتضمنة فى حريته ، " قد يفضى به ، من الناحية الاخرى ، إلى محاولة " انقاذ مصيره عن طريق التخلي عن حريته. " (٥) وأى محاولة من المحاولتين تعنى تمزق التوازن ، وفقد الحرية والمصير ، وكذا فقد البنية الانطولوجية ذاتها ، وذلك لان فقد أى قطب لا يعنى فقد القطبية التي ينتمى إليها ذلك القطب فحسب، بل يعنى أيضا فقد البنية الانطولوجية الماهوية او الدينية لوجود الانسان ، نظرا لأن هذه العناصر القطبية تشكل ، كما رأينا ، هذه البنية ذاتها ، انها كامنة فيها ، ان صح التعبير. ويمضى تلش إلى أبعد من هذا عندما

1) Ibid., PP.199-200

2) Ibid., P.200

3) Ibid., Loc . cit .

4) Ibid., Loc . cit .

5) Ibid., Loc . cit .

يقرر أن قلق الانسان على إمكانية تصدع التوازن القطبي بين الحرية والمصير، يجعله "يشعر بالارتباك حيال الامر المتضمن في حريته والذي يهيب به أن يتخذ قرارات"، ويجعله "يخشى قبول مصيره بدون تحفظات".^(١) فالانسان يعلم أن قراره لن يكون قرارا صحيحا إلا إذا اتخذه بمعرفة وإرادة متحدة تماما مع مصيره. لكنه يدرك، من خلال قلقه، أنه يفتقر إلى الاتحاد المعرفي الكامل والفعال مع مصيره الذي يجب أن يكون هو الأساس في قراراته.^(٢) وهو أيضا "يخشى قبول مصيره بدون تحفظات"، وذلك لأنه يدرك أن قراره سوف يكون قرارا جزئيا، وأنه سيقبل جزء من مصيره فقط، وأنه سوف يسقط ضحية لجبرية معينة لا تتطابق مع مصيره الحقيقي.^(٣)

يتضح مما سبق أن تلش يرى أن تنامي الانسان لا يثير فيه القلق الماهوي على اللاوجود أو الموت فحسب، بل يثير فيه أيضا نوعا آخر من القلق هو قلق على إمكانية فقد بنيته الانطولوجية الماهوية أو الدينية ومن ثم فقد ذاته الاصلية.

ولكن ما الذي يجعل هذه الامكانية تنتقل من حيز الامكان إلى حيث التحقق أو الفقد الفعلي في الوجود؟ وما الذي يجعل هذا الانتقال أمرا ممكنا في المقام الاول؟ والاجابة التي يقدمها تلش هنا هي أن امكانية هذا التحول ترتكز اولا وقبل كل شيء على طبيعة الحرية الانسانية. فالحرية الانسانية تتضمن من بين ما تتضمن أن الانسان "يتمتع بالقدرة على مناقضة نفسه وكذا مناقضة طبيعته الماهوية"^(٤) وهذا هو السبب الذي يجعل التحول من الحالة الماهوية أو الدينية، التي هي مجرد حالة إمكان، إلى حالة الاغتراب أمرا ممكنا. فالانسان يستطيع أن يتحرر حتى من حريته نفسها، أعنى،

1) Ibid., Loc. cit.

2) Ibid., Loc. cit.

3) Ibid., Loc. cit.

4) Ibid., Vol.2, P.32.

انه يستطيع أن يتخلى عن إنسانيته (أى حرته) .^(١) ولكن حرية الانسان هى فى رأى تلش حرية محددة بمصيره ، والعكس صحيح أيضا ، لأن " الحرية والمصير يحددان بعضهما البعض .^(٢) هذا الامر يصدق على سائر صفات حرية الانسان ومن ثم يصدق على تلك الصفة الخاصة للحرية والتي تهمنى هنا اعنى " قدرته على التخلي عن حرته . حتى حرية التناقض محددة بالمصير .^(٣) هذا يعنى أن الحرية المتناهية هى أساس التحول العام من الماهية إلى الوجود ، من الحالة الماهوية إلى حالة الاغتراب أو التناقض الذاتى.^(٤) هذا التحول هو تحول عام بمعنى انه يحدث فى كل زمان ومكان وينطبق على سائر البشر ، لانه ليس مجرد حالة فردية قد تحدث لفرد ولا تحدث لآخر إذ ليس هناك ، كما يقول تلش ، " تحول فردى من الماهية إلى الوجود .^(٥) لانه لو كان التحول هو مجرد تحول فردى لكان معنى ذلك هو انه مجرد امر عارض قد يحدث لشخص ولا يحدث لآخر ، وليس أمرا عاما . إن التحول ، هكذا يؤكد تلش ، هو تحول عام وذلك لان حرية الانسان " تعمل داخل إطار مصير عام .^(٦) ولكن عمومية التحول لا تعنى انه امر ناجم عن المصير أو الضرورة فقط ، فالتحول يركز أيضا وفى نفس الوقت على القرار الانسانى الاخلاقى الحر . إنه يركز على كل من الحرية والمصير معا وفى نفس الوقت ، وليس قائما على أحدهما دون الآخر . باختصار يمكن القول ان تلش يرى أن إمكانية التحول من الماهية إلى الوجود تقوم على كل من الحرية والمصير أعنى على الحرية المتناهية للانسان .

يقول تلش : " بعد أن ناقشنا إمكانية التحول من الماهية إلى الوجود ، ننتاول الآن التساؤل المتعلق بالدوافع التى تسوق إلى هذا التحول . ولكى نجيب على هذا التساؤل ، يتحتم علينا أن نقدم تصورا لحالة الوجود الماهوى .^(٧) هذا يعنى أن تلش

1) Ibid., Loc. cit.

2) Ibid., Loc. cit.

3) Ibid., Loc. cit.

4) Ibid., Loc. cit.

5) Ibid., Loc. cit.

6) Ibid., Loc. cit.

7) Ibid., Loc. cit.

يرى أن الاجابة على هذا التساؤل تستلزم أولا وقبل كل شيء تقديم تصور لحالة الوجود الماهوي أو الديني أعني ، بتعبير ديني ، " لحالة آدم قبل السقوط . " هذه الحالة ، هكذا يرى تلتش ، ليست مدرجا يتحقق بالفعل عبر تطور الانسان .^(١) ولهذا السبب يجب أن تفهم على أنها حالة إمكان صرف . إنها ليست شيئا حدث في الماضي . إنها لم تحدث على مدار التاريخ أو الزمان ، ولهذا السبب لا يمكن أن توصف " أو تعرف بطريقة مباشرة . " ^(٢) هذا لا يعني أن تلتش يرى أن هذه الحالة لا تعرف على الاطلاق . ان العكس هو الصحيح . فهو يرى أن هناك طريقتين غير مباشرتين يمكن التعرف من خلالهما على هذه الطبيعة : الاولى دينية ، والاخرى سيكولوجية . والطريقة الدينية تعتبر هذه الحالة بمثابة " حالة كمون في أساس الحياة الالهية . " ^(٣) أما الطريقة السيكولوجية فتفسر هذه الحالة بأنها " حالة براءة حاملة . " ^(٤) هذا الطريق الاخير هو الطريق الذي سلكه تلتش في تفسيره لتلك الحالة . ^(٥)

1) Ibid ., Loc , cit .

يقول تلتش " ان الطبيعة الماهوية للانسان تكون حاضرة في داخل الانسان عبر مراحل تطوره ، ولكنها تكون في حالة تشوه وجودي . لقد اسقطت الطبيعة الماهوية للانسان ، في الاساطير والعقائد ، على الماضي ، باعتبارها تساريخ قبل التاريخ ، ورمز إليها بالعصر الذهبي او القديس . " Ibid ., Loc , cit . ويقول كل من هوبرت ووارين " أن تلتش يرى أن حالة الوجود الماهوي هي حالة حاضرة ، في كل مدرج من مدارج تطور المرء ، كحالة غير مختبرة ، لايعيها المرء ، كحالة براءة . والمرء يعيها في شكل براءة حاملة ، كحالة حقيقية وغير حقيقية معا وفي نفس الوقت . ويمكن وصف هذه الحالة ، بلغة تقليدية ، بأنها إحساس غامض بان المرء كان في حالة تناغم مع ذاته ، ومع العالم ، ومع ذلك الذي يستشعره باعتباره مطلقا (اي الله) . "

Hobart ,C.W ., and Warne , N., 'On Sources of Alienation ' ,
Journal of Existentialism , Vol . 5 (Fall, 1964), P. 193 .

2) Tillich , P., Systematic Theology , Vol . 2, P . 33.

3) Ibid ., Vol . 1 , P . 260 .

4) Ibid ., Vol . 2 , P . 33

5) Ibid ., PP . 33- 36

فى ضوء التفسير السيكولوجى ، أعلن تلش أن حالة الوجود الماهوى يمكن أن تسمى بحالة " البراءة الحاملة". والحالة الحاملة هى، كما يقول تلش ، " حالة عقلية حقيقية وغير حقيقية معا وفى نفس الوقت - مثلها فى ذلك مثل حالة الامكان . فالحالة الحاملة تتوقع الحالة الفعلية أو الواقعية مثلما أن كل شىء فعلى يكون حاضرا بكيفية ما فيما هو ممكن . وفى لحظة اليقظة ، تختفى صور الحلم كصور وتعاود الظهور فى شكل حقائق أو وقائع يواجهها المرء. إن الواقع يختلف بالتأكيد عن صور الحلم ، غير أنه لا يختلف عنه من سائر الاعتبارات . لان ما هو فعلى يكون حاضرا فيما هو ممكن ومن ثم يتوقع أن يتحول إلى شىء فعلى . إن كلمة حالة تعد، لهذه الاسباب ، كلمة ملائمة لوصف حالة الوجود الماهوى.^(١) أما عن كلمة البراءة ، فيقول تلش : " إن كلمة براءة تشير أيضا إلى إمكانية غير متحققة ... هذه الكلمة تنطوى على ثلاثة معانٍ. فهى قد تعنى فقدان الخبرة الفعلية ، وفقدان المسئولية الشخصية ، وفقدان الاحساس الاخلاقى بالذنب . إن الاستخدام المجازى لهذه الكلمة الذى اقترحه هنا ينطوى على هذه المعانى الثلاث".^(٢) يتضح من ذلك أن تلش يرى أن كلا من كلمة حاملة وكلمة براءة تشيران إلى حالة الامكان غير المتحقق بالفعل للوجود الماهوى . ولكن كلمة براءة تنطوى على عدة مزايا . فهى تشير إلى ثلاثة أشياء لا تتوفر فى كلمة حاملة أعنى ، فقدان الخبرة الفعلية، وفقدان المسئولية الشخصية ، وفقدان الإحساس الاخلاقى بالذنب . وطالما أن الامر كذلك ، فإن هذا يعنى أن فقدان البراءة يعنى فقد هذه الأشياء الثلاثة واكتساب ثلاثة أشياء أخرى مناقضة لها هى الخبرة الفعلية ، والمسئولية الشخصية ، والإحساس الاخلاقى بالذنب. هذا يعنى ، بتعبير آخر ، انه فى حالة التحول من البراءة إلى الاثم أو الذنب " يتم اكتساب الخبرة ، والمسئولية ، والذنب ، ويتم فقدان حالة البراءة الحاملة".^(٣) والمثال البارز الذى يقدمه تلش هنا لتوضيح هذا

1) Ibid., P.33.

2) Ibid., PP. 33-34

3) Ibid., P.34

التحول هو مثال التطور الجنسي عند الموجودات الانسانية ، فهو يرى أن هذا المثال يعبر بطريقة سيكولوجية عن نفس الشيء الذى عبر عنه الدين أو اللاهوت أعنى تحول الانسان من الحالة الماهوية أو الدينية المخلوقة إلى الحالة الخاطئة أو المغترية الامر الذى يعنى تماثل الحالتين تماما . ففي المراحل الاولى لتطوره أو لنموه الجنسي يكون الطفل في حالة براءة حيال إمكاناته الجنسية . هذه الحالة تشبه تماما الحالة الماهوية أو الدينية للانسان ، حالة " آدم قبل السقوط " التى صورها اللاهوت بلغة دينية . هذا يعنى ، بتعبير تلش نفسه ، " ان الرمز 'آدم قبل السقوط' ... يجب أن يفهم على أنه يشير إلى حالة من البراءة الحاملة التى لم تتخذ بعد قرارا بشأن إمكاناتها" ^(١) وذلك لان هذا الرمز الدينى يماثل تماما حالة البراءة التى يتمتع بها الطفل حيال إمكاناته الجنسية . فالطفل يظل حتى مرحلة معينة جاهلا (لا يعى) بإمكاناته الجنسية . ^(٢) انه لا يعى هذه الامكانيات ، هذا على الرغم من انها تكون حاضرة فى داخله ، ومن ثم تظل هذه الامكانيات مجرد إمكانات غير متحققة بالفعل لان الطفل لم يتخذ بعد قرارا بشأنها أعنى لم يختبرها أو حتى يخبرها بعد . غير أن الاستيقاظ من هذه الحالة ، التى تناظر حالة الحلم ، يجب أن يحدث . فالامكانيات الجنسية سوف تتحقق بالضرورة ، ولكن هذا التحقق يفضى حتما إلى فقد البراءة الحاملة ومن ثم اكتساب الخبرة ، والمسئولية ، والذنب .

هذا التحقق أمر ضرورى ، وذلك لان تلش يرى "أن حالة البراءة الحاملة تسوق إلى ما وراءها" ^(٣) فالانسان لن يستطيع البقاء فى حالة "الحلم" إلى الابد ، لان هذه الحالة سوف تنتهى بالضرورة ، والذى يساعد على ذلك هو أن هذه الحالة ، التى

1) Ibid ., Loc . cit .

2) Ibid ., Loc . cit .

3) Ibid ., Loc . cit .

هى حالة امكان لم يختبر ولم يتم اتخاذ قرار بشأنه بعد، تنطوى على إمكانية التوتر والتمزق . إنها، بتعبير تلش نفسه ، " قابلة أو عرضة للتوتر والتمزق " .^(١) وهذه القابلية لا تنكشف إلا من خلال وعى الانسان القلق بحريته المتناهية . " ففى حالة البراعة ، تكون الحرية والمصير فى حالة انسجام ، ولكنهما يكونان غير متحققين بالفعل ، ومن ثم تكون الوحدة بينهما وحدة ماهوية ."^(٢) ولكن فى نفس اللحظة التى يصبح فيها الانسان واعيا بحريته المتناهية ومن ثم قلقا - وذلك لان هذه اللحظة تكون مصحوبة يوما بالقلق - ينزع الانسان ، بسبب ذلك الوعى والقلق ، إلى تحقيق حريته . هذه اللحظة يطلق عليها تلش اسم لحظة " يقظة الحرية " ، والتى يعرفها بأنها " اللحظة التى تصبح فيها الحرية واعية بذاتها وتنزع إلى تحقيق نفسها " .^(٣) هذه اللحظة التى عرفها التفسير السيكولوجى لتلش على هذا النحو ، هى نفس اللحظة التى أطلق عليها اللاهوت اسم لحظة " رغبة آدم فى الخطيئة " . فوجود هذه الرغبة داخل آدم ، هكذا يرى تلش ، جعل الله يحظر عليه الاكل من شجرة المعرفة .^(٤) غير أنه فى نفس اللحظة التى تصبح فيها الحرية واعية بذاتها وتنزع إلى تحقيق ذاتها (لحظة استيقاظ الحرية) " تبدأ عملية رد فعل من جانب الوحدة الماهوية بين الحرية والمصير . فالبراعة الحاملة تريد أن تظل فى حالة الوحدة الماهوية ."^(٥) وذلك لان الوحدة الماهوية بين الحسرية والمصير هى سعة لهذه الحالة . ولهذا السبب يكون الانسان موزعا بين الرغبة فى تحقيق حريته وبين الامر الالهى الذى يقضى بالحفاظ على براءته الحاملة .^(٦) ولنفس هذا السبب تكون هذه الحالة عبارة عن حالة إغراء . إنه إغراء موزع بين تحقيق الحرية وبين الاحتفاظ بالبراعة الحاملة ، إنه ، بتعبير آخر ، موزع بين تحقيق الحرية ومن

1) Ibid ., P. 35 .

2) Ibid ., Loc . cit .

3) Ibid ., Loc .cit

4) Ibid ., Loc . cit .

5) Ibid., Loc. cit

6) Ibid., Loc. cit.

ثم فقد الوحدة الماهوية بين الحرية والمصير ، وبين الاحتفاظ بالوحدة الماهوية بين الحرية والمصير أعنى بالبراءة الحالة .

غير انه فى اللحظة التى يصبح فيها الانسان واعيا بحريته " يصبح واعيا أيضا بخطورة موقفه . إنه يعى خطرا مزبوجا ، هذا الخطر يضرب بجذوره فى حريته المتناهية ويعبر عن نفسه من خلال القلق . فالانسان يقلق على فقد نفسه إذا لم يحقق ذاته وإمكاناته^(١) . ومع ذلك فهو ، من الناحية الأخرى ، يقلق فى نفس الوقت " على فقد ذاته إذا حقق ذاته وإمكاناته . إنه يقف بين حفظ براءته التى تعنى فقد الخبرة بالوجود المتحقق وبين فقد براءته من خلال المعرفة ، والقوة ، والذنب ... والانسان يقرر لصالح تحقيق ذاته وإمكاناته ومن ثم يضع نهاية لحالة البراءة الحالة^(٢) . وخير شاهد على ذلك التحول من حالة البراءة الحالة إلى حالة الاثم والذنب ، هكذا يضيف تلش ، يكمن فى التطور أو النمو الجنسى عند الانسان . فالمراهق يكون قلقا على فقد ذاته هذا إذا لم يحقق إمكاناته الجنسية . ويكون أيضا ، وفى نفس الوقت ، ومن الناحية الأخرى ، قلقا على فقد ذاته هذا إذا حقق إمكاناته الجنسية . ولكنه " يقرر تحقيقها ، وهذا هو ما يفعله سائر البشر^(٣) . هذا التحقيق يعنى إنهاء حالة البراءة أو الحالة الماهوية أو الدينية ، والتحول إلى حالة الاثم والذنب أو إلى الحالة المفترية .

هذا التحول من الماهية إلى الوجود يعتبره تلش " سمة عامة للوجود المتناهى^(٤) . وهو " يتبدى فى كل شخص على هيئة تحول من البراءة الصالحة إلى التحقيق والذنب . " ^(٥) هذا التحول ، هكذا يؤكد تلش من جديد ، يجب ألا يفهم من منظور زمانى أو تاريخى . " إنه ليس حادثة وقعت فى الماضى . " ^(٦) بل يحدث فى كل

1) Ibid ., Loc . cit .

2) Ibid ., PP . 35- 36 . .

3) Ibid ., P . 36 .

4) Ibid ., Loc . cit .

5) Ibid ., Loc . cit .

6) Ibid ., Loc . cit

زمان : فى الماضى ،أو الحاضر ، أو فى المستقبل . والفعل الذى يتحول الانسان بمقتضاه من الحالة الماهوية أو الدينية إلى الحالة المغترية هو فعل حر ومتحد فى نفس الوقت مع المصير . من هنا يقرر تلش: " ان الفعل الفردى للاغتراب الوجودى ليس فعلا منعزلا لفرد منعزل ،إنه فعل يتم بحرية متحدة ، مع ذلك ، مع المصير العام للوجود . فالطبيعة المغترية للوجود تحقق نفسها من خلال كل فعل فردى . وكل قرار أخلاقى هو فعل صادر عن حرية فردية ومصير عام معا وفى نفس الوقت . " (١)

حقا ، إن تلش يؤكد ان هناك " قوى بيولوجية ، وبيكولوجية ، واجتماعية تؤثر فى كل قرار فردى . " (٢) وهذا فى رأيه هو السبب الذى يجعل الاغتراب مسألة مصير عام ، وليس صادرا عن فعل فردى فحسب . فهذه القوى التى تؤثر فى القرار الفردى الحر تجعل الاغتراب مسألة مصير عام أو مشترك .

يتضح من كل ما سبق أن تلش يرى أن الحالة الماهوية أو الدينية ، التى هى مجرد حالة إمكان ، تختلف عن حالة الاغتراب . ولكن على الرغم من إقرار تلش لذلك الاختلاف ، إلا أن معارضته للتفسير الحرفى لقصة السقوط كما جاءت فى سفر التكوين قد اضطرتة إلى إقرار نوع من التزامن بين الخلق الالهى والسقوط أو الاغتراب الوجودى . فمن المعروف أن المعنى الحرفى لقصة الخلق و السقوط ، كما جاءت فى سفر التكوين ، يؤكد أن الله قد خلق الوجود على نحو خير ، بمعنى انه فى سالف العصر والأوان كان الوجود يتمتع بالخير نظرا لأن الحالة الماهوية كانت متحققة فى الوجود ، ثم حلت اللعنة على الوجود بسبب خطيئة آدم . ولكن تلش يرفض ، كما رأينا ، هذا التفسير الحرفى هذا على الرغم من أنه التفسير الشائع والمعمول به . فهو

1) Ibid ., P . 38 .

2) Ibid., P.42

يرى أن التحول من الماهية إلى الوجود لم يحدث في وقت ما في الزمان ، بل يحدث في كل وقت وفي كل حين بمعنى أنه ليست هناك نقطة في الزمان يمكن القول عنها انها تمثل نقطة التحول من الماهية إلى الوجود . فهذا التحول يحدث في كل زمان وفي كل وقت . هذا التفسير ادى بتلش ، كما رأينا ، إلى إقرار نوع من التزامن بين الخلق الالهي الخير والاعتراب الوجودي للوجود المتحقق بالفعل . ولقد أوضح تلش طبيعة هذا التزامن علي النحو التالي : " إن الخلق الالهي والسقوط يتزامنان طالما أنه ليس هناك موضع في الزمان أو المكان تحقق فيه الخير المخلوق وتمتع بالوجود . هذا التزامن هو نتيجة ضرورية لمعارضتنا للتفسير الحرفي لقصة الخلق ، لم تكن هناك 'يوتوبيا' في الماضي ، كما لن تكون هناك 'يوتوبيا' في المستقبل . فالخلق الالهي المتحقق بالفعل متطابق مع الوجود المقترب . وحرفية التوراة هي وحدها صاحبة الحق في معارضة هذا التأكيد . فمن يستبعد فكرة وجود مدرج تاريخي للخير الماهوي يتحتم عليه ألا يتملص من هذه النتيجة . فهذه النتيجة تتأكد بصورة أكثر وضوحا حتى إذا طبقنا رمز الخلق على العملية الزمانية بكاملها . فإذا كان الله يخلق في التواللحظة فإن كل ما يخلقه يشارك في التحول من الماهية إلى الوجود بمجرد خلقه . تلك هي حالة التزامن بين الخلق الالهي والسقوط ... فالخلق الالهي يتسم بالخير من ناحية الامكان . وإذا ما تحقق بالفعل ، فإنه يسقط في اغتراب عام من خلال الحرية والمصير. " (١) هذا لا يعني أن تلش يرى أن هذا التطابق بين الماهية والوجود ينجم عن ضرورة منطقية أو عقلية . إن ذلك هو ما يرفضه تماما . فهو يرى " أن الوثبة من الماهية إلى الوجود هي ... حقيقة أي أنها تتمتع بطابع الوثبة لا الضرورة البنيوية . " (٢) فالتحول ، هكذا يريد أن يقول تلش ، يتم بوثبة لا معقولة ، وليس أمرا ضروريا أي ناجما عن ضرورة عقلية أو منطقية .

1) Ibid ., P . 44

2) Ibid., Loc.cit.

بهذه النقطة الأخيرة نكون قد وصلنا إلى نهاية الوصف الذى قدمه تلش المؤمن للوجه الأول من الواجهة الثلاثة التى يركز عليها التفسير المسيحى للطبيعة الانسانية أو لمفهومه للاغتراب أو لموقفه الوجودى، أعنى الطبيعة الماهوية أو الدينية للانسان. ولكن طالما أننا نؤمن أن موقف تلش الوجودى هو موقف نصف إيمان، ونصفه إلحاد، فسوف نحاول فى الجزء التالى من هذا الفصل أن نكشف موقف تلش الملحد من هذه الطبيعة بمعنى أننا سنحاول أن نكشف كيف أن النصف الالهادى لتلش قد ساقه إلى تفسير هذه الطبيعة اندىسية بطريقة إلحادية. وقبل أن نبدأ محاولتنا هذه، نود أن نشير أولا إلى أن إيضا حنا للجانب الالهادى عند تلش سواء فى هذا الفصل أو الفصول التالية سوف يأتى مقتضيا بعض الشيء وذلك لأن تلش الملحد نفسه لم يفصل القول فى موقفه الالهادى الخفى - بعكس ما فعل تلش المؤمن فى موقفه الايمانى الصريح - خشية انكشاف أمره. هذا الاقتضاب التيلشى هو قطعاً أمر طبيعى خاصة وأنه يزعم فى الظاهر أنه ينتمى إلى اللاهوت المسيحى. هذا لا يعنى أن النصف الالهادى يقل فى الاهمية عن النصف الايمانى. إن العكس فى رأينا هو الصحيح. فالنصف الالهادى يتمتع بنفس الاهمية التى يتمتع بها نصف تلش الايمانى.

إن أول ما يطالعنا فى هذا الجانب هو اعتقاد تلش الراسخ الذى مؤداه أن الحالة الماهوية أو الدينية للانسان هى حالة إمكان صرف بمعنى انها لم تتحقق على النحو الكامل فى أى وقت من الاوقات سواء على مدار الزمان أو حتى عبر تطور حياة المرء نفسه، هذا على الرغم من أنها تكون حاضرة يوما بداخلنا على نحو متشوه. فهذا الاعتقاد يعنى أن تلش يرى أن الحالة الفعلية للانسان تختلف فى كل وقت وفى كل عصر عن حالته الماهوية أو الدينية. غير أن السؤال الهام هنا يتعلق بطبيعة الاختلاف بين الحالتين. ولسوف نرجىء الاجابة على هذا السؤال لحين الانتهاء من تقديم الوصف الذى قدمه تلش المؤمن للحالة المغترية للانسان فى الفصل التالى.

نحن نرى أن تعريف تلش للايمان بأنه اهتمام مطلق هو تعريف متساق مع موقف النصف، والنصف، أعنى ، يقود إلى نتائج ايمانية ، ويقود أيضا إلى نتائج الحادية معا وفى نفس الوقت . ونحن نستطيع أن ندلل على ذلك من خلال النصوص التى يسوقها تلش نفسه من أجل توضيح ما يقصده بالاهتمام المطلق أو الايمان . فالنص التالى ، على سبيل المثال ، يقول : " إن الدين هو الحالة التى يستحوذ فيها على المرء اهتماما مطلقا يجعل سائر الاهتمامات الاخرى تبدو ، مقارنة به ، اهتمامات ثانوية ويكون هو ذاته محتويا على التساؤل المتعلق بمعنى حياتنا . ولهذا السبب يكون هذا الاهتمام اهتماما جادا وينم عن الرغبة فى التضحية بأى اهتمام متناه يتعارض معه . والاسم الدينى الشائع لمضمون ذلك الاهتمام هو الله - اله أو آلهة . وفى الاديان غير التوحيدية نسبت الصفات الالهية إلى موضوع مقدس أو إلى قوة خارقة أو إلى مبدأ أعلى مثل البراهما أو الواحد . أما فى أشباه الاديان الدنيوية فيكون الاهتمام المطلق موجها صوب موضوعات كالامة ، أو العلم ، أو مظهر أو وضع اجتماعى معين ، أو مثال أعلى للانسانية ، يخلع عليها (الموضوعات) صفة القداسة . " (١) هذا النص ، الذى اقتبسنا جزء منه فى بداية هذا الفصل ، يوضح تماما أن الاهتمام المطلق عند تلش يتخذ اسماء واشكالا مختلفة . فالاسم الذى تخلعه المسيحية ، على سبيل المثال ، وكما سبق أن رأينا فى بداية هذا الفصل ، على مضمون ذلك الاهتمام هو الله باعتباره الاله الحقيقى أو الموضوع الحقيقى للاهتمام المطلق . وعلى نفس النهج يمكن القول ان الاسلام يؤكد أيضا أن اله الاسلام هو الاله الحقيقى ، الموضوع الاصيل للاهتمام المطلق وذلك لان سائر المسلمين ، والباحث من بينهم ، يهتمون به اهتماما مطلقا . حقا ، لقد أكد تلش نفسه هذه الحقيقة عندما كتب يقول : " إن إيمان المسلم هو إيمان

1- Tillich ,P., Christianity and the Encounter of the World Religions , PP. 4-5.

بالوحي الذي جاء به محمد (ص)، وهذا الوحي يمثل الاهتمام المطلق للمسلم .^(١) نفس الامر نراه يصدق أيضا وينفس القدر على سائر الديانات . ولكن الامر الهام الذي نود أن نبرزه هنا هو أن النص السابق يوضح تماما أن الاهتمام المطلق قد يكون موجها أيضا صوب موضوعات أخرى كالعلم ، أو الامة ، أو ما شابه ذلك . فتلك الاهتمامات تبدو في نظر أصحابها ، هكذا يوضح النص ، اهتمامات مطلقة إلى حد أنها تتمتع في نظرهم بصفة " القداسة " الامر الذي يجعلهم على استعداد للتضحية بكل اهتمام عارض في سبيلها . حقا ، لقد كتب تلش في موضع آخر يقول : "إن موضوع الاهتمام المطلق يتخذ اسما عديدة ."^(٢) ولقد ضرب هو نفسه مثلا على ذلك عندما قرر : " أن أى شخص يقف على الحدود بين اللاهوت والفلسفة يتحتم عليه بالضرورة أن يقدم مفهوما واضحا للعلاقة المنطقية بين الاثنين . ولقد حاولت أن أفعل ذلك في كتابي (نسق العلوم) ولقد كان اهتمامي المطلق منصبا في ذلك الكتاب على هذه الاسئلة : كيف يمكن لللاهوت أن يصبح علما ؟ وكيف يمكن لمذاهبه العديدة أن تنتمي إلى العلوم الأخرى ؟ وما هو الشيء المميز لمنهجه ؟ "^(٣) هذا النص يؤكد تماما أن اهتمام تلش المطلق كان في وقت من الاوقات يتخذ شكلا معينا . هو الشكل الذي عرضه في النص . ولكن تلش لم يكتف بذلك ، وراح ، في موضع آخر ، يفصل القول في الموضوعات التي يمكن أن تخضع على الاهتمام المطلق على النحو التالي : "إذا قال لك شخص ، ولعل ذلك قد حدث لك بالفعل ، 'ليس لي اهتمام مطلق' ، فبادره في هذه الحالة بالسؤال ، 'أليس هناك شيء على الاطلاق تأخذه بجدية لا مشروطة ؟ ما هو مثلا ذلك الشيء الذي يجعلك مستعدا للمعاناة أو للتضحية في

-
- أضفنا ما بين الأقواس
1- Tillich ,P.,Dynamics of Faith , P . 65.
2- Tillich, P., Paul Tillich ,Ultimate Concern ,Dialogues With Students , P. 12, Ed. by Brown, D.M., SCM Press Ltd ., Bloomsbury Street, London , 1965.
3- Tillich , P., 'On the Boundary', The Boundaries of Our Being , P. 323

سبيله؟^١ وسوف تكتشف حينئذ أنه حتى الكلبى يأخذ نزعتة الكليية بجدية مطلقة . ناهيك عن سواء من الطبيعيين ، أو الماديين ، أو الشيوعيين ، أو ما شاكل ذلك . فمما لا شك فيه أنهم يأخذون جميعا شيئا ما بجدية مطلقة ... وعندما تجد شخصا يأخذ شيئا ما بجدية ، تستطيع فى هذه الحالة أن تقرر ، ان ذلك الشيء يستحوذ عليه . هذا يعنى أن هذه الجدية لم تنتج ، عبر تطور حياته ، من خلال عمليات تأملية وإرادية فعالة، بل أنت إليه، ربما فى مرحلة مبكرة جدا، ولم تتركه على الإطلاق. خذ العالم كُمثال . إذا ارتقى العالم فى الحقل العلمى ، فقد يكون على استعداد للتخلى عن أى اكتشاف من اكتشافاته العلمية (لان هذه الاكتشافات تكون تمهيدية أو أولية ، وليست نهائية أو مطلقة) ، ولكنه لن يتخلى مطلقا عن اتجاهه العلمى ، حتى إذا طلب منه ذلك طاغية . وحتى إذا ضعف إلى حد التخلي عن اتجاهه العلمى ، فسوف يتخلى عنه بسوء نية . نفس الامر يصدق على كل شاب شيوعى يأخذ شيوعيته بجدية مطلقة . هذه هى الطريقة التى بها يستحوذ الاهتمام المطلق علينا . فنحن لا نستطيع أن ننتج الاهتمام المطلق ، لا نستطيع أن نقول سوف اجعل من هذا أو من ذاك مسألة اهتمام مطلق . لان الاهتمام المطلق يكون أصلا مستحوذا علينا حالما نبدأ فى التأمل فيه .^(١) فى ضوء ذلك نستطيع أن نقرر ان تلش يرى أن الاهتمام المطلق لا ينطبق على المتدين فحسب ، بل ينطبق أيضا على صاحب الاتجاه العلمى ، وصاحب النزعة المادية ، أو الشيوعية ، أو الكليية ، وهلم جرا . ولكن السؤال الهام هنا هو : " أين الملحد من هذا كله ؟ " الا ينطبق هذا الاهتمام المطلق عليه هو أيضا ؟ " وأليس صحيحا أن منطق نصوصه التى نسوقها هنا يؤكد ضمنا أن الملحد، مثله فى ذلك مثل غيره ، يكون مهتما بإلحاده اهتماما مطلقا ؟ " نحن نرى أنه لم تكن صدفة على الإطلاق أن يعرف تلش الايمان على هذا النحو. فهو يعلم تماما أن الاهتمام المطلق يفسح مكانا للإلحاد، يعادل

1- Tillich , P ., Paul Tillich , Ultimate Concern , Dialogues With Students , P. 8.

تماما المكان الذى يفسحه للايمان ، ومن ثم فهو انعكاس لموقف النصف ، والنصف . صحيح أن تلش يرفض ، فى المواضع التى يناقش فيها ما يعنيه بالاهتمام المطلق ، الاشارة إلى موقف الملحد من هذا الاهتمام . غير أن هذا الرفض هو فى رأينا أمر متعمد من جانبه بمعنى انه يحاول اخفاء حقيقة موقفه ، هذا على الرغم من أن منطق كلامه يدينه تماما . فالاهتمام المطلق هو أمر ينطبق على الملحد قدر انطباقه على المؤمن . ولقد نوه تلش نفسه إلى ذلك عندما كتب يقول : " إن الموضوع الرئيسى عند الوجوديين ... هو ... الازمة الانسانية ، تنهى الانسان واغترابه عن ذاته ، قلقه ويأسه . إنهم يتمربون على التحول المتزايد للانسان إلى شيء ، إلى ترس فى العجلة العامة للإنتاج المنظم والاستهلاك المنظم . إنهم يحتجون على نظام التنقيف الموجه الذى يحاول أن يحول كل فرد إلى نموذج (أى صورة طبق الاصل من الآخر) عن طريق تعريضه ليلا ونهارا لأجهزة اتصال موجهة . إنهم يعبرون عن اهتمام مطلق ، هذا على الرغم من أن هذا الاهتمام قد جاء فى صورة الحادية ، ومعادية للدين ، وكلبية ، ويانسة فى الغالب .^(١) هذا النص يوضح تماما أن تلش يرى أن الوجودية مفهومه على أنها مرادفة للإلحاد تكشف عن اهتمام مطلق ذات طابع الحادى . هنا يجب أن نتذكر من جديد تلك الحقيقة التى اكتشفناها فى الفصل الاول ، والتى مؤداها ان تلش قدم آراء الوجودية الملحدة باعتبارها إيضاحا لنصفه الإلحادى . وفى ضوء هذه الحقيقة يتأكد لنا أن تلش يشارك الوجودية الملحدة اهتمامها المطلق بنزعتهما الإلحادية ، ولكن طبقا لموقف النصف ، والنصف نستطيع أن نؤكد أيضا وبصورة أكثر دقة ان اهتمام تلش المطلق هو اهتمام موجه إلى نزعة الايمانية ، وإلى نزعة الإلحادية معا وفى نفس الوقت . هذا المغزى الإلحادى للاهتمام المطلق ينكشف بصورة أكثر وضوحا من خلال الحوار التالى

1) Tillich , P., 'Religion in Two Societies : America and Russia', Theology of Culture , PP . 186- 187 .

بين تلش وأحد طلاب اللاهوت. لقد وجه الطالب إلى تلش السؤال التالي : " أمل أن تتمكن من أن تفسر بصورة أكثر وضوحا ما تعنيه بقولك إن الاهتمام المطلق يستحوذ على المرء . إن ما أفهمه هو أنه من الممكن أن يستحوذ علينا شيء ما ، ولكن من الممكن أيضا وفي نفس الوقت أن يستحوذ علينا شيء آخر قد يكون مناقضا له تماما ، ونتأرجح بين هذين الشيئين ، وبينما نزعج أننا نبحر في اتجاه واحد ، فقد نتذبذب جيئة وذهابا بين الاثنين". (١) وجاءت إجابة تلش على النحو التالي : " هذا الموقف يصف حياة الغالبية العظمى منا اليوم . أنت على صواب تماما . ومع ذلك ، فإن الاهتمام المطلق الذي يستحوذ علينا سيكون أكثر قوة ، وهو يتطلب قرارا صادرا عن شخصيتنا كلها ، لا عن فكرتنا أو إرادتنا ، لأنه شيء يتجاوز قرارنا . وخير مثال على ما أقول قد يكون عند لوثر ، الذي يقول ، 'إن الانسان يشبه حصانا يركبه فارس ، وهذا الفارس إما أنه الاله أو الشيطان'. هذان فقط هما في رأي لوثر بالطبع البديلان الوحيدان ، غير أنني أرى أن هناك فرسان أو قوى للاهتمام المطلق أقل تطرفا وتحاول الاستحواذ علينا". (٢) هذا النص يؤكد تماما أن الاهتمام المطلق عند تلش هو اهتمام منقسم إلى نصف أو نقيض إيماني ، ونصف أو نقيض آخر إلحادي . ففي هذا النص يتفق تلش مع الملاحظة التي أبداها الطالب والتي ينوه فيها إلى إمكانية أن يستحوذ على المرء اهتمام ما ، وإن يستحوذ عليه أيضا وفي نفس الوقت اهتمام آخر مناقض له ، الامر الذي قد يفضي بالمرء إلى أن يقر اهتماما ما في الظاهر، وأن يقر في الخفاء اهتماما آخر مناقض له تماما. هذا بالاضافة إلى أن تلش نفسه قد أكد أن هذا الموقف منطبق على حياة الغالبية العظمى من الناس. والذي يقصده من ذلك هو أن العديد منهم، مثلهم في ذلك مثل تلش نفسه ، يقر الاهتمام الإيماني بصورة عطفية ،

1) Tillich , P ., Paul Tillich , Ultimate Concern , Dialogues With Students ,P. 10.

2) Ibid ., Loc .cit .

ويتمسك بالاهتمام الالحادى فى الخفاء، والامر الذى يؤكد ذلك هو أن تلش نفسه لم يتفق مع رأى لوثر الذى يقول إن الانسان يشبه حصانا يركبه فارس إما أن يكون الاله، او يكون الشيطان. لقد وجد أن رأى لوثر احادى الجانب بمعنى انه لايفسخ مكانا إلا لبديل واحد فقط من البديلين : إما الاله / أو الشيطان ، ولهذا السبب وصفه تلش بالتطرف نظرا لان الموقف الاصح والاقل تطرفا والمعبر عن موقف الغالبية العظمى من الناس هو في رأى تلش الموقف الذى يفسح المكان للبديلين معا وفى نفس الوقت ، إنه الموقف الذى يقر النصف الايمانى، والنصف الشيطانى أو الالحادى معا وفى نفس الوقت. من هنا نستطيع أن نقرر أن مضمون الاهتمام المطلق عند تلش هو : انه يستحوذ عليه شىء ما هو النصف الايمانى، ويستحوذ عليه أيضا وفى نفس الوقت شىء آخر مناقض له تماما هو النصف الالحادى ، وبينما يدعى أنه يبحر مع النصف الايمانى ، يتذبذب بين الاثنين جيئة وذهابا. فهو ، بتعبير آخر ، يثب من الواحد منهما ، إلي الآخر وثبة لا معقولة ومستمرة . هذا المعنى يتأكد لنا بصورة أكثر وضوحا من خلال النص التالى الذى يقول : " لا تدعن بسرعة لاولئك الذين يريدون تخفيف قلقك على الحقيقة . ولا تنخدع بحقيقة ليست حقا حقيقتك ، حتى إذا كان الذى يخدعك هو الحزب الذى تنتمى إليه ، أو الكنيسة التى تنتمى إليها ، أو حتى التراث الاسرى الذى انحدرت منه . كن مع بيلات ، إذا كنت لا تستطيع أن تكون مع يسوع ، ولكن كن معه بجدية .^(١) كن، هكذا يجب أن يضيف تلش ، مع المتشكك أو بالاحرى الملحد ، هذا إذا كنت لا تستطيع أن تكون مع المؤمن ، وكن معه بجدية مطلقة ، وذلك لان بيلات هو القاضى الظالم الذى حكم بالموت على المسيح ، إنه، هكذا يقول تلش فى نفس السياق، " ليس القاضى الظالم فحسب ، بل أيضا الكلبى والمتشكك".^(٢) فى ضوء ذلك يمكننا أن نؤكد أن تلش نفسه يطبق الاهتمام المطلق على المؤمن، وعلى الملحد أيضا. هذا

1) Tillich, P., 'What is Truth', The Boundaries of Our Being, PP. 201-202.

2) Ibid., P.201.

لايعنى أن تلش نفسه يتبنى أحد البديلين - إما بيلات (الاحاد) / أو يسوع (الايمان) .
إن العكس هو الصحيح بمعنى أننا رأينا يرفض هذا الموقف الاحادى ويتهمة بالتطرف
من أجل تأكيد موقفه الأقل تطرفا والذي يجده منطبقا على الغالبية العظمى من الناس
اعنى موقف النصف ، والنصف ، النقيض ، والنقيض ، الايمان ، والاحاد . فطبقا لهذا
الموقف نستطيع أن نقرر أن تلش مع يسوع (الايمان) بنصف قلب عنى ، ومع بيلات
(الاحاد) بنصف قلب خفى . وهو هنا يشبه ارازموس نوتر دام الذى يقول عنه تلش
" أنه أعلن أنه يفضل الانضمام فورا إلى معسكر المتشككين ، هذا إذا سمحت له سلطة
الكتاب المقدس وسلطة الكنيسة أن يفعل ذلك.^(١) إن منطق تلش نفسه يفصح فى رأينا
عن نفس هذه الرغبة ، ولكنه يعلم تماما أن هذه السلطة الدينية لن تسمح له بذلك ،
ولهذا بقى معها بنصف قلب فقط ، أما النصف الآخر فقد ظل فى معسكر الإلحاد.
ولهذا السبب جعل اهتمامه المطلق متطابقا مع النقيض ، والنقيض ، مع الايمان ،
والاحاد . ولعل ادمع الادلة التى قدمها تلش على صدق دعوانا ان الاهتمام المطلق
يصدق على الملحد ، مثلما يصدق على المؤمن، يكمن فى نصه التالى الذى يقول : " نحن
قد نرحب بالموت من أجل أو فى سبيل قضية زائفة - والمثال الذى أسوقه هنا كدليل
على صدق ما أقول هو ما حدث فى ألمانيا إبان حكم هتلر . هذا الترحاب بالموت قد لا
يعنى بالضرورة أن هذه القضية هى مسألة اهتمام مطلق ، هذا على الرغم من أنها قد
تكون كذلك بالنسبة لبعض الأشخاص . فنحن قد نذهب إلى الحرب من أجل القيام
بمهمة تمرير الجنود المصابين ، أو نخاطر بالموت بالقتال فى الحرب ، أو نقوم
بالاستطلاع مع علمنا بأن الموت يتربص بنا وقد لا نعود ، ونؤمن أن هذه القضية
تستحق هذه المخاطرة . إن هذه المخاطرة يمكن أن تكون مسألة اهتمام مطلق ، غير
أننى أقول فى هذه الحالة إنه اهتمام مطلق فى غير محله misplaced . وقولى هذا قد

1) Tillich, P., 'Faith and Uncertainty', The Boundaries of Our Being, P. 207

يصدق على انصار النازية الذين جعلوا الشعب الالماني يؤمن بأن هتلر هو صوت الاله بالنسبة للالمان ، لقد آمن الالمان بأن الشعب الالماني ومعه الجنس الجرمانى عامة (باعتبار أن الالمان ينتمون إلى هذا الجنس) هو الشعب المختار - المختار من قبل الله . لقد كانت هذه القضية قضية زائفة ، قضية أفضل أن أطلق عليها تعبيرى المفضل الذى مؤداه انها قضية شيطانية . لقد كانت هذه القضية مسألة اهتمام مطلق بالنسبة للشعب الالماني." (١) هذا النص يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن تلش نفسه يعلم حق العلم أن اهتمامه المطلق ينطبق على المؤمن، وعلى الملحد أو الشيطان معا وفى نفس الوقت . صحيح أنه يقول فى هذا النص ان هذا الاهتمام الاخير هو اهتمام فى غير محله ، غير أن قوله هذا ليس سوى زريعة علنية لتغطية موقفه الالحادى أو الشيطانى الخفى . فاهتمامه المطلق هو فى حقيقة الامر انعكاس لموقف النصف ، والنصف ، لانه يشملهما معا . هذه هى فى رأينا النتيجة النهائية التى يرحب بها اهتمام تلش المطلق .

هذا النصف الالحادى الكامن فى اهتمام تلش المطلق أو فى إيمانه أدبى به ، فى رأينا ، إلى تقديم تفسير إلهادى للبنية الرئيسية للوجود التى تصف الحالة الماهوية أو الدينية للانسان أعنى بنية الذات - العالم وللعناصر المكونة لها أعنى بنية التفرد - التشارك ، وبنية الديناميكية - الشكل ، وبنية الحرية - المصير . ولكى نكتشف هذا التفسير ، يتحتم علينا أن نوضح أولا حقيقة على قدر كبير من الاهمية مؤداه ان تلش يرى أن البنية الانطولوجية التى تصف الحالة الماهوية أو الدينية للانسان متطابقة مع مذهب فى الحرية الانسانية . حقا ، لقد أكد تلش هذه الحقيقة بكل وضوح عندما قرر ، فى مقالته " مفهوم الانسان فى الفلسفة الوجودية " ، أن مذهب فى الحرية الانسانية

1) Tillich , P., Paul Tillich , Ultimate Concern , Dialogues With Students , PP . 20 - 21 .

متطابق مع مذهبه " في الطبيعة الماهوية للانسان. " (١) وما يقصده تلش بقوله هذا هو: " ان الحرية الانسانية متطابقة مع الحقيقة التي مؤداها ان الانسان لديه عالم متوحد ولا متناهي معا وفي نفس الوقت يقف في مواجهته ، ومنفصل عنه وينتمى إليه في الآن عينه. وإذا أخذنا المسألة من الجانب الآخر ، يمكن القول ان الانسان هو ذات محددة ومتمركزة في ذاتها وهو مركز عالمه. ونظرا لان الانسان يقف بين ذاته وعالمه ، فهو طليق من قيودهما حتى وإن كان محددا بكليهما. هذا الموقف بكل ما فيه من غموض هو موقف الحرية الانسانية: " (٢) إن هذا النص يوضح تماما أن تلش يرد البنية الانطولوجية وكذا سائر العناصر المكونة لها إلى مذهبه في الحرية الانسانية . وطالما انه يرى أن قطب الحرية يكون يوما ، وكما سبق أن رأينا ، متحدا مع قطب المصير ، فإن هذا يعنى أنه يرد البنية الرئيسية للوجود بسائر عناصرها إلى بنية أو قطبية الحرية - المصير . هذا يعنى ، بتعبير آخر ، ان مذهب تلش في الطبيعة الماهوية أو الدينية للانسان متطابق مع قطبية الحرية - المصير التي تصف في رأيه هذه الطبيعة . غير أن تلش جعل قطبية الحرية - المصير مرادفة " لقطبية الحرية - القدر . ولقد أكد تلش ذلك في أكثر من مناسبة . ففي أحد المواضع ، كتب، على سبيل المثال ، يقول : "إن الاغتراب ... هو ذنب عام وقدر عام معا وفي نفس الوقت . " (٣) وفي موضع آخر راح تلش يضيف : " إن الايمان هو مسألة قدر وقرار (أى حرية) " (٤) وفي نفس السياق راح يؤكد من جديد: " أن مخاطرة الايمان ليست مخاطرة اعتباطية ، بل هي تعبير عن وحدة القدر والقرار (أى الحرية) . " (٥) هذه الاقوال وغيرها تؤكد أن تلش يستبدل قطبية الحرية - المصير " بقطبية " الحرية - القدر . والنتيجة المترتبة على ذلك

1) Tillich , P ., The Conception of Man in Existential Philosophy , Journal of Religion , Vol . XIX (July , 1939) , P . 204.

2) Ibid ., P . 205 .

3) Tillich , P. , ' Abstracts of Papers ' , The Journal of Philosophy , VOL. XL 111 (January - Decembre , 1946) , P . 677.

4) Tillich , P ., ' The two Types of Philosophy of Religion ' , Theology of Culture , P. 29

5) Ibid ., P. 28.

هى أنه طالما أن تلش جعل هذه "القطبية" الاخيرة مميزة لقرار الايمان ، وطالما أن مخاطرة الايمان تصف الحالة الماهوية أو الدينية للانسان ، فإن هذا يعنى أن هذه "القطبية" تصف فى رأيه الحالة الماهوية أو الدينية للانسان . حقا ، لقد أكد تلش هذا المعنى بكل وضوح عندما كتب يقول : " إن القدر ينتمى إلى الوجود الماهوى. "(١) هذا بالإضافة إلى أنه طالما أن تلش يرد البنية الماهوية أو الدينية للانسان بسائر عناصرها إلى بنية أو قطبية الحرية - المصير ، وطالما أنه يستبدل هذه البنية الاخيرة " بنية" أو "قطبية" الحرية - القدر ، فإن هذا يعنى أنه يرد البنية الرئيسية للوجود وكذا سائر العناصر المكونة لها إلى " بنية" أو " قطبية " الحرية - القدر .

حسنًا! ولكن تلش يقول : "إن كلمة Fatum ... او Schicksal ... والكلمة الانجليزية 'قدر' Fate المعادلة لهما تشير كلها إلى نقيض الحرية لا إلى علاقة قطبية تضافية مع الحرية ."(٢)

'Fatum'....or 'Schicksal' and their English correlate 'Fate' , designate a simple contradiction to freedom rather than a polar correlation

هذا النص يؤكد تماما وبما لا يدع مجالا للشك أن تلش يرى أن كلمة قدر الانجليزية - والكلمات المعادلة لها فى لغات اخرى - لا تدل إلا على نقيض الحرية ، لا على علاقة قطبية أو علاقة تضاييف مع الحرية . هذا يعنى ، بتعبير آخر ، أن تلش يتحدث هنا عن تناقض الحرية - القدر ، لا عن تضاييف أو قطبية الحرية - القدر . والمغزى الذى

-
- 1) Tillich , P., 'On The Demonic' , Translated by Talmay , E . L . , The Interpretation of History , P. 164 , Charles Scribner's Sons , New York, Charles Scribner 's Sons Ltd ., London ,1936. .
 - 2) Tillich , P., Systematic Theology , Vol. 1, P. 185

يسعى إليه هنا هو في رأينا أنه يريد أن يقول إن الطبيعة الماهوية أو الدينية للانسان لا يمكن أن تفسر بلغة قطبية الحرية - المصير فحسب ، بل يمكن أن تفسر أيضا بلغة تناقض الحرية - القدر . حقا ، لقد لخص تلش فيما سبق الحالة الماهوية أو الدينية للانسان في قطبية الحرية - المصير ، ثم استبدل هذه القطبية بتناقض الحرية - القدر ، وما ذلك إلا ليؤكد نتيجة واحدة هي أن الحالة الماهوية أو الدينية للانسان تتلخص في تناقض الحرية - القدر لأن هذين النقيضين يشيران دوما إلى تناقض ، في ضوء هذا التفسير يمكن القول إن تلش يريد أن يقول إن الذات ، والعالم يقفان على طرفي نقيض ، ونفس الامر يصدق على الديناميكية ، والشكل ، وعلى التفرد ، والتشارك . من هنا نستطيع أن نقرر انه إذا كان تلش المؤمن يؤكد على العلاقة القطبية بين هذه العناصر ، فإن تلش الملحد يؤكد على أن العلاقة بين هذه العناصر هي علاقة تناقض . هذا التفسير الالهادي يعنى أن تلش الملحد يرى أن الطبيعة الماهوية أو الدينية التي خلقها الله ليست سوى طبيعة متناقضة !! أما التفسيران - الايماني ، والالهادي - معا ، فهما ، في رأينا ، انعكاس لموقف النصف ، والنصف .

ولعل أوضح الامثلة التي يمكننا أن نسوقها هنا كدليل على إقرار تلش لهذا التفسير الالهادي للبنية الانطولوجية هو الذى جاء في عبارته المأكرة التالية التي ساقها في " لاهوته النسقى " والتي تقول : " إن الحتمية ، واللاحتمية ، هما مرآة لحالة اغتراب الانسان (وذلك فيما يتعلق بالحرية والمصير !)" (١)

Indeterminism , as Well as determinism , is a mirror of man's state of estrangement (with respect to freedom and destiny !)

1) Ibid., Vol.2, P.64

ان وجه المكر والدهاء فى هذه العبارة يتعلق بعلامة التعجب التى يضمها تلش هنا .
فنحن فى العادة نضع علامة التعجب لابداء عدم الرضى عن تأكيد ما أو للافصاح عن
عدم الاقتناع به . وفى ضوء تفسيرنا لموقف تلش الالحادى الخفى نستطيع أن نقرر ان
ذلك هو ما فعله تلش على وجه الدقة . لقد وضع علامة التعجب هذه كى ينوه بخفاء
ومكر شديدين إلى أنه قد اضطر إلى أن يقول ما قاله فى الظاهر فقط ، وأن باطنه لا
يقر هذا القول . هذا يعنى ، بتعبير أوضح ، أن تلش قد اضطر إلى أن يقول فى
الظاهر ان الحتمية (التى تنكر الحرية) واللاحتمية (التى تقر الحرية المطلقة) تعبران
عن اغتراب الانسان ، فى حين أنه ينكر فى الباطن ما يقوله فى الظاهر ومن ثم لم
يملك إلا إضافة علامة التعجب من أجل التنويه إلى موقفه الالحادى الخفى الذى يقول
إن الطبيعة الماهوية للانسان يمكن أن تفهم فى ضوء تناقض الحتمية - اللاحتمية ،
أعنى ، فى ضوء تناقض القدر - الحرية ، مثلما يمكن أن تفهم فى ضوء موقفه
الايمانى العلنى أعنى فى ضوء قطبية الحرية - المصير . لقد استحال على تلش الملحد
التعبير عن موقفه الالحادى فى كتابه " اللاهوت النسقى " بصورة علنية ومن ثم لجأ إلى
التنفيس عنه بعلامة التعجب ، فهذه العلامة تعني باقتضاب شديد أن الموقف الايمانى
الذى يقره تلش فى الظاهر ، يختلف عن موقفه الالحادى الذى يكنه فى الباطن .

نفس الامر يصدق على قطبية الديناميكية - الشكل . ففى معرض حديثه عن
الليبدو الفرويدى ، باعتباره أحد دلالات الكونكيويسنس التى سنتحدث عنها تفصيلا فى
الفصل الثالث ، كتب تلش المؤمن ، فى كتابه " الحب والقوة والعدالة " ، يقول : " إن
الليبدو فى ذاته يتسم بالخير ! ! Libido is Good in itself . لقد دافعنا عنه ضد
فرويد الذى يجعل من الليبدو مجرد دافع لا متناهى لا يشبع أبدا ويفضى إلى الموت ،
لقد قبلنا هذا الوصف الفرويدى كوصف ملائم لحالة الاغتراب ، لا لليبدو فى معناه

الابداعى . إن 'الكتاب المقدس' يعلم ... أن اللبيدو ينتمى إلى الخير الانسانى المخلوق ويعرف أيضا أن اللبيدو قد تشوه وأصبح غامضا من خلال حالة الاغتراب الانسانى. لقد أصبح يفتقر إلى التحديد وسقط فى براثن مبدأ اللذة .^(١) هذا يعنى، كما سنرى تفصيلا فى الفصل الثالث ، أن تلش المؤمن يرى أن اللبيدو الذى خلقه الله يتسم بالخير وذلك لأنه يكون متجها يوما إلى موضوع محدد من أجل الوصول إلى حالة الاشباع الكامل من خلال ذلك الموضوع . هذا اللبيدو المخلوق هو فى رأى تلش المؤمن أحد الدلالات الرئيسية للحالة الماهوية أو الدينية للانسان . أما اللبيدو باعتباره دلالة على الكونكيوبسنس ومن ثم على الحالة المغترية فهو اللبيدو المتشوه أو اللامتناهى الذى لا يشبع أبدا لأنه لا يتجه إلى موضوع محدد، والذى يسبب لذلك الرغبة فى الموت . حسنا ! ولكن تلش المؤمن يضع ، كما هو واضح فى النص ، علامة تعجب على قوله "إن اللبيدو فى ذاته يتسم بالخير ! " والامر الذى يريد الافصاح عنه هنا هو أنه لا يوافق من الداخل على هذا القول الذى اضطر إليه هنا فى الظاهر . حقا ، يبدو أن تلش أصدر كتابه " الحب والقوة والعدالة " الذى اقتبسنا منه هذه العبارة تحت ضغوط دينية معينة . ففى تصديره لهذا الكتاب يخبرنا تلش بأن صدور هذا الكتاب جاء نتيجة لعوامل ثلاثة . الأول هو أن المؤسسة الدينية التى تدعى " فيرث فونديشن Firth Foundation " ومقرها نوتنجهام بانجلترا قد طلبت منه " لقاء أول سلسلة من محاضراتها واقترحت عليه أن تكون فى موضوع الحب ، والقوة ، والعدالة .^(٢) والعامل الثانى هو أن مؤسسة دينية أخرى تدعى " كريستين جوس فونديشن Christian Gauss Foundation " ومقرها برنستون بالولايات المتحدة الامريكية ، قد طلبت اجراء حوار مع نخبة مختارة من الاساتذة ، وطلاب الدراسات العليا ، وبعض قادة الفكر حول موضوع الحب ، والقوة ، والعدالة .^(٣) وهو يخبرنا أن " النقد الذى

1) Tillich , P., Love , Power , and Justice , PP. 116 - 117 .

2) Ibid .,Preface, P.V.

3) Ibid .,Loc .cit.

تلقاه في هذه المناسبة قد ساعده كثيرا .^(١) أما العامل الثالث فهو أن المؤسسة الدينية المسماة "اسبرنت فونديشن Sprunt Foundation" ومقرها "يونين ثيولوجيكال سيميناري Union Theological Seminary ريتشموند ، ولاية فرجينيا ، الولايات المتحدة الامريكية " ، طلبت منه " القاء سلسلة من المحاضرات في نفس الموضوع .^(٢) ومن المحتمل تماما أن تكون هذه المؤسسات قد مارست ضغوطا عليه من أجل إصدار الكتاب في شكل معين يتلائم مع الدين ، والأمر الذي يرجح هذا الاحتمال هو أن تلش قد نوه في نهاية تصديره للكتاب إلى أن كلا من مؤسسة نوتنجهام ومؤسسة فريجينيا قد " اجبرتا علي التعامل مع المشكلات التي تضمنتها هذه المحاضرات عن الحب ، والقوة ، والعدالة بطريقة مباشرة وبطريقة متسقة لم يفعل مثلاً من قبل"^(٣) ولعل هذا الاكراه هو الذي جعله يختم هذا الكتاب بقوله " إننى لم أتعرض على الاطلاق لمشكلات عديدة متعلقة بموضوع هذا الكتاب ، كما تعرضت لمشكلات أخرى بطريقة مقتضبة ، وعالجت البعض الآخر بطريقة غير ملائمة"^(٤) هذه العبارة الاخيرة ترجع حقيقة تعرض تلش لضغوط دينية من هذه المؤسسات الامر الذي اضطره إلي معالجة بعض المشكلات علي الاقل بطريقة علنية غير ملائمة لما يضمرة في داخله . هذا بالاضافة إلى أن سائر هذه النصوص تؤكد تماما أن الكتاب بأكمله قد صدر في ظل ضغوط دينية اجبرته علي معالجة موضوعات الكتاب من منظور ديني صريح ، وهذا في رأينا هو السبب الذي جعله يقر في العلن أن اللبيدو المخلوق يتمتع بالخير ، وأن يعبر بدهاء وخبت وغموض عن موقفه الالهادي الخفي باضافة علامة التعجب التي تفيد أنه يتفق في الباطن مع موقف فرويد الالهادي الذي يقول إن الطبيعة الماهوية للانسان تشير إلى أن الانسان هو لبيدو لا يشبع أبدا ويسبب لذلك الرغبة في الموت . وإذا كان تلش ، وكما

1) Ibid ., Loc .cit

2) Ibid., Loc.cit

3) Ibid., P.V1.

4) Ibid., P.124

سنرى تفصيلا فى الفصل الثالث ، قد جعل الليبدو الفرويدى ، وإرادة القوه عند نيتشه، دلالة على الكونكيوبسنس ، وكذا على الديناميكية أو الحيوية الانسانية^(١) ، فإن النتيجة المترتبة على ذلك هى أن تلش الملحد يرى أن الحالة الماهوية أو الدينية للانسان يمكن أن تفهم بلغة تناقض الكونكيوبسنس - الحب ، أو بلغة الديناميكية الخالصة (أو الحرية المطلقة التى يعتنقها فرويد ونيتشه) ونقيضها أعنى الشكل الثابت أو الجامد (أو الدين فى كافة صورته وأشكاله) .

هذا التفسير الاحادى للبنية الانطولوجية ينطوى على نتائج خطيرة تتعلق بتفسير تلش الايماني للسقوط باعتباره تحولا من البراعة إلى الاثم أو من الحالة الماهوية أو الدينية للانسان إلى حيث الوجود المقرب . ولكى نوضح هذه النتائج يجب علينا أن نتذكر أولا تأكيد تلش المؤمن الذى ذكرناه فيما سبق والذى مؤداه ان وحدة الحرية والمصير (الحرية المتناهية)هى القوة الرئيسية التى تدفع الانسان إلى هذا التحول. فهذا التأكيد يتسق مع التفسير المسيحى لهذا التحول ، نظرا لانه يوضح مع تلش المؤمن أن الانسان يعتبر مسئولا عن هذا التحول. فالتحول يتم من خلال وحدة الحرية والمصير ولهذا السبب يعتبر الانسان مسئولا عنه ، هذا يعنى، بتعبير تلش نفسه، " أن المسيحية تعتبر الانسان مسئولا عن السقوط ومن ثم آثما " ^(٢) . ولكن تلش الملحد لا يتفق مع هذا التفسير المسيحى ، نظرا لانه يؤكد أن الاغتراب هو ، كما رأينا ، قدر عام وذنب عام معا وفى نفس الوقت . فهذا التأكيد يعنى أن تلش الملحد يرى أن هذا التحول قد تم بواسطة تناقض الحرية - القدر ، لا ، كما تزعم المسيحية ، بواسطة الوحدة القطبية بين الحرية والمصير . لقد رأى تلش الملحد أن ذلك التحول يتم بواسطة الحرية ، وبواسطة نقيض الحرية - وذلك لانه جعل القدر نقيض الحرية - أعنى

1) Tillich, P., Systematic Theology, VOL .2, PP. 64-65 .

2) Tillich ,P., Christianity and the Encounter of the World Religions, P. 66

بواسطة القدر . هنا يؤكد تلش الملحد موقفين متناقضين تماما . فالقول ان التحول يتم بحرية ، ينفي القول ان التحول يتم بواسطة القدر ، والعكس صحيح أيضا ، بمعنى ان القول ان التحول هو مسألة قدر لا دخل للانسان فيه ، ينفي القول: ان التحول يتم بحرية ومن ثم يكون الانسان مسئولا عنه. هذان الموقفان المتناقضان لتلش هما في رأينا انعكاس لموقف النصف ، والنصف . فالموقف الاول يعبر عن النصف الايماني لتلش ومن ثم جاء متساوقا مع التفسير المسيحي للسقوط أو بالاحرى مع تفسير الوجودية المؤمنة للتحول من البراءة إلى الاثم . أما الموقف الثاني فقد جاء معبرا عن النصف اللاحادي لتلش ومن ثم متساوقا مع موقف الوجودية الملحدة الذي يجعل الاغتراب مسألة قدر عام (أو واقعة عامة) لا دخل للانسان فيه ولا يستطيع منه فكاكا ، وكل ما يستطيع أن يفعله هو أن يأخذه على عاتقه وأن يحقق ذاته ، من خلال الشجاعة اللاحادية من أجل الوجود كذات ، رغما عنه .

هذا النصف اللاحادي لتلش يتخفى بصورة أعمق في ثنايا مناقشته للتناهي ومقولاته . وقبل أن نسوق أدلتنا على ذلك ، يجب أن نشير أولا إلى أن الكاتب المسيحي توماس قد أقر أن مناقشة تلش للتناهي تعتمد إلى حد كبير على " تفسيره لمقولة الخلق من العدم *Creatio Ex Nihilo* وهو تفسير موضع شك على الأقل . " ^(١) والامر الغريب حقا هو ان توماس لم يفصح على الاطلاق عن الاسباب التي جعلته يصل إلى هذه النتيجة ، ويل ولم يوضح على الاطلاق المعنى الذي يقصده بقوله ان هذا التفسير موضع شك . واكتفى بالإشارة إلى هذه الملاحظة المقتضبة ! لكن يبدو أن الاسباب التي جعلت توماس يفعل ذلك لن تخرج في رأينا عن واحد من اثنين : إما أن توماس تحاشى متعمدا الافصاح عن ذلك حتى لا يشوه صورة تلش خاصة وأنه يعد في نظر الغرب أحد جهاذة اللاهوت المسيحي في القرن العشرين ، أو أنه لم يظن إلى السبب

1) Thomas, J.H., Paul Tillich ,P.25.

الحقيقى الذى جعله يتشكك فى موقف تلش من التناهى . ويبدو أن الاحتمال الاخير هو الاقرب إلى الصواب وذلك لاننا راينا فى مقدمة هذه الدراسة كيف أن توماس لم يشك، مثله فى ذلك مثل غيره ، لحظة واحدة فى ولاء تلش لللاهوت المسيحى . لهذا يتحتم علينا أن نوضح ما لم يوضحه توماس، سواء عن قصص أم غير قصص ، أعنى أن التفسير الذى قدمه تلش للتناهى هو تفسير موضع شك نظرا لانه يضم فى طياته النصف الالحادى لتلش .

ونحن نستطيع أن نؤكد ذلك من خلال نصوص عديدة غامضة ساقها تلش فى مواضع كثيرة من كتاباته . فالتص التالى ، على سبيل المثال ، يقول : " إن المجيء من العدم يعنى العودة حتما إلى العدم . فوصمة الانبثاق عن العدم منطبعة على كل مخلوق^(١) " هذا القول يمكن أن يفسر فى رأينا بمعنيين احدهما ايمانى ، والآخر الحادى . والمعنى الاول يشير إلى ان الله هو أساس الوجود ومن ثم فهو الذى خلقه من العدم وسوف يعيده حتما إلى العدم . أما المعنى الثانى فيشير إلى أن العدم - لا الله - هو أساس الوجود وهذا يعنى أن الوجود قد جاء - أو قذف - على حد تعبير هيدجر - من العدم وسوف يعود حتما إلى العدم لانه لا شىء هناك سوى العدم . هذا المعنى الاخير يتأكد لنا من خلال النص التالى الذى اقتبسنا اجزاء منه فيما سبق ، والذى يقول : " لقد قذف بالاشياء المتناهية إلى الوجود (هيدجر) . والسؤال ، من أين؟ ، هو سؤال عام ، سؤال يتفوه به الاطفال والفلاسفة على حد سواء . غير أن هذا السؤال هو سؤال لا إجابة عليه ، لان كل إجابة ، كل تقرير، حول علة شىء ما يكون عرضة لنفس السؤال فى تسلسل (تراجع) لا ينتهى . هذا التسلسل اللانهائى لا يمكن أن يتوقف حتى بواسطة افتراض اله كاجابة على السلسلة باكملها . لان ذلك الاله يجب أن يسأل نفسه ، من أين اتيت ؟ (كانط) ... إن العلية تعبر ضمنا عن عدم

1) Tillich ,P., Systematic Theology ,VOL .1, P. 188

قدرة أى شيء على أن يعول على نفسه . فكل شيء منساق فيما وراء نفسه إلى علته ،
والعلة منساقة فيما وراء نفسها إلى علتها ، وهكذا إلى ما لا نهاية . إن العلية تعبر
بقوة عن هاوية اللاوجود فى كل شيء ... إن وجود الانسان هو وجود عارض ، ويفتقر
فى حد ذاته إلى الضرورة ، وهذا هو السبب الذى يجعله يدرك انه فريسة للاوجود .
فنفس الحادثة العارضة التى قذفت به إلى الوجود قد تدفع به إلى خارجه . من هذا
الاعتبار تكون العلية والوجود العارض شيئا واحدا ... فالانسان قد لا يوجد ! إذن
فلماذا هو موجود ؟ ولماذا يتحتم عليه الاستمرار فى الوجود ؟ ليست هناك إجابة
معقولة على هذه التساؤلات :^(١) فى هذا النص يتبنى تلش - وهو يذكرنا هنا أنه يتابع
قاعدته المنهجية التى تحتم عليه تقديم التحليلات التى قدمها سائر الوجوديين للضرورة
الانسانية باعتبارها معبرة عن موقفه الشخصى - موقف هيدجر الذى يؤكد على أن
الوجود ليس سوى حادثة عارضة ولا معقولة أى لا تقبل التفسير ، نظرا لاستحالة
إرجاعه إلى علة تسمى الله . فالعلة الوحيدة التى يدركها الانسان هى العدم . فهو لا
يدرك سوى أنه قد جاء من العدم وسوف يعود إلى العدم ، لانه حتى إذا افترضنا أن
هناك إله لهذا الوجود ، فإن مثل هذه الإله - وتلش يتبنى هنا موقف كانط الذى عرضه
فى كتابه " نقد العقل النظري الخالص " - يجب أن يسأل نفسه " من أين أتيت ؟ " هذا
يعنى ، بتعبير آخر ، أن تلش الملحد يرى أن وجود الله هو أمر يستحيل إقراره لان
هناك عدما أصليا original أو قبليا a priori يسبق كل شيء يتمتع بالوجود .
والوجود نفسه ليس سوى حادثة لا معقولة أو لغز لا يقبل التفسير .

لقد أكد تلش هذا الموقف الالهادى من خلال استبداله لكلمة الله ، بمصطلحات
أخرى تتسم بالغموض وتنقل فى رأينا المعنى الايمانى والمعنى الالهادى معا وفى نفس
الوقت ، كمصطلح قوة الوجود ، ومصطلح أساس الوجود ، ومصطلح الوجود ذاته .

1) I bid ., P. 196.

فمما لا شك فيه أن تلش أكد مرارا وتكرارا أن الله هو قوة الوجود التي تقاوم اللاوجود . غير أن مارتن أوضح تماما أن قوة الوجود عند تلش " ليست سوى دافع داخلي في سائر الموجودات المتفردة ."^(١) والذي يقصده مارتن هنا هو أن هذه القوة لا ترد بالضرورة إلى الله بل هي مجرد دافع داخلي لا مصدر له سوى الموجودات نفسها. وهذا يبدل على أن مصطلح قوة الوجود عند تلش قد يشير إلى الله، وقد لا يشير إلى أي شيء على الإطلاق . وطبقا للموقف النصف ، والنصف يمكن القول أن تلش يرحب بهذين الجانبين - السلبي ، والإيجابي - لأن تفضيله أو اختياره لهذا المصطلح المزدوج الدلالة والمتناقض في المعنى ليس سوى انعكاس لهذا الموقف .

نفس الأمر يصدق على المصطلح الثاني الذي يستخدمه تلش كبديل لكلمة الله أعني مصطلح الوجود ذاته . فإله أو الوجود ذاته عند تلش ، هكذا أوضح إدوارد ، على سبيل المثال ، هو أمر لا يمكن للعقل أن يتقبله وذلك لأن " تأكيدات تلش عن الوجود ذاته هي تأكيدات يستحيل على العقل أن يتقبلها ."^(٢) هذا بالإضافة إلى أن الوجود ذاته عند تلش لا يتمتع ، كما سنرى الآن ، بالوجود على الإطلاق . أنه مجرد وهم لا وجود له. ولعل هذا هو السبب الذي جعل العديد من النقاد المسيحيين يؤكدون ، كما يقول توماس ، " أن معالجة تلش لوجود الله هي معالجة غير ملائمة (للاهوت ، المسيحي) . فالمزايا التي يجنيها تلش من رفضه للقضية التي تقول إن الله موجود لا تعادل الصعوبات التي ينخرط فيها من جراء ذلك الرفض. حتى أولئك الذين لا يرغبون ، وهم اللاهوتيين الكاثوليك ، في قبول أية أدلة مشروعة على وجود الله ، لا يرفضون كلية إقرار وجود الله بكيفية ما ، فتفسير الحجج الكلاسيكية على وجود الله هو تفسير مصطنع وغير ملائم وذلك لأن هذه الحجج مفيدة بمعنى ما ، أعني ، أنه إذا استخدمت

1) Martin , B., The Existentialist Theology of Paul Tillich, P.174.

2) Ewards, P., 'Professor Tillich's Confusions', Mind, a Quarterly Review of Psychology and Philosophy, Vol .LXXIV (1956), P.194.

هذه الحجج بحذر فإنها تستطيع أن تعبر عن الوعي الدينى وأن توقظه فى نفس الوقت^(١) هذا يعنى أن معالجة تلش لقضية الالهية تعد فى نظر الكثير من النقاد المسيحيين معالجة غير ملائمة للاهوت المسيحى . صحيح أن تلش رفض القضية التى تقول " ان الله موجود " وذلك انطلاقا من موقفه الظاهرى الذى مؤداه ان القول " ان الله موجود " يتضمن بالضرورة القول " بخضوعه للزمان، والمكان، والعلية"^(٢) وصحيح ايضا أنه استبدل ، لهذا السبب ، القول " ان الله موجود " بالقول " ان الله هو الوجود ذاته فيما وراء الماهية والوجود"^(٣) حيث ان هذا القول الاخير يعد فى رأيه القول الوحيد الذى يصدق تماما عليه ، ولكن تلش خلع على الوجود ذاته نوعا من الوجود المستقل هذا على الرغم من انكاره الظاهرى للقضية التى تقول " ان الله موجود . " ففى كتابه " اللاهوت النسقى " ، على سبيل المثال ، يتحدث تلش عن " الله باعتباره متواجدا تواجدا فعليا . "^(٤) هذا بالاضافة إلى انه اكد على أن الله باعتباره الوجود ذاته يتمتع ، على النقيض من سائر الموجودات المتناهية التى تتمتع بوجود عارض ، بوجود غير عارض او ضرورى او ثابت ، وهذا هو الذى جعل سيدنى هوك يقرر " انه على الرغم من أن تلش رفض القضية التى تقول ان الله موجود ، فقد خول لله باعتباره الوجود ذاته نوعا من الوجود . "^(٥) والآن طالما أن تلش رفض القضية التى تقول " ان الله موجود " واستبدالها بقوله " ان الله هو الوجود ذاته ، وطالما انه خول ، كما يقول سيدنى هوك ، للوجود ذاته نوعا من الوجود بمعنى انه جعل الله باعتباره الوجود ذاته يتمتع بنوع من الوجود الفعلى ، فان هذا يعنى أن تلش الملحد

3) Thomas ,J.H.,Paul Tillich ,P.13.

2) Ibid .,Loc .cit.

3) Tillich, P., Systematic Theology ,Vol. I , P. 205.

4) Ibid., PP. 238-239.

5) Hook,S., 'The Quest For Being,'Journal of Philosophy,1953, P.719, Quoted from Edwards ,P., 'Professor Tillich's Confusions', Mind :a Quarterly Review of Psychology and philosophy, Vol. LXXI (1965), P.194.

ينكر الالهية بهذا المعنى ، وحقا الالهية بكافة اشكالها. هذا من ناحية، ومن الناحية الاخرى يمكن القول مع نقاد تلش من المسيحيين انه حتى اله تلش المؤمن لا يتفق كلية مع الاله المسيحى ، او، علي حد تعبير توماس،^(١) مع اله ابراهيم ابو الانبياء عليه السلام.

اما المصطلح الثالث الذى استخدمه تلش كبديل لكلمة الله أعنى مصطلح اساس الوجود فيعد فى رأينا اكثر المصطلحات دلالة على خبث تلش الشديد . فهو يستخدمه احيانا للدلالة على الله ، ويستخدمه احيانا اخرى للدلالة على العدم الذى منه جننا وإليه نعود . وعندما يريد تلش الدلالة الاولى نجده يقرن هذا المصطلح فى العادة بالصفة مقدس أو إلهى divine ومن ثم يتحدث عن الاساس المقدس (أو الالهى) للوجود . The divine Ground of being . أما عندما يريد التنويه بدهاء إلهى الدلالة الثانية نجده يسقط الصفة - مقدس أو إلهى - من السياق ، ويكتفى بالحديث عن أساس الوجود the ground of being. ونحن نستطيع التدايل على ذلك من خلال النصين التاليين . عندما يقول تلش "إن الخطيئة هى فعلنا الذى به نتحول عن المشاركة فى الاساس الالهى (أو المقدس) الذى منه جننا وإليه نعود"^(٢) ، يكون المقصود هنا هو الإشارة إلى الله ، ولكن عندما يكتفى تلش بالقول "إن الانسان قد اغترب عن اساس وجوده"^(٣) ، فقد يكون المقصود هنا هو الله ، كما قد يكون أيضا العدم الذى اغترب عنه الانسان وإليه سيعود حتما. هذا يعنى أنه بينما أن العبارة الاولى تدل بصفة مباشرة وبدون أى غموض على الله ، تتم العبارة الثانية عن ازدواجية فى المعنى : فهى قد تفسر بالمعنى الايمانى ، وقد تفسر أيضا بالمعنى الالحادى . وفى ضوء تفسيرنا لموقف النصف ، والنصف ، نستطيع أن نقرر أن هذه الازدواجية هى

1) Thomas , J.H., Paul Tillich, P.14.

2) Tillich ,P., 'The Good I Will ,I Do Not' ,The Boundaries of Our Being, P.48.

3) Tillich, P., Systematic Theology, Vol.2,P.44

التي يرحب بها تلش لأنها تعكس هذا الموقف . ولعل هذا هو السر الذي جعله يضيف الصفة إلهى أو مقدس إلى هذا المصطلح فى أحيان نادرة للغاية ، ويسقطها فى أغلب الاحيان . فهو يرحب بالازبواجية الناجمة عن ذلك .

هذا التفسير الالحادى للطبيعة الماهوية أو الدينية للانسان الذى يتبناه تلش الملحد هو الذى دفعه ، كما أشرنا فى الفصل الاول ، وكما سنرى تفصيلا فى الفصل الرابع ، إلى إقرار ذلك النوع من الشجاعة الذى يناقض الشجاعة الايمانية التى يتبناها تلش المؤمن ، أعنى ، الشجاعة الالحادية . هذا يعنى فى رأينا أنه إذا كان تلش المؤمن يقر مع الوجودية المؤمنة ومن ثم مع اللاهوت المسيحى الشجاعة الدينية أو شجاعة المجازاة ، فان تلش الملحد يقر مع الوجودية الملحدة الشجاعة الالحادية . وهذا يعنى بدوره انه إذا كان تلش المؤمن يرى أن الشجاعة الدينية هى التى تمكن الانسان من قهرالجوانب السلبية المتضمنة فى مقولات التناهى ، فان تلش الملحد يرى أيضا أن الشجاعة الالحادية تمكن الانسان أيضا من أخذ الجوانب السلبية على عاتقه وتحقيق ذاته رغما عنها . هنا سنجد أيضا ، على نحو ما سنرى فى الفصل الرابع ، نوعا من " الايجابية الالحادية " ، إن صح التعبير .

فى النهاية نود أن تلقى هنا ، وبصورة جديدة ، مزيدا من الضوء على اكتشافنا الهام الذى أرسينا قواعده بطرق عديدة فى الفصل الاول ، والذى أكد على أن تلش الملحد يتفق مع سارتر ، وهيدجر ، والوجودية الملحدة ، على أنه ليست هناك معايير مسبقة يمكنها أن تملى على الانسان هذا الفعل أو ذاك لانه ليست هناك ماهية انسانية كى يقال ان الانسان سقط منها . ووجه الجدة هنا يرجع إلى أنه إذا كان سارتر قد احتكم فى أفعاله إلى إحساسه الغريزى ، وإذا كان هيدجر قد احتكم إلى نداء الضمير، فان تلش الملحد قد احتكم إلى ما يطلق عليه اسم " الادراك الذكى " . هكذا كتب يقول : " إنه يتحتم علينا أن نتساءل : هل هناك طريقة لتبرير الاحكام الانطولوجية ؟ ...

والاجابة الوحيدة ، ولكنها اجابة كافية ، التى يمكن تقديمها لقضية التبرير الانطولوجى
هى الاحتكام إلى الادراك الذكى^(١).

(O)ne must ask : Is there a way of verifying onotological
Judgements ? The only answer, but a sufficient answer, which can be
given to the question of ontological verification is the appeal to
intelligen. recognition .

هذا الادراك الذكى نراه لا يختلف فى شىء عن احساس سارتر الغريزى ، أو عن
نداء الضمير عند هيدجر . فالاتجاه الذى يدفعه ادراكه الذكى إلى السير فيه هو
الاتجاه الذى يختاره ، وذلك لانه ليست هناك معايير أو قيم مسبقة يمكنها أن تملى
عليه هذا الاختيار أو ذاك ، أو السير فى هذا الاتجاه أو ذاك . هذا الادراك الذكى
لتلش متساوق تماما مع نزعتة البراجماتية التى كشفنا عنها فى الفصل الاول ،
ومتساوق بصورة أكثر مع موقفه فى هذا الفصل أعنى مع تفسيره للماهية الدينية
للانسان بطريقة الحادية وتصويره للانسان بالتالى على أنه مجرد موجود بلا ماهية
يمكن أن يقال انه سقط منها أو اغتراب عنها .

بهذا نكون قد وصلنا إلى نهاية هذا الفصل، ولكى نوضح علاقة موقف النصف،
والنصف بالازمة الانسانية ، يتحتم علينا الانتقال إلى الفصل التالى .

1) Tillich, P., Love, Power, and Justice, P.24.

1) Tillich . P., Systematic Theology Vol . 2. P. 45 .

النسقى"، يقدم سمات حاله الخطيئة تحت اسم "الاغتراب".^(١)

هذا لايعنى أن تلش يوافق تماما على أن المصطلح الدينى التقليدى " الخطيئة " هو مصطلح ملائم كلية لوصف الازمة الانسانية . إن العكس هو الصحيح بمعنى انه يؤكد أن هذا المصطلح لن يلائم تلك الازمة تماما إلا إذا تلقت كلمة " الخطيئة " نفسها شيئا من التفسير يخرج بها عن معناها التقليدى القديم الذى يجعل منها مجرد العصيان لقانون أو لقاعدة أو لشريعة أخلاقية ، ويجعلها تفهم على أنها تشير إلى الحالة الوجودية التى يتحول فيها الانسان عن ، ويصبح غير متحد مع ، ذلك الذى ينتمى اليه - الله ، وذات المرء ، وعالم المرء .^(٢) فهذا التفسير للخطيئة ، هكذا يؤكد تلش ، يحفظها وينقذها ويجعلها بمأمن من أن تفهم على انها مجرد " العصيان لشريعة " .^(٣) من هنا راح تلش يوجه الانتباه إلى حقيقة مؤداها " انه إذا تحدث المرء عن خطايا وأشار إلى أفعال معينة معتبرا إياها أفعالا خاطئة ، فإنه يتحتم عليه أن يعى يوما حقيقة أساسية هى أن الخطايا هى دلالات على الخطيئة ."^(٤) أى أن " الخطايا " باعتبارها انتهاكا لشرائع أو قواعد اخلاقية ليست فى رأيه سوى دلالات على الخطيئة باعتبارها الحالة التى يتحول فيها المرء عن ، ويصبح غير متحد مع ، ذلك الذى ينتمى إليه من الناحية الماهوية أو الدينية - الله ، وذات المرء ، وعالم المرء . " فخرق شريعة من الشرائع " ، على سبيل المثال ، هكذا يؤكد تلش ، " لا يجعل الفعل فعلا أثما ، ولكن الذى يجعله كذلك هو الحقيقة التى مؤداها ان هذا الفعل هو تعبير (أو دلالة) عن خطيئة الانسان مفهومة على أنها الحالة التى يغترب فيها المرء عن الله ، وعن سائر البشر ، وعن ذاته ."^(٥) نخلص من كل ذلك إلى أن تلش يرى أن الخطيئة باعتبارها تحول المرء عن الله ، وعن ذاته ، وعن عالمه هى أساس الخطايا باعتبارها ناجمة عن أفعال خاطئة معينة . فهذه الاخيرة ليست سوى دلالات على الخطيئة الاولى .

1) Ibid ., P. 46.

2) Ibid., Loc. cit .

3) Ibid., Loc. cit .

4) Ibid., loc . cit.

5) Ibid., PP . 46-47 .

هذا التفسير الذى يقدمه تلش للخطيئة كى يرقى بها إلى مستوى وصف الازمة الانسانية لن يكتمل ، هكذا يقول هو ، إلا من خلال إعادة تفسير كلمة "اصلية Original " أو " موروثه hereditary " التى ارتبطت دوما بالخطيئة ولازماتها على مر العصور . هذا يعنى ، بتعبير تلش نفسه ، " أن مصطلحى 'الاصلية' و'الموروثه' اللذان ارتبطا دوما بالخطيئة يحتاجان ايضا إلى إعادة تفسير ... لقد اصطبغت الكلمتان بسخافات حرفية إلى حد يجعل الاستمرار فى استخدامهما أمرا مستحيلا ."^(١) هذا بالاضافة إلى أن " العقيدة المسيحية فى الخطيئة كانت أكثر العقائد التى هوجمت على مدار الزمان منذ بداية القرن التاسع عشر لان مصطلحا مثل مصطلح 'الخطيئة الاصلية' اعتبر مصطلحا مخزيا وسخيفا . والتحول عنه فى الوقت الحاضر يعد تحولا عظيما . ولعل هذا يحتم علينا عدم الافراط فى استخدام هذه الكلمات مرة اخرى بسبب مضامينها التقليدية والخلقية ، ويسبب الاحتجاج المترتب دوما على تلك المضامين ."^(٢) هذا يعنى أن تلش يعارض التفسير الحرفى التقليدى لمصطلح الخطيئة الاصلية أو الخطيئة الموروثة ، الأمر الذى جعله يؤكد على ضرورة عدم الاستمرار فى استخدامه بهذا المعنى ، وعلى ضرورة تفسيره تفسيراً جديداً يلائم طبيعة العصر . ولكن ماهو التفسير الجديد الذى قدمه تلش لمصطلحى الخطيئة الاصلية والخطيئة الموروثة ؟ إن اجابة تلش على هذا السؤال هى أن كليهما يشير إلى الطبيعة العامة للخطيئة ، ويعبر عن حقيقة مؤداها ان الخطيئة " هى مسألة حرية (خلقية) ومصير عام معا وفى نفس الوقت ."^(٣) هذا التفسير الذى قدمه تلش هو وحده الذى يجعل هذا المصطلح الدينى يجرى المصطلح الفلسفى فى وصف الازمة الانسانية .

1) Ibid ., P, 46 .

2) Tillich , P., 'Communicating the Christian Message : a Question to Christian Ministers and Teachers', Theology of Culture , P. 210 .

3) Tillich, P., Systematic Theology , Vol. 2, P. 46 .

ولكن على الرغم من أن تلش أكد على أن هذا التفسير الجديد يجعل المصطلح الدينى ملائماً لوصف الازمة الانسانية ، إلا أنه يفضل استخدام المصطلح الفلسفى على المصطلح الدينى فى وصفه لتلك الازمة . والاسباب التى جعلته يفضل المصطلح الفلسفى على المصطلح الدينى تنحصر فى رأينا فى سببين . الأول هو أنه يرى أن المصطلح الفلسفى يتمتع بميزة لا تتوافر فى المصطلح الدينى اعنى انه يعبر عن الازمة الانسانية بصورة مباشرة يفهمها سائر البشر . ولقد عبر تلش نفسه عن ذلك على النحو التالى : " أن معنى الخطيئة الاصلية ، نورها المأساوى على مدار التاريخ، يمكن تأكيده فى الوقت الحاضر على نحو كان يصعب حدوثه منذ عشرين سنة مضت وذلك لأننا نستطيع أن نستخدم حالياً مفهوم يفهمه كل شخص ، أعنى مفهوم الاغتراب : اغتراب المرء عن ذاته ، وعن الآخرين ، وعن الأساس (الالهى) الذى منه جننا وإليه نعود ."^(١) اما السبب الثانى فهو ان تلش يرى أن المصطلح الفلسفى يتسم بعمق معين لا يتوافر فى المصطلح الدينى . وعمق مصطلح " الاغتراب " ، هكذا يؤكد تلش ، " يكمن فى انه يعنى ضمناً أن المرء ينتمى من الناحية الجوهرية إلى ذلك الذى اغترب عنه . فالانسان ليس غريباً عن وجوده الاصيل ، لانه ينتمى اليه . فهو محكوم به ولا يستطيع أن ينفصل عنه كلية ، حتى فى حالة عدائه لوجوده الاصيل . فعداء الانسان لله يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك انه ينتمى إليه ."^(٢)

إن سائر النصوص السابقة تتضمن الاجابة على التساؤل الذى طرحناه فى البداية والمتعلق بالسّمات الاساسية التى يخلعها تلش على الازمة الانسانية أو على الحالة المفترية للانسان . فهذه السّمات هى اغتراب الانسان عن الله ، وعن سائر الموجودات الاخرى ، وعن ذاته الاصلية .^(٣) هذه السّمات تناقض تلك السّمات التى

1) Tillich, P., 'Communicating the Christian Messag : a Question to Christian Ministers and Teachers', Theology of Culture, P. 210 .
2) Tillich, P., Systematic Theology, Vol. 2, P. 45 .
3) Ibid ., PP. 46-47 .

يخلعها تلش على الحالة الماهوية أو الدينية للانسان أعنى وحدة الانسان مع الله ، ومع سائر الموجودات ، ومع ذاته الاصلية . ولكن إذا كان تلش يرى أن هذه السمات الثلاث هي السمات العامة بل والرئيسية للزمة الانسانية ، فهو يرى أيضا أن الحالة المفترية للانسان تنم عن ثلاث دلالات أخرى على قدر كبير من الأهمية هي عدم الايمان أو اللا ايمان unbelief ، والهيوبرس Hubris ، والكونكيوبسنس . فما المقصود بهذه الدلالات التي ، مثلها في ذلك مثل السمات الرئيسية للزمة الانسانية ، تناقض تلك الدلالات الثلاث التي تميز الحالة الماهوية أو الدينية للانسان والتي تحدثنا عنها في الفصل السابق أعنى الايمان ، وإقرار التناهي ، والحب ؟

إن عدم الايمان يعد في رأى تلش الدلالة الاولى للحالة المفترية للانسان . وهو يعرف عدم الايمان بقوله : "إن عدم الايمان هو الفعل أو الحالة التي يتحول فيها الانسان بكيئوته كلها عن الله . فمن خلال تحقيقه الوجهدى لذاته يتحول الانسان إلى ذاته وإلى عالمه ويفقد بالتالى وحدته الماهوية مع الاساس (الالهى) لوجوده وعالمه ."^(١) وعدم الايمان عند تلش ، مثله في ذلك مثل نقيضه أعنى الايمان ، هو "فعل تقوم به الشخصية فى كليتها أو شموليتها ، يدخل فى ذلك العناصر العملية ، والنظرية ، والعاطفية التى تشكل الشخصية ."^(٢) ولكونه كذلك فهو يتضمن أوجها عديدة يسوق منها تلش الوجه المعرفى ، والوجه الاخلاقى ، والوجه العاطفى . والوجه المعرفى من عدم الايمان يشير فى رأى تلش إلى "تمزق التشارك المعرفى للانسان فى الحياة الالهية ."^(٣) هذا الوجه يعد فى رأى تلش وجها عاما بمعنى انه يصف أزمة الانسان فى كل زمان ومكان . والدليل الذى يسوقه تلش هنا على عمومية هذا الوجه ينبثق فى رأيه عن حتمية تساؤل الانسان عن الله . فالانسان المتواجد لا يمكنه أن يهرب من التساؤل عن الله . ومثل هذا الفعل يفترض سلفا " فقدان الوحدة المعرفية مع الله .

1) Ibid ., P. 47 .

2) Ibid ., Loc. cit .

3) Ibid ., Loc. cit .

فالذى يتساعل عن الله يكون اصلا مغتربا عنه ، هذا على الرغم من أنه لا يكون مقطوعا عنه كلية^(١). والوجه الاخلاقي يشير فى رأيه إلى " انفصال ارادة الانسان عن ارادة الله " ^(٢) هذا الوجه ، مثله فى ذلك مثل الوجه السابق ، هكذا يرى تلش ، يتسم أيضا بالعمومية . والدليل الذى يسوقه تلش هنا على تلك العمومية ينبع من حقيقة مؤداها ان الانسان يحتاج فى حالة الوجود إلى قانون او تشريع يملى عليه كيف يتصرف وكيف لا يتصرف ومثل هذه الحاجة تفترض سلفا " انفصال إرادة عن إرادة. فالذى يحتاج إلى تشريع يملى عليه كيف يتصرف وكيف لا يتصرف يكون اصلا مغتربا عن مصدر التشريع الذى يتطلب الطاعة " ^(٣) هذا يعنى ، بتعبير آخر ، " أن التشريع كتشريع يعبر عن اغتراب الانسان ففى حالة الامكان الصرف أو البراعة المخلوقة (وهى ليست بالمدرج التاريخى) ، ليس هناك تشريع لأن الانسان يكون متحدا من الناحية الماهوية مع ذلك الذى ينتمى إليه : الاساس الالهى لعالمه ولذاته . ففى حالة الامكان يتطابق ما يجب أن يكون مع ما هو كائن " ^(٤) أما الوجه العاطفى لعدم الايمان فهو يعنى فى رأى تلش " التحول المبريقى عن بركة الحياة الحياة الالهية إلى حيث شهوات الحياة المنفصلة " ^(٥) هذا الوجه ، مثله فى ذلك مثل الوجهين السابقين ، يتسم ايضا بالعمومية . وعمومية هذا الوجه تنجم فى رأى تلش عن حقيقة مؤداها انه فى حالة الوجود يكون حب الإنسان لذاته مختلفا عن حبه لله . هذا الاختلاف يفترض سلفا اغتراب الانسان عن الله ، لان الوحدة مع الله تجعل حب الانسان لذاته متحدا مع حبه لله . هذا هو ما عبر عنه تلش نفسه عندما كتب يقول : " لكى يكون لك ذاتا يمكنها أن تتال الحب ويمكنها أيضا أن تحب الله ، يتحتم على مركز المرء ترك المركز الالهى الذى ينتمى اليه والذى يتحد فيه حب المرء لذاته مع حبه لله " ^(٦)

1) Ibid ., Loc. cit .

2) Ibid ., PP. 47- 48 .

3) Ibid ., P . 48

4) Ibid ., Vol. 3, P. 48.

5) Ibid., Vol. 2, P . 48 .

6) Ibid ., Loc . cit .

إن الهويبرس هو الدلالة الثانية على اغتراب الانسان التي يناقشها تلش . فما المقصود بالهويبرس ، بتلك الكلمة اللاتينية التي عُرِّ عن مضمونها ، كما يقول تلش ، بطرق عديدة ، هذا على الرغم من "صعوبة ترجمتها إلى الانجليزية ترجمة مناسبة" (١) ؟ إن إجابة تلش على هذا السؤال هي أن الهويبرس يشير إلى " سمو الانسان بذاته إلى مرتبة الالهية " . (٢) والهويبرس ، بهذا المعنى ، هكذا يقول تلش ، ينطوي على " عرض رئيسي هو أن الانسان لا يقر تناهيه " . (٣) والسبب الذي يحفز الانسان على عدم إقرار تناهيه يرجع ، كما سبق أن رأينا في الفصل السابق ، إلى قدرته على النظر إلى وجوده المتناهي ككل من منظور إمكانية لا تناهيه . إنه يستطيع أن يتخيل إمكانية لا تناهيه . وهذه الامكانية تظل إمكانية متخيلة أو مجردة ويستحيل تحويلها إلى شيء فعلي . لهذا يتحتم على الانسان إقرار استحالة نقل هذه الإمكانية المتخيلة إلى حيز الفعل . ومثل هذا الاقرار هو سمة من سمات الطبيعة الماهوية أو الدينية للانسان . فالحالة الماهوية تشير إلى وحدة الانسان مع الله ، مع اللامتناهي . وهذه الوحدة هي التي تجعل الانسان يقر أن اللاتناهي الفعلي هو صفة يتمتع بها الله وحده . أما عندما يتحول الانسان عن الله ، عندما يصبح مغتريا عن الله ، فسوف يحفره وعيه بإمكانية لاتناهيته على عدم إقرار تناهيه الفعلي وسوف يحاول بالتالي أن يسمو بذاته المتناهية إلى مرتبة اللامتناهي . هذا هو الهويبرس الانساني . والهويبرس ، بهذا المعنى ، هكذا يرى تلش ، يمكن أن يعد " الجانب الآخر من عدم الايمان أو من تحول الانسان عن المركز الالهي الذي ينتمي إليه " . (٤) فاللحظة التي يتحول فيها الانسان عن الله (عدم الايمان) ، هي نفس اللحظة التي يصبح فيها " خارج المركز الالهي الذي ينتمي إليه مركزه الشخصي من الناحية الماهوية " . (٥) ومن ثم " يجعل الانسان من نفسه مركزا لعالمه " . (٦) ولهذا يرفض إقرار تناهيه الفعلي . وهذا هو

1) Ibid ., P. 50 .

2) Ibid., Loc. cit

3) Ibid ., P. 51.

4) Ibid ., P. 50.

5) Ibid ., P. 49 .

6) Ibid., P. 51 .

الهيوبرس او السمو الذاتى الانسانى الذى يجعل الانسان يحاول أن يسمو " بذاته فيما وراء حدود وجوده المتناهى ويشير اللعنة الالهية التى قد تحطمه . "(١) هذا الهيوبرس الانسانى هو ، مثله فى ذلك مثل فعل اللا ايمان ، فعل تقوم به الكينونة فى كليتها أو شموليتها بمعنى : " أن الانسان يجعل من نفسه مركزا لعالمه وذلك من خلال كينونته الشخصية فى شموليتها ، وهذا هو هيوبرس الانسان . "(٢) والهيوبرس يشبه عدم الايمان من اعتبار آخر أعنى أنه ينطوى على أوجه عديدة يذكر تلش منها الوجه الميتافيزيقى ، والوجه الاخلاقى ، والوجه الثقافى (أو الحضارى) ، والوجه الميتافيزيقى يتمثل فى محاولة الانسان " مطابقة الحقيقة الجزئية التى يتوصل اليها بالحقيقة المطلقة على نحو ما فعل هيجل ، على سبيل المثال ، عندما زعم أنه اخترع مذهباً مطلقاً ينطوى على كل حقيقة ممكنة . لقد كان رد الفعل الوجودى والطبيعى ضد مذهب وما ترتب على هجومهما من كوارث أبلغ رد على هيوبرسه الميتافيزيقى ، على تجاهله لتناهى الانسان . "(٣) إن ما يقصده تلش هنا هو أن هيجل توصل بالفعل إلى حقيقة جزئية متمثلة فى مذهب أو نسقه المشهور الذى اشرنا إليه فى الفصل الاول . ولكن هيجل وقع تحت تأثير الهيوبرس الميتافيزيقى عندما جعل من حقيقته الجزئية المتمثلة فى مذهب حقيقة مطلقة وذلك من خلال زعمه أن مذهب ينطوى على كل حقيقة ممكنة . هذا الزعم أثار فلاسفة الوجودية وغيرهم عليه . هذه الثورة أفضت إلى كارثة هى تحطيم مذهب . وكان ذلك أبلغ رد على هيوبرسه الميتافيزيقى ، على عدم إقراره أن كل حقيقة يتوصل إليها الانسان هى حقيقة جزئية أو متناهية ولا ترقى مطلقاً إلى مرتبة الحقيقة المطلقة . هذا الوجه الميتافيزيقى للهيوبرس ، هكذا يرى تلش ، يتسم بالعمومية بمعنى أنه قاسم مشترك بين سائر البشر . وعمومية هذا الوجه سوف يوضحها تلش نفسه بعد قليل . أما الوجه الثانى للهيوبرس فهو الوجه الاخلاقى .

1) Ibid ., P. 50.

2) Ibid ., P. 51.

3) Ibid ., Loc. cit.

هذا الوجه يتبدى من خلال " مطابقة البشر لخيرهم المتناهي بالخير المطلق على نحو ما فعل الفريسيون Pharises ومن تبعهم من المسيحيين والديويين ، على سبيل المثال. هنا نجد أيضا أن الامر الذى ترتب على هذا الهيويرس هو التحطيم الذاتى المأساوى على نحو ما حدث من كوارث لليهود على سبيل المثال .^(١) إن ما يقصده تلش هنا هو أن الوجه الاخلاقى للهيويرس يشير إلى محاولة الانسان مطابقة خيره المحدود بالخير المطلق . هذا هو ما فعله اليهود الفريسيون ، على سبيل المثال ، عندما زعموا أن خيرهم المحدود متطابق مع الخير المطلق. ولقد كانت الكوارث التى لحقت باليهود هى أبلغ رد على هيويرسهم الاخلاقى . هذا الوجه من الهيويرس ، مثله فى ذلك مثل الوجه السابق ، هكذا يرى تلش ، يتسم أيضا بالعمومية بمعنى أنه قاسم مشترك بين سائر البشر ، وسوف يوضح تلش ما يقصده بهذه العمومية بعد قليل . أما الوجه الاخير للهيويرس الذى يوضحه تلش فهو الوجه الثقافى . هذا الوجه يشير إلى محاولة " الانسان مطابقة إبداعه الثقافى (الحضارى) بالابداع الالهى . فهو يعزو أهمية لامتناهية إلى ابداعاته المتناهية ، ويجعل منها أصناما ، ويسمونها إلى مرتبة الاهتمام المطلق . والرد الالهى على الهيويرس الثقافى للانسان يتمثل فى تدهور وتفكك كل حضارة عظيمة على مدار التاريخ .^(٢) هذا الوجه يتسم أيضا بالعمومية بمعنى أنه يحدث لسائر البشر . ولقد عبر تلش عن عمومية الهيويرس بسائر أشكاله عندما كتب يقول : " إن الامثلة السابقة التى قدمناها للهيويرس مأخوذة من صور للهيويرس تتمتع بأهمية تاريخية وتتجاوز نطاق المصير الفردى . إنها توضح على نحو لا يمكن ضحده الطبيعة الانسانية العامة للسمو الذاتى . غير أن السموات الذاتى لمجموعة معينة يحدث من خلال السموات الذاتى لأفرادها . فكل فرد داخل وخارج المجموعة يقع فى لحظات من الهيويرس . فسائر البشر لديهم رغبة خفية فى أن

1) Ibid., loc . cit .

2) Ibid ., Loc . cit .

يصيرون كالآلهة ، ومن ثم يتصرفون من منطلق سموهم الذاتى وتأكيدهم الذاتى .
ليس هناك فرد يرغب فى إقرار تناهيه بصورة متعينة، فى إقرار ضعفه وأخطائه ، جهله
وعدم أمانه ، قلقه وشعوره بالوحدة . وحتى إذا كان مستعدا لإقرار ذلك ، فهناك
زريعة أخرى للهيوبرس تند عن ذلك الاستعداد . هناك بنية شيطانية تسوق الانسان
إلى خلط التأكيد الذاتى الطبيعى بالسمو الذاتى المدمر .^(١) من هنا انتهى تلش إلى
أن " الهيوبرس هو صفة انسانية عامة .^(٢) والامر الذى يجعله ممكنا يرجع فى رأى
تلش إلى المكانة العظيمة التى يتمتع بها الانسان . فالانسان ، هكذا يقول تلش ،
" يستطيع أن يقوم بالسمو الذاتى وذلك بسبب عظمتة .^(٣) وعظمة الانسان ترجع إلى أنه
" هو الوحيد الذى يتمتع ليس فقط بالوعى (الذى هو عبارة عن تركز على مستوى
عال ، غير أنه غير مكتمل) بل أيضا بوعى ذاتى أو تركز ذاتى . هذا التمرکز
البنىوى يضيف على الانسان كرامته ، عزته .^(٤) هذا بالاضافة إلى أن الانسان يتمتع
فى الآن عينه بالحرية . ولهذا السبب فهو " يدرك أنه ليس محمدا بأى موقف
خاص .^(٥) وهذا يعنى أنه " يدرك حريته ، ويدرك معها ، إمكانية لاتناهيته .^(٦) هذا
الوعى أو الادراك هو السبب الذى يجعل الانسان يرفض إقرار حقيقة تناهيه الفعلى .

أما الدلالة الثالثة والأخيرة التى يخلعها تلش على الحالة المغترية للانسان التى
تناقض حالته الماهوية أو الدينية فهى الكونكيوبسنس . والذى يقصده تلش بهذه الدلالة
هو : " أنها الرغبة اللامحدودة فى استغلال كل شئ لحساب ذات المرء .^(٧) هذا
يعنى أن تلش يرى أن هذه الرغبة لن تكون دلالة على الحالة المغترية للانسان إلا فى
حالة كونها رغبة لامتناهية أو لا محدودة . والمعنى الذى يقصده تلش من وراء ذلك

1) Ibid ., Loc . cit.

2) Ibid ., P . 50 .

3) Ibid ., Loc. cit .

4) Ibid ., P. 49.

5) Ibid., Loc. cit.

6) Ibid ., Loc.cit.

7) Ibid., P. 52 .

لا يتضح الا من خلال الاشارة إلى الأدلة التي يقدمها على إمكانية الهيويرس . فما هي تلك الأدلة ؟ لقد رأينا في معرض حديثنا عن الهيويرس كيف أن تلش يرى أن وقوف الانسان بين التناهي الفعلى واللاتناهي الممكن هو الذى يثير فى الإنسان إمكانية الوقوع تحت وطأة الهيويرس . هذا الموقف نفسه هو الذى يقود فى رأى تلش إلى إمكانية الوقوع تحت وطأة الكونكيويسنس بمعنى انه يثير فيه الرغبة اللامتناهية فى استغلال الواقع بأكمله لصالح ذاته ، فى استغلال كل شى لصالح الذات . فمن خلال وقوفه بين التناهي الفعلى واللاتناهي الممكن يصبح الانسان واعيا بأنه قد انفصل عن الكل الذى يشكل طبيعته الماهوية والذى تحدثنا عنه فى الفصل السابق . ولكن " طالما أن كل فرد قد انفصل عن الكل ، فهو يرغب فى إعادة الاتحاد معه . ان ' فقره ' يجعله ينشد ' الثراء ' .^(١) إنه يجعله ، بتعبير آخر ، ينشد إعادة الاتحاد مع الكل عن طريق استغلال كل شى لحساب ذاته على نحو لامتناهى ولا يشبع أبدا . " هذا هو الاغراء الذى يعن للانسان من خلال وقوفه بين التناهي واللاتناهي . إن إمكانية الوصول إلى ثراء لامتناهى هي الاغراء الذى يعن للانسان الذى هو عبارة عن ذات ولديه عالم . والاسم الكلاسيكى لهذه الرغبة هو الكونكيويسنتيا Concupiscentia ، ' الكونكيويسنس ' - الرغبة اللامحدودة فى استغلال كل شى لحساب ذات المرء .^(٢) والكونكيويسنس ، بهذا المعنى ، ليست مجرد الرغبة الجنسية غير المكبوحة فحسب ، بل هي بالاحرى رغبة لامحدودة تضرب بجذورها فى سائر " علاقات الانسان بذاته وعالمه . انها تشير إلى الجوع الفيزيقي وكذا إلى الجنس ، إلى المعرفة والقوة ، إلى الثروة المادية والقيم الروحية .^(٣) هذا يعنى أن الطابع غير المحدود للسعى نحو المعرفة ،

1) Ibid ., Loc . cit.

2) Ibid ., Loc. cit

3) Ibid ., Loc. cit

والجنس ، والقوة هو الذى يجعل هذه الاشياء أعراضا للكونكيوبسنس .^(١) وهذا يعنى بدوره - طالما أن هذه الاشياء أعراض للكونكيوبسنس - انها أعراض للحالة المغترية للانسان ، وذلك لأنها تخلو من " أى إشارة إلى الايروس (الحب) الماهوى للانسان " الذى هو سمة لحالته الماهوية أو الدينية والذى " يعزى إلى مضمون محدد .^(٢)

لقد وجد تلش فى الليبدو الفرويدى وفى إرادة القوة عند نيتشه أبرز الامثلة التى توضح هذا المعنى للكونكيوبسنس . فالليبدو الفرويدى ، هكذا رأينا تلش يؤكد فى الفصل الاول ، يشير إلى أن الانسان ليس سوى ليبدو لامتناهى لا يمكن أن يشبع أبدا ومن ثم يفضى إلى الرغبة فى التخلص من الذات عن طريق الموت . هذه النظرة الفرويدية تتضمن نظرة فرويد العلنية التى مؤداها أن الانسان ، من الناحية الماهوية أعنى من الناحية الوجودية - وذلك لأن فرويد لا يعرف سوى إنسان واحد - هو عبارة عن ليبدو لامتناهى لا يشبع مطلقا .^(٣) هذه النظرة الفرويدية هى التى أدت بتلش المؤمن إلى أن يؤكد أن هذه النظرة ليست سوى نظرة خاطئة لأنها تنطبق على الحالة المغترية للانسان فقط ، لا على حالته الماهوية . هذا يعنى ، بتعبير تلش نفسه ، أن ذلك التجاهل الفرويدى العلنى للتناقض بين الطبيعة الماهوية والحالة الوجودية للانسان ، هو الذى جعل " وصفه للطبيعة الانسانية لا يناسب إلا الازمة الوجودية للانسان ولا يناسب طبيعته الماهوية . إن الليبدو اللامتناهى هو دلالة على اغتراب الانسان . انه يناقض خيره الماهوى أو المخلوق . فالعلاقة الماهوية للانسان بذاته وعالمه تجعل من الليبدو شيئا آخر غير الكونكيوبسنس . فالليبدو لا يكون رغبة لامتناهية لاستغلال الكون لحساب وجود المرء الخاص ، بل يكون عنصرا من عناصر الحب ومتحدا مع الصفات الاخرى التى يتصف بها الحب - الايروس ، والفيليا ، والآقاب .. إن الليبدو المتحد مع الحب لا

1) Ibid., P.53.

2) Ibid ., Loc.cit.

3) Ibid., PP. 53-54.

يكون لامتناهيا . إنه يكون موجها ، كسائر صفات الحب ، نحو موضوع محدد يرغب في الاتحاد معه . فالحب يريد الموجود الآخر ، سواء على شكل لبيدو ، أو ايروس ، أو فيليا ، أو آقاب . أما الكونكيوبسنس ، أو اللبيدو المتشوه ، فلا يريد سوى متعة المرء من خلال الموجود الآخر ، ولكنه لا يرغب في الموجود الآخر . هذا هو التناقض بين اللبيدو باعتباره حب واللبيدو باعتباره كونكيوبسنس .^(١)

نفس الامر يصدق في رأي تلش على إرادة القوة عند نيتشه . وهو يمهّد لايضاح ذلك بقوله إن إرادة القوة " ترمز إلى التأكيد الذاتى الطبيعى للانسان طوال بقائه متمتعا بقوة الوجود . وهى لا تقتصر على الانسان فحسب ، بل يتصف بها كل شئ يتمتع بالوجود . إنها تنتمى إلى الخير المخلوق وهى رمز قوى للتحقق الذاتى الديناميكى الذى تتصف به الحياة ."^(٢) هذا يعنى أن تلش المؤمن يرى أن إرادة القوة فى ذاتها ليست عرضا من أعراض الكونكيوبسنس ، بل ترمز إلى التأكيد الذاتى الطبيعى للانسان . ولذلك فهى تنتمى إلى الخير المخلوق أو إلى الحالة الماهوية أو الدينية للانسان . أما إذا غدت إرادة القوة مجرد دافع لا متناهى تصبح ، مثلها فى ذلك مثل اللبيدو باعتباره رغبة لامتناهية ، كونكيوبسنس ومن ثم دلالة على الحالة المغترية للانسان . ولكن نيتشه أكد بصورة علنية ، هكذا يقول تلش ، أن إرادة القوة ليست سوى دافع لامحدود يثير " فى الانسان الرغبة فى الموت عن طريق السلب الذاتى للإرادة ."^(٣) هنا يكمن التعاثل بين فرويد ونيتشه . "فى كلتا الحالتين نجد أن الدافع الذى لا يمكن اشباعه هو الذى يؤدى إلى السلب الذاتى ."^(٤) هذا يعنى أن نيتشه " لم يوضح المعايير والمبادئ التى يمكن من خلالها الحكم على إرادة القوة . إنها تظل غير محدودة وتتمتع بسمات شيطانية تحطيمية (أو مدمرة) ."^(٥) فى ضوء ذلك

1) Ibid ., P. 54 .

2) Ibid., P. 55

3) Ibid., Loc. cit .

٤) Ibid., Loc . cit .

٥) Ibid ., Loc. cit .

قرر تلش " أن 'إرادة القوة' عند نيتشه ، مثلها في ذلك مثل 'الليبدو' الفرويدى ... وصفت على نحو يجعل التمييز بين التأكيد الذاتى الماهوى للإنسان وسعيه الوجودى اللامحدود نحو قوة الوجود أمرا لا يمكن ... تأسيسه . إن نيتشه يتابع مذهب شوينهور فى الإرادة باعتبارها القوة الدافعة للامحدودة للحياة فى كل صورها ، والتي تثير فى الإنسان الرغبة فى الموت عن طريق السلب الذاتى للإرادة . من هذا الاعتبار نجد أن هناك تماثلا واضحا بين شوينهور ونيتشه ، ففى كلتا الحالتين نجد أن الدافع اللامتناهى ، الذى لايشبع أبدا هو الذى يسوق إلى السلب الذاتى .^(١) ولكن تلش المؤمن يؤكد ، ضد الموقف العلنى لنيتشه ، أن إرادة القوة ، مفهومه على هذا النحو ، تعبر عن الكونكيويسنس وبالتالى عن الحالة المغترية للإنسان . فالطبيعة الماهوية للإنسان تشير إلى أن إرادة القوة ليست إرادة غير محدودة ، بل تتمتع بمعايير ومبادئ تمكن من الحكم عليها . هذا هو الفارق بين إرادة القوة باعتبارها تصف الحالة المغترية للإنسان ، وإرادة القوة باعتبارها تصف حالته الماهوية . من هنا يستنتج تلش " أن الليبدو فى ذاته وإرادة القوة فى ذاتها ليستا دلالة على الكونكيويسنس . إنهما يصبحان دلالة على الكونكيويسنس والافتقار فى حالة عدم اتحادهما مع الحب ومن ثم افتقارهما إلى موضوع محدد .^(٢)

لقد ساق تلش ثلاثة أمثلة أخرى من أجل مزيد من الإيضاح لحالة الكونكيويسنس . المثال الأول جاء على لسان كيركيجورد وذلك فى معرض وصفه لحالة الامبراطور نيرون Nero فى كتابه " يوميات مفرد " . لقد رأى كيركيجورد ، هكذا يقول تلش ، أن " نيرون يجسد المضامين الشيطانية لإرادة القوة اللامحدودة ، فهو تجسيد لحالة فردية نجحت فى وضع الكون كله تحت تصرفها وذلك من خلال قدرتها على أن تحصل لنفسها على ما تريد . لقد وصف كيركيجورد الخواء الداخلى التام

1)Ibid., Loc. cit .

2)Ibid ., Loc. cit .

لهذا الموقف ، ذلك الخواء الذى يفضى إلى الاصرار على إلحاق الموت بكل شئ يواجهه، بما فى ذلك ذاته نفسها .^(١) والمثال الثانى جاء على لسان كيركيجورد أيضا وذلك من خلال وصفه لحالة نون جوان لموزارت والتى حدثت بكيركيجورد إلى ابتكار شخصية أخرى هي شخصية يوهانز Johannes المغير . " هنا يوضح كيركيجورد ، بعمق سيكولوجى ، الخواء ، واليأس المرتبط بذلك السعى الجنسى اللامحدود الذى يمنع الحب من أن يتحد اتحادا خلاقا مع الطرف الجنسى الآخر . هنا ، وكما هو الحال فى رمز نيرون ، يتبدى طابع التجدي للذات المميز للكونكيوبسنس .^(٢) أما المثال الثالث الذى يقدمه تلش فهو مستمد من شخصية فاوست لجوته ، " الذى وجه سعيه اللامحدود نحو المعرفة .. لقد قبل التحالف مع الشيطان ، من أجل أن يعرف كل شئ . إن 'الكل شئ' ، لا المعرفة فى ذاتها ، هو الذى يسبب الاغراء الشيطانى . فالمعرفة فى ذاتها ، مثلها فى ذلك مثل القوة والجنس فى ذاتهما ، ليست دلالة على الكونكيوبسنس .. إن الطابع اللامحدود ، للسعى نحو المعرفة (فاوست جوته) ، والجنس (نون جوان لموزارت ويوهانز كليما كوس لكيركيجورد) ، والقوة (نيرون) ، هو الذى يجعل هذه الأشياء اعراضا للكونكيوبسنس .^(٣)

هذه الدلائل الثلاث التى قدمها تلش للطبيعة المغترية للانسان تتسم فى رأيه بالعمومية بمعنى انها قاسم مشترك بين سائر البشر ، وليس هناك فرد على الإطلاق يمكن أن يقال عنه انه لا يحمل إمكانية هذه الدلائل . وعلى الرغم من أن تلش قد أكد هذه العمومية مرارا فيما سبق ، إلا انه عاد إلى تأكيد عمومية الحالة المغترية للانسان التى عبر عنها بلغة عدم الايمان ، والهيوبرس ، والكونكيوبسنس ، والتى تناقض حالته الماهوية ، على النحو التالى : " أن الخطيئة (او الاغتراب) هي

1) Ibid ., PP. 52- 53.

2) Ibid ., P. 53 .

3) Ibid ., Loc . cit.

واقعة عامة قبل أن تصبح فعلا فرديا ... فالخطيئة ، باعتبارها فعلا فرديا ، هي مسألة حرية ، ومسئولية ، وذنوب شخصي . غير أن هذه الحرية تضرب بجذورها في المصير العام للاغتراب بحيث نجد أن كل فعل حر يشتمل على مصير الاغتراب ، والعكس صحيح أيضا ، بمعنى أن سائر الافعال الحرة تجسد مصير الاغتراب . ولهذا يستحيل فصل الخطيئة باعتبارها واقعة عن الخطيئة باعتبارها فعلا حرا . فهما متداخلان ، وكل شخص يعي ذنبه يعي اتحادهما بصورة مباشرة . حتى إذا أقر المرء مسئوليته الكاملة عن فعل الاغتراب - وهذا ما يجب أن يفعله - فإنه يعي أن هذا الفعل معتمد على .. مصيره الشخصي ، وكذا على المصير العام للجنس البشري ،^(١) من هذا المنطلق ينقد تلش سائر النظريات الحتمية للاغتراب التي تتجاهل عنصر الحرية ، والمسئولية الشخصية التي تضرب بجذورها في تلك الحتمية . فهو يتفق مع هذه النظريات على أن الاغتراب هو مسألة حتمية ، غير أنه يقر في نفس الوقت ، ضد هذه النظريات ، أن الاغتراب ليس مسألة حتمية فحسب بل هو أيضا وفي نفس الوقت مسألة قرار حر ومسئولية شخصية . ولقد عبر تلش نفسه عن ذلك على النحو التالي : " لقد فسر الاغتراب بطريقة حتمية : فمذاهب الحتمية الميكانيكية ترى أن الاغتراب هو مسألة حتمية فيزيقية ، والنظريات القائلة بتدهور القوى البيولوجية للحياة تعده حتمية بيولوجية ، وفسر سيكولوجيا على أنه القوة القهرية للاشعور ، واجتماعيا على أنه نتاج السيادة التطبيقية ، وثقافيا على أنه ناجم عن قصور في الانضباط التعليمي . ولكن ليست هناك نظرية من هذه النظريات تضع في حسابها الاحساس بالمسئولية الشخصية الذي يعن للمرء بسبب أفعاله في حالة الاغتراب . فكل نظرية من هذه النظريات تساهم في فهم عنصر المصير في الازمة الانسانية فقط لاغير . من هذا المنطلق يتحتم على اللاهوت المسيحي قبول هذه النظريات ، ولكن يجب علينا أن نضيف أنه ليس هناك وصف لعنصر المصير في حالة الاغتراب يمكنه أن يزيل الوعي بالحرية المتناهية وبالتالي

1) Ibid ., P. 56 .

بالمسئولية تجاه كل فعل يتحقق به الاغتراب .^(١)

إذا كان تلش يرى أن حالة الاغتراب تتصف هكذا بدلائل ثلاث (اللا ايمان ، والهيوبرس، والكونكيوبسنس) تناقض تلك الدلائل التى تميز الحالة الماهوية التى تحدثنا عنها فى الفصل السابق (الايمان ، وإقرار التناهى ، والحب) ، فهو يرى أيضا أن نفس هذه الحالة المغترية تجعل الانسان يناقض البنية الانطولوجية التى تصف حالته الماهوية أو الدينية التى أوضحناها أيضا فى الفصل السابق . فعندما يغدو الانسان مغتربا عن طبيعته الماهوية ، يناقض البنية الانطولوجية الماهوية لوجوده ويحطم هذه البنية وكذا سائر العناصر المكونة لها . والوعى بإمكانية هذا التمزق والتحطيم يعن للانسان ، كما رأينا فى الفصل السابق ، فى اللحظة التى يحول فيها تناهيه ذلك التوازن القطبى الماهوى بين العناصر القطبية للبنية الانطولوجية الماهوية إلى توتر . فهذا التوتر يجعل الانسان يعى بقلق إمكانية التمزق والتحطيم . ومن خلال هذا القلق يعى الانسان أن فقدته لبنيته الماهوية متوقف على فقد أى عنصر من العناصر القطبية ، وذلك لان التوازن الكامل بين سائر القطبيات هو وحده الذى يشكل حالته الماهوية أو الدينية ، ومن ثم فإن فقد أى عنصر لايعنى فقد القطبية التى ينتمى إليها ذلك العنصر فحسب ، بل أيضا فقد سائر القطبيات الأخرى وبالتالي فقد البنية الانطولوجية الرئيسية للوجود (الذات - العالم) نظرا لان سائر العناصر القطبية تشكل هذه البنية نفسها . هذا النوع من القلق الذى يسببه التناهى والذى يعن للانسان فى حالته الماهوية هو ، كما رأينا فى الفصل السابق ، قلق على إمكانية " التمزق والتحطيم الوجودى " ، على إمكانية اغتراب المرء عن وجوده الاصيل . هذه الامكانية تظل ، فى الحالة الماهوية ، مجرد امكانية ، أما فى حالة الوجود ، التى يعتبرها تلش حالة اغتراب ، فتتحول هذه الامكانية إلى شئ متحقق بالفعل الامر الذى يعنى فقد الانسان

1) Ibid ., PP . 56- 57 .

لوجوده الماهوى وتحطيم بنيته . هذا الفقد أو التمزق أو التحطيم يعنى تحول التناهى الماهوى للانسان إلى تمزق وتحطيم وجودى ، وتحول القلق الماهوى للانسان إلى يأس وجودى . ولكن كيف تمكن تلش من تبرير كل ذلك ؟ إن الاجابة على هذا السؤال تكمن فى مناقشته للنتائج المترتبة على اغتراب الانسان اعنى "بنيات التحطيم

"structures of destruction

لقد بدأ تلش مناقشته لهذه البنيات باعلان " ان كل دلالة من دلالات الحالة المفتربة تناقض الوجود الماهوى للانسان ، ميله إلى الخير . إنها تناقض البنية المخلوقة لذاته وعالمه يدخل فى ذلك توافقهما المتبادل ."^(١) كما تناقض أيضا سائر دلالات الحالة الماهوية . هذا التناقض يسوق حتما نحو التمزق والتحطيم . إنه يسوق العناصر القطبية المتوازنة التى يتصف بها الوجود الماهوى للانسان نحو التمزق والتحطيم ."^(٢) هذا " التحطيم الذى يحدث فى ظل أوضاع الوجود المغترب " ، هكذا يقول تلش ، "ليس نتاجا لقوة خارجية ما . إنه ليس نتاجا لتدخل إلهى أو شيطانى ما ، بل هو نتاج لبنية الاغتراب نفسه ."^(٣) هذا التحطيم يتمتع فى رأى تلش " ببنيات " . هذه "البنيات" يطلق عليها اصطلاحا اسم "بنيات التحطيم" . "والهدف الذى تسعى إليه بنية التحطيم هو الهيولى .. وحدث هذه الهيولى معناه تلاشى البنية والتحطيم ."^(٤) هذه البنيات التحطيمية تشكل " ما يوصف فى الغالب باسم 'الشر' "^(٥) والشر ، مفهوما على أنه بنية التحطيم الذاتى ، يكون " متضمنا فى طبيعة الاغتراب العام " ."^(٦)

تجدر الإشارة هنا إلى أن تلش يعتبر مصطلح " بنيات التحطيم " مصطلحا

مفارقا Paradoxical . وهو يستخدمه لتوضيح رأيه الذى مؤداه أن الشر ، مفهوما

1) Ibid., PP. 59- 60 .

2) Ibid., P.60

3) Ibid ., Loc .cit .

4) Ibid ., Loc ,cit .

5) Ibid., Loc. cit.

6) Ibid., P. 61.

على أنه نتاج الاغتراب ، لا يتمتع بأى مكانة انطولوجية فى الواقع بأسره . ولقد عبر هو نفسه عن ذلك من خلال كلما ته التالية التى تقول : " إننى أستطيع وصف هذه البنيات بمصطلح مفارق تماما ، أعنى مصطلح 'بنية التحطيم' - مشيرا بذلك إلى الحقيقة التى مؤداها أن التحطيم لا يتمتع بأى مكانة مستقلة فى الواقع بأسره بل متوقف على البنية التى يقوم بتحطيمها .^(١) هذا يعنى ، بتعبير آخر ، ان بنية التحطيم أو الشر ليست سوى نتاج لحالة الاغتراب ذاتها .

هذا المصطلح الاخير (مصطلح الشر) ، هكذا ينبه تلش ، " يمكن أن يستخدم بمعنى واسع ومعنى ضيق . المعنى الاوسع يضم كل شئ سلبى ويشمل كلا من التحطيم والاعتراب - أعنى الازمة الوجودية للانسان بسائر أبعادها وسماتها .^(٢) أما المعنى الضيق للشر ، مفهوما على أنه نتاج حالة الاغتراب ، فهو أن الشر هو "بنية التحطيم الذاتى المتضمن فى طبيعة الاغتراب العام .^(٣) هذا المعنى الاخير للشر هو الغالب على مناقشة تلش المؤمن التى جاءت فى كتابه " اللاهوت النسقى " .

هكذا أوضح تلش أن الشر أو التحطيم ، مفهوم على أنه نتاج لحالة الاغتراب، يتمتع ببنيات. والبنية الرئيسية للتحطيم هى فى رأى تلش بنية الذات - العالم. هنا يجب أن نتذكر موقف تلش الذى قدمناه فى الفصل السابق والذى يقول : إن قطبية الذات - العالم هى البنية الانطولوجية الماهوية الرئيسية للوجود التى يشارك فيها كل موجود بدرجة ما ، ولا تتحقق على النحو الكامل إلا فى الإنسان . فالانسان هو الموجود الوحيد الذى يتمتع بوعى ذاتى كامل أو أنا ذات . ولهذا السبب فهو الموجود الوحيد الذى يتمتع بذات متمركزة تماما وينتمى فى نفس الوقت إلى عالم بنيوى منفصل عنه فى الآن عينه . هذا هو الوصف المميز لحالة الوجود الماهوى . اما فى ظل أوضاع

1) Ibid., P. 60 .

2) Ibid., Loc .cit . .

3) Ibid., P. 61.

الوجود المغترب ، هكذا يؤكد تلس ، فيفقد الانسان " ذاته وعالمه ، وفقد أحدهما يشمل بالضرورة فقد الآخر . هذه هي بنية التخطيط الرئيسية ، وهي تشمل سائر البنيات الاخرى. إن تحليل هذه البنية يعد الخطوة الاولى نحو فهم ذلك الشئ الذى وصف فى الغالب 'بالشر' ".^(١) هذا يعنى ، بتعبير آخر ، أن تلس يرى أن فقد أحد القطبين (الذات مثلا) يعنى بالضرورة فقد القطب الآخر وذلك لانهما يعتمدان أو يتواقفان على بعضهما توافقا متبادلا . فالانسان لن يكون الواحد منهما إلا إذا كان الآخر . ولهذا يكون فقد أحدهما متضمنا لفقد الآخر. فإذا فقد الإنسان ذاته، فإن هذا يعنى بالضرورة أنه فقد عالمه ، وفقد الاثنين معا يشكل بنية التخطيط الرئيسية ، اعنى ، بنية الشر .

والفقد الذاتى ، أى فقد الانسان لذاته ، باعتباره الدلالة الرئيسية للشر ، يشير فى رأى تلس إلى " فقد المرء لمركزه الذى يتولى تحديده وتوجيهه ، إنه تفكك الذات المتمركزة بواسطة نوافع ممزقة لا يمكن أن تتحد . هذه النوافع تشكل الشخص ككل وذلك فى حالة بقائها كنوافع متمركزة . أما فى حالة تحركها ضد بعضها ، فإن هذا يشير إلى تصدع الشخص . وكلما زاد التصدع ، كلما زاد تهديد كينونة الانسان كإنسان ، الامر الذى يفضى إلى انهيار الذات المتمركزة للإنسان .. إن الفقد الذاتى ... يتجلى فى شكل صراعات أخلاقية وتمزقات سيكوباثولوجية .. حيث يسيطر على المرء الوعى بأنه يتساقط إلى اجزاء . " (٢) غير أن ذلك لا يحدث للذات فحسب ، بل يحدث أيضا للعالم الذى تنتمى إليه الذات . " فبقدر ما تتساقط ذات المرء إلى اجزاء ، يتساقط عالم المرء أيضا إلى أجزاء . " (٣) إنه يكف عن أن يكون عالما بالمعنى الحقيقى . وفى الحالات المتطرفة يحس المرء باللاواقعية الكاملة لعالمه ، ولايتبقى شئ سوى وعيه بذاته الخاوية . " (٤) نخلص من ذلك إلى أن فقد الذات عند تلس يعنى فقد العالم. فكل

1) Ibid., P. 60.

2) Ibid., P. 61.

3) Ibid., Loc .cit .

4) Ibid., Loc .cit .

ما يحدث لذات المرء ، يحدث أيضا وينفس القدر لعالم المرء ، وذلك لانهما يتواقفان على بعضهما تواقفا متبادلا . فكلما زاد تفكك الذات إلى أجزاء ، كلما زاد أيضا تفكك عالم الذات إلى أجزاء . وفى الحالات المتطرفة أو القصوى تشعر الذات أن عالمها يفتقر تماما إلى الواقعية ، ولا يكون هناك سوى الوعى بالخواء . هذا الموقف لا يقود إلا إلى مزيد من التفكك . فالذات تفتقر فى هذه الحالة إلى كل مضمون ، وذلك لان العالم ، كما رأينا فى الفصل السابق ، هو الذى يزود الذات بكل مضمون ممكن . وطالما أن عالم الذات قد تساقط تماما إلى أجزاء مفككة ، فإن هذا يعنى أيضا تساقط الذات إلى أجزاء أو أشلاء . فالتواقف المتبادل بينهما يجعل ذلك أمرا لا بد منه . والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو : ما الذى يجعل الذات تصل أصلا إلى حالة التفكك ؟ والاجابة التى يقدمها تلش على هذا السؤال هى أن الذات تصل إلى تلك الحالة بسبب الهيوبرس والكونكيويسنس . "فى ظل سيطرة الهيوبرس والونكيويسنس " ، هكذا يقول تلش ، "يمكن للذات أن تصل إلى حالة التفكك . فمحاولة الذات المتناهية أن تجعل من نفسها مركزا لكل شئ تؤثر عليها تدريجيا على نحو يجعلها تكف عن أن تكون مركزا لى شئ . وهذا يشكل تهديدا لكل من الذات والعالم . فالانسان يصبح ذاتا محددة ، معتمدة على بيئة محددة . لقد فقد عالمه ، ولم يعد لديه سوى بيئته".^(١) من هذا المنطلق ينتقد تلش سائر نظريات البيئة التى تفترض أن الانسان يكون محكوما نوما ببيئته . فهو يؤكد ، ضد هذه النظريات ، اقتناعه الذى مؤداه " أن هذه النظريات تؤكد رؤية فى الطبيعة الماهوية للانسان ليست فى حقيقة الامر سوى رؤية تصف اغتراب الانسان الوجودى عن طبيعته الماهوية ."^(٢) هذا يعنى ، كما يقول تلش ، أن هذه النظريات تفترض أن الحالة الماهوية للانسان تدل على أن الانسان محكوم تماما ببيئته ، ولهذا فهى تزعم أنها تؤكد بذلك رؤية فى الطبيعة الماهوية للانسان .

1) Ibid., P.62

2) Ibid ., Loc. cit .

هذا الزعم يعد فى رأى تلش زعما خاطئا لانه لا يصف الطبيعة الماهوية للانسان ، بل يصف بالاحرى طبيعته المغترية ، نظرا لان "الانسان يتمتع من الناحية الماهوية بعالم وذلك لكونه يتمتع بذات متمركزة تماما .^(١) إنه يستطيع أن يتجاوز أى بيئة معطاة عن طريق تشكيل عالمه على نحو إبداعى . " وفقده لعالمه هو وحده الذى يجعله خاضعا لعبودية بيئة لاتمت بصلة إلى بيئته الحقيقية .^(٢) لان هذا الفقد لا يحدث إلا فى ظل أوضاع الاغتراب ، الامر الذى يعنى أنه " فى حالة الاغتراب فقط يمكن القول ان الانسان يكون موضوعا واقعا تحت تأثير البيئة .^(٣) يتضح من كل ذلك أن تلش يرى أن الانسان لا يفقد ذاته وعالمه إلا فى ظل أوضاع الوجود المغترب . تلك هي البنية الرئيسية للتخطيط ، البنية الرئيسية للشر .

هذه المناقشة التى قدمها تلش لهذه القطبية فى " لاهوته النسقى " تعد تمهيدا لمناقشته للصراع بين القطبيات الانطولوجية فى ظل حالة الاغتراب .^(٤) والقطبيات التى يشير إليها تلش هنا هي ، كما اتضح فى الفصل السابق ، قطبيات التفرد - التشارك ، والديناميكية - الشكل ، والحرية - المصير . هذه القطبيات تشكل البنية الرئيسية لوجود الانسان . وطالما أنها كذلك ، فإن هذا يعنى أن فقد البنية الرئيسية يجب أن يؤدي حتما إلى فقد هذه البنيات القطبية التى تؤلف هذه البنية . هذا بالاضافة إلى أنه طالما أن هذه البنية الرئيسية تصبح فى ظل أوضاع الاغتراب الوجودى بنية تخطيط رئيسية ، فإن هذا يعنى أيضا أن البنيات القطبية الاخرى التى تؤلف هذه البنية يجب أن تصبح أيضا بنيات تخطيطية . هذا يعنى ، بتعبير آخر ، ان التوافق المتبادل بين الفقد الذاتى أو فقد الذات وفقد العالم فى ظل أوضاع الاغتراب الوجودى يفضى إلى التوافق المتبادل بين فقد العناصر القطبية التى تؤلف البنية الرئيسية

1) Ibid., Loc. cit.

2) Ibid., Loc. cit.

3) Ibid., Loc. cit.

4) Ibid., Loc. cit.

لوجود الانسان . هذه البنيات التحطيمية هي "انفصال الحرية عن المصير" ، و"انفصال الديناميكية عن الشكل" ، و " انفصال التفرد عن التشارك" .^(١) والصراع بين هذه العناصر القطبية في ظل اوضاع الاغتراب الوجودي يعد في رأى تلش السمة الأساسية المميزة لانفصال هذه القطبيات عن بعضها وفيما يترتب على ذلك الانفصال من تحطيم . هذا هو السبب الذي جعل تلش يناقش هذه البنيات التحطيمية الاخيرة في كتابه " اللاهوت النسقي " تحت عنوان " الصراع بين القطبيات الانطولوجية في ظل حالة الاغتراب" .

إن انفصال الحرية عن المصير يمثل البنية التحطيمية الاولى التي يناقشها تلش . وهو يمهّد لمناقشته لهذه القطبية بالإشارة إلى أن حالة الوجود الماهوي تشير إلى التوازن الكامل بين سائر العناصر القطبية . ويتطابق ذلك على قطبية الحرية - المصير يمكن القول ان حالة الوجود الماهوي تجعل هذين القطبين في حالة توازن كامل ، في تمايز بلا انفصال ، في توتر لا في صراع . انهما يضريان بجنورهما في الاساس (الالهى) للوجود ، أعنى ، في مصدرهما وأساس وحدتهما القطبية .^(٢) ولكن حالة الوجود الماهوي ، هكذا يكرر تلش هنا من جديد ، " هي حالة براءة حاملة .^(٣) ولهذا السبب يمكن تسمية هذه الحالة باسم الحالة التي تكون فيها الحرية غير واعية بذاتها ، إنها الحالة التي لم تستيقظ فيها الحرية بعد . وفي اللحظة التي يحدث فيها ذلك الاستيقاظ ، أعنى في اللحظة التي تصبح فيها الحرية واعية بذاتها وتنزع إلى أن تصبح حقيقة فعلية - وهي لحظة الحرية المستيقظة أو اللحظة التي يصبح فيها الانسان واعيا بحريته ويقرر تحقيقها - تبدأ عملية معينة . هذه العملية تتضح من خلال كلمات تلش التالية التي تقول " في لحظة استيقاظها تقوم الحرية بعملية فصل نفسها عن المصير

1) Ibid ., pp. 62-66.

2) Ibid., P. 62.

3) Ibid., Loc .cit.

الذى تنتمى إليه .^(١) إنها تميل إلى أن تصبح " عسفا . فالأفعال العنيدة wilful هى الأفعال التى بواسطتها تتجه الحرية إلى الانفصال عن المصير .^(٢) غير أن الانفصال الفعلى للحرية عن المصير لا يحدث فى رأى تلتش إلا بسبب الهيوبرس والكونكيوبسنس . " ففى ظل تحكم الهيوبرس والكونكيوبسنس ، تكف الحرية عن نسب نفسها إلى الموضوعات التى يقدمها المصير .^(٣) ومن ثم تكف علاقة الحرية والمصير عن أن تكون علاقة ماهوية . فبدلاً من أن تنسب نفسها إلى المصير على النحو الماهوى الذى أوضحناه فى الفصل السابق ، نجدها الآن ، ويسبب الهيوبرس والكونكيوبسنس ، "تنسب نفسها إلى عدد لا محدود من الموضوعات . فعندما يجعل الانسان من نفسه مركزاً للكون ، تفقد الحرية حدودها .إنها تتجه ، بطريقة غير محددة ومتعسفة ، إلى موضوعات ، وأشياء تختارها الذات بطريقة عارضة وعشوائية تماماً ومن ثم يمكن استبدالها بأشياء أخرى تتمتع بنفس الطابع العارض وكذا عدم الانتماء المطلق . لقد وصفت الوجودية وأزرها فى ذلك علم نفس الأعماق ، جدلية هذا الموقف بلغة عدم الاستقرار ، والخواء ، واللامعنى المرتبط به . إذا لم تكن هناك علاقة جوهرية بين الذات التى تختار والموضوعات التى تختارها ، فلن يكون هناك تفضيل موضوعى لاختيار على آخر ، لن يكون هناك التزام ذات معنى تجاه شخص أو دافع ، لن يكون هناك هدف بارز يوضع نصب العين ، لأن الإشارات القادمة من مصير المرء تظل غير ملحوظة أو لا يلتفت إليها .^(٤) هنا يقر تلتش أن هذا الموقف يصف الحالة القصوى أو الحالة المتطرفة من انفصال الحرية عن المصير ، غير أنه يؤكد أيضاً وفى نفس الوقت أن هذا الوصف " يكشف عن ميل عام عند سائر البشر فى حالة الاغتراب العام .^(٥)

1) Ibid., Loc .cit.

2) Ibid., Loc .cit.

3) Ibid., PP. 62-63.

4) Ibid ., P. 63.

5) Ibid., Loc .cit.

ومن الناحية الأخرى، يؤكد تلش على " أنه بمقدار ما تتشوه الحرية إلى عسف، يتشوه المصير إلى ضرورة ميكانيكية ^(١) والسبب في ذلك يرجع إلى تواقفهما المتبادل على بعضهما . فالإنسان لا يكون الواحد منهما ، إلا إذا كان الآخر . وهذا يعنى أنه إذا فقد أحدهما ، لا بد أن يفقد الآخر بالضرورة . ولهذا، " إذا كانت الحرية غير موجهة بالمصير أو إذا كانت سلسلة من الأفعال العارضة المتعسفة ، فإنها تقع تحت سيطرة قوى تتحرك ضد بعضها بدون مركز مقرر. وما يبدو في الظاهر على أنه حر يثبت أنه محكوم بدوافع قهرية داخلية وعلل خارجية . وتسيطر أجزاء من الذات على المركز وتحدده دون أن يكون متحدا مع الأجزاء الأخرى . فيحل دافع عارض محال المركز المفترض فيه أنه يوحد الدوافع في قرار متمركز ، ولكنه غير قادر على أن يفعل ذلك ^(٢) والسبب في عدم قدرته على فعل ذلك يرجع إلى فقد المصير بسبب فقد الحرية ، والعكس .

في ضوء هذه البنية التحطيمية ونقيضها أعنى البنية الماهوية للحرية والمصير ، ينقد تلش ادعاءات الحتمية واللاحتمية . وهو يمهّد لهذا النقد بقوله : " إن تشوه الحرية إلى عسف والمصير إلى ضرورة ميكانيكية يتجلى من خلال النزاع التقليدي بين الحتمية واللاحتمية ^(٣) تلك هي الحقيقة ، هذا على الرغم من ادعائهما ، مثلهما في ذلك مثل نظريات البيئة ، انهما تقدمان وصفا " للحالة الماهوية للإنسان ^(٤) فاللاحتمية تزعم أنها تحفظ الحرية المطلقة للفرد ، الحرية التي لاتعرف حدودا أو قيودا ، والتي بدوياً لن يكون الإنسان حراً حرية أصيلة . والحتمية تزعم ، من الناحية الأخرى ، أن سلوك الإنسان محكوم تماماً بعلل خارجية أو داخلية ، نظراً لأن الحالة الحقيقية للإنسان

Ibid., loc. cit.

Ibid., loc. cit.

١ Ibid., Loc. cit .

٢ Ibid., Loc. cit .

لا يمكن أن تكون إلا على هذا النحو . ولكن تلش يقرر ان هاتين النظريتين " لا تصفان سوى الطبيعة المغترية للانسان ."^(١) وذلك لان " الاحتمية تجعل حرية الانسان حرية عارضة . وهي بذلك تمحو المسؤولية الكاملة للفرد عن أفعاله ، المسؤولية التي حاولت أن تدافع عنها ضد الحتمية . والحتمية تحيل حرية الانسان إلى ضرورة ميكانيكية ، وتحوله إلى شئ محكوم تماما ليس له ، في حد ذاته ، أى مصير ... إن الحتمية واللاحتمية هما مرآة للحالة المغترية للانسان (وذلك فيما يتعلق بالحرية والمصير!)"^(٢) .

إن " انفصال الديناميكية عن الشكل " هو البنية التحطيمية الثانية التى يناقشها تلش . وقبل أن نوضح طبيعة هذا الانفصال ، يجب أن نتذكر أولا رأى تلش الذى جاء فى الفصل السابق والذى مؤداه أن الديناميكية والشكل يتوافقان على بعضهما فى سائر مستويات الوجود بمعنى ان هذه البنية القطبية ، مثلها فى ذلك مثل أى بنية قطبية أخرى ، هى بنية انطولوجية يتصف بها كل شئ يتمتع بالوجود . هذه البنية تتبدى فى محيط الوعي الانسانى على هيئة البنية القطبية للحوية والقصدية . هذا هو السبب الذى جعله يقرر ان الحوية الانسانية هى ذلك العنصر أو القطب الذى يشير إلى عنصر أو قطب الديناميكية الذى يتصف به كل شئ يتمتع بالوجود ، فى حين أن قصدية الانسان هى ذلك العنصر أو القطب الذى يشير إلى عنصر أو قطب الشكل الذى يميز كل شئ موجود . هذه البنية تتصف بصفة ماهوية أو دينية معينة . فالحالة التى تشير إلى وحدة الديناميكية والشكل .. والوحدة بينهما .. لا تتمزق أبدا ."^(٣) هذه الوحدة بين حوية الانسان (الديناميكية) وبين قصدية (الشكل أو الثبات) ... الطبيعة الماهوية للانسان تمنع حوية الانسان من أن تكون حوية غير موجهة او ... إنها تمنعها من الاندفاع فى شتى الاتجاهات بدون أى هدف أو مضمون

1) Ibid., Loc. cit .

2) Ibid., PP. 63-64 .

3) Ibid., P. 64 .

محدد . هذا بالإضافة إلى أن الحالة الماهوية للانسان تشير إلى أن قطب القصدية أو الشكل يمنع الديناميكية أو الحيوية الإنسانية أو التجاوز الذاتى من أن يصير مجرد اندفاع لاشكل له (أى معدوم الشكل) نحو التجاوز الذاتى . أما فى حالة الاغتراب وبخاصة فى ظل تحكم الهيويرس والكونكيوبسنس ، هكذا يرى تلش ، فيختلف الأمر تماما . فالموقف يتغير إلى النقيض . ولقد أوضح تلش كيفية حدوث ذلك على النحو التالى : " إن التمزق الوجودى بين الديناميكية والشكل هو أمر واضح ، ففى ظل سيطرة الهيويرس والكونكيوبسنس ، يندفع الانسان فى شتى الاتجاهات بدون أى هدف أو مضمون محدد . لقد تشوهت ديناميكيته إلى اندفاع لاشكل له نحو التجاوز الذاتى . فالشكل الجديد لم يعد يغرى الشخص على التجاوز الذاتى ، لقد أصبحت الديناميكية هدفا فى ذاتها ."^(١) فى هذا الموقف الذى تنفصل فيه الديناميكية عن الشكل يفقد الانسان قدرته على تحقيق ذاته على نحو مبدع أو خلاق ، ويضحي بكل ما هو مبدع أو خلاق فى سبيل ما هو جديد . فالجديد هنا هو فقط الذى يغريه بغض النظر عما إذا كان مبدعا أو خلاقا أم خلاف ذلك . من هذا المنطلق يتحدث تلش " عن إغراء الجديد ، الذى يعد فى حد ذاته عنصرا ضروريا لكل تحقق ذاتى مبدع ، والذى غدا فى حالة التشوه يضحي بكل ما هو مبدع فى سبيل ما هو جديد ."^(٢) هذا يعنى أن تلش يرى أنه على الرغم من أن اغراء ما هو جديد يعد عنصرا أساسيا فى كل تحقق ذاتى مبدع أو خلاق ، إلا أن هذا الاغراء يضحي فى حالة التشوه بكل ما هو مبدع أو خلاق فى سبيل ما هو جديد . هنا لا يوجد اهتمام بما هو مبدع ، بل يكون الاهتمام منصبا على ما هو جديد . من هنا يصبح الانسان عاجزا عن خلق أى شئ حقيقى أو أصيل ، لأنه " ليس هناك شئ حقيقى يمكن أن يخلق به شكل ، لأنه لا يوجد شئ حقيقى يفتقر إلى الشكل ."^(٣) فعندما يفقد الانسان قصدية ، لن يتبقى

1) Ibid ., Loc . cit.

2) Ibid., Loc. cit.

3) Ibid., Loc. cit.

شئ سوى اندفاع حيويته أو ديناميكيته اللامحدود نحو الجديد.^(١) وعندما تفصل الديناميكية نفسها عن الشكل على هذا النحو تغدو مدمرة ، وتفضى إلى الخواء التام والهيولى . هذا يعنى " أن الديناميكية ، الحيوية ، الانسياق نحو تحطيم الشكل تفضى إلى الهيولى والخواء . فالانفصال عن الشكل يفضى إلى فقد كل هذه الأشياء ."^(٢)

ولكن فى قلب هذا الموقف المتسم بالخواء والهيولى الذي خلفه انفصال الديناميكية عن الشكل فى ظل أوضاع الوجود المغترب ، تبدأ ، هكذا يرى تلش ، عملية أخرى جديدة . فالإنسان يحاول الهروب من ألم ذلك الموقف الذى لا يطاق ومن ثم يبيع ديناميكيته فى سبيل الشكل . غير أن النتيجة المترتبة على ذلك هى ، بتعبير تلش ، نتيجة " مدمرة أيضا . فإذا جرد شكل من الديناميكية التي خلق منها وفرض على ديناميكية لاينتمى إليها ، يصبح قانونا خارجيا . فيكون قامعا oppressive ويفضى إما إلى اكتساب شرعية جامدة لا إبداع فيها أو إلى تمرد قوى ديناميكية يفضى إلى الهيولى أو إلى طرق أكثر قمعا فى الغالب . هذه التجارب تنتمى إلى حياة الإنسان الفردية والاجتماعية، إلى الدين والثقافة (الحضارة) . هناك هروب مستمر من القانون إلى الفوضى ومن الفوضى إلى القانون. هناك تصدع مستمر للحياة بواسطة الشكل ، وللشكل بواسطة الحيوية . ولكن إذا اختفى أحد الجانبين ، فإن هذا يعنى اختفاء الجانب الآخر بالضرورة . فالديناميكية، والحياة، والاندفاع نحو تحطيم الشكل تفضى إلى الهيولى والخواء . فالانفصال عن الشكل يؤدي إلى فقد هذه الأشياء . والشكل، البنية، القانون يفضى إلى التصلب والخواء . فالانفصال عن الديناميكية يفضى إلى فقد هذه الأشياء ."^(٢) إن تلش يريد أن يقول هنا ان انفصال الشكل عن الديناميكية يعنى صيرورة الشكل قانونا خارجيا مفروضا على الديناميكية

1) Ibid., Loc . cit. .

2) Ibid., Loc. cit.

إما عن طريق القمع أو عن طريق اكتساب شرعية زائفة تفتقر إلى الديناميكية والابداع . هذا القانون الشكلي ، فرديا كان أم اجتماعيا ، وضعيا كان أم دينيا ، يحفز القوى الديناميكية على التمرد عليه . هذا التمرد يفضي إما إلى الخواء أو إلى طرق أكثر قمعاً . وفي ظل أوضاع الاغتراب الوجودي يكون هناك هروب دائم (أو تذبذب بين الاثنين) من الشكل إلى الديناميكية ، والعكس . هذا الهروب المستمر من الواحد منهما إلى الآخر هو دلالة على انفصالهما عن بعضهما . ولكن انفصال الواحد منهما عن الآخر يعنى القضاء عليهما معا نظرا لانهما متوافقان على بعضهما توافقا متبادلا . فانفصال الديناميكية عن الشكل يفضي إلى الخواء واليهولي ، أما انفصال الشكل عن الديناميكية فيفضي إلى التصلب والجمود . من هذا المنظور ينقد تلس سائر المذاهب الانسانية التي تصف الطبيعة الماهوية للانسان اما بلغة الديناميكية الخالصة أو بلغة الشكل المحض أو الصرف . لقد أشرنا إلى بعض هذه المذاهب في معرض حديثنا عن مذهب الكونكيوبسنس . فإذا نظر إلى الانسان على أنه يتمتع من الناحية الماهوية بلبيدو لا محدود او بارادة قوة لا محدودة ، يكون أساس هذه النظرة راجعا لا إلى الطبيعة الماهوية للانسان بل إلى حالة الاغتراب الوجودي . فعدم قدرة الانسان على الوصول إلى شكل يشبع الديناميكية المتعلقة بطبيعته بصورة نهائية هو دليل على اغتراب الانسان عن ذاته وعن الوحدة الماهوية للديناميكية والشكل . ونفس النقد يجب أن يطبق على تلك التفسيرات التي قدمت للطبيعة الانسانية والتي تحرم الانسان من وجوده الديناميكي عن طريق اختزال وجوده الاصيل إلى نسق من الاشكال المنطقية (أو الفكرية) ، والخلقية والجمالية يتحتم عليه مجاراته ... إن بعض المذاهب العقلية والمثالية للانسان تزيل ديناميكية تحقيق الانسان لذاته . فتستبدل الابتكار (أو الابداع) بالخضوع للقانون - وهذا يعد سمة للانسان في حالة الاغتراب .^(١) ان هذا النص يتضمن ، كما هو واضح ، نقدا تيليشيا جديدا لكل من اللبيدو الفرويدي وارادة القوة

1) Ibid., PP. 64- 65 .

عند نيتشه. فكليهما يرى أن الحالة الماهوية للإنسان هي حالة ديناميكية خالصة أعنى لبيدو لا متناهى أو إرادة قوة لا محدودة . غير أن تلش المؤمن يؤكد، ضد هذه النظرة، أن الطبيعة الماهوية أو الدينية للإنسان تشير إلى اتحاد الديناميكية والشكل. فالديناميكية الخالصة ليست صفة للطبيعة الماهوية ، بل تشير إلى انفصالها عن الشكل. وهذا لا ينطبق إلا على اغتراب الإنسان عن طبيعته الماهوية. كما يتضمن النص أيضا نقد تلش المؤمن لبعض المذاهب العقلية والمثالية التى تصف الطبيعة الماهوية بلغة الشكل الخالص ، والذي يؤكد من خلاله على أن الوصف الذى تقدمه تلك المذاهب هو وصف ينطبق على الحالة المغترية للإنسان ، لا على طبيعته الماهوية . وفى ضوء هذين النقيدين انتهى تلش المؤمن إلى أن " كلا المذهبين الانسانيين - الديناميكي والشكلي - يصفان الازمة الوجودية للإنسان . تلك هي حقيقتهما وحدود حقيقتهما . (١) .

أما " انفصال التفرد عن التشارك " فى ظل أوضاع الاغتراب الوجودي فقد جاء الثالث فى ترتيب بنىات التحطيم التى يناقشها تلش . وهو ، كعادته دوما ، يبدأ مناقشته لهذه البنية بالإشارة إلى طبيعتها الانطولوجية الماهوية أو الدينية ، والسبب فى ذلك يرجع ، كما ذكرنا فى الفصل السابق ، إلى أنه يرى أن فهم الطبيعة المغترية يفترض سلفا فهم الطبيعة غير المغترية أو الماهوية أو الدينية . والطابع الانطولوجي الماهوي لهذه البنية يتمثل فى تواقف قطبيها على بعضهما البعض تواقفا متبادلا فى سائر مستويات الوجود. هذا يعنى أن تلش يرى أن هذين القطبين يضربان بجذورهما فى كل شئ موجود ، وليس مقصوران على الإنسان فقط . ولكن على الصعيد الانساني يمكن القول ان الطبيعة الماهوية للإنسان تشير إلى وحدة التفرد والتشارك ، وإلى عدم تمزق هذه الوحدة القطبية الماهوية بينهما . أما فى ظل أوضاع الاغتراب الوجودي فيتم القضاء على التوازن القطبي بين هذين العنصرين نظرا لحتمية تمزقهما أو تحطيمهما .

هنا يصبح التفرد انغلاقا للذات على ذاتها ، ويصبح التشارك انغماسا في المجموع .
وعن الحالة الاولى يقول تلش : " في حالة الاغتراب الوجودي ينفلق الانسان على ذاته
وينقطع عن التشارك .^(١) والنتيجة المترتبة على هذا الانفلاق والانقطاع هي الشعور
بالوحدة . غير أن ذلك الشعور بالوحدة ليس بالامر الذي يطاق أو يستطيع الانسان
تحمله .^(٢) لهذا يضطر الانسان إلى محاولة التخلص منه أو قهره . وكل ما يستطيع
أن يفعله هو غمس " ذاته التي تشعر بالوحدة في المجموع .^(٣) غير أن الهروب من
الاحساس بالوحدة على هذا النحو هو ، مثله في ذلك مثل الشعور بالوحدة والانفلاق
والانقطاع ، هروب مدمر . هذا يعني أنه إذا كان انفصال التفرد عن التشارك يتسم
بالتدمير ، فإن انفصال التشارك عن التفرد لا يقل تدميرا . فالانفصال الاول يفضي إلى
الاحساس بالوحدة ، أما الانفصال الآخر فيقود إلى الانغماس في المجموع . وما ذلك
إلا لأن فقد أحد القطبين يعنى بالضرورة فقد الآخر ، نظرا لتواقفهما المتبادل على
بعضهما البعض . فالانسان لن يكون الواحد منهما ، إلا إذا كان الآخر . ومن ثم إذا
فقد أحد القطبين فسوف يفقد الآخر بالضرورة . ولهذا السبب يكون هناك ، في ظل
أوضاع الاغتراب الوجودي ، هروب دائم (أو تنذبذ بين الاثنين) من الواحد منهما إلى
الآخر . هذا الهروب هو دلالة على تمزق التوازن القطبي الماهوي بين التفرد والتشارك
في ظل أوضاع الاغتراب الوجودي . " هذا الموقف " ، هكذا يقول تلش ، " تم وصفه
من الناحية السيكولوجية والاجتماعية . ولقد أوضحت تلك الاوصاف بصورة مقنعة
تماما أن هناك تواقفا متبادلا بين الشعور بالوحدة والانغماس في المجموع .^(٤) هذا
الموقف يعده تلش موقفا مميزا لازمة الانسان في كل زمان ومكان ، وذلك لاعتقاده " أن
انفصال التفرد عن التشارك هو دلالة على الاغتراب العام " .^(٥) من هذا المنطلق ينقد

1) Ibid ., Loc ,cit.

2) Ibid., P. 72.

3) Ibid., Loc.cit .

4) Ibid., P. 65.

5) Ibid., P. 66.

تلش " المذاهب الانسانية التى تزعم انها تقدم وصفا للطبيعة الماهوية للانسان بينما هى فى حقيقة الامر لا تقدم إلا وصفا دقيقا لاغتراب الانسان .^(١) من بين هذه المذاهب يشير تلش إلى بما يطلق عليه اسم " نظريات المعرفة المثالية Idealistic epistemologies التى تختزل الانسان إلى ذات عارفة (ens cogitans) تدرك ، وتحلل ، وتتحكم فى الواقع .^(٢) هذه المذاهب ، هكذا يرى تلش ، تصر على " أن فعل المعرفة يخلو من أى تشارك عاطفى للذات فى شموليتها فى الموضوع فى شموليته أو كليته . ليس هناك ايروس فى الطريقة التى بها تدنو الذات من الموضوع والتى بها يسلم الموضوع نفسه للذات .^(٣) وهو يتفق مع هذه النظريات على أن فعل المعرفة الذى يخلو من الايروس ، من أى مشاركة عاطفية للذات فى الموضوع ، هو فعل ضرورى فى حدود معينة ، وذلك لان أى فعل معرفى يتطلب درجة ما من التجريد . غير أنه لايتفق مع هذه النظريات على أن هذا الفعل المعرفى هو الفعل الذى يجب أن يسود المدخل المعرفى فى كليته . لهذا راح يقرر ، ضد هذه النظريات ، ان مثل هذا الزعم هو علامة على اغتراب الانسان وذلك لانه يحرم او يجرد فعل المعرفة من أى تشارك عاطفى فى الموضوع القابل لان يعرف (أى موضوع المعرفة) الامر الذى يجعل الطريقة التى بها تدنو الذات من الموضوع طريقة مجردة تماما وتخلو من أى ايروس .^(٤) هذا بالاضافة إلى أنه طالما أن هذه النظريات تزعم أن هذا الفعل المعرفى المتجرد من الايروس هو الفعل الذى يجب أن يميز المدخل أو الاتجاه المعرفى ككل ، فان هذا يعنى ضمنا أن هذه المذاهب ترى أن الانسان نفسه يمكن أن يدرس بنفس هذا المدخل الامر الذى يعنى بالتالى انه قد اصبح " مجرد موضوع إلى جانب سائر الموضوعات الاخرى .^(٥) وعلى هذا النحو يكون الانسان ، كئى موضوع فيزيقى آخر ، على حد زعم هذه النظريات ، " موضوعا سهل العد أو الحصر .^(٦) ولكونه كذلك يمكن

1) Ibid., Loc. . cit.

2) Ibid., Loc. . cit.

3) Ibid., Loc. . cit.

4) Ibid., Loc. . cit.

5) Ibid., Loc. . cit.

6) Ibid., Loc. . cit.

دراسته بنفس هذا المدخل الذي لا يصلح إلا للكينونات غير الانسانية !! هذا الزعم يصدق فى رأى تلك النظريات على سائر التفسيرات التى قدمت للانسان أعنى "سواء فسر الانسان بطريقة سيكولوجية وكيميائية ، أو ... وصف بلغة الميكانيزمات السيكولوجية المستقلة . ففى كلتا الحالتين يكون هناك تموضعا نظريا مستخدما فى التعامل العملى مع البشر وكما لو كانوا مجرد موضوعات .^(١) غير أن تلش يعتبر هذه النظريات "مصادر رئيسية للشر .^(٢) وذلك لأنها تحول الانسان هكذا إلى مجرد موضوع ضمن الموضوعات الأخرى سهلة "العد" و "الحصر" وتزعم أن تلك هى طبيعة الانسان الماهوية ، غير دارية أنها تصف فى حقيقة الامر طبيعة الانسان المغترية . حقا ، لقد أكد تلش ، ضد هذه النظريات ، ان الانسان لا يصبح مجرد موضوع إلى جانب سائر الموضوعات الأخرى إلا فى حالة انفصال التفرد عن التشارك . هنا فقط قد يصدق القول ان الانسان هو مجرد موضوع . من هذا المنطلق راح تلش يوجه الانتباه إلى حقيقة مؤداها ان "خطر التشيؤ أو التموضع (صيرورة الانسان شيئا أو موضوعا) هو الخطر الذى تحدث عنه المجتمع الصناعى الغربى على نحو لم يسبق له مثيل . ولكن هناك أخطارا تحمل نفس الطابع فى سائر المجتمعات ، وذلك لان انفصال التفرد عن التشارك هو دلالة على الاغتراب العام . هذه الافكار تنتمى إلى بنىات التحطيم وتضرب بجذورها على صعيد الشر عبر سائر العصور التاريخية .. إن حالة الاغتراب وصفت من خلال التعامل النظرى والعملى مع الانسان كما لو كان مجرد موضوع . هذان النمطان من التعامل هما بنيتان تحطيميتان أعنى مصدران رئيسيان للشر .^(٣)

فى ضوء ما قدمه تلش من وصف لبنىات التحطيم ، نستطيع أن نقرر ان موقفه يتلخص فى الآتى : فى ظل أوضاع الاغتراب الوجودى ، يناقض الانسان البنية الانطولوجية الماهوية أو الدينية لوجوده ويحطمها . ففى ظل تلك الاوضاع ، يفقد

1) Ibid., Loc . cit.

2) Ibid., Loc . cit.

3) Ibid., Loc . cit.

الانسان ذاته ، ويفقد بالتالى عالمه . ففقد الواحد منهما يعنى بالضرورة فقد الآخر ، نظرا لانهما يتوافقان على بعضهما توافقا قطبيا متبادلا . هذا الفقد المتبادل للذات والعالم هو بنية التحطيم الرئيسية التى تفضى إلى فقد سائر بنى التحطيم الاخرى أعنى انفصال التفرد والتشارك ، وانفصال الديناميكية والشكل ، وانفصال الحرية والمصير ، وذلك لان هذه البنيات التحطيمية تشكل بنية التحطيم الرئيسية ذاتها . ومن ثم إذا فقد أى قطب من الاقطاب ، فان الامر المترتب على ذلك هو فقد القطبية التى ينتمى إليها ذلك القطب ، وكذا فقد البنية الانطولوجية الرئيسية للوجود بأكملها ، وتحطيم التوازن الماهوى بين هذه القطبيات ، وفقد الانسان لوجوده الماهوى الاصيل . والتناهى هو الذى يوقظ وعى الانسان بامكانية هذا الفقد . وهذا الوعى يحدث عندما يحول التناهى ذلك التوازن القطبى الماهوى إلى توتر . أما الاغتراب فهو الذى يحول هذه الامكانية إلى فقد فعلى . ففى ظل أوضاع الاغتراب الوجودى يفقد الانسان التوازن الذى يشكل حالته الماهوية ويفقد البنية الانطولوجية الماهوية أو الدينية والعناصر المكونة لها الامر الذى يجعلها تغدو بنية تحطيمية .

هذا الوصف الذى قدمه تلش للحالة المفترية للانسان والنتائج المترتبة عليها لم يتوقف عند هذا الحد . ففى أعقاب وصفه لبنيات التحطيم مباشرة ، شرع تلش فى توضيح كيف أن الحالة المفترية للانسان تحول ذلك القلق الماهوى أو المخلوق على اللاوجود ، الذى يميز الحالة الماهوية أو الدينية للانسان ، "إلى هلع من الموت" (١) وهو يمهد لذلك بقوله " عندما يغترب الانسان عن القوة المطلقة للوجود (إى الله) ، يستسلم لتناهيته، يستسلم لقدره الطبيعى . لقد جاء من العدم ، وهو يعود إلى العدم . انه يكون تحت سيطرة الموت ، ويكون منساقا بقلقه على "إلى الموت" (٢) غير أن هذا القلق يتسم فى رأى تلش بطابع مختلف عن ذلك الطابع المميز للحالة الماهوية التى

1) Ibid., P. 67.

2) Ibid., P.66

تحدثنا عنها في الفصل السابق . " ففي ظل أوضاع الاغتراب ، يتسم القلق بطابع مختلف ، والسبب في هذا الاختلاف يرجع إلى عنصر الذنب Guilt ، فالمرء يعي أنه المسئول عن فقدته لأبديته eternity الممكنة ، هذا على الرغم من العمومية المأساوية لهذا الفقد" .^(١) ولهذا السبب يتحول وعيه القلق على أن مآله إلى الموت إلى هلع مؤلم من الموت . " من هنا يمكن ربط القلق على الموت بالرغبة في التخلص من الذات . فالمرء يبتغي العدم كي يهرب من الموت كموت .. ان أوضاع الاغتراب تجعل من القلق على الموت شيئا أكثر من كونه مجرد القلق على العدم . فالقلق هنا يجعل الموت شرا ، بنية تحطيمية .^(٢) هذا يعنى ، بتعبير آخر ، أن أوضاع الاغتراب تحيل القلق الماهوى أو المخلوق للإنسان على الموت إلى رعب أو هلع من الموت ، فيصبح الموت فى حد ذاته شرا ، أو بنية تحطيمية ، أو عقابا للإنسان ، بدلا من كونه أمرا طبيعيا . هذا التحول للموت أو للتناهى الماهوى إلى شر وجودى لا يحدث إذن إلا فى ظل أوضاع الاغتراب الوجودى . هذا بالإضافة إلى أن هذا " التحول للتناهى الماهوى إلى شر وجودى هو ، كما يقول تلش ، " سمة عامة لحالة الاغتراب .^(٣) "

والامر لا يقتصر على القلق على الموت فحسب، بل يمتد أيضا إلى مقولات التناهى وذلك لان تلش يقرر " ان وظيفة مقولات التناهى تتغير (أو تتبدل) فى ظل أوضاع الوجود .^(٤) وهو يستهل إيضاحه لهذا التغير بقوله " إن وحدة الوجود واللوجود التى تضرب بجنورها فى سائر الموجودات المتناهية تتجلى من خلال مقولات التناهى . وهذه الوحدة هى السبب الذى يجعل المقولات تسبب نوعا من القلق .^(٥) هذا القلق المرتبط بالمقولات هو أيضا قلق ماهوى أو مخلوق أو مميز للحالة الماهوية أو الدينية للإنسان بمعنى ان الإنسان يعانى منه فى حالة وجوده الماهوى . ولكن الحالة

1) Ibid., P. 67.

2) Ibid., P. 68.

3) Ibid., Loc. cit.

4) Ibid., Loc. cit .

5) Ibid., Loc. cit

الماهوية تشير ، كما رأينا في الفصل السابق ، إلى أن هذا القلق يكون في حالة توازن مع الشجاعة . هذا التوازن ناجم عن وعى الانسان " بسيادة الوجود على اللاوجود: (١) والامر الذى يجعله يعى هذه السيادة هو عدم فقدانه " للقوة المطلقة للوجود " أو الله. (٢) أما في حالة الاغتراب فالموقف مختلف تماما . " ففي حالة الاغتراب يفقد الانسان علاقته بالقوة المطلقة للوجود. (٣) والامر المترتب على هذا الفقد هو سيادة الجوانب السلبية لمقولات التناهى على الجوانب الايجابية. هذه السيادة ليست في واقع الامر سوى سيادة اللاوجود على الوجود . في هذه الحالة ، تسيطر الجوانب السلبية للمقولات على وعى المرء " وتنتج رد فعل مزيج تجاهها - أعنى المقاومة واليأس " (٤) فالانسان سيحاول في البداية مقاومة اللاوجود المتضمن في المقولات ، والذى أصبح الآن مسيطرا أو سائدا . ولكن مقاومته ستفشل بالضرورة . فالانسان لن يستطيع مقاومته بمجهود ذاتى . ووعيه بعدم قدرته على المقاومة يفضى إلى اليأس . واليأس عند تلش ، وكما هو عند كيركيجورد ، هو " المرض حتى الموت " . انه " يعبر عن حالة لايمكن الفكك منها " (٥) والمخرج الوحيد الذى يقدمه تلش المؤمن هو المشاركة في الوجود الجديد .

ولكن ماهو التغير الذى يراه تلش يطرأ على مقولات التناهى في ظل أوضاع الاغتراب الوجودى ؟ إن الاجابة على ذلك متطابقة مع إيضاح تلش للجوانب السلبية لمقولات التناهى - الزمان ، المكان ، والعلية ، والجوهر - في كتابه " اللاهوت النسقى " .

لقد بدأ تلش بإيضاح الجوانب السلبية المتضمنة في مقولة الزمان . وعن هذا الجانب يقول تلش انه في ظل أوضاع الاغتراب الوجودى ، " يعى الانسان الزمان على أنه يخلو من الحاضر الابدى (أو الآن الابدى eternal now) المصاحب لحضور قوة

1) Ibid., Loc. cit.

2) Ibid., Loc. cit.

3) Ibid., Loc. cit.

4) Ibid., Loc. cit.

5) Ibid., P. 75 .

الوجود ذاته ، انه يعيه على انه مجرد تلاشى بدون حضور فعلى . انه يرى .. على انه قوة شيطانية تحطم ما ابدعته .^(١) هذا يعنى أن تلش يرى أن سيادة عنصر اللاوجود المتضمن فى مقولة الزمان هى أول ما يعيه الانسان فى ظل أوضاع الوجود المغترب . هذه الحالة تختلف بالطبع عن الحالة الماهوية . ففى هذه الحالة الاخيرة يكون هناك وعى دائم " بالحاضر أو الآن الابدى " الذى يصاحب وعيه بحضور قوة الوجود ذاته أو الله . أما فى ظل أوضاع الاغتراب الوجودى ، فيفقد الانسان علاقته بهذه القوة . وفى هذه الحالة يسيطر على الانسان الوعى بان الزمان هو عبارة عن محض تلاشى مستمر بدون حضور فعلى ، قوة شيطانية تحطم كل ما تخلقه أو تبدعه فى ظل أوضاع الاغتراب الوجودى . هذا الوعى بالعنصر السلبي لمقولة الزمان يكون مصحوبا قطعا برد فعل من جانب الانسان . فالمرء سيحاول أولا وقبل كل شئ مقاومة ذلك العنصر ، ولكن " محاولة الانسان مقاومة هذا العنصر هى محاولة لا جدوى منها . فالانسان يحاول قدر استطاعته أن يطيل المدة القصيرة من الزمان التى أعطيت له ، كما يحاول قدر المستطاع ملء اللحظة الحاضرة بالعديد من الاشياء المتناهية ، ويتصور استمرارية لحياته بعد انقضاء أجله وكذا لانهاية بدون أبدية . تلك هى بعض صور المقاومة الانسانية ضد التهديد المطلق للوجود المتضمن فى مقولة الزمان .^(٢) ولكن الفشل هو المصير الحتمى لهذه المقاومة فى شتى صورها . فانهيار هذه المقاومة هو أمر لا بد منه . وعندما يحدث ذلك الانهيار ، يترك الانسان نهبة لليأس . هذا المعنى متضمن فى نص تلش التالى الذى اقتبسنا بعض اجزائه فيما سبق ، والذى يقول : " هذه هى بعض صور المقاومة الانسانية ضد التهديد المطلق للوجود المتضمن فى مقولة الزمان . وانهيار هذه المقاومة فى شتى صورها يعد أحد العناصر فى بنية اليأس . فالوعى بالزمان فى حد ذاته لايسبب اليأس ، لكن اليأس ينتج عن انهيار

1) Ibid., PP. 68-69.

2) Ibid., P. 69.

المقاومة ضد الزمان. هذه المقاومة نفسها تنبثق عن الانتماء الماهوى للانسان إلى الأبدى، وعن الحرمان منه فى حالة الاغتراب ، عن رغبته فى تحويل اللحظات الزائلة من زمانه إلى حضور دائم . إن رفضه الوجودى تقبل تلاشيه يجعل من الزمان بنية تحطيمية شيطانية بالنسبة له.^(١)

هذا التحليل الذى قدمه تلش لمقولة الزمان مماثل تماما لتحليله للمقولة الثانية أعنى مقولة المكان . فعن هذه المقولة كتب تلش يقول : " عندما يعى الانسان أن المكان يفتقر إلى الهنا الأبدى eternal here باعتباره حضور قوة الوجود ذاته ، ينتابه الوعى بالطابع العارض للمكان ، بافتقاره إلى مكان ضرورى ينتمى إليه الانسان. هنا يعى الانسان المكان على أنه نتاج للهوى قوى الهية - شيطانية (على حد قول هرقلطس) تغفل أى علاقة باطنية بين الشخص وبين المكان الفيزيقي ، والاجتماعى ، والسيكولوجى الذى يرتبط به.^(٢) هذه الحالة تختلف أيضا عن الحالة الماهوية التى تشير إلى عدم فقد العلاقة بالقوة المطلقة للوجود ذاته ومن ثم إلى غياب الوعى بأن المكان يفتقر إلى الهنا الأبدى باعتباره حضور قوة الوجود ذاته . فحالة الاغتراب الوجودى تشير إلى وعى الانسان بأن المكان يفتقر إلى الهنا الأبدى . وهذا الوعى ناجم عن فقد الانسان لعلاقته الماهوية بالقوة المطلقة للوجود ذاته. هذا الوعى يشير إلى أن المكان هو مجرد مكان عارض ، يفتقر إلى طابع الضرورة ، ويصعب الانتماء إليه . ولكن الانسان يحاول مقاومة هذا الموقف . فهو يحاول بصورة مطلقة امتلاك مكان محدد. هذه الرغبة تضرب بجنورها فى كل شوق لامتلاك موطن محدد .. كما يحاول ايضا امتلاك أماكن عديدة قدر استطاعته ، وهو يفعل ذلك سواء من خلال امبريالية فعلية أو امبريالية متخيلة. ويستبدل بعد 'الهنا الأبدى' بـ 'الهنا العالمى universal here' ويحاول مقاومة

1) Ibid., Loc. cit.

2) Ibid., Loc. cit.

الشيوعية المكانية ، التي تتضمن تناهيه .^(١) ولكن من المحال أن يكتب لمثل هذه المحاولات النجاح . فالإنسان لن يحقق أبداً " النجاح " ، ويظل 'سائحا في الأرض' ، وفي نهاية المطاف 'لن يكون لمكانه أى علاقة به' .^(٢) هذا يعنى أنه من المحتم على الإنسان أن ينهزم وأن ينفمس فى اليأس المقترن بعدم الانتماء المطلق .^(٣)

ويمضى تلش فى إيضاح الجوانب السلبية لمقولاتى العلية والجوهر ، فى ظل أوضاع الاغتراب ، فيقول : " يمكننا تقديم ملاحظات مماثلة حول مقولات أخرى ، حول ، على سبيل المثال ، محاولة الإنسان أن يجعل من ذاته علة مطلقة وذلك كمقاومة من جانبه لتسلسل العلل الذى لاينتهى والذى يكون فيه مجرد علة إلى جانب علل أخرى ، وحول محاولته أن يجعل من ذاته جوهرًا مطلقًا وذلك كمحاولة من جانبه لمقاومة تلاشى الجوهر وتلاشى الاعراض معه .^(٤) هذه الملاحظات تتضمن رأى تلش الذى مؤداه أن عنصر اللاوجود المتضمن فى مقولة العلية ، والذى يعيه الإنسان فى ظل الاغتراب الوجودى ، هو العنصر الثالث الجدير بالمناقشة . هنا يجب أن نشير من جديد إلى أن الحالة التى يناقشها تلش هنا تختلف عن حالة الوجود الماهوى . فهذه الحالة الاخيرة تشير إلى عدم فقد العلاقة بالقوة المطلقة للوجود ذاته . ولهذا السبب لن يحاول الإنسان أن يجعل من ذاته علة مطلقة ، وسوف يتجاهل تواقفه العلى ، بل وسيقبل تواقفه العلى وعوارضه ، وسيحاول أن يعزو إلى ذاته فى الآن عينه نوعا من الضرورة والاعتماد على الذات .^(٥) أما حالة الاغتراب الوجودى فتشير إلى فقد العلاقة بالقوة المطلقة للوجود ذاته ، وهذا يؤدى إلى تغير الموقف فيصبح الجانب السلبي لمقولة العلية هو الجانب السائد الامر الذى يؤدى إلى الوعى المرضى باللاوجود المتضمن فى هذه المقولة . والإنسان سوف يحاول فى البداية مقاومة هذا الموقف . هذه المقاومة تتخذ

1) Ibid., Loc. cit.

2) Ibid., Loc. cit.

3) Ibid., Loc. cit.

4) Ibid., Loc. cit.

5) Ibid., Vol. 1, PP. 196- 197 .

صورة مقاومة التسلسل العلى الذى يجد الانسان فيه أن ذاته هي مجرد علة ضمن علل أخرى عديدة ، الامر الذى يجعله يحاول أن يجعل من ذاته علة مطلقة . غير أن هذه المحاولة سوف تفشل بالضرورة ، وذلك لان الإنسان " يقوم بها بدون حضور أساس سائر التواقف العلى .. فبدون قوة الوجود ذاته لن يستطيع الانسان مقاومة عنصر اللاوجود فى..... مقولة العلية ، وفشل مقاومته يعد عنصر آخر فى بنية اليأس " (١)

أما عنصر اللاوجود المتضمن فى مقولة الجوهر فهو العنصر الرابع الذى يعيه الانسان فى ظل أوضاع الاغتراب الوجودى. ولكى نوضح هذا العنصر، يجب أن نشير أولا إلى تلك الحالة الماهوية للانسان التى لا يفقد فيها علاقته بالقوة المطلقة للوجود ذاته ومن ثم لا يعى عنصر اللاوجود المتضمن فى هذه المقولة على أنه عنصر مرضى . فالقوة المطلقة للوجود ذاته التى يعيها الإنسان فى حالته الماهوية تساعد على أن يقاوم بشجاعة عنصر اللاوجود المتضمن فى هذه المقولة ، والذى يشير إلى الفقد الحتمى النهائى للجوهر وأعراضه من خلال الموت ، وأن يقبل تهديد اللاوجود المتضمن هنا ، وأن يؤكد ذاته رغما عنه. (٢) ولكن فى ظل أوضاع الاغتراب الوجودى يفقد الانسان علاقته بالقوة المطلقة للوجود ، ولهذا السبب يعى الإنسان سيادة الجانب السلبى لهذه المقولة . فتلاشى الجوهر والأعراض يصبح مسيطرا على وعى المرء . وسوف يحاول الانسان مقاومة هذا الموقف فيجعل من ذاته جوهرًا مطلقًا . غير أن هذه المحاولة سوف تفشل بالضرورة، لأنها محاولة " تفتقر إلى حضور أساس سائر .. التغيرات العرضية. فبدون قوة الوجود ذاته لن يتمكن الانسان من مقاومة عنصر اللاوجود فى كل من العلية والجوهر ، وفشله فى المقاومة يعد عنصر آخر فى بنية اليأس " (٣)

1) Ibid., Vol. 2, P. 70.

2) Ibid., Vol. 1, PP. 197- 198.

3) Ibid., Vol. 2, P. 70.

ويعمضى تلش فى تعقب نتائج الازمة الانسانية فيقول: "إن الصراع بين القطبيات الانتولوجية وكذا التحول الذى يطرأ على مقولات التناهى فى ظل أوضاع الوجود ينطويان على نتائج مدمرة بالنسبة لسائر أوجه أزمة الانسان . وسوف نناقش هنا مثالين بارزين لهذه النتائج - المعاناة والشعور بالوحدة . المثال الأول يخص المرء وحده ، والمثال الثانى يخص المرء فى علاقته بالآخرين " (١)

والمعاناة تعد فى رأى تلش " عنصرا من عناصر التناهى " (٢) ولكونها كذلك فهي ، مثلها فى ذلك مثل التناهى ، تضرب بجنورها فى الحالة الماهوية للانسان . هذا هو السبب الذى جعل تلش يقرر ان حالة الوجود الماهوى ، التى هى حالة براءة حاملة ، " لا تزيل المعاناة ، بل تحولها إلى بركة (او نعمة لا نقمة) blessedness " (٣) . أما فى ظل أوضاع الاغتراب الوجودى ، هكذا يقول تلش ، "فتنقطع هذه البركة عن الانسان وتسيطر عليه المعاناة على نحو مدمر . ومن ثم تصبح المعاناة بنية تحطيمية - شرا " (٤) فى ضوء ذلك استنتج تلش " أن التمييز بين المعاناة باعتبارها تعبيراً عن التناهى وباعتبارها نتيجة للاغتراب هو تمييز صحيح هذا على الرغم من الحقيقة التى مؤداها ان هذه النتيجة لا تتأكد مطلقاً على نحو عينى وذلك بسبب الغموض الذى تتصف به الحياة كحياة . غير أنه من الممكن الحديث عن نوع من المعاناة ذات معنى ، وذلك على النقيض ، على سبيل المثال ، من المعاناة التى لا معنى لها . فالمعاناة تكون ذات معنى كلما كانت تستدعى رعاية وشفاء أو معالجة الوجود الذى يهاجمه الالم . إنها تستطيع أن توضح حدود إمكانات الوجود الحى . وتوضحها لذلك من عدمه يتوقف على كل من الطابع الموضوعى للمعاناة والطريقة التى بها يأخذ الشخص الذى يعانى هذه المعاناة . هناك صور من المعاناة تحطم إمكانية فعل الذات كذات ، كما هو الحال فى التحطيم السيكوباتى ، وأوضاع التشيؤ الخارجية ، أو النقص الحاد فى المقاومة

1) Ibid., Loc. cit

2) Ibid., Loc. cit.

3) Ibid., Loc. cit

4) Ibid., Loc. cit

الجسدية. أن الوجود ملئ بحالات تبين أن المعاناة التي يقاسى منها المرء هي معاناة لامتني لها . هذه الحالات غير متضمنة في الوجود الماهوي . إنها تنجم عن التحول من الماهية إلى الوجود وعلى الصراعات التي تنجم عن التحقق الذاتي للموجود في ملاقاته مع موجودات أخرى . إنها متضمنة في الوجود .^(١) هذا يعنى أن تلش يرى أن الحالة الماهوية أو الدينية للانسان تنطوى أيضا على المعاناة . ولكن المعاناة تتحول في هذه الحالة إلى بركة فتصبح نعمة لا نقمة . والامر الذى يجعلها كذلك هو وحدة الانسان مع الله أو مع القوة المطلقة للوجود ذاته . أما فى الحالة المغترية فتصبح المعاناة مدمرة أو حالة مرضية تسوق إلى تحطيم الانسان أو بنية تحطيمية أو شرا . هذا التمييز بين الاثنين هو فى رأى تلش تمييز مشروع هذا على الرغم من أنه لا يتأكد أبدا على نحو عينى وذلك بسبب الغموض الذى تتسم به الحياة كحياة ، والذى يجعل من الصعب التمييز أو التفرقة بين هذين النوعين من المعاناة تفرقة عينية . غير أن تلش يقرب هذه التفرقة إلى الازهان عن طريق التفرقة ، على نحو مشابه ، بين نوعين من المعاناة إحداهما ذات معنى meaningful ، والأخرى لامتني لها meaningless . فالمعاناة التى لها معنى هي معاناة لها اسباب ودوافع مفهومة ومن ثم يمكن علاجها وشفائها . أما المعاناة التى لا معنى لها فهي معاناة مرضية مدمرة .

والسبب الرئيسى فى المعاناة التى لا معنى لها يرجع فى رأى تلش إلى شعور الفرد بالوحدة . ولقد أوضح تلش هذا السبب على النحو التالى : " إن أحد أسباب المعاناة التى لا معنى لها - وهو حقا السبب الوحيد - يرجع إلى شعور الفرد بالوحدة، وإلى رغبته فى قهرها عن طريق الاتحاد مع الموجودات الأخرى ، وإلى العداء الذى ينجم عن معارضة الآخرين لرغبته هذه ."^(٢) هذا الايضاح لن يكتمل إلا من خلال التمييز الذى يقدمه تلش بين " البنية الماهوية والبنية الوجودية للمعاناة . فكل موجود

1) Ibid., P. 71.

2) Ibid., Loc. cit.

يكون متمركزا متمركزا بنيويا ، ولكن الانسان هو الموجود الوحيد الذى يتمتع بذات متمركزة تماما . وهذا التمرکز يقطعه عن سائر الوقائع التى لا تتطابق مع ذاته . فهو يكون متوحدا فى عالمه وكلما زاد إحساسه بذلك ، كلما زاد وعيه بذاته كذات . ومن الناحية الاخرى ، نجد أن متمركزه الذاتى يساعده على المشاركة فى عالمه بلا حدود ، والحب ، باعتباره القوة الديناميكية للحياة ، يسوقه إلى هذا التشارك . وفى حالة الوجود الماهوى يحد التناهى من التشارك ، غير أن التشارك لا يقابل بالصد أو الاعتراض . فبنية التناهى فى حد ذاتها تتمتع بالخير ، ولكنها تصبح فى ظل أوضاع الاغتراب بنية تحطيمية . والتناهى الماهوى يجعل التوحد دلالة على التمرکز الذاتى الكامل للانسان ويمكن أن يطلق عليه اسم السولتيود solitude .^(١) هذا السولتيود هو الشرط الاساسى لعلاقة الانسان بالموجود الآخر . فالذى يتمتع بالسولتيود هو وحده القادر على التمتع بالكميونين . وذلك لان الانسان لا يعنى بعد المطلق the ultimate (أو الله) إلا من خلال السولتيود ، باعتباره الاساس السليم للكميونين بين سائر المتوحدين . أما فى حالة الاغتراب الوجودى فينقطع الانسان عن بعد المطلق ويترك وحيدا - أعنى يحس إحساسا مطبقا بالوحدة . هذا الاحساس بالوحدة هو إحساس لا يطاق . ومن ثم يسوق الانسان إلى نوع من التشارك يخضع فيه ذاته التى تشعر بالوحدة 'للمجموع' . ولكن عندما يخضع الفرد ذاته للمجموع على هذا النحو لا يتم قبوله بواسطة فرد آخر بل بواسطة ذلك الذى اخضع له سائر الأفراد إمكانية السولتيود ، اعنى ، روح المجموع . ولهذا يواصل الفرد السعى طلبا للموجود الآخر غير أنه يقابل بالصد ، الكلى أو الجزئى ، وذلك لان الفرد الآخر هو أيضا فرد يشعر بالوحدة ، وغير قادر على التمتع بالكميونين لأنه عاجز عن التمتع بالسولتيود . هذا الصد يعد سببا لكثير من العداء ليس

(١) ان السولتيود عند تلس يشير إلى التوحد الكامل للذات أو إلى متمركزها الذاتى الكامل أو الماهوى الذى يجعلها متفردة عن سائر ما عداها . هذا السولتيود الدينى هو الشرط المسبق للكميونين أو للتشارك الماهوى أو البينى .

تجاه أولئك الذين يعارضون المرء فحسب بل أيضا تجاه ذات المرء نفسها . بهذا يكون الاغتراب الوجودي قد شوه البنية الماهوية للسولتيود والكميونين إلى مصدر للمعاناة اللامتناهية . إن تحطيم الآخرين وتحطيم المرء لذاته يتوافقان على بعضهما في جدلية الشعور بالوحدة .^(١)

إذا كان تلش قد أوضح هكذا أن التناهي يشتمل على المعاناة، فهو قد أوضح أيضا أن التناهي (أو الحالة الماهوية) يشتمل على الشك . هذا الشك يعن للانسان في حالته الماهوية ، وهذا هو السبب الذي جعل تلش يقول : " إن الدليل على تقبل الانسان لتناهيه يكمن في تقبله للحقيقة التي مؤداها أن الشك ينتمى إلى وجوده الماهوي . حتى البراعة الحالة متضمن الشك . هذا هو السبب الذي جعل الحية تتمكن من إثارة الشك في الانسان (آدم) كما جاء في قصة الفريوس في سفر التكوين .^(٢) غير أن هذا الشك لايتطرق إلى الانسان في حالته الماهوية إلا بسبب التناهي ، وما ذلك إلا لان الوعي بالتناهي يجعل الانسان يعي نفس الوقت أنه حرم من الكل the whole الذي هو أساس اليقين والصدق ، ومن ثم يتطرق إليه الشك .^(٣) هذا الشك لايتطرق إلى الانسان في حالته الماهوية فحسب ، بل يعن له أيضا في ظل أوضاع الاغتراب الوجودي، ولهذا " يتبدى من خلال الشك المنهجي العلمي .^(٤) وهو يتبدى أيضا من خلال " عدم أمان المرء على ذاته .^(٥) والامر الذي يؤكد ذلك هو وعي المرء أن اختياراته الشخصية هي اختيارات عارضة وتفتقر إلى الضرورة ، وأن مشاعره ليست سوى مشاعر غير محددة أو فائقة ، وأن كل قرار من قراراته هو مخاطرة أو مجازفة ، وأن كينونته في شموليتها هي كينونة عارضة .^(٦) هذا بالإضافة إلى أن هذا الشك يتبدى من خلال " عدم ثقة المرء في .. عالمه .^(٧) هذا النوع من

1) Ibid., PP.71- 72.

2) Ibid.,P. 72

3) Ibid., Loc. cit.

4) Ibid., Loc. cit.

5) Ibid., Loc. cit.

6) Ibid., PP. 72-73.

7) Ibid., P. 72.

الشك أو عدم اليقين يرجع إلى عدم أمان المرء على ذاته . فكلما زاد عدم أمان المرء على ذاته زادت عدم ثقته في عالمه . وفي النهاية يشير تلش إلى أن هذا الشك يتبدى من خلال عدم تيقن المرء من وجود معنى مطلق لذاته وعالمه .^(١) وفي ضوء ما سبق يستنتج تلش : " أن كل هذه الاشكال من عدم الامان وعدم اليقين تنتمي إلى التناهي الماهوى .. ولكن على الرغم من أن حالة الامكان الصرف (اى الحالة الماهوية) تنسم بعدم اليقين وعدم الامان ، إلا أن الانسان يتقبل في هذه الحالة عدم يقينه وعدم أمانه وذلك من خلال قوة بعد الابدئ (اى الله) . ففي هذا البعد يكمن الامان المطلق واليقين المطلق الذى لايزيل عدم الامان وعدم اليقين الثانويين المتعلقين بالتناهي (يدخل فى ذلك القلق الناجم عن الوعي بهما) ، بل يأخذهما بالاحرى على عاتقه بفضل شجاعة تقبل المرء لتناهيته".^(٢) ولكن إذا كان تلش قد وجد هذا الشك مميّزا للحالة الماهوية للانسان ، فقد وجدته أيضا ، وكما أشرنا فيما سبق ، مميّزا لحالته المغترية ، لقد أعطى " ، كما يقول تلش نفسه ، " للانسان حتى فى حالة الاغتراب ."^(٣) والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو: هل هناك شمة اختلاف بين الحالتين ، أم أنهما متشابهتان تماما ؟ إن إجابة تلش على هذا السؤال هى أن هناك اختلافا جوهريا بين الحالتين . "ففى حالة الاغتراب ينغلق بعد المطلق ، ومن ثم يتغير الموقف . فيصبح عدم الامان أمرا مطلقا ويسوق إلى اليأس من إمكانية الوجود على الاطلاق . ويصبح الشك شكامطلقا ويسوق إلى الرفض اليأس لتقبل أى حقيقة متناهية . وكلاهما معا يسوقان إلى الوعي بأن بنية التناهي قد اصبحت بنية تحطيم وجودى ."^(٤) وسوف يحاول الانسان الهروب من اليأس الذى خلفه هذا الموقف بطرق عديدة . من بين هذه الطرق يذكر تلش محاولة الانسان أن يقذف بنفسه إلى حيث " عدم الاستقرار ، والخواء ، والكليية ، وتجربة اللامعنى ."^(٥) ويشير أيضا إلى ذلك الشعور باللامبالاة الذى ينتاب المرء تجاه أى

1) Ibid., PP. 72-73.

2) Ibid., P. 73.

3) Ibid., P. 72.

4) Ibid., P. 73 .

5) Ibid., Loc. cit.

قضية ذات معنى حقيقى ، والذي يصطنعه كدفاع هش ضد اليأس ^(١) ولكن سائر محاولات الإنسان للهروب من اليأس سوف تفشل بالضرورة . فالإنسان لن يستطيع الهروب من اليأس وذلك لان حالة الاغتراب تجعله يعى أن شكه وعدم امانه الماهويين قد اصبحا بنية تحطيمية وجودية .

والآن ، إذا جاز لنا أن نلخص كل ما جاء فى هذا الفصل حتى الآن فى كلمات بسيطة فنحن لن نجد افضل من هذه الكلمات : إن تلش المؤمن يرى أن حالة الاغتراب تؤثر على أزمة الانسان فى شتى الاتجاهات أعنى أنها تؤثر على كل أوجه الوجود الانسانى بما فى ذلك الوجه المعرفى أو العقلى . هذا الوجه الاخير يتبدى من خلال الشك المدمر الذى يعن للانسان فى ظل أوضاع الاغتراب الوجودى ، والذي يسوقه إلى الرفض اليأس لتقبل أى حقيقة متناهية .

واليأس عند تلش هو ، كما أشرنا ، " نهاية مطاف أزمة الانسان ، إنه الحد الفاصل الذى لايمكن للانسان أن يتخطاه . فمن خلال اليأس ، لا الموت ، يصل الانسان إلى نهاية امكاناته . وكلمة يأس الانجليزية despair نفسها تعنى 'بلا أمل' وتعبر عن الاحساس بموقف لا مخرج منه .. والكلمة الالمانية المرادفة لها Verzweiflung تربط اليأس بالشك (zweifel) والمقطع ver- - يشير إلى شك لاحق له ^(٢) فالإأس يعنى إذن انه " ليس هناك مهرب . إنه المرض حتى الموت ^(٣) هنا يقر تلش " أن أفضل وصف موثر للإأس هو الذى قدمه كيركيجورد فى كتابه 'المرض حتى الموت' الذى أوضح فيه أن الموت يعنى عدم القدرة على الشفاء ^(٤) أما تلش نفسه فقد وصف حالة اليأس بقوله " إن اليأس هو حالة صراع لايمكن تجنبه . إنه الصراع بين ... ما يجب أن يكون عليه المرء من ناحية ، وبين ماهو عليه بالفعل

1) Ibid., PP. 73-74.

2) Ibid., P. 75.

3) Tillich, P., 'You Are Accepted', The Shaking of the Foundations, P. 161.

4) Tillich, P., Systematic Theology , Vol. 2, P. 75 .

من ناحية أخرى ... إن ألم اليأس يعنى كرب المرء لكونه مسئولاً عن فقدته لمعنى وجوده
ولكونه عاجزاً عن استرداده. حينئذ ينطلق المرء على ذاته وعلى صراعاته مع ذاته . وهو
لايستطيع أن يهرب من ذلك ، لان المرء لن يستطيع أن يهرب من ذاته ^(١). هنا يتحتم
على المرء أن يختار بين أمرين : اما أن يطلب " وجوداً جديداً " يستطيع من خلاله
التغلب على السلبيات المتضمنة فى أزمتة الانسانية ، أو يظل مريضاً حتى الموت . ولكن
هل يستطيع الانسان حقاً أن يقهر اغترابه عن طريق طلبه "لوجود جديد" ؟ إن اجابة
تلش على هذا السؤال تشكل مضمون الفصل التالى .

بهذه الكلمات نكون قد وصلنا إلى نهاية الجزء الاول من هذا الفصل ، والسؤال
الذى يطرح نفسه الآن هو : هل هذا الوصف الذى قدمه تلش المؤمن للاغتراب أو
للأزمة الانسانية بسائر ابعادها ينطبق حقاً على الحالة الفعلية للانسان ؟ هل صحيح
أن هناك علاقة ضرورية بين عدم الايمان ، والهيوبرس ، والكونكيويسنس ؟ وهل
صحيح أن هناك علاقة ضرورية بين هذه الدلالات وبين بنية التحطيم بعناصرها المكونة
لها التى اوضحها تلش فيما سبق ؟ وهل صحيح أن أوضاع الوجود المغترب تؤثر على
التناهى ومقولاته وعلى القلق المرتبط به على النحو الذى صورته تلش فيما سبق؟ وهل
صحيح أن الازمة الانسانية تسوق حتماً إلى اليأس؟ نحن نرى أن الاجابة على هذه
التساؤلات لايمكن أن تكون إلا بالنفى. فالاعتقاد بوجود علاقة ضرورية بين عدم
الايمان، والهيوبرس، والكونكيويسنس، هو فى رأينا اعتقاد خاطئ. فعدم الايمان
لايسوق بالضرورة إلى الهيوبرس، أو إلى الكونكيويسنس. حقاً، أليس القول بوجود
علاقة ضرورية بين هذه الدلالات يساوى القول بأن سائر الملحدين فى هذا العالم
يتمتعون فى نفس الوقت بحالة الهيوبرس ، والكونكيويسنس ؟ أليس القول بوجود
علاقة ضرورية بين هذه الدلالات يساوى ، بتعبير آخر ، القول بأن سائر الملحدين أو

1) Ibid., Loc.cit.

غير المؤمنين فى هذا العالم لا يقرون تناهيهم الفعلى من ناحية ، وتسيطر عليهم الرغبة اللامحدودة فى السمو الذاتى المدمر من ناحية اخرى؟ وأليس فى هذا مجافاة للحالة الفعلية للملحدين ؟ نحن نرى أن الاجابة على هذا السؤال الاخير هى قطعاً بالايجاب . فمن المؤكد أن الكثير من الملحدين يقرون تناهيهم الفعلى ، ومما لاشك فيه أن الكثيرين منهم لا يكشفون عن سمو ذاتى مدمر . ونحن نرى أيضاً أنه ليست هناك علاقة ضرورية بين حدوث واحدة أو أكثر من تلك الدلالات وبين تحطيم البنية الماهوية للانسان. فعدم الايمان ، على سبيل المثال ، مثله فى ذلك مثل حدوث أى دلالة اخرى ، قد لايفضى بالضرورة إلى تحطيم البنية الرئيسية (بنية الذات - العالم) والعناصر المكونة لها (بنىات التفرد - التشارك ، والديناميكية - الشكل ، والحرية - المصير) .
حقاً ، إنه لمن ضرور العبث أن نزع أن الملحد أو غير المؤمن ، على سبيل المثال ، يفقد ذاته ويفقد عالمه ، ويفقد حريته ويفقد ديناميكيته ويفقد تفردَه وهلم جرا . والقول مع تلس ان هذه الاشياء تحدث مجتمعة يعد دليلاً على الاجحاف . فمما لاشك فيه أن تلس المؤمن قد أقام فى الظاهر علاقة ضرورية بين هذه الاشياء حتى يجعلها تحدث مجتمعة وذلك تحت تأثير التفسير المسيحى للارزمة الانسانية أو انطلاقاً من نصفه الايمانى .
غير أن هذه العلاقة هى فى رأينا علاقة مجافية لحقيقة الموقف الانسانى . ولقد أكد شاخت رأينا هذا عندما كتب يقول : " إن حدوث أى واحدة من هذه الدلالات (اللايمان ، والهيوبرس ، والكونكيويسنس) لا يحتاج إلى أن يكون مصحوباً بالدالتين الاخرتين . فعدم الايمان متساوق تماماً مع اقرار المرء لتناهيهِ ، ولا يحتاج إلى أن يكون مصحوباً بالكونكيويسنس ... وطالما أن تلس عرّف الكونكيويسنس بأنها 'رغبة' ... وطالما أنه يفهم الهيوبرس بلغة فشل المرء فى إقرار تناهيه ، فإن هذا يعنى أن أى ظاهرة من هاتين الظاهرتين يمكن أن تحدث مستقلة عن الاخرى . والمشكلة تصبح أكثر حدة هذا إذا تذكرنا ان تلس يقترح على نحو علنى أن الاغتراب يفهم بلغة فقد المرء 'لحريته الماهوية' وبلغة فقدَه 'خيرَه الماهوى' . فمن الواضح تماماً ان هذين

الضربين من الفقد لا يرتبطان ببعضهما البعض من ناحية، ولا يمكن اختزالهما في فقد واحد من ناحية أخرى . هذا بالإضافة إلى أن هذين النوعين من الفقد لا يرتبطان بعدم الايمان أو الهيوبرس أو الكونكيوبسنس كما أنه لا يمكن اختزالهما في واحد منهما . إن تلش لا يقدم هذه الظواهر باعتبارها تشكل أنواعا مختلفة ومتمايزة من الاغتراب ، بل يراها بالاحرى على أنها تشكل أو تؤلف نفس حالة الاغتراب . والنتيجة المترتبة على ذلك هى أن استخدام مصطلح الاغتراب لن يكون استخداما صائبا إلا فى حالة حدوث هذه الاشياء مجتمعة وفى وقت واحد . إن تلش يعتقد أن ذلك يحدث يوما ، ولهذا لا يضع فى اعتباره المشكلة التى تنهض فى حالة - وهذا يبدو ممكنا فى حقيقة الامر - عدم حدوثها مجتمعة .^(١) نفس الامر ينطبق فى رأينا على النتائج التى يجدها تلش مترتبة على الازمة الانسانية أعنى سيطرة الجوانب السلبية لمقولات التناهى على وعى المرء ، وكذا تحول القلق على اللاوجود إلى هلع من الموت ، ووقوع المرء فريسة لليأس . فمما لاشك فيه أنه لا توجد علاقة ضرورية بين هذه النتائج وبين دلائل الحالة المغترية . فالوقائع الامبريقية تؤكد أن الملحد ، على سبيل المثال ، لا يتعرض بالضرورة لهذه النتائج . والقول بضرورة تعرضه لها هو فى رأينا قول لا يتطابق بحال من الاحوال مع حقيقة الموقف الانسانى . إن تلش ينقل هنا التفسير المسيحى للموقف الانسانى . غير أن الامر المؤكد هو أن هذا التفسير لا يتطابق مع الموقف الانسانى عامة . ولقد أكد تلش نفسه هذه الحقيقة من خلال النص التالى الذى يستخدم فيه طريقته الاسقاطية . يقول تلش : " دعنا نتأمل فى مضامين المشاركة فى الوجود الانسانى . نحن نتحدث مثلا عن القلق على الوجود المتناهى ، على خضوع المرء للقدر والمصير وعلى أن مآله إلى الموت .. ولكن إذا افترضنا أن ذلك هو سمة للوجود الانسانى كله ، فقد يحتج على ذلك أحد المتحدثين باسم الشعب الهندى بقوله ' إن ذلك الافتراض لا يصدق على الهند وذلك لأن هذا النوع من القلق على الموت المنتشر فى العالم الغربى لا ينتشر فى الهند ' . وإذا

1) Schacht, R., Alienation, P. 211.

تحدثنا عن شعورنا 'بالذنب' وافترضنا أن هذا الشعور هو سمة عامة للوجود الانساني كله، فمن المحتمل أن يعترض على ذلك الافتراض علماء النفس المعاصرين الذين يقولون 'أن كل شعور بالذنب ينتج عن العصاب الذي يحدث منذ بداية حياتنا بسبب علة ما شخصية أو اجتماعية ويمكن التخلص منه . ومن ثم فهو ليس سمة للطبيعة الانسانية عامة.' أو افترض ، في المقام الثالث ، أننا تحدثنا ، في ضوء الموقف العالمى الحالى ، عن الوجود المأساوى للانسان فسوف نجد ، في اللحظة التى نقرر فيها ان ذلك الوجود المأساوى هو سمة للموقف الانسانى عامة ، من يؤكد أن هذا الموقف يرجع إلى ظروف خاصة غير محبة يمكن التخلص منها على مدار التاريخ. إن النقاد قد يتحدثون ضدنا ويقررون ان ما نقوله عن الوجود الانسانى لا يتصف بالعمومية، بل يتوقف على الفترة الزمانية والمكانية التى يعيش فيها الانسان . إن النقاد يصرون على أنه لا يمكن تقديم إجابة عامة فى ضوء البنيات المتنوعة التى يعيش فيها الناس ، ومن ثم لانستطيع أن نتحدث عن طبيعة انسانية عامة أو عن مصير انسانى عام . هناك شئ واحد يتصف بالعمومية ، هكذا يقولون ، وهذا الشئ هو الحقيقة التى مؤداها ان الانسان يتغير باستمرار ، وانه يكون يوماً عرضة لتغيرات تاريخية لامتناهية ، وان الانسان يستطيع بل ويتحتم عليه أن يصنع نفسه . ولكن إذا أخذنا هذه الدعاوى بعين الاعتبار ، فما هو نوع البشارة التى نبلغها للناس ؟ وإذا كان صحيحا أن بشارة العهد الجديد والبشارة الكنسية تفترض سلفاً نوعاً خاصاً من البشر ، طبيعة خاصة ووجوداً انسانياً خاصاً ، فما هى بشارتنا ؟^(١) ايا كانت اجابة تلش على هذا السؤال ، هذا النص يوضح تماماً أن التفسير المسيحى للطبيعة الانسانية هو تفسير غير مقبول عند الكثيرين وهذا يعنى أن هذا التفسير لا يتسم بالعمومية ، حيث إن الرؤية المسيحية للقلق والوجود المأساوى والذنب هى ، كما يوضح النص ، رؤية تخص طائفة معينة من

1) Tillich . P., 'Communicating the Christian Message : a Question to Christian Ministers and Teachers', Theology of Culture, PP. 202-203.

البشر ، وتنطبق على طبيعة خاصة ووجود إنساني خاص ، ولا تتمتع بالعمومية بمعنى انها لا تحظى بالقبول العام . والظاهر أن تلش نفسه قد أراد هنا أن ينقد هذه الرؤية ، غير أنه لم يستطع أن يفعل ذلك بطريقة مباشرة ، ولهذا لجأ إلى إسقاط هذا النقد على الآخرين .

هذا بالاضافة إلى أن تلش نفسه قد أكد - وهذا ما لم ينتبه له شاخت على الاطلاق - في كتابه " اللاهوت النسقي " وبصورة علنية تماما ان الاوصاف التي قدمها للالزمة الانسانية هي أيضا ، مثلها في ذلك مثل الاوصاف التي قدمها للطبيعة الماهوية أو الدينية ، أوصاف متجردة عن الواقع بمعنى انها غير متحققة في الواقع العيني . ولقد عبر تلش عن ذلك بكل وضوح عندما كتب ، في نهاية الجزء الثاني من " لاهوته النسقي " الذي خصصه لوصف سائر أبعاد الالزمة الانسانية أو الاغتراب الوجودي ، يقول : "إن كل ما جاء في هذا المجلد يظل متجردا عن الواقع Everything so far remains abstract" (١) هذه العبارة تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن تلش قانع تماما أن سائر الاوصاف التي قدمها في هذا المجلد للالزمة الانسانية هي أوصاف لا تمت إلى الواقع بصلة . هذا الموقف أكدته تلش مرارا في معرض مناقشته لتلك الاوصاف . ففي معرض مناقشته لتحطيم الذات - العالم ، علي سبيل المثال ، هكذا يجب أن نتذكر ، أكد تلش على أن وصفه لذلك التحطيم لا ينطبق إلا على الحالات المتطرفة فقط . " ففي الحالات المتطرفة " ، هكذا يقول هو ، "يشعر المرء باللاواقعية الكاملة لعالمه ، ولا يتبقى سوى وعيه بذاته الخاوية . هذه التجارب هي تجارب متطرفة" (٢) إنها متطرفة وذلك لأنها لا تنطبق على الموقف الانساني عامة ، بل تنطبق فقط على الحالات القصوى أو غير السوية ، إن صح التعبير . هذا الموقف أكدته تلش أيضا في معرض وصفه لتحطيم الحرية - المصير ، وذلك عندما قرر " أن هذا الوصف هو

1)Tillich, P., Systematic Theology , Vol . 2, P. 180.

2) Ibid., PP. 61-62 .

قطعا وصف لحالة متطرفة

(١) "This certainly is the description of an extreme situation .

فى ضوء ذلك لا نملك إلا أن نتساءل من جديد : إذا كان تلش قد جعل الطبيعة المغترية أو الازمة الانسانية متجردة هكذا عن الواقع ، وإذا كان قد جعل الطبيعة الماهوية ، كما رأينا فى الفصل السابق ، متجردة أيضا عن الواقع ، فما الوصف الذى يراه ملائما للحالة الفعلية للانسان ؟ إن الاجابة على هذا السؤال تشكل مضمون أو محتوى هذا الجزء من هذا الفصل .

نحن نرى أنه إذا كان هناك ثمة وصف يراه تلش مطابقا للحالة الفعلية للانسان فلن يكون سوى النصف ، والنصف ، النقيض ، والنقيض ، الايمان ، والالحاد . هذا الموقف يراه تلش يضرب بجنوره فى صميم حياة الانسان نفسها ، وذلك لان "حياة الانسان" بالنسبة له ، "ليست ... سوى 'خليطا' من عناصر ماهوية وعناصر وجودية ."(٢)

"Life".....(is) a'mixture' of essential and existential elements.

هذه العناصر يردها تلش ، وكما سنكتشف بالتفصيل فى الفصل الخامس ، إلى عنصرين رئيسيين هما تناقض الايمان - الالحاد . غير أننا نستطيع أن نوضح هذه النقطة هنا بشئ من الايجاز بواسطة إجابة تلش ، التى جاءت فى مقدمة هذه الدراسة ، على التساؤل المتعلق بما إذا كان لاهوتى وجودى . هنا يجب أن نتذكر أن إجابته كانت على النحو التالى : إنه النصف ، والنصف . فالماهوية الخالصة أو التدين الخالص هو أمر مستحيل بالنسبة له ، كما أن الوجودية الخالصة أو الملحدة هى أيضا مستحيلة بالنسبة له . هذا يعنى أن تلش رد موقفه الوجودى المتعلق بحياته كلها ، كما سنرى تفصيلا فى الفصل الخامس ، إلى تناقض الماهوية الخالصة - الوجودية الخالصة أو

1) Ibid., P. 63.

2) Ibid., Vol. 3, p. 12.

إلى تناقض الايمان - الالحاد ، ويتنفس الطريقة رد حياة كل موجود إنسانى آخر إلى نفس هذا التناقض بمعنى انه وجد هذا التناقض ضاريا بجنوره فى حياة الانسان باعتباره الموقف المميز لحالته الفعلية . ونحن نستطيع البرهنة على ذلك فى هذا الجزء من هذا الفصل من خلال اكتشافنا لتقييم تلش الخفى لحقيقة الموقف فى أمريكا . أما البرهنة الكاملة على هذه الحقيقة فسوف تتكشف فى الفصل الخامس .

يقول تلش : " هناك فهم جديد للطبيعة الانسانية دخل أمريكا بواسطة تحالف التحليل اللاهوتى ، وعلم النفس ، والادب والفن الوجوديين . ففى نضالهم ضد يوتوبيا التقدم انضم ' الاوربيون ' الذين جاءوا إلى هذا البلد إلى ، وكذا أزروا ، القوى المعادية لليوتوبيا التى كانت حاضرة بصورة خفية عند جماعات وشخصيات أمريكية أصيلة - نذكر هنا ، على سبيل المثال ، رينولد نيبير. " (١).

(A) new understanding of human nature .. was introduced into America by the alliance of theological analysis , psychology, and existentialist literature and art . In the fight against the utopia of progress the Europeans who had come to this country joined and strengthened the anti-utopian forces which were latently present in genuine American groups and personalities- as for example, Reinhold Niebuhr .

فى هذا النص يلمح تلش من جديد إلى نفس التحالف الذى كشفنا عنه النقاب فى الفصل الاول ، والذى يضم الوجودية ، والتحليل النفسى ، والبوهيمية ، والمذهب الطبيعى الرومانتيكى ، والبراجماتية ، ومدرسة لاهوت الازمة ، والذى يقر ، كما رأينا ، موقف النصف ، والنصف ، وبالتالي الشجاعة الدينية ، والشجاعة الالحادية من أجل

1) Tillich, P., 'The Conquest of Intellectual Provincialism : Europe and America', Theology of Culture, P. 175.

الوجود كذات . غير أن تلش قصر هذا التحالف هنا - أى فى النص - على ما يطلق عليه اسم " التحليل اللاهوتى " ، وعلم النفس ، والوجودية . والذى يقصده "بالتحليل اللاهوتى" هنا هو " مدرسة لاهوت الازمة " والدليل على ذلك هو أن تلش ذكر فى نفس هذا السياق أبرز ممثلى هذه المدرسة فى نظره أعنى كارل بارث، ورودلف بولطمان .^(١) هذا بالإضافة إلى أن هذين الاثنين يدخلان فى نفس التحالف الذى يقول عنه تلش فى نصه السابق انه أدخل فهما جديدا للطبيعة الانسانية إلى أمريكا . هذا الفهم الجديد للطبيعة الانسانية الذى أدخله هذا التحالف هو إذن - نظرا لان هذا التحالف يقر موقف النصف ، والنصف - موقف النصف ، والنصف ، أو إقرار الشجاعة الدينية ، وإقرار الشجاعة الالحادية من أجل الوجود كذات معا وفى نفس الوقت . لقد طرد هذا التحالف - والطرد هنا متمثل فى تلش، على سبيل المثال - من أوروبا ، كما ينوه النص ، بسبب إقراره لهذه الشجاعة الالحادية ، وذهب إلى أمريكا وانضم هناك ، كما ينوه النص بخفاء شديد ، إلى كثير من الشخصيات الامريكية التى كانت تقرر العنصر الالهادى بطريقة خفية ومن ثم تعادى بطريقة خفية الحل الدينى اليوتوبى للاغتراب . هنا نستطيع أن نشير إلى البراجماتيين الأصلاء الذين اكثروا ، كما رأينا ، نفس موقف هؤلاء الاوربيين اعنى موقف النصف ، والنصف . لقد أكد هؤلاء الامريكيون الأصلاء ، هكذا يريد أن يقول تلش ، الشجاعة الدينية من أجل الوجود كجزء من التراث الدينى بصورة علنية ، واكثروا فى نفس الوقت وبطريقة خفية الشجاعة الالحادية من أجل الوجود كذات ، والسبب فى هذا التأكيد الخفى يرجع ، كما يقول تلش هنا ، إلى أن هذا النوع الاخير من الشجاعة غير متساوق مع " تراث الشجاعة الاصيل فى امريكا " .^(٢) انه ، بتعبير أوضح ، غير متساوق مع الشجاعة الدينية من

1) Ibid., Loc. cit .

2) Ibid., P. 174.

اجل الوجود كجزء من التراث الدينى السائد فى أمريكا . إن وجود هذا العنصر الالهادى الخفى عند جماعات وشخصيات أمريكية هو الذى سهل على تلش ورفاقه نشر موقف النصف ، والنصف ، والامر الذى يؤكد ذلك هو أن تلش كتب يقول : " لقد كان ولا يزال فى استطاعتنا نحن (اى تلش ومن سار على هذا النهج) الذين عايشوا ظهور الوجودية فى اوربا تفسير معناها لستمعينا الامريكيين بطريقة وجودية اصيلة . " (١)

It was and is possible for us who have experienced the rise of existentialism in Europe to interpret its meaning to our American listeners in a genuine existential way .

إن الطريقة الوجودية الاصلية التى ارتضاها تلش لنفسه والتى طرد بسببها من أوربا هى طريقة أو موقف النصف ، والنصف . هذه الطريقة وجدها كامنة عند جماعات وشخصيات أمريكية معينة (كالبراجماتيين ، على سبيل المثال) ولهذا وجد الطريق ممهدا لنشر وجوديته الاصلية التى تقر موقف النصف ، والنصف . فهذه الوجودية لم تكن غريبة على الامريكيين بل كان لديهم ارهاصا بها قبل حلول تلش ورفاقه ، كانت معروفة لهم وإن يكن بصورة خفية ، كما سنرى بعد قليل ، وبحلول تلش ورفاقه كان الطريق ممهدا لنشر هذه الوجودية على الملأ. لقد كان مستمعوه الامريكيون على استعداد لتقبل هذه الطريقة نظرا لان العنصر الالهادى كان يتخفى فى طيات موقفهم الدينى العلنى . ولقد عبر تلش عن شئ من ذلك بصورة اكثر وضوحا عندما كتب يقول: " لقد كان هناك إحساس بأن التعليم فى مدارسنا الامريكية لم يكن تعليما حياديا، بل كان يرتكز على دين معاد للدين. Anti-religious religion (اى دين يلبث ثوب الالهاد) ... هذه المشكلة كانت موجودة فى المجتمع

1) Ibid., P. 175 .

الامريكى والمجتمع الروسى على حد سواء وهذا أمر لا يبعث على الاستغراب لان هذه المشكلة تضرب بجنورها فى سائر المجتمعات .. هذه المشكلة لم تكن مشكلة ملحة فى امريكا نظرا ... للمجاعة (أى الشجاعة الدينية من أجل الوجود كجزء من التراث الدينى) التى كانت مهيمنة على الحياة الدينية فى امريكا . إن اعداء المجاعة (أى اعداء الشجاعة الدينية) الذين نزحوا إلى امريكا من القارة القديمة (اوروبا) هم الذين أسسوا ، بالعنف أولا ، ثم بالتسامح فيما بعد ، نوعا جديدا من المجاعة هذه المجاعة لاتزال قائمة ، والنازح الجديد إلى امريكا يمكنه أن يرى ذلك بصورة أوضح مما يراها الرجل الامريكى . هذا بالاضافة إلى أن هذه المجاعة الجديدة تسعى إلى أن تصبح عالمية هذا على الرغم من الصعوبات التى تواجهها .^(١) إن هذا النص يؤكد تماما أن العنصر الالهادى كان كامنا حتى فى النظام التعليمى فى امريكا . هذا بالاضافة إلى أن هذا العنصر يعد ، كما ينوه النص ، مشكلة المشاكل ليس فى امريكا فحسب ، بل فى روسيا وسائر المجتمعات . غير أن هذا العنصر لم يكن يسبب مشكلة ملحة فى امريكا ، نظرا لان شجاعة المجاعة ، أو الشجاعة الدينية من أجل الوجود كجزء من التراث الدينى السائد ، كانت تهيمن على مقاليد الامور . وخطورة هذا العنصر ، هكذا يلوح تلش ، لم تظهر إلا فى اعقاب هجرة الوجوديين الملاحدة إلى امريكا . فهؤلاء الوجوديين المهاجرين أو بالاحرى المطرودين من أوروبا يقرون الشجاعة الالهادية من أجل الوجود كذات . هذه الشجاعة تناقض الشجاعة الدينية أو الشجاعة من أجل الوجود كجزء من التراث الدينى الامريكى . ومن ثم عندما حاول الوجوديون المطرودون من اوروبا اقامة ذلك النمط من الشجاعة الخاص بهم ، كان من المحتم الاضطدام بنمط الشجاعة القائم فى امريكا . غير أن تهديد العنف الذى صاحب ذلك الصدام المحتمل قد أفضى ، هكذا يريد أن يقول تلش ، إلى نوع جديد من

1) Tillich , P., 'Religion in two Societies : America and Russia', Theology of Culture, PP. 180- 181.

المجارة . هذه المجارة هي التي تضم النقيضين معا اعنى الشجاعة الدينية ، والشجاعة الالحادية . هذه المجارة هي إذن مجارة تتسم بالتسامح وخالية من العنف، إنها ، بتعبير آخر ، متسمة بعدم الاتساق السار . هذا هو الموقف الذى ساعد تلش ورفاقه على نشر موقف النصف ، والنصف ، وهو أيضا الموقف الذى يتبدى بصورة واضحة لكل نازح جديد إلى امريكا .

تجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الموقف متناغم تماما مع التفسير الذى قدمناه لموقف تلش من البراجماتية ، والذى يذكرنا بأن تلش قد وجد عند البراجماتيين الأمريكين نفس عدم الاتساق السار الذى وجده عند الوجوديين والبوهيميين وأصحاب المذهب الطبيعى الرومانتيكى ومدرسة لاهوت الازمة . فالبراجماتية ، على عكس الوجودية الملحدة ، هكذا يجب أن نتذكر ، تقر بصورة علنية الشجاعة الدينية من أجل الوجود كجزء ، وتقر أيضا وفى نفس الوقت ، وإن يكن بصورة خفية ، الشجاعة الالحادية من أجل الوجود كذات ، وهذا يعنى أنها منقسمة إلى النصف، والنصف . هذا الانقسام الخفى هو الذى انقذهما من ويلات التيار الدينى المسيطر ، وذلك على النقيض من الوجودية الملحدة التى دمرت نفسها بتأكيداتها للشجاعة الالحادية بصورة علنية، وللشجاعة الدينية بصورة خفية وعن غير وعى أو قصد ، ولهذا اعتبره تلش عدم اتساق سار أو منقذ أو مبهج . هذا المعنى متضمن بصورة أكثر وضوحا فى النص التالى الذى اقتبسناه فى الفصل الاول ، والذى نورده هنا مرة أخرى من أجل مزيد من الوضوح لموقف تلش الخفى . يقول تلش : " لقد شاركت البراجماتية ذلك الاتجاه المعروف فى اوربا باسم 'فلسفة الحياة' العديد من المفاهيم ، هذا على الرغم من المجارة الأمريكية وشجاعتها من أجل الوجود كجزء . فمبدأ البراجماتية الاخلاقى هو التطور (او النمو) ، ومنهجها التربوى هو التأكيد الذاتى للذات المتفردة ، ومفهومها المفضل هو الابتكار . إن الفلاسفة البراجماتيين لا يعون أحيانا الحقيقة التى مؤداها أن شجاعة الابتكار تتضمن شجاعة إحلال الجديد محل القديم - الجديد الذى ليس له

مبادئ أو معايير ، الجديد الذى هو مخاطرة والذى ، إذا ما قيس بالقديم ، لاتدرك عواقبه . إن مجاراتهم الاجتماعية (للتيار الدينى) تخفى عنهم ذلك الذى عبر عنه فى أوربا بصورة علنية ومتسقة (أى الشجاعة الالحادية) . انهم لا يعون أن النتيجة المنطقية للبراجماتية (هذا إذا لم تنقيد بمجاعة مسيحية أو إنسانية) تقود إلى تلك الشجاعة من أجل الوجود كذات (أى الشجاعة الالحادية) التى نادى بها الوجوديون المتطرفون (أى الملحدون) . إن النوع البراجماتى من المذهب الطبيعى يعد بطبعه ، وإن يكن عن غير قصد منه ، تابعا للمذهب الفردى الرومانتيكى (أى المذهب الطبيعى الرومانتيكى الذى يقر موقف النصف ، والنصف) وسلفا للمذهب الاستقلالى الوجودى (أى الوجودية الملحدة التى تقر الشجاعة من أجل الوجود كذات بطريقة علنية) . فطبيعة التطور غير الموجه عند البراجماتية لاتختلف عن طبيعة إرادة القوة (نيتشه) والدافع الحى ' (برجسون) . غير أن الطبيعيين أنفسهم (أى سائر المجموعات التى يعتبرها تلش تقرر موقف النصف ، والنصف) يختلفون فيما بينهم ، فالطبيعيين الأوربيين (أى الوجوديين الملحدة) يتسمون بالاتساق (العلنى) ولهذا حطموا أنفسهم ، أما الطبيعيون الأمريكيون (أى البراجماتيين) فقد انقذوا أنفسهم بواسطة عدم اتساق سار ، لقد استمروا فى قبول شجاعة المجاعة (أى الشجاعة الدينية) من أجل الوجود كجزء (من التراث الدينى السائد) . إن الشجاعة (الالحادية) من أجل الوجود كذات عند هذه المجموعات تتمتع بطابع التأكيد الذاتى للذات المتفردة هذا على الرغم من عناصر اللاوجود التى تهددها .^(١) .

In spite of American conformism and its courage to be as a part, Pragmatism shared many concepts with that perspective more widely known in Europe as the " philosophy of life". Its ethical principle is growth , its educational method is self- affirmation of the individual

1) Tillich , P., The Courage to Be., PP. 120 -121.

self, its preferred concept is creativity . The pragmatist philosophers are not always aware of the fact that courage to create implies the courage to replace the old by the new- the new for which there are no norms and criteria , the new which is a risk and which, measured by the old, is incalculable. Their social conformity hides from them what in Europe was expressed openly and consciously . They do not realize that pragmatism in its logical consequence (if not restricted by Christian or humanistic conformity) leads to that courage to be as oneself which is proclaimed by the radical Existentialists. The pragmatist type of naturalism is in its character, though not in its intention , a follower of romantic individualism and a predecessor of Existentialist independentism . The nature of the undirected growth is not different from the nature of the will to power and of the ' elan vital ' .But the naturalists themselves are different. The European naturalists are consistent and self- destructive ; the American naturalists are saved by a happy inconsistency : they still accept the conformist courage to be as a part . The courage to be as oneself in all these groups has the character of the self -affirmation of the individual self as individual self in spite of the elements of non - being threatening it .^(١)

(١) قمنا بنقل النص الاجنبى كاملا حتى يسهل على القارئ مقارنته بالإيضاحات العديدة التى قمنا بإضافتها لترجمتنا العربية لنفس النص من ناحية ، وحتى يستطيع الوقوف على مدى صدق تفسيرنا للنص من ناحية أخرى .

هذا النص يؤكد تماما أن المجازاة فى أمريكا هى مجازاة دينية ذات طابع الحادى .
فالعنصر الالهادى عند البراجماتيين الأمريكيين ، على سبيل المثال ، يتخفى فى طيات
موقفهم الدينى الصريح أو فى طيات تأكيدهم العلنى للمجازاة الدينية . هذا العنصر
الالهادى ، هكذا ينوه تلش ، هو الذى جعلهم يقرون بصورة خفية العديد من المفاهيم
الالهادية التى تقرها فلسفة الحياة التى يتزعمها نيتشه والتى تؤكد الشجاعة الالهادية
من أجل الوجود كذات بصورة علنية . من هذا المنطلق يكون المذهب البراجماتى
متساوقا مع ما يطلق عليه تلش اسم المذهب الاستقلالى الوجودى الذى يشير ، بتعبير
أوضح ، إلى الوجودية الملحدة التى تقر بصورة علنية الشجاعة الالهادية من أجل
الوجود كذات . هذا التقارب بين البراجماتية وفلسفة الحياة الذى ساقه تلش فى النص
السابق هو الذى يؤهل البراجماتية للدخول فى التحالف الذى اكتشفته الدراسة فيما
سبق والذى يضم البراجماتية وتتزعمه الوجودية . ولعل هذا هو السبب الذى جعل
تلش يقرر فى موضع آخر " أن فلسفة الحياة (التى يتزعمها نيتشه) تشتمل على
سائر الدوافع المتميزة التى نجدها فى الفلسفة الوجودية .^(١) فكلاهما ، هكذا يجب
أن يضيف تلش ، يقر موقف النصف ، والنصف ، النقيض ، والنقيض ، الايمان ،
والالحاد ، وذلك لان هذين النقيضين يعدهما تلش من العناصر الطبيعية التى يولد
الانسان مزودا بها وليس ناتجا لظروف معينة قد يتعرض لها المرء عبر تطوره ، وهما ،
لهذا السبب ، لا ينطبقان على الوجودية والبراجماتية وفلسفة الحياة وغيرها فحسب ، بل
يضربان بجنورهما فى صميم الموقف الانسانى العام . والدليل الذى نستطيع أن
نسوقه هنا على صدق ما نقول قدمه تلش فى نصه السابق وذلك فى عبارته الختامية
التي تقول " ولكن الطبيعيين انفسهم يختلفون فيما بينهم . فالطبيعيين الاوربيين يتسمون
بالاتساق ولهذا حطموا انفسهم ، أما الطبيعيون الامريكيون فقد انقنوا انفسهم

1) Tillich, P., 'Existential Philosophy', Journal of the History of Ideas, Vol. V(January - October, 1944) , P. 46.

بواسطة عدم اتساق سار : لقد استمروا فى قبول شجاعة المجازاة من اجل الوجود كجزء . " ففى هذا النص أطلق تلتش لفظة " طبيعيين " على أولئك الوجوديين الأوربيين الملاحدة الذين اقروا النصف الالهادى بصورة علنية متسقة ومن ثم جلبوا الدمار على انفسهم ، كما اطلقها أيضا على أولئك البراجماتيين الأمريكيين الذين انقنوا انفسهم من ويلات اللاهوت المسيطر من خلال إقرارهم للنصف الدينى بصورة علنية ، وإقرارهم للنصف الالهادى ، للشجاعة الالهادية من أجل الوجود كذات بصورة خفية الامر الذى جعلهم يتسمون بعدم الاتساق السار أو المنقذ . أما الهدف الرئيسى الذى كان يرمى إليه تلتش من اطلاق هذه اللفظة على كل هؤلاء هو توضيح أن تناقض الايمان - الالحاد هو تناقض طبيعى أى يولد الانسان مزودا به ، ولا دخل للانسان فيه . من هنا نستطيع أن نقرر أن اطلاق تلتش لهذه اللفظة على كل هؤلاء لايمنى سوى أنه يريد أن يقول إن موقف النصف ، والنصف ، النقيض ، والنقيض ، الايمان ، والالحاد ، هو الموقف الطبيعى الذى يميز الانسان كإنسان ، وهو ايضا الموقف الطبيعى الذى يصف الموقف الوجودى فى أمريكا .

ولكن ، نظرا لان المجازاة الأمريكية أو الموقف الوجودى فى أمريكا يتسم ، كما رأينا ، بالتسامح ، فقد رحب به تلتش أفضل ترحاب لدرجة أنه شعر بان طرده من المانيا لم يكن نقمة ، بل كان بالاحرى نعمة عليه ، لانه وجد فى أمريكا المناخ الملائم لنشر موقفه الوجودى بطريقة فريدة. ولقد نوه تلتش إلى شئ من ذلك عندما كتب يقول: " باعتبارى لاهوتيا حاولت أن أظل فيلسوفا ، والعكس صحيح ايضا بمعنى انه باعتبارى فيلسوفا حاولت أن أظل رجل لاهوت . لقد كان من السهل على .. اختيار احدهما دون الآخر . ولكن ضميرى جعل ذلك الاختيار امرا مستحيلا بالنسبة لى . ولحسن الحظ سائرت الظروف الخارجية رغباتى الداخلية . " (١)

1) Tillich.P., 'On the Boundary ', The Boundaries of Our Being, P. 325.

As a theologian I have tried to remain a philosopher , and vice versa .It would have been easier to ... chose one or the other . Inwardly this course was impossible for me. Fortunately, outward opportunities matched my inward inclinations .

هذا النص الغامض يؤكد تماما أن الموقف الوجودي - موقف النصف ، والنصف - في أمريكا كان العامل الحاسم الذي ساعد تلش على نشر نفس الموقف في أمريكا بطريقة فريدة. فالنص يوضح أولا كيف أن تلش الفيلسوف ، قد حاول أن يظل رجل دين ، والعكس بمعنى ان تلش المتدين حاول أن يظل فيلسوفا . ولكن هنا يجب أن نتذكر من جديد أن تلش جعل الفلسفة في مجملها مرادفة للفلسفة الوجودية ثم جعل هذه الأخيرة مرادفة للإلحاد. وفي ضوء ذلك نستطيع أن نقرر أن تلش يريد أن يقول هنا انه باعتباره رجل دين ، قد حاول أن يظل ملحدا ، والعكس صحيح أيضا . لقد كان من السهل عليه أن يختار احدهما دون الآخر . ولكن اقتناعه الداخلي بالحاجة إلى الاثنين جعل ذلك أمرا مستحيلا بالنسبة له ، ولحسن الحظ ، هكذا ينوه تلش ، سايرت الظروف الخارجية رغباته الداخلية بمعنى انه سافر إلى أمريكا فوجد العنصر الإلحادي كامنا هناك ، ومن ثم استطاع أن ينشر موقفه الوجودي .

هذا الموقف هو الذي جعل تلش يقرر من جديد انه " ليس هناك أشخاص ، أو كتب مقدسة ، أو مجتمعات ، أو مؤسسات ، أو افعال تتمتع في ذاتها بصفة القداسة ، كما أنه ليست هناك واحدة منها تتمتع في ذاتها بالدنس . فالشخص الدنس يمكنه أن يتحلى بصفة القداسة ، كما أن الشخص المتدين لا يكف أبدا عن أن يكون دنسا. إن القس هو رجل علماني ، والرجل العلماني يستطيع أن يصبح قسا في أي وقت . إن ذلك لا يعد بالنسبة لي مبدأ لاهوتيا فحسب ، بل أيضا موقفا اكدته بطريقة شخصية وكذا بطريقة محترفة . فباعتباري قس ورجل دين ، لا أستطيع أن اكون إلا شخصا

علمانيا وفيلسوفاً حاول أن يقول شيئاً عن حدود الوجود الانساني . كما انه ليست لدى
أى نية فى إخفاء المهام اللاهوتية المنوط بها . لقد حاولت ، على العكس ، الإفصاح
عنها حيثما كان من السهل على إخفائها ، كما هو الحال فى أعمالى الفلسفية ، على
سبيل المثال . غير اننى لم أرغب أبداً فى تبني اتجاهها لاهوتياً يجعلنى بمعزل عن الحياة
الدنسة ويخلع على لقب المتدين .^(١) فى ضوء تفسيرنا لموقف تلش، نستطيع أن نقرر
ان هذا النص يجب أن يفسر على أنه يشير إلى أن تلش المؤمن أو المتدين ، قد حاول
أن يظل دوماً فيلسوفاً أو ملحدًا ، والعكس صحيح أيضاً . هنا لا يطبق تلش هذا الموقف
على نفسه فحسب ، بل يطبقه أيضاً على كل شخص آخر ، وما ذلك إلا لأنه يعتبر
هذا الموقف بمثابة الموقف الطبيعى الذى يولد الانسان مزوداً به . غير أن تلش يقدم
فى هذا النص دليلاً جديداً على دهائه ومكره الشديد . ففيه يعلن انه لم تكن لديه نية
على الإطلاق فى إخفاء مساعيه اللاهوتية ، ومن ثم أفصح عنها حيثما كان من السهل
عليه إخفاؤها ، أعنى ، فى كتبه الفلسفية ، على سبيل المثال . ولكن فى ضوء كل ما جاء
فى هذه الدراسة حتى الآن من تفسيرات لموقف تلش نستطيع أن نقرر ان تلش فعل
تماماً عكس ما يقول هنا بمعنى انه لم تكن لديه نية على الإطلاق فى إخفاء مساعيه
الفلسفية أو بالأحرى الالحادية - الوجودية ، وأنه أفصح عنها أو بالأحرى نوه إليها فى
سائر أعماله اللاهوتية ، كلما اتاحت له الفرصة . حقاً ، ألم نره يقول فى الفصل الاول
ان هناك عدم اتساق سار يضرب بجذوره حتى فى أعماله اللاهوتية ؟ وإذا كانت
الاجابة بالإيجاب ، أليس هذا يعنى أنه عقد العزم على إخفاء موقفه الالهادى فى طيات
موقفه الدينى أو فى أعماله اللاهوتية ؟ ثم كيف يقول انه لم تكن لديه نية فى إخفاء
مساعيه اللاهوتية وكل أعماله هى أعمال لاهوتية فى المقام الاول ؟ إن الامر المؤكد
بالنسبة لنا هو أن تلش فعل العكس تماماً بمعنى انه نوه إلى نصفه الالهادى فى

1) Ibid., PP. 333-334.

اعماله اللاهوتية كلها وكلما سنحت له الفرصة . ومن ثم إذا كان النص السابق يكشف عن شيء ، فإنه لا يكشف في رأينا إلا عن هذه الحقيقة : إن تلش اللاهوتي حاول أن يظل ملحدا ، وأن تلش الملحد قد حاول أن يظل مؤمنا . لقد بقي منقسما بينهما ، فأقام بينهما هوة عميقة لم يتمكن من عبورها إلا بوثبة مستمرة ولا معقولة من الواحد منهما ، إلى الآخر . هذا هو الموقف الذي أخذه تلش على عاتقه ، وهو أيضا الموقف الذي وجدته متطابقا مع الموقف الانساني العام .

ان النتيجة الرئيسية التي نستطيع أن نستخلصها من هذا الفصل هي أن الوصف الذي قدمه تلش المؤمن للالزامية الانسانية ، مثله في ذلك مثل الوصف الذي قدمه للطبيعة الماهوية للانسان ، هو ، باعترافه شخصيا ، وصف لا ينطبق على الحالة الفعلية للانسان ، إنه متجرد تماما عن الواقع ، وذلك لان الحالة الفعلية للانسان تشير في رأى تلش المنقسم إلى النقيضين معا أعنى إلى الماهية ، والوجود ، إلى الايمان ، والالحاد . هذا يعنى ضمنا أن تناقض الماهية - الوجود عند تلش يرد ، كما رأينا في هذه الدراسة ، وكما سنرى تفصيلا في الفصل الخامس ، إلى تناقض الايمان - الالحاد . هذا التناقض يعتبره تلش مميذا للحالة الطبيعية للانسان بمعنى ان الانسان يولد مزودا به وليس نتاجا لظروف معينة تأتي للانسان عبر تطوره . إنه ، بتعبير آخر ، ... الحياة كحياة ، والانسان لن يكون الواحد منهما ، إلا إذا كان الآخر . هذا الموقف نراه يضرب بجذوره حتى في موقف تلش من قهر الاغتراب . ولكي نكتشف ذلك يتحتم علينا الانتقال إلى الفصل التالي .

الفصل الرابع

قهر الاغتراب بين الايمان والالحاد

هذا الفصل يتعامل مع الجانب الثالث والاخير من جوانب مفهوم الاغتراب الذي يقدمه تلتش المؤمن أعنى الجانب المتعلق بقهر الاغتراب . ولكن طالما أن هدفنا الرئيسى يتمثل فى اكتشاف سائر ابعاد موقف النصف ، والنصف عند تلتش ، فسوف نحاول ان نكتشف فى هذا الفصل كيف ان هذا الموقف قد أفضى بتلتش إلى إقرار حلين متناقضين لمشكلة الاغتراب أحدهما إيمانى ، والآخر إلحادى . ولكى نحقق ذلك يتحتم علينا تقسيم هذا الفصل ، كسابقه ، إلى قسمين يتعامل أحدهما مع الحل الإيمانى ، ويتعامل الآخر مع الحل الإلحادى . وسنبداً ، كالعادة ، ببيان أبعاد الحل الإيمانى نظراً لانه الحل العلنى أو المباشر عنده.

لقد بدأ تلتش هذا الجانب بالإشارة إلى موقفه الذى أوضحناه فى الفصل الاول والذى يفيد بأنه يرى أنه ليس هناك فعل فى إطار الاغتراب الوجودى يمكنه أن يقهر الاغتراب الوجودى . ففى داخل ذلك الإطار لن تتمكن سائر جهود الانسان من تشييد الوحدة الماهوية والتناغم مع الله ومع طبيعته الماهوية التى اغترب عنها بمعنى ان تلك الجهود لن تمكنه من قهر اغترابه ، وذلك لان تأسيس هذه الوحدة يعنى ، كما سنرى فيما بعد ، قهر الاغتراب. وعدم قدرة الانسان على ذلك ترجع فى رأيه إلى عنصر المصير المشترك أو الجماعى الذى يشير إلى عمومية الاغتراب ومن ثم إلى عدم قدرة الانسان على قهره معتمداً فى ذلك على ذاته وحدها . فالانسان ، هكذا يقول هو ، يظل واقعاً فى شرك هذه الحالة ولن يتمكن من انقاذ نفسه ^(١) وسائر محاولاته لانقاذ نفسه لن تفضى إلا إلى فشل مأساوى ، وذلك لان سائر أفعال الانسان تصبح فى حالة الاغتراب أفعالا مغترية نظراً لأنها تند عن حالة الاغتراب ، ومن ثم لا تكون معبرة

1) Tillich , P., Systematic Theology, Vol .2,PP. 78-80

إلا عن حالة الاغتراب نفسها .

غير أن تلش يشير هنا إلى حقيقة مؤداها أنه على الرغم من وقوع الانسان فى شرك الاغتراب، إلا أنه يحاول يوما إنقاذ نفسه . وتاريخ الجنس البشرى، هكذا يخبرنا تلش ، حافل بصور لا حصر لها من محاولات الانسان لانقاذ نفسه . ومن بين الطرق العديدة التى حاول بها الانسان إنقاذ نفسه ، يذكر تلش فى كتابه "اللاهوت النسقى" الطرق التشريعية، والزهدية ، والصوفية ، والطقوسية.^(١) وانتهى من مناقشته لساثر طرق الخلاص الذاتى هذه إلى أنها تكشف جميعا عن فشل الانسان فى إنقاذ ذاته . فهذه الطرق حاولت أن تعيد توحيد الانسان بالله وأن تقهر بالتالى اغترابه الوجودى عن طبيعته الماهوية ، ولكنها فشلت جميعا فى أن تفعل ذلك . هذا الفشل هو الذى جعل تلش يقترح تسمية تاريخ الجنس البشرى باسم " تاريخ محاولات الانسان وفشله فى انقاذ نفسه " .^(٢)

ولقد اعتبر تلش التشريع الدينى أهم الطرق التى سلكها الانسان من أجل محاولة انقاذ ذاته . وهو يتفق مع اليهودية على أن " الشريعة Law تختلف عن التشريع Legalism " .^(٣) بل ويؤكد على أن اليهودية على صواب تماما فى ذلك ، نظرا لأن " الشريعة هى ، أولا وقبل كل شىء ، هبة إلهية ، فهى توضح للانسان طبيعته الماهوية ، علاقته الاصلية بالله ، والآخرين ، وبذاته نفسها . إنها تجعل الطبيعة الاصلية للانسان تتجلى داخل الاغتراب الوجودى " .^(٤) ولكن المشكلة التى يجدها تلش كامنة هنا هى أن " الشريعة تفعل ذلك من خلال وصايا (او اوامر) Commandments " .^(٥) هذه الوصايا او الاوامر هى من عمل التشريع ، وتكون ملزمة للانسان بمعنى انه يتحتم عليه اتباعها . والسبب فى هذا الالتزام يرجع فى رأى

1) Ibid., PP. 81- 86

2) Ibid., P. 80

3) Ibid., P 81 .

4) Ibid., Loc . cit .

5) Ibid., Loc . cit .

تلش إلى " اغتراب الانسان عما يجب أن يكون عليه " (١) فهذا الاغتراب يحتم وجود أوامر ونواهي ، أعنى وجود تشريع يملى على المرء ما يجب أن يفعله وما لا يجب أن يفعله . وهذا في حد ذاته يعد دليلا على اغتراب الانسان ، وذلك لان الحالة الماهوية للانسان لا تستدعى وجود تشريع ذى أوامر ونواهي يتحتم على الانسان اتباعها ، ولا تستدعى حتى وجود تشريع على الاطلاق نظرا لان الانسان يكون في هذه الحالة متحدا مع مصدر الشريعة أعنى الله . غير أن تلش يوجه الانتباه هنا إلى حقيقة مؤداها انه نظرا لان التشريع يوضح للانسان ما يجب أن يكون عليه ، فهو يتسم بنوع من " الاغراء . هذا الاغراء يعد في الغالب اغراء يصعب مقاومته . فمن خلال تعرفه على ما يجب أن يكون عليه ، ومن خلال قلقه على فقد ذاته ، ومن خلال إيمانه بقدرته على تحقيق وجوده الماهوي ، ومن خلال إغفاله لعبودية الارادة ، يحاول الانسان من جديد استرداد ما فقده (اى وجوده الماهوي) . ولكن هذا الموقف المغترب ، الذى تغدو فيه الشريعة أمرا ، هو موقف يجعل تنفيذ الشريعة أمرا مستحيلا . ففي ظل أوضاع الوجود تغدو الشريعة أمرا ضروريا وتغدو أيضا أمرا يستحيل تنفيذه معا وفي نفس الوقت . هذا يصدق على كل أمر من أوامر الشريعة كما يصدق على الشريعة فى كليتها ، على شريعة الحب . ففي حالة الاغتراب يصبح الحب أمرا بالضرورة ، ولكن الحب لا يعرف الامر - حتى إذا فهم بحق على أنه يختلف عن كونه مجرد عاطفة . إنه لا يعرف الامر ، وذلك لان الحب هو القدرة على ذلك النوع من إعادة الاتحاد الذى يسبق وينفذ الامر قبل أن يصدر " (٢) فى ضوء ذلك يستنتج تلش " ان محاولة استخدام التشريع كوسيلة للخلاص الذاتى تنتهى بكارثة . ففي سائر أشكال التشريع نجد أن هناك شيئا خيرا ، أعنى ، متفقا مع الطبيعة الماهوية للانسان ، قد أصبح متشوها . فسائر اشكال التشريع تقوم على تجربة مصدرها الوحي ، وبأخذها الانسان بجدية . وعظمة هذه الاشكال التشريعية تكمن فى الجدية اللامشروطة التى

1) Ibid ., Loc . cit .

2) Ibid ., Loc . cit .

تتمتع بها (والتي تتبدى حتى من خلال الطاعة للقوانين المدنية والعرفية). وتشوه هذه الاشكال يكمن في ادعائها أنها تقهر حالة الاغتراب من خلال الطاعة الجادة للشرعية صاحبة الامر".^(١) هذا يعنى ، بتعبير آخر ، أن تلش يرى أن الطاعة الجادة واللامشروطة للأوامر التشريعية لا تقضى إلى إعادة توحيد الانسان مع حالته الماهوية، وذلك لأن الحالة الماهوية أو الدينية للانسان لا تستدعى وجود أى أوامر أو نواهي تشريعية نظرا لان الانسان يكون متحدا مع مصدر كل شريعة وكل تشريع . هذا بالاضافة إلى أن أوضاع الوجود المغترب تجعل من المستحيل علي المرء تنفيذ الأوامر التشريعية على النحو الكامل وكما يجب أن يكون . " وفشل التشريع فى تحقيق إعادة الاتحاد مع المنفصل يمكنه أن يفضى إلى اتجاه نصف جاد ، أو إلى معارضة الشريعة ، أو إلى اليأس ، أو - وذلك يحدث من خلال اليأس - إلى طلب وجود جديد".^(٢)

والزهد، باعتباره الطريقة الثانية للخلاص الذاتى التى يناقشها تلش، لا يمكنه أيضا، هكذا يرى تلش، تحقيق الخلاص الذاتى. فالزاهد، هكذا يقول هو، يلجأ إلى الزهد " من أجل تجنب الكونكيوبسنس التى لا تعرف قانونا (أى الكونكيوبسنس اللامحدود) ، فهو يحاول القضاء على الرغبة تماما وذلك عن طريق إقصاء كل ما يمكن إقصاءه من الموضوعات الممكنة للرغبة التى يجدها داخل حدود الوجود المتناهى".^(٣) وهو يهدف من وراء ذلك إلى الوصول " عنوة إلى إعادة الاتحاد مع اللامتناهى وذلك بواسطة الافعال الواعية للسلب الذاتى التى يقوم بها".^(٤) غير أن هذا النوع من الخلاص الذاتى يتسم بالفشل لان مثل هذا الزهد لا يقضى قضاء تاما

1) Ibid ., Loc . cit .

2) Ibid ., Loc . cit .

3) Ibid., Loc. cit

4) Ibid ., P. 82.

على موضوعات الكونكيوبسنس الطبيعي الذي تتصف به الطبيعة الماهوية للانسان والذي يتجه يوما إلى موضوع أو موضوعات محددة . هذا يعني ، بتعبير تلش نفسه ، " ان موضوعات الكونكيوبسنس في الطبيعة الانسانية لا تختفى بالفعل ، بل تظل حاضرة في شكل مكبوت . ولهذا السبب فهي في الغالب تعاود الظهور على شكل خيال جامح ، أو تتحول إلى أشكال أخرى كالرغبة في السيادة ، والتعصب ، أو الميل السادي المازوخي ، أو الميل إلى الانتحار . من هنا يمكن القول ، طبقا للفن والادب في العصر الوسيط ، ان العنصر الشيطاني كان يتبدى بالتاكيد من خلال ألوان التصوف التي كانت سائدة في ذلك العصر " .^(١) في ضوء ذلك يستنتج تلش " أن الزهد باعتباره عنصرا في عملية الحياة ، يعد أمرا ضروريا ، غير أنه يصبح تشوها خطيرا وفشلا إذا اتخذ كوسيلة للخلاص الذاتي " .^(٢) إنه أمر ضروري في عملية الحياة وذلك لانه يساعد على عدم الوصول إلى الكونكيوبسنس المتشوه الذي تحدثنا عنه في الفصل السابق . أما إذا أخذ الانسان على عاتقه طوال حياته يصبح مدمرا وذلك لانه لن يفضى إلى القضاء على موضوعات الكونكيوبسنس ، بل سيؤدي إلى كبجها فقط ومن ثم إلى جعلها تعاود الظهور في شكل متشوه مدمر . هذا بالإضافة إلى أن سائر أفعال السلب الذاتي لا تستطيع أبدا تحقيق الاتحاد باللامتناهي عنوة على نحو ما يأمل الزاهد . إن ذلك أمر مستحيل . " فالطريق الزهدية للخلاص الذاتي هي طرق فاشلة لانها تحاول عنوة الاتحاد باللامتناهي بواسطة أفعال السلب الذاتي الواعية " .^(٣) والامر الذي يؤكد ذلك هو استحالة القضاء على موضوعات الكونكيوبسنس المتشوه .

إن الطريق الثالث الذي سلكه الانسان من أجل محاولة الخلاص الذاتي والذي يناقشه تلش في كتابه " اللاهوت النسقي " هو طريق التصوف ، هذه المحاولة تشبه في

1) Ibid ., PP. 82 -83

2) Ibid ., P. 83.

3) Ibid ., P. 82

رأيه المحاولة السابقة من حيث كونها تهدف إلى الخلاص الذاتى عن طريق "محاولة الوصول إلى إعادة الاتحاد (باللامتناهى) من خلال ممارسة التصوف ممارسة جسدية وعقلية".^(١) من هذا الاعتبار يعد التصوف إلى حد كبير ، هكذا يقول تلش، "محاولة للخلاص الذاتى ، محاولة لتجاوز سائر مجالات الوجود المتناهى من أجل الاتحاد باللامتناهى . غير أن هذه المحاولة ، مثلها فى ذلك مثل سائر محاولات الخلاص الذاتى ، هى محاولة فاشلة . فالاتحاد الحقيقى للصوفى مع الله هو أمر لا يمكن الوصول إليه . وحتى إذا أمكن الوصول إليه ، فلن يقهر اغتراب الوجود العادى . فلهذا نجد تعقبها فترات طويلة من جفاف النفس Dryness of the soul وأزمة الناس عامة لا تتغير وذلك لان أوضاع الوجود تترك بلا مساس".^(٢)

ونفس الامر يصدق على الطريقة الرابعة التى يناقشها تلش أعنى الطريقة الطقوسية sacramental . فطرق ممارسة الطقوس تهدف دوما إلى تحقيق الخلاص عن طريق إعادة الاتحاد بالمصدر الإلهى لهذه الممارسات . هنا ، هكذا يقول تلش ، يكون " الخلاص متوقفا على ممارسة الطقوس التى يؤديها القس والتى يشارك فيها الانسان المسيحى ".^(٣) هذا يعنى ، بتعبير آخر ، " ان مجرد ممارسة الطقوس المقبولة كان ينظر إليه على أنه ينطوى على قوة منقذة ".^(٤) غير أن مثل هذه الممارسة لا تستطيع مطلقا أن تفضى إلى مثل هذا الاتحاد ، لأنها تكون مصحوبة دوما بإسئلة مقلقة من جانب الشخص الذى يقوم بالمشاركة فى هذه الممارسات . "فالتساؤل المقلق المتعلق بما إذا كان المرء قد مارس ما يجب عليه أن يمارسه أو بما إذا كان المرء قد بدأ بالشكل الصحيح وبالاتجاه أو بالطريقة الصحيحة يوضح أن

1) Ibid ., P . 83.

2) Ibid ., Loc . cit .

3) Ibid ., P. 84

4) Ibid ., P. 85.

إعادة الاتحاد بالمصدر الالهي لممارسة الطقوس لم يتم التوصل إليه . ومن ثم يكون الخلاص الذاتي المتعلق بالطقوس ... هو أمر يستحيل تحقيقه بالفعل . إنه لا يفضى مطلقا إلى إعادة الاتحاد بالله .^(١) "ونفس الامر يصدق" ، هكذا يقول تلش ، "على الخلاص الذاتي العقائدى" .^(٢) هنا يكون الخلاص "متوقفا على العقائد الصحيحة التى تصيغها الكنيسة والتى يعتنقها الرجل المسيحى" .^(٣) غير أن مجرد الاعتقاد فى مذهب أو عقيدة ، هكذا يرى تلش ، ليس سوى تشويه للإيمان باعتباره الحالة التى يستحوذ فيها على المرء اهتماما مطلقا . هنا يصبح "الإيمان باعتباره الحالة التى يستحوذ فيها على المرء شيئا مطلقا An ultimate متشوها إلى مجرد الاعتقاد فى مذهب" .^(٤) هذا بالإضافة إلى أن تأكيد صحة مثل هذا الاعتقاد لن يفضى إلا إلى إثارة أسئلة جديدة : "هل أوؤمن حقا ؟ أليس إيمانى هو مجرد كبح مؤقت للشك والاخلاص المعرفى ؟ وإذا كنت لا أوؤمن حقا ، فهل هذا يعنى فقدى للخلاص ؟ إن النضال الباطنى المرعب بين رغبة المرء فى أن يظل مخلصا لهذه الشكوك وبين رغبته فى الخلاص يوضح فشل الخلاص الذاتى العقائدى" .^(٥)

هذا الفشل العام لسائر محاولات الخلاص الذاتى هو الذى جعل تلش يقرر أن هذا الفشل قد حتم على الانسان أن يطلب وجودا جديدا يستطيع من خلاله تحقيق إعادة الاتحاد مع الله ، وشفاء تمزق وصراعات حالته الوجودية المفترية عن طبيعته الماهوية أو الدينية ، والخلاص من نتائجها المدمرة أعنى بنية التحطيم . لقد عبر سائر البشر ، هكذا يرى تلش ، عن حاجتهم إلى وجود جديد يستطيعون من خلاله قهر

1) Ibid ., Loc .cit .

2) Ibid ., Loc .cit .

3) Ibid ., P. 84.

4) Ibid ., P. 85

5) Ibid ., Loc . cit .

أزمتهم الوجودية. وهذا يدل في رأي تلش على " أن طلب الوجود الجديد هو طلب عام نظرا لان الازمة الانسانية وغزوها الغامض يتسمان بالعمومية ".^(١) هذا المطلب هو إذن النتيجة الضرورية المترتبة على الفشل العام لسائر محاولات الخلاص الذاتى التي يقوم بها الانسان . هذا المطلب يتبدى ، هكذا يؤكد تلش ، " حتى فى الأحوال القليلة التى شأهت قيام حضارات تتمتع تماما بالذاتية - كما هو الحال عند الاغريق ، والرومان القدماء وكذا فى الفترة الحالية التى يمر بها العالم الغربى ".^(٢) ولكن على الرغم من أن تلش يقر هنا " أن طبيعة طلب الوجود الجديد تتغير من دين إلى دين ومن حضارة إلى حضارة "^(٣)، إلا أنه يؤكد فى نفس الوقت على أنه يمكن التمييز بين نوعين رئيسيين من أنواع طلب الوجود الجديد : " النوع الاول يغلب عليه الطابع اللاتارىخى non - historical ، والنوع الآخر يغلب عليه الطابع التارىخى ".^(٤) ويوضح تلش أنصار النوع الاول على النحو التالى : " إن معظم الاديان التى تؤمن بتعدد الآلهة ، والمذاهب الصوفية التى قامت كرد فعل للايمان بتعدد الآلهة ، والتى وجدت عند البراهمة والبوذية ، وكذا المذاهب الانسانية التى قامت كرد فعل للايمان بتعدد الآلهة ، والتى وجدت عند الاغريق الكلاسيكيين تتسم بالطابع اللاتارىخى ".^(٥) هذا النوع اللاتارىخى يؤكد ، هكذا يقول تلش ، " أن الوجود الجديد يمكن أن ينشد فيما وراء التاريخ ".^(٦) وما ذلك إلا لأن هذا النوع يعتبر الوجود الجديد " قوة إلهية تظهر بطرق متعددة لقهر الازمة الانسانية داخل حدود التناهى. هنا يكون الاله معا وفى نفس الوقت قريبا من وبعيدا عن كل حقبة تاريخية. فالخلاص يبدأ حتما فى

1) Ibid ., P. 86 .

2) Ibid ., Loc . cit .

3) Ibid ., PP. 86 - 87 .

4) Ibid ., P. 87.

5) Ibid ., Loc . cit .

6) Ibid ., Loc . cit .

التاريخ، لأن الإنسان يعيش في التاريخ . غير أن الخلاص لا يتحقق على النحو الكامل في التاريخ . وإذا كانت هناك ثمة رؤية للتاريخ على الإطلاق فإن هذه الرؤية لن تنظر إلى التاريخ إلا على أنه حركة دائرية تكرر نفسها ، حركة لا تخلق شيئاً جديداً . هنا لا يكون الوجود الجديد غاية التاريخ بل يظهر من خلال تجليات الآلهة *epiphanies of the gods* ، ومن خلال الآثار الروحية التي يخلقها الزهاد والكهنة ، ومن خلال التجسيديات الإلهية ، ومن خلال النبؤات *oracles* ، ومن خلال السمو الروحي . هذه التجليات الإلهية هي تجليات يتلقاها أفراد ، ويمكن لهؤلاء الأفراد نقلها إلى اتباع ، ولكنها ليست موجهة إلى مجموعات أو طوائف . إن المجموعة ، أسرة كانت أم الجنس البشري ككل ، لا تشارك في مؤثرات الوجود الجديد . فشقاء الجنس البشري في التاريخ لن يتغير ، غير أن الأفراد قد يستطيعون تجاوز سائر مجالات الوجود - الأشياء ، والناس ، والآلهة . هذا التفسير يجعل الوجود الجديد سلباً لكل الموجودات وتأكيداً لأساس الوجود (أى الله) وحده . في هذا المقام أستطيع أن أقول إن الثمن الذي يدفع لقاء الوجود الجديد هو سلب كل شيء يتمتع بالوجود . هذا هو أساس الخلاف بين الشرق والغرب حول الاحساس بالحياة .^(١) أما عن أنصار النوع الثاني فيقول تلش : " إن الدين والحضارة في الغرب قد اصطبغا بالنوع التاريخي ، بتوقع الوجود الجديد في العملية الزمانية . هذا الاعتقاد وجد في بلاد فارس القديمة ، وفي اليهودية ، والمسيحية ، والإسلام ، ووجد أيضاً في ثوب دنيوى عند بعض تيارات النزعة الإنسانية المعاصرة ."^(٢) هذا النوع "يعتبر الوجود الجديد غاية التاريخ ."^(٣) وذلك لأن هذا النوع " يتوقع ظهور الوجود الجديد علي مستوى أفقى ."^(٤) بمعنى أنه موجه إلى سائر البشر ، إلى سائر الموجودات ، إلى التاريخ ككل . هذا يعنى - أن توقع

1) Ibid ., Loc . cit .

2) Ibid ., Loc . cit .

3) Ibid ., Loc . cit .

4) Ibid ., Loc .cit .

الوجود الجديد هو توقع تبدل الواقع . والتبدل يحدث فى ومن خلال عملية زمانية فريدة، لا تتكرر، ولا تنمحي. وحاملى هذه العملية هم جماعات تاريخية كالاسرة، والدولة، والكنيسة، أما الافراد فهم يحملونها فى ضوء علاقتهم بجماعات تاريخية ليس إلا . وتحقق الوجود الجديد يحدث بصورة مختلفة تبعا لاختلاف صور النوع التاريخي. إنه يحدث إما على هيئة تقدم بطيء، أو بدرجات نوعية محددة، أو فى مركز العملية الزمانية بكاملها، أو عند نهايتها حيث يرتفع التاريخ إلى مرتبة الابدية. وكثيرا ما تندمج بعض هذه الامكانيات مع بعضها .^(١)

يتضح من ذلك أن تلش يفرق بين نوعين رئيسيين من توقع الوجود الجديد أحدهما لا تاريخي، والآخر تاريخي . النوع الاول ينشد الوجود الجديد فيما وراء التاريخ، لا فى قلب التاريخ . صحيح أن هذا النوع يتوقع أيضا ظهورا ما للوجود الجديد فى قلب العملية الزمانية، غير أن هذا الظهور يكون يوما على مستوى رأسى بمعنى انه يكون موجها إلى أفراد، بمعنى ان التجليات الالهية تكون موجهة هنا إلى أشخاص، لا إلى طوائف أو إلى الجنس البشرى كله . وعلى الرغم من أن الاشخاص قد ينقلون هذه التجليات إلى أتباع، إلا أن ذلك لا يمتد في النهاية إلى الجنس البشرى ككل بل يظل مقصورا على أشخاص، وتبقى الازمة الانسانية أو يبقى شقاء وبؤس الجنس البشرى كما هو فى التاريخ، نظرا لان الشفاء لن يتحقق إلا فيما وراء التاريخ . أما النوع الثانى فيتوقع ظهور الوجود الجديد فى العملية الزمانية، لأنه يعتبر الوجود الجديد غاية التاريخ التى يسعى إليها . هذا التوقع يكون على مستوى أفقى بمعنى انه يكون موجها إلى طوائف أو جماعات أو إلى الجنس البشرى ككل، والافراد لا يشاركون فى ذلك إلا من خلال طوائف أو جماعات .

ولكن على الرغم من أن تلش صنف المسيحية، فى النص السابق، ضمن

1) Ibid ., PP. 87- 88.

النوع التاريخي ، إلا أنه عاد فقرر " أن المسيحية تؤكد ضمنا أن سائر الاشكال المختلفة لطلب الوجود الجديد قد تحققت في يسوع باعتباره المسيح ".^(١) هذا يعنى ضمنا أن تلش يرى أن الوجود الجديد الذى تبدى في يسوع باعتباره المسيح يحتوى على سائر التوقعات الانسانية ومن ثم فهو الوجود الجديد الوحيد الذى يحتاجه سائر البشر لقهر اغترابهم الوجودى . فالمسيحية بالنسبة لتلش المؤمن توحد بين النوع التاريخي والنوع اللائق لتوقع الوجود الجديد . هذه الوحدة تحققت في رأيه من خلال مفهوم الوجود الجديد الذى تبدى في يسوع باعتباره المسيح ، والذي يقدمه في كتابه " اللاهوت النسقى " .

ولكى يبرر ذلك ، شرع تلش في إيضاح ما يقصده بمصطلح " يسوع باعتباره المسيح " وفى بيان السر في تفضيله له على الاسم الشائع " يسوع المسيح " . وهو يخبرنا هنا أن استخدامه لهذا المصطلح ينبثق عن رغبته في الفصل بين جانبين يتحتم يوما الفصل بينهما . هذان الجانبان هما " الحقيقة التى تدعى يسوع الناصرة ، وتقبل أولئك الذين تقبلوه باعتباره المسيح لهذه الحقيقة " .^(٢) هذا يعنى أن تلش يرى أن الجانب الاول يشير إلى شخص يسوع نفسه أو إلى حياته الشخصية التى جسدت ظهور الوجود الجديد في التاريخ وفى ظل أوضاع الاغتراب الوجودى ، فى حين أن الجانب الثانى يشير إلى لقب المسيح الذى تلقاه من الله والذي يستطيع بمقتضاه أن يؤسس أو يشيد مملكة الله فى الارض . من هذا المنطلق عارض تلش الاسم الذى شاع استخدامه إلى حد أنه غدا كما لو كان الاسم المقبول عامة أعنى اسم " يسوع المسيح " ومن ثم راح يوجه الانتباه إلى حقيقة مؤداها " أنه يتحتم علينا أن نقرر بكل وضوح أن اسم يسوع المسيح ليس هو مجرد اسم لفرد ، يتكون من اسم أول (يسوع) ومن اسم ثان (المسيح) ، بل هو بالاحرى اسم يتكون من اسم لفرد (يسوع) - الذى

1) Ibid., P. 89.

2) Ibid., P. 97.

هو اسم لشخص معين عاش في الناصرة في الفترة من العام الاول وحتى العام الثلاثين الميلادي - ومن لقب 'المسيح' الذي يدل في العرف الاسطوري على شخص معين يتمتع بخاصية معينة . إن المسيح The Messiah - والاسم الاغريقي المقابل له هو كريستوس Christos - هو الشخص ... الذي تلقى خاصية من الاله تمكنه من تأسيس مملكة الله في اسرائيل والعالم . ولهذا السبب يجب النظر إلى اسم 'يسوع المسيح' على أنه يعنى 'يسوع الذى سمي بالمسيح' أو يعنى 'يسوع الذى هو المسيح' أو يعنى 'يسوع الملقب بالمسيح'. إن السياق اللغوي وحده هو الذى يجبر المرء على اختيار واحدة من هذه العبارات ، ولكن يجب علينا ألا نتخلى عن استخدام إحداها حتى يظل المعنى الاصلى لاسم 'يسوع المسيح' حيا ، ليس فقط فى الفكر اللاهوتى بل أيضا فى ممارسة الطقوس الكنسية . إنه يتحتم على التبشير والتعليم المسيحى أن يعيد باستمرار تأكيد المفارقة التى مؤداها ان الرجل يسوع قد لقب بلقب المسيح - فهذه المفارقة طمست من خلال الاستخدام الوضع لاسم 'يسوع المسيح' فى الطقوس كاسم يدل على شخص بعينه . إن يسوع المسيح . يعنى - من الناحية الماهوية ، والاصلية والدائمة - يسوع الذى هو المسيح .^(١)

تجدر الإشارة هنا إلى أن يسوع نفسه، كما يقول تلش، لم يلقب نفسه بالمسيح، والذي خلع هذا اللقب عليه هم حواريه وأتباعه ، وأولهم سيمون بطرس Simon Peter. وهذا يعنى بالنسبة لتلش " أن المسيحية لم تولد مع ميلاد الرجل الذى يدعى 'يسوع' بل ولدت بالاحرى فى اللحظة التى اضطر فيها أحد أتباعه إلى أن يقول له 'أنت المسيح' ... إن أول من تقبله باعتباره المسيح كان يدعى سيمون بطرس . هذه الواقعة مدونة فى قصة تقع فى قلب إنجيل مرقس ... غير أن اللحظة التى شهدت تقبل الحواريين ليسوع باعتباره المسيح هى نفس اللحظة التى شهدت رفض قوى التاريخ (بنو اسرائيل) تقبله باعتباره المسيح . هنا تكمن القوة الرمزية العظيمة لتلك القصة .

1) Ibid ., PP. 97 - 98 .

فذلك الذى هو المسيح يتحتم عليه أن يموت بسبب قبوله للقب 'المسيح'. ويتحتم على أولئك الذين واصلوا تلقيبه بالمسيح أن يؤكدوا المفارقة التى مؤداها أن ذلك الذى من المفترض فيه أنه يقهر الاغتراب الوجودى يتحتم عليه أن يشارك فيه وفى نتائج المدمرة للذات . تلك هى القصة الرئيسية فى الانجيل . إنها تقرر ، فى أبسط صورها ، أن الرجل يسوع الناصرى هو المسيح .^(١)

هنا يتحتم علينا أن نوضح ما يقصده تلش بكلمة " مفارقة " خاصة وأنه أكد هنا " أن التأكيد المسيحى الذى يقول إن الوجود الجديد قد تجلى فى يسوع باعتباره المسيح هو تأكيد مفارق . " ^(٢) ثم أكد أيضا " أن مفارقة الرسالة المسيحية تكمن فى أنه فى حياة شخصية واحدة ظهرت الانسانية الماهوية فى ظل أوضاع الوجود دون أن تقهرها تلك الاوضاع . " ^(٣) ثم أكد " أن ظهور الوجود الجديد فى ظل أوضاع الوجود وقهره ، مع ذلك ، لتلك الاوضاع يعد مفارقة الرسالة المسيحية ... فمن الناحية التاريخية ومن الناحية النسقية ، نجد أن كل شئ آخر فى المسيحية هو تجسيد للتأكيد البسيط الذى يقول إن يسوع هو المسيح . هذا التأكيد ليس تأكيدا لاعقلانيا ولا هو بالتأكيد العبثى ، كما أنه ليس تأكيدا عقليا تأمليا ولا هو بالتأكيد العقلى الجدلى ، ولكنه تأكيد مفارق . " ^(٤) فهذه التأكيدات وغيرها الكثير تحتم علينا أن نقدم شيئا من الايضاح لما يقصده تلش بكلمة مفارق حتى يمكن فهم هذه التأكيدات فهما سليما . فما الذى يقصده تلش بتلك الكلمة ؟ ولكى يجيب على هذا السؤال ، راح تلش يمهد لذلك بقوله " إن استخدام كلمة مفارق وكلمة مفارقة يحتم بالضرورة توضيح المقصود بهما . وذلك لان هاتين الكلمتين قد استخدمتا استخداما خاطئا إلى حد أن تطبيقهما على الحقيقة المسيحية (يسوع هو المسيح) لا يفضى إلا إلى اللبس

1) Ibid., P. 97.

2) Ibid., P. 90.

3) Ibid., P. 94.

4) Ibid., P. 92.

5) Ibid., P. 90.

والامتعاض^(٥) ثم شرع بعد ذلك فى توضيح معنى كلمة مفارق على النحو التالى :

"إن المفارقة يجب أن تفهم فى ضوء المعنى الحرفى للكلمة . فالمفارق هو الذى يناقض 'الدوكسا' doxa أى، الرأى المبني على الخبرة (أو التجربة) الانسانية العادية فى شموليتها ، يدخل فى ذلك الخبرة الامبريقية والعقلية ."^(١) والمفارقة، بهذا المعنى ، هكذا يؤكد تلش ، ليست لا عقلانية كما أنها ليست بالامر المحال حدوثه ، وهى ليست عبثية كما أنها ليست لغزا منطقيا . إن المفارق " يتجاوز سائر التوقعات الانسانية الممكنة وكذا سائر الاستعدادات الضرورية للانسان . إنه يتجاوز العقل المتناهى ، ولكنه لا يحطمه ."^(٢) هذا يعنى أن تلش يرى أن الشئ المفارق هو شئ يمكن حدوثه بالفعل غير أن كيفية حدوثه تعد أمرا يفوق الخبرة الانسانية فى كليتها ومن ثم يفوق توقعات سائر البشر . والمفارقة بهذا المعنى تعد شيئا يتجاوز نطاق العقل ، ولكنها لا تحطم العقل المتناهى . فالمفارقة تحدث هذا على الرغم من أن العقل لا يستطيع أن يدرك كنهها ، لأنها تتجاوز نطاقه وتنفذ سائر التوقعات .

هذا المعنى للمفارقة يشكل الاساس التحتى للفكرة الاساسية التى تقوم عليها مناقشة تلش للوجود الجديد الذى تجلى فى يسوع باعتباره المسيح بأكملها ، والتى تؤكد أن الانسانية الماهوية أو "العلاقة الماهوية بين الله والانسان essential God-Manhood تجلت داخل الوجود وذلك فى يسوع باعتباره المسيح الذى اخضع نفسه لأوضاع الوجود ولم يقهر بواسطة تلك الأوضاع ."^(٣) لقد استطاع يسوع أن يقهر الاغتراب الوجودى بواسطة قوة وحدته مع الله ، بواسطة تلك الوحدة التى لم تتصدع أبدا . فمن خلال وجوده أصبح الوجود الجديد حقيقة واقعة ، والوجود الجديد هو إعادة تأسيس الوحدة بين الله والانسان ."^(٤) هذا يعنى ضمنا أن تلش يرى أن

1) Ibid., P . 92

2) Ibid., Vol . I , P . 57 .

3) Ibid., Vol . 2 , P . 98 .

4) Ibid., P . 148 .

يسوع باعتباره المسيح هو " الوسيط mediator " بمعنى انه الانسان الماهوى الذى يصور الاله للانسان. إنه لا يصور الانسان للاله بل يوضح بالاحرى الطبيعة التى يريد لها الاله للانسان . إنه يصور لأولئك الذين يعيشون فى ظل أوضاع الوجود كيف يكون الانسان من الناحية الماهوية وبالتالى كيف يجب أن يكون الانسان فى ظل تلك الاوضاع..^(١) إنه الانسان الماهوى الذى يصور " الاله للانسان ، وذلك لان الانسان الماهوى ، بحكم طبيعته ، يصور الاله. إنه يمثل الصورة الاصلية للاله المتجسدة فى الانسان .^(٢) ولكن يسوع، هكذا يرى تلش ، ليس هو الوسيط فحسب ، بل هو "المنقذ" Savior أيضا . وهو يتمتع بهذه الخاصية ، نظرا لان " الوسيط يتمتع بها، ومن ثم فهو المنقذ".^(٣) إنه، بتعبير آخر ، الوسيط والمنقذ معا وفى نفس الوقت. هذا لا يعنى أن تلش يرى أن هذه الخاصية الاخيرة التى يتمتع بها يسوع باعتباره المسيح هى خاصية متوقفة على إرادة يسوع الشخصية بمعنى انه يستطيع أن ينقذ أولا ينقذ وفقا لارادته الذاتية . إن العكس هو الصحيح بمعنى ان تلش يرى أن هذه الخاصية متوقفة على إرادة الله ، وذلك لأن الله وحده هو المنقذ أو المخلص من الازمة الانسانية. لهذا السبب وجه تلش الانتباه إلى أن القول الذى مؤداه ان يسوع هو المنقذ يجب ان يؤخذ على أنه يعنى " انتا نرى فى وجه يسوع وجه الله ، ومن خلاله نمر بتجربة إرادة المصالحة الالهية".^(٤) من هذا المنطلق راح تلش يقرر أننا لا نستطيع أن نصلى لاحد سوى الله . إذا كان يسوع هو شخص ما إلى جانب الله ، فانتا لا نستطيع ولا يجب أن نصلى له . إن العديد من المسيحيين ، العديد منا ، لا يجد مبررا للانضمام باخلاص إلى أولئك الذين يصلون ليسوع المسيح . هناك شيء ما ممتعض فى داخلنا ، شيء أصيل ومشروع ، إنه الخوف من الصنمية ، الخوف من تصدع إخلاصنا المطلق.

1) Ibid ., p. 93.

2) Ibid ., p. 94.

3) Ibid ., p. 93 .

4) Ibid ., p. 169 .

الخوف من النظر إلى وجهين بدلا من الوجه الالهي الواحد. غير أن من يرى 'يسوع' يرى الاب (الله). ليس هناك وجهان بل وجه واحد. فمن خلال وجه يسوع باعتباره المسيح، يشرق الله بوجهه علينا. (١)

هذا المعنى الذي قدمه تلتش لهاتين الصفتين - الوسيط والمنقذ - يشكل الأساس الذي شيد عليه تفسيره لطبيعة "التجسيد Incarnation". حقا لقد عارض تلتش التفسير الحرفي لفكرة التجسيد، الذي يعنى "أن الله قد أصبح إنسانا". (٢) والسبب في ذلك يرجع إلى أنه يرى أن هذا التفسير الحرفي ليس تفسيراً "مفارقاً بل تقريراً عيبياً". إنه عبارة عن خليط من كلمات لن تفهم إلا إذا أخذت على غير معناها الحرفي. (٣) فالتجسيد، هكذا يؤكد تلتش ضد هذا التفسير الحرفي، لا يعنى سوى "أن الله قد تجلى في حياة شخصية (أى تجلى في يسوع) على هيئة مشارك في ومنقذ من الازمة الانسانية". (٤) هذا التفسير أدى بتلتش إلى تقديم تفسير جديد للعبارة الشهيرة في المسيحية التى تقول أن "اللوجوس (أو الله) قد أصبح جسداً The 'Logos' became Flesh". (٥) فهذه العبارة، هكذا يقول تلتش، فهمت في الغالب بلغة التحول إلى طبيعة أخرى Transmutation أو بلغة المسخ Metamorphosis الفعلى. هذا الفهم يعتبره تلتش فهما خاطئاً، وذلك لأنه يرى "أن تجسد اللوجوس ليس مسخاً" (٦) بل هو بالأحرى "تجليه الكامل في حياة شخصية". (٧) هذه الحياة الشخصية هي حياة يسوع باعتباره المسيح.

-
- 1) Tillich, P., 'He Who Believes in Me', The Boundaries of Our Being, P. 226.
 - 2) Tillich, P., Systematic Theology, Vol. 2, P. 94.
 - 3) Ibid., Loc. cit.
 - 4) Ibid., P. 95.
 - 5) Ibid., Loc. cit.
 - 6) Ibid., P. 149.
 - 7) Ibid., Loc. cit.

يتضح من ذلك أن تلش يرى أن يسوع باعتباره المسيح يمثل " تجلى الوجود الجديد في الزمان والمكان .^(١) وما دام الامر كذلك ، فإن هذا يعني أنه إذا شارك سائر البشر في ذلك الوجود الجديد الذي تجلى في يسوع باعتباره المسيح فسوف يترتب علي ذلك قهر اغترابهم وكذا قهر سائر الصراعات والتمزقات الناجمة عن ذلك الاغتراب ، وما ذلك إلا لان يسوع باعتباره المسيح يمثل " التجلى النهائي للوجود الجديد ذاته .^(٢) هذا الوجود الجديد ، هكذا يضيف تلش في موضع آخر ، " الذي يعدّه الايمان المسيحي متجليا في يسوع باعتباره المسيح ، يؤثر في الحياة الشخصية للفرد كما يؤثر في حياة المجتمع ، وهو، كما تدل على ذلك ممارسة الطقوس ، لا يستبعد حتى من الطبيعة .^(٣) هذا يعني ، بتعبير آخر ، أنه يمتد إلى " العوالم ' اللانسانية التي يكون اغترابها اغترابا حقيقيا ، ويكون لديها في نفس الوقت درجة ما من الوعي بهذا الاغتراب . فتلك العوالم لا تخلو من قوة منقذة تعمل في داخلها . هذا وإذا سيكون التحطيم الذاتي لتلك العوالم هو النتيجة الحتمية التي لا يمكن الهروب منها . إن تجلى قوة منقذة في مكان ما يعني ضمنا أن القوة المنقذة تعمل في سائر الاماكن . فتوقع المسيح كحامل للوجود الجديد يفترض سلفا أن 'الله يحب الكون' ، حتي وإن كان تحقق هذا الحب من خلال ظهور المسيح هو أمر يحدث للانسان التاريخي وحده .^(٤) هذا يعني أن الكون كله يشارك، في رأى تلش ، في الاغتراب كما يشارك أيضا في الخلاص من خلال قوة الوجود الجديد الذي تجلى في يسوع باعتباره المسيح .

1) Ibid ., P. 99 .

2) Ibid ., Loc . cit

3) Tillich , P .; The Protestant Era , P. 204 .

4) Tillich , P., Systematic Theology , Vol . 2, , P. 96.

هذا الوجود الجديد الذى تجلى فى يسوع باعتباره المسيح يعد حادثة فريدة تتمتع بشكل أو بصورة أصيلة لم يسبق لها مثيل ، فما هى المصادر التى اعتمد عليها تلش فى بيان تلك الصورة ؟ إن إجابته على هذا السؤال تجرى على النحو التالى :

إن العهد الجديد يعد بكل المقاييس الوثيقة التى تتجلى فيها صورة يسوع باعتباره المسيح فى شكلها الاصلى والرئيسى . وسائر الوثائق الاخرى ، منذ عهد الآباء اليسوعيين ، وحتى اللاهوتيين المعاصرين ، معتمدة على هذه الوثيقة الاصلية . والعهد الجديد نفسه هو جزء لا يتجزأ من الحادثة التى يدونها . وهو يمثل جانب التقبل الايمانى لتلك الحادثة ويعد فى حد ذاته شاهدا على جانبها الحقيقى . وإذا كان ذلك صحيحا ، فإننى أستطيع أن أقول إن العهد الجديد فى مجموعه هو الوثيقة الرئيسية التى يركز عليها الايمان المسيحى . إن سائر أجزاء العهد الجديد تتفق على ذلك .^(١)

هذا النص يتضمن رأى تلش الذى مؤداه أن الايمان المسيحى يتأسس على صورة يسوع باعتباره المسيح "المدونة فى العهد الجديد ، والتى مهد لها العهد القديم .^(٢)

كما يتضمن أيضا تأكيده الذى يفيد بأن حادثة يسوع باعتباره المسيح التى هى حادثة تجلى الوجود الجديد فى شخص يسوع توحد بين جانبين يتحتم تأكيدهما معا وفي نفس الوقت بنفس القدر وذلك لانهما يتمتعان بنفس الاهمية . هذان الجانبان هما "الواقعة التى تدعى يسوع الناصرة وتقبل أولئك الذين تقبلوه باعتباره المسيح لتلك الواقعة .^(٣) هذا يعنى ، بتعبير آخر ، أن الحادثة المسيحية "يسوع باعتباره المسيح هي حقيقة تاريخية ومسألة تقبل إيمانى . فالمرء لن يستطيع الحديث عن الحادثة التى تركز عليها المسيحية بدون تأكيد كلا الجانبين .^(٤) والسبب فى ذلك يرجع إلى " أن

1) Ibid ., P. 117 .

2) Tillich,P., Christianity and the Encounter of the World Religions,P. 36

3) Tillich , P., Systematic Theology , Vol . 2, P. 97

4) Ibid, P.98.

الجانب المتعلق بتقبل الحادثة المسيحية يتمتع بنفس الأهمية التي يتمتع بها الجانب الحقيقي .^(١) في ضوء ذلك راح تلش يوجه لومه إلى اللاهوت المسيحي وبصفة خاصة إلى اللاهوت السابق عليه. هذا اللوم يجرى على النحو التالي: " لقد كان بالإمكان تجنب الكثير من الأخطاء اللاهوتية هذا إذا كان هناك تأكيد على الجانبين المتعلقين بالحادثة المسيحية وبنفس القدر من القوة. فإذا تجاهل اللاهوت المسيحي أحد الجانبين تجاهلاً تاماً فسوف يجتث من جذوره . فتجاهل اللاهوت للواقعة التي يشير إليها اسم يسوع الناصري (أي تجاهله لشخص يسوع نفسه) يعنى تجاهله للتأكيد المسيحي الرئيسي الذي مؤداه أن العلاقة الماهوية بين الله والإنسان قد ظهرت في داخل الوجود واخضعت نفسها لأحوال الوجود بون أن تقهر بتلك الأوضاع . فإذا لم تكن هناك حياة شخصية قهر من خلالها الاغتراب الوجودي، لبقى الوجود الجديد مجرد مطلب واستحال عليه أن يصبح حقيقة زمانية ومكانية لا يرقى إليها الشك. أما إذا قهر الوجود من خلال شخص واحد - من خلال حياة شخصية ، تمثل الوجود ككل - ففي هذه الحالة وحدها نستطيع أن نقول إن الوجود قد قهر من حيث المبدأ ، أعنى ، منذ البداية ويقوة . هذا هو السبب الذي يحتم على اللاهوت المسيحي الاصرار على تأكيد الحقيقة الفعلية التي يشير إليها اسم يسوع الناصري .^(٢) غير أن تأكيد هذا الجانب من الحادثة يحتم أيضاً وفي نفس الوقت تأكيد الجانب الآخر. " فالجانب الآخر ، التقبل الايماني ليسوع باعتباره المسيح " ، هكذا يقول تلش ، " يتحتم تأكيده وبنفس القوة . فبدون هذا التقبل الايماني لن يكون المسيح هو المسيح ، أعنى تجلى الوجود الجديد في الزمان والمكان . إذا لم يكن يسوع قد أثر من خلال كونه المسيح في حواريه وكذا ، وهذا حدث من خلال حواريه ، في الاجيال التالية ، لكان الرجل الذي يدعى يسوع يذكر على الدوام كمجرد شخص يتمتع بشيء من الأهمية التاريخية

1) Ibid., P. 99

2) Ibid., P.98.

والدينية ... وكان هذا الرجل مجرد توقع نبوى prophetic لمقدم الوجود الجديد، وليس التجلى النهائى للوجود الجديد نفسه. وفى هذه الحالة لن يكون هو المسيح حتى إذا ادعى أنه كذلك . إن جانب التقبل الايمانى للحادثة المسيحية لا يقل أهمية عن جانبها الحقيقى. والوحدة بينهما تخلق الحادثة التى تركز عليها المسيحية ^(١).

فى ضوء هذا الفهم لحادثة يسوع باعتباره المسيح ، شرع تلش فى تقييم البحث التاريخي الذى نهض من أجل محاولة التأريخ ليسوع ، والذي بدأ ، كما يقول هو، منذ مائتى سنة مضت . وهو يستهل هذا التقييم بقوله إن البحث التاريخي النقدي " لا يستطيع أن يثبت أو ينفي أساس الايمان المسيحي ^(٢) " إنه ، بتعبير آخر ، لا يستطيع أن يثبت أو ينفي بطريقة قاطعة صورة يسوع باعتباره المسيح التى جاءت فى العهد الجديد ، والتى يركز عليها الايمان المسيحي . " فهذه الصورة هى التى خلقت ، على مدار تاريخ الكنيسة ، كلا من الكنيسة والانسان المسيحي ^(٣) " وهذه الصورة نفسها هى التى لن يتمكن البحث التاريخي النقدي من " التحقق من بعد واحد من أبعادها بصورة يقينية ^(٤) " والسبب فى ذلك يتلخص فى رأى تلش فى أن سائر أبعاد تلك الصورة قد صورت أصلا فى العهد الجديد بواسطة أولئك الذين هم أول من آمنوا به باعتباره المسيح . لقد قدم هؤلاء تفسيراتهم ليسوع الناصرى ، حامل الوجود الجديد ، وسائر الاوصاف التى قدموها فى العهد الجديد تعد المصادر الاصلية الوحيدة التى بين أيدينا والتى يتحتم على البحث التاريخي أن يعتمد عليها فى تقديم وصف دقيق لحقيقة يسوع الناصرى . ولكن هذه المصادر هى مصادر ظنية أو محتملة ولا تتمتع بصفة اليقين المطلق ، وطالما أنها كذلك ، وطالما أنه يتحتم على البحث النقدي التاريخي الاعتماد عليها باعتبارها المصادر الاصلية الوحيدة ، فإن هذا يعنى أن النتائج

1) Ibid., P. 99.

2) Ibid., P. 113.

3) Ibid., P. 115

4) Ibid., P. 114

التي سيتوصل اليها البحث التاريخي ستكون بالضرورة نتائج ظنية او محتملة .^(١) من هنا راح تلش يقرر " أن البحث عن يسوع التاريخي كان محاولة لاكتشاف أبسط قدر من الحقائق اليقينية عن الرجل يسوع الناصري ، وذلك من أجل تقديم أساس أمين للايمان المسيحي . هذه المحاولة هي محاولة فاشلة . فالبحث التاريخي قدم نتائج محتملة بشأن يسوع ، نتائج إما ذات احتمالية عالية او ذات احتمالية ضعيفة . وفي ضوء تلك الاحتمالات ، قدم تصورات لحياة يسوع . غير أن تلك التصورات كانت اقرب إلى الروايات منها إلى السير الذاتية ، ولم تتمكن بال تأكيد من تقديم أساس أمين للدين المسيحي . فالمسيحية لا تركز على قصة تاريخية ، بل تركز على تقبل أو لئك الذين لم يكن لديهم أى اهتمام بالسيرة الذاتية للمسيح (أى الحواريين) للصفة المسيح التي يتمتع بها يسوع .^(٢) هذا لايعنى أن تلش يستبعد تماما احتمالية أن يتوصل البحث التاريخي إلى حكم مؤداه أن الرجل يسوع الناصري هو رجل لاوجود له على الاطلاق وأن سائر أبعاد حياة يسوع التي صورت فى العهد الجديد هي أبعاد مشكوك فيها تماما . ان العكس هو الصحيح بمعنى ان تلش لا يستبعد هذه الاحتمالية ، بل ويقرها تماما ، وهو يوضح إقراره لها من خلال التساؤلات الآتية : " أليس قبول المنهج التاريخي فى التعامل مع الوثائق الاصلية للايمان المسيحي يدخل عدم امان خطير فى فكر وحياة الكنيسة وكل فرد مسيحي ؟ أليس بإمكان البحث التاريخي أن ينتهى إلى شك كامل فى مدونات العهد الجديد ؟ أليس من المحتمل أن يصل النقد التاريخي إلى حكم مؤداه أن الرجل يسوع الناصري لم يعيش أبدا ؟ ألم يتوصل بعض المدرسين ، هذا على الرغم من أنهم قلة ولا يتمتعون بالاهمية ، إلى هذا الحكم ؟ وحتى إذا كان هذا الحكم لا يتمتع بصفة اليقين ، أليس القول باحتمالية عدم وجود يسوع هو قول مدمر بالنسبة للايمان المسيحي ، بغض النظر عن مدى ضالة هذا الاحتمال ؟^(٣) ولكن على الرغم من أن تلش يقر احتمالية أن يكون الرجل يسوع لم يوجد على الاطلاق ، إلا أنه

1) Ibid., PP. 101 - 107

2) Ibid., P. 105

3) Ibid., P. 113

يؤكد فى نفس الوقت على أنه ليس هناك بحث تاريخى نقدى يمكنه أن يشك فى ، أو حتى يمس، عنصرين أساسيين يشكلان جوهر الايمان . العنصر الاول هو أن صورة يسوع باعتباره المسيح " تتمتع بالقدرة على تبديل أولئك الذين تبدلوا بها .^(١) هذه الصورة تتمتع بهذه القدرة على التبديل وذلك " لأن قوة الوجود الجديد تتبدى فيها ومن خلالها .^(٢) والامر الذى يؤكد ذلك هو أن كل من استحوذت عليهم هذه الصورة قد وجدوا أنفسهم فى حالة تبدل . إن ذلك أمر " لا يمكن لأى نقد تاريخى أن يشك فيه .^(٣) أما العنصر الثانى فهو أن هذه الصورة ليست صورة من وحى الخيال، بل تجلت فى شخصية حقيقية ومتعينة . لأنه لو كان الامر خلاف ذلك ، لما استطاع معاصرى المسيح أن يخلقوا صورة تتمتع بهذه القدرة على التبديل . " هذا يقودنا " ، هكذا يقول تلش ، " إلى مناقشة الفارق بين صورة متخيلة وصورة حقيقية . لو كانت هذه الصورة من وحى خيال معاصرى المسيح لجاءت معبرة عن وجودهم غير المتبدل وبالتالي عن طلبهم لوجود جديد . إنها لن تكون الوجود الجديد ذاته .^(٤) ولكن طالما أن هذه الصورة تمتع بالقدرة على التبديل ، فإن هذا يعنى أنها ليست من وحى خيال معاصرى المسيح .

ولكن ، إذا كانت هذه الصورة تتمتع بهذه القدرة على التبديل ، فما هى طبيعة ذلك التبديل الذى تحدثه هذه الصورة التى هى صورة الوجود الجديد الذى تجلى فى يسوع باعتباره المسيح ؟ إن إجابة تلش على هذا السؤال تجرى على النحو التالى : " إن الوجود الجديد هو الوجود الماهوى فى ظل أوضاع الوجود ، إنه يقهر الهوة بين الماهية والوجود . لقد عبر بولس عن نفس هذه الفكرة من خلال استخدامه لمصطلح 'المخلوق الجديد' New Creature ، فسمى أولئك الذين يشاركون فى المسيح 'مخلوقات جديدة' ... إن من يشارك فى الوجود الجديد المتجلى فى المسيح يصبح مخلوقا جديدا

1) Ibid., P. 114.

2) Ibid., P. 115

3) Ibid., P. 114

4) Ibid., P. 115

وذلك يحدث من خلال فعل ابداعى .. فيتم قهر اغتراب المرء عن وجوده الماهوى من حيث المبدأ .. إن الوجود الجديد يعتبر جديدا نظرا لأنه التجلى غير المتشوه للوجود الماهوى فى ظل أوضاع الوجود . وهو جديد من اعتبارين : من حيث كونه يناقض طابع الامكان الصرف الذى يتصف به الوجود الماهوى ، ومن حيث كونه يناقض الطابع المفترق للوجود . فالوجود الجديد هو وجود متحقق بالفعل ، وهو يقهر اغتراب الوجود الفعلى .^(١) هنا يوجه تلش الانتباه إلى حقيقة مؤداها " أن يسوع باعتباره المسيح هو حامل الوجود الجديد من خلال وجوده فى كليته أو شموليته ، لا من خلال دلالة معينة من دلالات وجوده . فوجوده بأكمله هو الذى يجعله المسيح وذلك لان وجوده يتسم بطابع الوجود الجديد فيما وراء تصدع الماهية والوجود . والامر المترتب على ذلك هو أنه لا كلماته ، ولا أفعاله ، ولا معاناته ، ولا حتى ما يسمى باسم 'حياته الباطنية' تجعل منه المسيح . فكل هذه تعد دلالات للوجود للوجود الجديد الذى يتسم به وجوده ، والذى يسبق ويتجاوز سائر دلالاته.^(٢)

هذا الطابع المميز للوجود الجديد الذى تجلى فى يسوع باعتباره المسيح يتأكد ، فى رأى تلش ، من خلال صورة الوجود الجديد التى جاءت فى العهد الجديد . فهذه الصورة تؤكد " الطابع الذى يتميز به يسوع باعتباره حامل الوجود الجديد أو باعتباره الانسان الوحيد الذى قهر الصراع بين الوحدة الماهوية للانسان والله وبين الاغتراب الوجودى للانسان .. إن صورة يسوع باعتباره المسيح تناقض دلالات الاغتراب التى أوضحناها فى معرض تحليلنا للزمة الوجودية للانسان . وهذا أمر طبيعى نظرا لان التحليل كان معتمدا إلى حد ما على مجابهة الزمة الوجودية للانسان بصورة الوجود الجديد الذى تجلى فى المسيح .^(٣) هذا بالاضافة إلى أن هذه الصورة توضح أن

1) Ibid., PP. 118- 119.

2) Ibid., P. 121.

3) Ibid., PP. 125- 126 .

يسوع يتمتع ، مثله فى ذلك مثل أى إنسان آخر ، بحرية متناهية . حيث إنه بدون هذه الحرية ، لن يكون يسوع مساويا لسائر البشر ولن يكون هو المسيح .^(١) كما توضح الصورة أيضا مشاركة يسوع الكاملة فى الازمة الانسانية ، نظرا لأن هذه المشاركة تعد فى رأى تلش الشرط المسبق لقهر تلك الازمة.^(٢) هذا يعنى ، بتعبير آخر ، أن يسوع باعتباره المسيح جاء أصلا ، هكذا يرى تلش ، كى يقهر تلك الازمة ومن ثم يوضح لسائر البشر كيفية قهرها . ولكى يتمكن من قهرها كان من المحتم عليه أن يشارك فيها، مثله فى ذلك مثل أى شخص آخر . غير أن هذه الصورة ، هكذا يؤكد تلش، لا تكشف مطلقا عن أى آثار لفقد يسوع باعتباره المسيح لوحده الماهوية مع الله . فطبقا لصورة يسوع باعتباره المسيح التى جاءت فى العهد الجديد ، نجد أنه ... ليست هناك أى آثار تدل على اللايمان أعنى على انفصال مركزه الشخصى عن المركز الالهى الذى هو موضوع اهتمامه المطلق . حتى فى حالة يأسه الكامل من عمله كمسيح ، صرخ طالبا النجدة من الله الذى تخلى عنه . والصورة لا تكشف أيضا عن أى آثار للهيوبرس أو السمو الذاتى هذا على الرغم من وعيه بأنه يتمتع بخاصية المسيح . وفى اللحظة الحرجة التى لقبه فيها بطرس بلقب المسيح ، دمج يسوع قبوله لهذا اللقب بقبوله للموت الزؤام ، وبتحذيره لحوارييه الاينشروا خاصية المسيح التى يتمتع بها على الملأ . ونفس الامر أكدته بولس فى ترنيمة الخاصة بتعليله اللاهوتى لشخص المسيح ، والتى جاءت فى Philippians ، الفصل الثانى، والتى دمج فيها الشكل الالهى للمسيح المفارق Transcendent بقبوله أن يكون خادما . والانجيل (السفر) الرابع يقدم الأساس اللاهوتى لذلك من خلال عبارة نسبت إلى يسوع : 'إن من يؤمن بي لا يؤمن بي ، بل يؤمن بذلك الذى ارسلنى' . وليس هناك أى آثار للكونكيويسنس فى تلك الصورة . هذه النقطة تتأكد تماما من خلال قصة الاغراء فى الصحراء . لقد أغراه الشيطان بعدة أشياء كالطعام .. والقدرة أو القوة اللامحدودة . هذه الاغراءات كانت

1) Ibid., P. 127

2) Ibid., P. 123

تمثل نقاط ضعف ممكنة في المسيح ومن ثم كان يأمل الشيطان أن يقوم المسيح بتحقيقها . ولقد كان بإمكانه باعتباره المسيح تحقيق هذه الإغراءات . غير أنه لو فعل ذلك لكان شيطاناً وكف عن أن يكون مسيحاً .^(١) يتضح من ذلك أن صورة يسوع باعتباره المسيح التي جاءت في العهد الجديد لا تنطوي في رأى تلش على أى آثار لعدم الايمان ، والهيوبرس ، والكونكيويسنس . هذا بالإضافة إلى أن هذه الصورة تؤكد في رأيه هذه العناصر الثلاثة : أولاً ، ان الإغراءات التي تعرض لها يسوع كانت إغراءات حقيقية ، ثانياً ، ان يسوع كان ، مثله في ذلك مثل أى شخص آخر، متناهيًا ، ثالثاً ، انه شارك في العنصر المساوى في الوجود او ، بتعبير أدق ، في الازمة الانسانية .^(٢) هذه العناصر الثلاث أفرد لها تلش مناقشة خاصة في كتابه " اللاهوت النسقي " . ولقد ناقش العنصر الاول تحت عنوان " حقيقة اغراءات المسيح " . ثم أوضح ما يقصده بذلك على النحو التالى " طالما أن يسوع باعتباره المسيح يتمتع بحرية متناهية ، فإن هذا يعنى أنه واجه إغراء حقيقياً . فالامكانية في حد ذاتها تنقسم بالاغراء . ويسوع لن يمثل الوحدة الماهوية بين الله والانسان (الالهية - الانسانية الابدية - Eternal God- Manhood) بدون إمكانية الاغراء الحقيقى .^(٣) هذا يعنى ضمناً أن تلش يرى أن صورة يسوع باعتباره المسيح التي جاءت في العهد الجديد توضح أن يسوع واجه اغراءات حقيقية وخطيرة . فطبقاً لقصة العهد الجديد ، نجد أن الشيطان هو الذى أثار في نفس يسوع تلك الاغراءات . هذه الاغراءات تعكس الحقيقة التي مؤداها ان يسوع يتمتع بحرية متناهية . وطالما أنه حرية متناهية ، فإن هذا يعنى أنه يواجه إمكانية ، أعنى إمكانية أن يفعل او الايفعل . وهذا هو الاغراء المتضمن في الامكانية . من هذا المنظور ينقد تلش او لئك الذين حاولوا إنكار حقيقة وخطورة الاغراءات التي واجهها يسوع بسبب ميلهم إلى القول بطبيعة واحدة للمسيح هي الطبيعة الالهية ومن ثم إنكار الطبيعة البشرية الكاملة ليسوع . ولقد صاغ تلش نقده لهؤلاء على النحو التالى : " إن الميل إلى القول بطبيعة واحدة ، ذلك الميل الذى يسرى في تاريخ الكنيسة بأكمله ، ونجده عند الكثير من اللاهوتيين بل وفي المسيحية الشعبية أو الدارجة ، قد أفضى بالعديد إلى إنكار الحقيقة التي مؤداها ان إغراءات المسيح كانت اغراءات خطيرة . إنهم

1) Ibid., P. 126.

2) Ibid., PP. 127-134.

3) Ibid., P. 127.

لم يستطيعوا إقرار البشرية الكاملة ليسوع باعتباره المسيح ، أى إقرار حريته المتناهية التى تتضمن إمكانية استسلامه للاغراء . لقد جربوا يسوع ، عن غير قصد ، من تناهيه الفعلي ونسبوا إليه التجاوز الذاتى الالهي الذى يقع فيما وراء الحرية والمصير . لقد كانت الكنيسة على صواب فى مقاومتها لتشويه صورة يسوع باعتباره المسيح ، ذلك التشويه الذى يسئل عنه أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة ، هذا على الرغم من أن مقاومتها لم تنجح على النحو الكامل^(١) ولكن تلش يشير هنا الى حقيقة مؤداها " ان

1) Ibid., PP. 127-128.

فى كتاب تلش الذى يحمل عنوان " بول تلش ، اهتمام مطلق ، محاورات مع الطلاب " ، وجه أحد الطلاب إلى تلش السؤال "سالى : "إذا كان يسوع هو حقا 'ابن الله' ، فلماذا كان من الضرورى ان يتعرض للاغراء فى البرية كاختبار من الله ؟ لو كان الله أرسله بحق إلى الارض باعتباره ابنه ، لعرف موقف يسوع من تلك الاغراءات بصورة مباشرة ويدون اى اختبار ."

Tillich, P., Paul Tillich, Ultimate Concern, Dialogues With Students , P. 136.

وكانت إجابة تلش على هذا السؤال على النحو التالى : " بلى ، ولكنك تتحدث الآن عن المفهوم الخرافى 'ابن الله' . فى ضوء ذلك يكون سؤالك مشروعاً تماماً بالطبع . ولكن الكنيسة عارضت يوماً المذهب القائل 'بالطبيعة الواحدة' monophysitism للمسيح . فالكلمة تعنى طبيعة واحدة : فكلية mon- os تعنى واحدة أو واحد وكلمة physis تعنى طبيعة ، والمصطلح ينطبق على أولئك الذين اصرروا على ان المسيح يتمتع بطبيعة واحدة ، هى الطبيعة الالهية ، ولا يتمتع بطبيعة بشرية كاملة . ومع ذلك اذا قبلنا هذا التفسير ، الذى يمضى البشرية الكاملة للمسيح ، ويعارض العقيدة الرسمية للكنيسة ، فان سؤالك يكون فى هذه الحالة سؤالاً مشروعاً . ولكن الكنيسة أكدت يوماً مع بولس الذى كان واضحاً تماماً فى هذه النقطة ، ان يسوع كان ايضاً انساناً متمتعاً بالبشرية الكاملة وبالتالي خاضعاً للشرعية (او القانون) وذلك لان الوجود الانسانى هو وجود خاضع للتشريع . وتطبيقى الثانى على سؤالك هو أنك تفهم مصطلح 'ابن الله' بالمعنى الاغريقى الذى يعنى 'نرية الاله' - لم يكن هناك إلهاً واحداً بل كانت هناك آلهة عديدة هذا على الرغم من أن الغالبية العظمى من الأبناء كانت تنسب للاله الأعلى . زيوس ... هؤلاء 'الأبناء' كانوا يولدون فى العادة من اناث بشرية ويصبحون 'أبناءً للاله' . ولكن هذه الفكرة الاسطورية هى فكرة مستحيلة ، ولقد بدت كذلك من وجهة نظر اليهود تجاه يسوع وحوارييه . ولهذا دعنا ننسى ذلك المفهوم . إننى اؤمن ان التفسير الادق هو الذى قدمه ذلك الصوت الذى سمعته يوحنا أو يسوع - فالقصة تروى بطرق مختلفة - فى مسرح التعميد ، والذى قال : "أنت ابنى المحبوب . لقد اخترتك اليوم" . هذه الكلمات لا علاقة لها بالشكل الميتافيزيقى او الاسطورى للابن . فاذا تخيلنا عن الاسطورة ، وقرأنا ببساطة ما نقوله قصص الانجيل ، سنجد صورة لانسان مدفوع بالروح القدس إلى خاصيته ، إلى رسالته ، إلى عمله كمسيح ، ويتوقع حلول مملكة الله فى رسالته .. أليست هذه إجابة واضحة على سؤالك؟ إن يسوع كان إنساناً بكل ما فى الكلمة من معنى ، لقد كان مليئاً بالضعف ، مليئاً بالايروس . لقد انخرط فى سائر ألوان التراجيديات الانسانية ، ولكنه لم يتخل عن علاقته بالله ."

Ibid., PP. 137-138.

قبوله للتأكيد الذى يفيد بأن قصة الكتاب المقدس تشير إلى إغراءات حقيقية ، يحتم عليه مواجهة مشكلة على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لمذهبه الإنسانى عامة وبالنسبة لمذهبه فى التحول من الماهية إلى الوجود بصفة خاصة .^(١) هذه المشكلة تتضح من خلال التساؤلات التالية التى يطرحها تلش : " ماهى الاحوال التى تجعل الاغراء متسما بالخطورة ؟ أليست الرغبة الحقيقية فى ذلك الذى يتمتع بالقدرة على أن يغرى تعد احد تلك الاحوال ؟ ولكن إذا كانت هذه الرغبة موجودة ، الا يكون هناك اغتراب سابق على قرار الاستسلام او عدم الاستسلام ؟ هذا الموقف يصف بلاشك الموقف الإنسانى فى ظل اوضاع الوجود ."^(٢) فالموقف الإنسانى فى ظل اوضاع الاغتراب الوجودى يكشف ، هكذا يريد أن يقول تلش ، عن أن الاغراء الخطير يفترض سلفا الرغبة الفعلية من جانب الإنسان فى ذلك الذى يتمتع بالقدرة على أن يغرى (أى موضوع الاغراء) . وهذا يفترض بدوره اغترابا عن الله بمعنى ان هذا الاغتراب يكون سابقا على قرار الإنسان الاستسلام او عدم الاستسلام للاغراء . " فمنذ بداية الحياة تدفعنا رغباتنا إلى الامام ، وتظهر امكانيات . هذه الامكانيات تصبح إغراءات وذلك عندما يجبر التحريم Prohibition (كما فى قصة الفريوس) المرء على التروى واتخاذ القرار "^(٣) اما فيما يتعلق باغراءات يسوع ، فالامر يكون ، هكذا يؤكد تلش ، مختلفا تماما والفارق يكمن هنا فى أن يسوع لم يتخل مطلقا عن وحدته مع الله . ولذا استطاع أن يقاوم موضوعات الرغبة التى أوعزله بها الشيطان : فى البيرة كما جاء فى قصص العهد الجديد . حقا ، لو فشل يسوع فى مقاومتها ، " لكان معنى ذلك " . كما يقول تلش ، " تخليه عن خاصيته كمسيح ."^(٤) هذا يعنى ضمنا أن معارضة يسوع للاغراءات لم تكن

1) Tillich, P., Systematic Theology, Vol. 2, P. 128 .

2) Ibid., Loc. cit.

3) Ibid., Loc. cit.

4) Ibid., P. 129.

مسألة عارضة ، ولو كانت عارضة لكان معنى ذلك " أن خلاص الجنس البشرى يتوقف على قرار عارض لفرد . "(١) إن قرار يسوع عدم الاستسلام للاغراء لم يكن قرارا عارضا على الاطلاق . ويمكن تلخيص تبرير تلش لذلك على النحو التالي : إن قرار يسوع الذى يقضى " بعدم الاستسلام للاغراء هو قرار ينبثق عن حريته المتناهية بمعنى انه قرار حر . "(٢) ولكن حرية يسوع هي في نفس الوقت " حرية متداخلة مع مصيره . "(٣) وهذا يعنى أن حرية يسوع ، مثلها في ذلك مثل حرية أى فرد آخر ، متوافقة على مصيره ، والعكس ، بمعنى ان مصيره متوافق على حريته . وهذا يعنى بالتالى أن قرار يسوع صادر عن حريته المتناهية وعن مصيره الذى يقع " تحت ظل الابداع الغائى لله (العناية الالهية) "(٤) هذه الرؤية ، هكذا يضيف تلش ، " تجيب بالنفى على التساؤل المتعلق بما إذا كان خلاص الجنس البشرى يتوقف على قرار عارض لفرد (أى على الحرية بالمعنى الاحتمى) . "(٥) فقرار يسوع الذى يقضى بمقاومة الاغراء الخطير هو قرار صادر عن حريته المتناهية وعن مصيره الذى تتولاه العناية الالهية . هذا يعنى فى رأى تلش " أن مصير الانسان محدد بالابداع الالهى ، ولكنه يكون كذلك من خلال تقرير الانسان لمصيره الذاتى ، أعنى ، من خلال حريته المتناهية . من هذا الاعتبار يمكن القول ان تاريخ الخلاص وتاريخ المخلص (المنقذ) محددان تماما بنفس الطريقة . ونفس الامر ينطبق على التاريخ عامة وعلى تاريخ كل فرد . هذا يشير أيضا إلى حالة الاغتراب التى يجد الجنس البشرى نفسه واقعا فى شراكها . ليس هناك شخص يمكنه أن يدافع بقوة عن الفكرة العيشية التى مؤداها أن السبب العام فى الازمة الانسانية كان مرده إلى قرار خاطئ لفرد (آدم) . وعلى نفس

1) Ibid., Loc.cit.

2) Ibid., Loc.cit.

3) Ibid., P. 130.

4) Ibid., Loc.cit.

5) Ibid., Loc.cit.

المنوال أقول أن ظهور المسيح هو مسألة حرية ، ومصير معا وفي نفس الوقت كما أنه محدد أيضا بالعناية الالهية . ليس هناك شيء عارض يكمن وراء الموقف السلبي والموقف الايجابي للجنس البشرى ، بل هناك وحدة الحرية والمصير في ظل العناية الالهية .^(١)

أما العنصر الثانى من عناصر صورة يسوع باعتباره المسيح التى جاءت فى العهد الجديد فقد ناقشه تلش فى كتابه " اللاهوت النسقى " تحت عنوان " دلالات تنهى يسوع " . ولقد أوضح تلش هذا العنصر على النحو التالى : " لقد أكدت صورة يسوع باعتباره المسيح فى العهد الجديد على تناهيه بدرجة كبيرة . فهو قد تعرض ، باعتباره موجودا متناهيا ، للطابع العارض الذى يتصف به كل شيء يتمتع بالوجود .. لقد كان عليه أن يموت وأن يحس بالقلق على أن ماله إلى الموت . لقد وصف واضعوا الاناجيل (الأسفار) الاربعة هذا القلق بطريقة مثيرة .. لقد أحس ، مثله مثل أى انسان آخر ، بتهديد انتصار اللاوجود على الوجود .. لقد أحس ، مثله مثل أى إنسان آخر ، بافتقاره إلى مكان محدد . فكان يبدو منذ ميلاده غريبا وشريدا فى عالمه . لقد أحس بعدم أمان فزيقى ، واجتماعى ، وعقلى ، وكان فقيرا ، ولفظه شعبه . وفى محيط علاقته بالآخرين ، تجلى تناهيه فى شعوره بالوحدة والانعزال عن الجمهور وعن أقاربه وحوارييه . لقد كافح كى يجعلهم يفهمون ، ولكنه لم ينجح فى ذلك طوال حياته . ورغبته الدائمة فى السولتيود توضح أن حياته اليومية كانت مليئة باهتمامات متناهية متنوعة ناجمة عن ملاقاته للعالم . وفى نفس الوقت تأثر بعمق ببؤس الجمهور وببؤس كل شخص يتجه إليه . لقد قبلهم ، حتى وإن كانوا سيعارضونه فيما بعد . لقد شعر بكل التوترات الناجمة عن انتماء كل فرد متناهى لذاته وأثبت استحالة النفاذ إلى مركز أى شخص آخر . وفيما يتعلق بالحقيقة فى ذاتها ، يدخل فى ذلك حقيقة الاشياء والاشخاص ، نجد أنه كان يبدى شيئا من عدم اليقين فى احكامه ، وكان معرضا

1) Ibid., PP. 130- 131.

لمخاطر الخطأ ، وكان يتمتع بقوة محدودة ، وكان معرضا لتقلبات الحياة .. إن التناهي يتضمن القابلية للخطأ ، والخطأ ينتمى إلى مشاركة المسيح فى الازمة الوجودية للإنسان . إن الخطأ يتبدى فى مفهومه القديم للكون ، وفى حكمه على الناس ، وفى تفسيره للحظة التاريخية وفى تحليلاته للبعث الاخرى . وإذا نظرنا فى النهاية إلى علاقته بذاته ، نستطيع أن نشير من جديد إلى ما سبق أن ذكرناه عن حقيقة اغراءاته . فهذه الاغراءات تفترض سلفا الحاجة والرغبة . ويمكننا أن نشير أيضا إلى شكه فى عمله كمسيح ، وإلى تردده فى قبول لقب المسيح ، وفوق هذا وذاك ، إلى إحساسه أن الله تركه وحيدا دون أن يتدخل ، كما كان منتظرا منه ، فى حادثة الصلب . كل ذلك ينتمى إلى وصف تناهى يسوع باعتباره المسيح ويتمتع بمكانة فى صورته الكلية . هذا التناهي يعد عنصرا إلى جانب عناصر أخرى ، ولكنه عنصر يتحتم تأكيده ضد أولئك الذين ينسبون إليه قدرة كلية ، وعلما كليا ، وحضورا كليا ، ودهرية (أو أبدية) . فهذا الموقف الذى يتخذه أولئك الذين ينسبون إليه كل ذلك ينفى عن يسوع حقيقة تناهيه وينفى أيضا حقيقة مشاركته فى الوجود^(١) .

أما العنصر الثالث من عناصر صورة يسوع باعتباره المسيح التى جاءت فى العهد الجديد فقد ناقشه تلش فى " لا هوته النسقى " تحت عنوان " مشاركة يسوع فى العنصر المساوى فى الوجود " . وهو يستهل مناقشته لهذا العنصر بطرح هذه التساؤلات كى يجيب عليها : كيف يمكن لحامل الوجود الجديد أن يتورط فى العنصر المساوى للحياة ؟ ما هى صلته بذلك الغموض الذى يتسم به الذنب المساوى ؟ وما هى صلته بالنتائج المساوية المترتبة على وجوده ، يدخل فى ذلك أفعاله وقراراته ، بشأن أولئك الذين معه أو بشأن أولئك الذين ليسوا معه أو بشأن الذين ليسوا معه وليسوا ضده ؟^(٢) ثم قدم تلش إجابته على هذه الاسئلة من خلال احتكامه لأمثلة أو لشواهد

1) Ibid., PP. 131-132.

2) Ibid., P. 132.

أو أحداث حدثت بالفعل . " والمثال الاول الذى يعدأهم الامثلة من الناحية التاريخية فى هذا الشأن هو " ، كما يقول تلش ، " صراع يسوع مع قادة شعبه . " (١) هنا يقول تلش انه طالما أن صراع يسوع مع هؤلاء القادة هو الذى جعلهم يتربون فى الذنب ، " فإن هذا يعنى أن يسوع نفسه قد تورط فى العنصر المأساوى للذنب . " (٢) هذا يعنى أنه طالما أن يسوع يعد إلى حد ما مسئولاً عن ذلك ، فإن هذا يعنى أنه مذنب لكونه مسئولاً عن ذلك . ولكن على الرغم من إقرار تلش لذلك ، إلا أنه يؤكد فى نفس الوقت " أن عنصر الذنب هذا لم يمس علاقة يسوع بالله . إنه لم يفض إلى الاغتراب . انه لم يعزق مركزه الشخصى . بل هو دلالة على مشاركته فى الاغتراب الوجودى .. لقد كانت رؤية عميقة حول العنصر المأساوى للذنب تلك التى قدمها كيركيجورد عندما رفض إقرار وجهة النظر التى تقول إن أى فرد لديه الحق فى أن يدع الآخرين يقتلونه من أجل الحقيقة . إن من يفعل ذلك يتحتم عليه أن يعلم أنه يغزو مسئولاً على نحو مأساوى عن ذنب أولئك الذين يدعهم يقتلونه . " (٣) أما المثال الآخر الذى يقدمه تلش هنا فهو يتصل بعلاقة يسوع بيهودا . فطبقاً لقصة العهد الجديد ، نجد أن يسوع كان يعرف مقدماً أن يهوذا سيخونه وأن هذه الخيانة ستكون السبب فى موته . وطالما أن يسوع كان يعرف ذلك مقدماً ، وطالما أنه لم يمنع من ذلك وتركه يفعله ، فإن هذا يعنى أن يسوع نفسه اقترف ذنباً مأساوياً . لقد ساءم فى توريط يهوذا فى الذنب ، ولهذا السبب يكون يسوع مذنباً أيضاً . إنه مذنب لكونه مسئولاً عن ذنب يهوذا ، لأنه " لو لم يشأ يسوع حدوث ذلك ، لكان من الممكن الايحدث . " (٤) ولكن على الرغم من إقرار تلش لهذا الذنب ، إلا أنه يؤكد أيضاً وفى نفس الوقت أن هذا الذنب ، مثله فى ذلك مثل

1) Ibid., Loc.cit.

2) Ibid., P. 133.

3) Ibid., Loc.cit.

4) Ibid., Loc.cit.

الذنب السابق ، لم يمس علاقة يسوع الشخصية بالله ، بل هو دلالة علي مشاركته في الاغتراب الوجودي.

هنا يجب أن نوجه الانتباه إلى حقيقة على قدر كبير من الاهمية مؤداها انه إذا كان تلش قرر فيما سبق ان صورة يسوع باعتباره المسيح التي جاءت في العهد الجديد تقهر الدلالات الرئيسية للاغتراب (اللايمان ، والهيويرس ، والكونكيوبسنس) ، فهو يقرر هنا ان هذه الصورة " لا تزيل التناهي والقلق ، والغموض والتراجيديا ، ولكنها تأخذ سلبيات الوجود إلى حيث الوحدة غير المتصدعة مع الله . فالقلق على الموت لايزول ، ولكنه يؤخذ إلى حيث المشاركة في 'ارادة الله' ، أعنى ، في العناية الالهية . وتشرده وعدم امانه الفيزيقي ، والاجتماعي ، والعقلي لا ينمحيان بل بالاحري يتزايدان حتي اللحظة الاخيرة. ومع ذلك فهما يقبلان من خلال قوة المشاركة في 'مكان مفارق' ، ليس هو بمكان ما في حقيقة الامر بل هو الاساس الابدی لكل مكان ولكل لحظة في الزمان . وشعوره بالوحدة وكذا محاولاته المحيطة لجعل أولئك الذين جاء من أجلهم يتقبلونه تقبلا إيمانيا لاتنتهي فجأة بنجاح حاسم ، بل تؤخذ إلى حيث القبول الالهي لذلك الذي يعارض الله .. فمن خلال وحدته مع الله تمتع يسوع بوحدة مع أولئك الذين انفصلوا عنه وعن بعضهم البعض بواسطة انتماء ذاتي متناه وتحجب ذاتي وجودي . كما أن الخطأ والشك لم يزولا بل أخذوا إلى حيث المشاركة في الحياة الالهية ومن ثم أخذوا بطريق غير مباشر إلى حيث المشاركة في العلم الكلي الالهي . إن الخطأ والحقيقة يؤخذان إلى حيث الحقيقة المفارقة. ولهذا ، لانجد اعراضا لكبت الشك في صورة يسوع باعتباره المسيح . إن أولئك الذين لا يستطيعون السمو بشكوكهم إلى حيث الحقيقة التي تتجاوز كل حقيقة متناهية يتحتم عليهم كبت شكوكهم . إنهم يصبحون متعصبين بحكم الظروف . ومع ذلك ليست هناك أي آثار للتعصب في صورة الكتاب المقدس . إن يسوع لم يزعم أن رأيه المتناهي يتمتع باليقين المطلق. وعارض الاتجاه المتعصب الذي اتخذه حواريوه تجاه أولئك الذين لم يتابعوه . ومن خلال قوة

يقين يتجاوز اليقين واللايقين المتعلق بمسائل الدين والحياة الدنيوية ، قبل يسوع عدم اليقين كعنصر من عناصر تنافيه . هذا يشير أيضا إلى شكه في عمله كمسيح - ذلك الشك الذى وصل ذروته فى حادثة الصلب ولم يحطم وحدته مع الله . هذه هى صورة الوجود الجديد الذى تجلى فى يسوع باعتباره المسيح . انها ليست صورة لشخص آلى ، نصفه إنسانى والنصف الآخر الهى ، لشخص لا يتصف بالاغراء الخطير ، والنضال الحقيقى ، والتورط المأساوى فى غموض الحياة ، بل هى ، على النقيض من ذلك ، صورة لحياة شخص عرض نفسه لسائر نتائج الاغتراب الوجودى ولكنه قهر الاغتراب فى داخله واحتفظ بوحدة دائمة مع الله . ومن خلال هذه الوحدة قبل سلبيات الوجود (المتناهى) دون أن يزيلها . وهو فعل ذلك من خلال تجاوزه لهذه السلبيات بواسطة قوة هذه الوحدة . هذا هو الوجود الجديد الذى تجلى فى يسوع باعتباره المسيح وكما جاءت فى الكتاب المقدس .^(١) هذا النص يوضح ، باختصار شديد ، رأى تلش الذى مؤداه أن موقف سائر البشر يختلف عن موقف يسوع باعتباره المسيح من سلبيات التناهى . فإذا كان التناهى يجعل الانسان ، كما رأينا فى الفصل السابق ، عرضة ليس فقط لقلق مدمر بل أيضا لسلبيات أخرى مدمرة كالشعور بالوحدة وعدم الأمان والموت ، فإن الأمر يكون مختلفا تماما فى حالة يسوع . فعلى الرغم من تعرضه لأوضاع الاغتراب ، إلا أن وعيه بتنافيه لم يجعله عرضة لسلبياته المدمرة . لقد قهر هذه السلبيات من خلال قوة وحدته مع الله ، ولهذا السبب لم تكن هذه السلبيات مدمرة بالنسبة له .

تجدر الإشارة هنا إلى أن تلش يعارض وجهة النظر التى تقول " إن يسوع باعتباره المسيح هو عبارة عن وحدة شخصية تتألف من طبيعتين احدهما إلهية والاخرى انسانية."^(٢) والاسباب التى أدت به إلى معارضة هذا الرأى تنحصر فى

1) Ibid., PP. 134- 135.

2) Ibid., P. 148.

سببين . الأول هو أن يسوع يتمتع بحرية متناهية .^(١) لقد خلق متمتعا ، مثله في ذلك مثل أي إنسان آخر، بحرية متناهية.^(٢) ولكن على الرغم من أن يسوع يتمتع كسائر البشر بحرية متناهية ، إلا أنه يختلف عن سائر البشر من حيث كونه لم يستسلم مطلقا للاغتراب . "هذا الفارق يجعل تطبيق كلمة طبيعة على يسوع باعتباره المسيح على نحو مماثل لتطبيقها على سائر الموجودات الانسانية أمرا مستحيلا ."^(٣) أما السبب الآخر فهو أنه يستحيل من سائر الاعتبارات تطبيق كلمة طبيعة على الله ، وذلك لأن "الله مبدع على نحو أبدي."^(٤) ومن ثم فهو يتجاوز كل طبيعة أو ماهية .^(٥) في ضوء ذلك راح تلش يقرر انه طالما أن الرؤية التي تقول ان يسوع باعتباره المسيح هو وحدة شخصية تتألف من طبيعة إلهية وطبيعة إنسانية هي رؤية غير صائبة ، فإن ذلك يحتم استبدال هذه الرؤية بالتأكيد الذي مؤداه أن يسوع هو الانسان الوحيد الذي أصبحت من خلاله الوحدة الابدية بين الله والانسان حقيقة تاريخية .. إننا نستبدل مفهوم 'الطبيعة الالهية' غير المناسب بمفهوم 'وحدة الله الانسان الابدية' أو بمفهوم 'الالوهية الانسانية الابدية'.^(٥)

في ضوء كل ما جاء من وصف تيلشي لصورة يسوع باعتباره المسيح التي جاءت في العهد الجديد ، يمكن القول ان موقفه يتلخص في الآتي : إن فشل سائر محاولات الخلاص الذاتي قد أفضى إلى الحاجة إلى وجود جديد ، ومن ثم أضحت البشرية كلها تتوقع ظهور وجود جديد يمكن للبشر من خلاله أن يعيدوا تأسيس وحدتهم مع الله وأن يقهروا اغترابهم عن طبيعتهم الماهوية . هذه التوقعات انحصرت في نوعين أحدهما هو النوع اللاتاريخي أو الرأسى أما الآخر فهو النوع التاريخي أو الافقي . ولقد وجد تلش أن الوجود الجديد الذي تجلى في يسوع باعتباره المسيح يفي بكلا التوقعين ومن ثم فهو يصلح لسائر البشر . إنه الوجود الجديد الذي يستطيع سائر البشر من خلاله إعادة تأسيس وحدتهم مع الله وقهر اغترابهم عن الماهية . هذا

1) Ibid., P. 147.

2) Ibid., Loc. cit.

3) Ibid., Loc. cit.

4) Ibid., Loc. cit.

5) Ibid., P. 148.

يحدث لكل من يشارك ، من خلال الايمان ، في الوجود الجديد الذى تجلى في يسوع باعتباريه المسيح ، وذلك لان هذا الوجود الجديد يمثل ظهور الوحدة الماهوية بين الله والانسان في ظل اوضاع الوجود، تلك الوحدة التى قهرت الهوة بين الماهية والوجود . وذلك لم يحدث إلا بعد أن عرض يسوع نفسه لاضاع الاغتراب الوجودى ، نظرا لان ذلك كان الشرط المسبق ، إن صح التعبير ، لقهر ذلك الاغتراب من خلال قوة وحدته التى لم تتصدع أبدا مع الله . فمن خلال قوة هذه الوحدة قهر يسوع باعتباريه المسيح عدم الايمان ، والهيوبرس ، والكونكيويسنس . ومن خلال قوة نفس هذه الوحدة لم يقاس من السلبيات المدمرة للتناهى التى عايشها . وهو ، من هذا الاعتبار ، يختلف عن كل أولئك الذين يعيشون في ظل اوضاع الاغتراب الوجودى ويقاسون من السلبيات المدمرة للتناهى . إن هؤلاء البشر لن يستطيعوا قهر دلالات حالتهم المغترية وإنقاذ انفسهم من السلبيات المدمرة للتناهى إلا من خلال مشاركتهم ، من خلال الايمان ، في الوجود الجديد الذى تجلى في يسوع باعتباريه المسيح .

غير أن وصف تلش لصورة يسوع باعتباريه المسيح التى جاءت في العهد الجديد لم يتوقف عند هذا الحد ، وذلك لانه يرى أن الرمزتين الرئيسيتين في العهد الجديد - رمز الصليب ورمز القيامة من الموت - يؤكدان النقطتين اللتين تحدثنا عنهما فيما سبق ، أعنى ، تعرض يسوع الكامل لاضاع الاغتراب الوجودى وقهره لتلك الاوضاع . فرمز الصليب يوضح تعرض ذلك الذى هو حامل الوجود الجديد لاضاع الاغتراب الوجودى.^(١) أما رمز القيامة من الموت فيشير إلى الوجود الجديد الذى تبدى في يسوع باعتباريه المسيح باعتباريه وجودا منتصرا على الاغتراب الوجودى الذى اخضع له نفسه . تلك هي الاهمية العامة لهذين الرمزتين .^(٢)

1) Ibid., PP. 158- 159.

2) Ibid., P. 159.

وفضلا عن ذلك يرى تلش أن قصة الصلب هي عبارة عن رمز أو أسطورة .
إنها أسطورة حامل الدهر الجديد الذى يقاسى الموت كمتهم وكعبد فى ظل قوى ذلك
الدهر القديم الذى جاء أصلا ليقهره.^(١) غير أن تلش يؤكد فى نفس الوقت أن
"الصلب ، مهما كانت ظروفه التاريخية ، هو رمز يرتكز على حقيقة"^(٢) هذا يعنى أن
تلش يرى أن قصة الصلب هي قصة تنطوى على عنصرين مختلفين . العنصر الاول
هو العنصر الرمزي ، أما العنصر الثانى فهو العنصر الحقيقى أو الواقعى أو المتحقق
بالفعل . " فبدون العنصر الحقيقى " ، هكذا يقول تلش ، " ما شارك المسيح فى الوجود
وما كان بالتالى المسيح ."^(٣) هنا يشير تلش إلى صعوبة مرتبطة بوما " بالتقارير
المختلفة والمتناقضة فى الغالب عن الصلب ."^(٤) هذه الصعوبة هي أن قصة الصلب
وردت بطرق مختلفة ومتناقضة بل وخرافية ، الامر الذى يجعل عملية التحديد الدقيق
لطبيعة الحقيقة التاريخية التى تكمن وراءها عملية صعبة ان لم تكن مستحيلة . ولكن
تلش يؤكد فى نفس الوقت أن هذه الصعوبة لا تشكل أى مشكلة بالنسبة للايمان .
فالايمان ليس بحاجة إلى أن يهتم بهذه المشكلة ، وذلك لانه يجب أن يهتم فقط بصلب
المسألة برمتها أعنى " بالعنصر الحقيقى الوحيد فى قصة الصلب الذى يتمتع بالايمان
اليقيني المباشر ."^(٥) هذا العنصر الحقيقى الوحيد هو أن القصة تشير إلى تعرض
يسوع باعتباره المسيح للنتائج المدمرة للاغتراب الوجودى . إنه ، بتعبير تلش نفسه ،
"استسلام ذلك الذى لقب بالمسيح للنتيجة المطلقة للوجود ، أعنى ، الموت فى ظل
اوضاع الاغتراب . وكل شئ خلاف ذلك هو مسألة احتمالية تاريخية ، تنجم عن تفسير
خرافى."^(٦)

1) Ibid., PP. 153- 154 .

2) Ibid., P. 154.

3) Ibid., Loc. cit

4) Ibid., P. 155.

5) Ibid., Loc. cit .

6) Ibid., Loc.cit.

إن تلش يتعامل مع رمز أو أسطورة " القيام من الموت " بطريقة تشبه إلى حد ما تعامله مع رمز أو أسطورة الصليب ، بمعنى أنه يرى أن رمز " القيام من الموت " ينطوى ، مثله في ذلك مثل رمز الصليب ، على عنصر رمزي وعلى عنصر حقيقي .. غير أن تلش يوجه الانظار هنا إلى أن هناك farka نوعيا بين الاثنين . هذا farku هو " بينما أن قصص الصليب تشير باحتمالية كبيرة إلى حادثة وقعت في وضوح النهار وتحت مرأى الجميع ، تلقى قصص 'القيام من الموت' ستارا من الغموض العميق حول الحادثة . فالحادثة الأولى هي واقعة ذات احتمالية عالية ، أما الحادثة الأخيرة فهي تجربة غامضة لقلّة قليلة ."^(١) ولكن على الرغم من أن تلش يقر هكذا أن هذه الحادثة هي حادثة غامضة لم يطلع عليها سوى نفر قليل ، إلا أنه يصر في نفس الوقت على أنها تتمتع بجانب حقيقي . " هذا العنصر الحقيقي متضمن بالضرورة في رمز 'القيام من الموت' (كما هو متضمن في رمز الصليب) ."^(٢) ولكن على الرغم من أن تلش يقر أن محاولة البحث التاريخي لتوضيح هذا العنصر الحقيقي في ضوء المادة الخرافية والاسطورية المتعلقة به هي محاولة مشروعة ، إلا أنه يؤكد في نفس الوقت أن البحث التاريخي " لن يصل إلا إلى نتيجة محتملة ."^(٣) فالبحث التاريخي ، هكذا يقول تلش ، لن يتمكن من تقديم شيء يقيني في هذا الصدد ، والذي يمكنه أن يفعل ذلك هو الايمان فقط لاغير . " فالايان يمنح التيقن من انتصار المسيح على النتيجة المطلقة للاغتراب الوجودي الذي اخضع له نفسه . والايان يستطيع أن يمنح ذلك التيقن وذلك لان الايمان نفسه يرتكز عليه . فالايان يرتكز على التجربة التي تستحوذ فيها على المرء قوة الوجود الجديد الذي من خلاله يتم قهر النتائج المدمرة للاغتراب . إن تيقن المرء الشخصي من انتصاره على موت الاغتراب الوجودي هو الذي يخلق التيقن من 'قيام

1) Ibid., P. 153

2) Ibid., P. 155.

3) Ibid., Loc. cit.

المسيح^١ باعتباره حقيقة ورمزا، أما القول بأن هذا التيقن يأتي عن طريق قبول سلطة دينية أو عن طريق البحث التاريخي فهو قول لا أساس له من الصحة . ففي خارج نطاق التيقن الشخصي لا يوجد تيقن على الإطلاق بل يوجد دوما احتمال ، يكون ضئيلا في أغلب الأحيان ، وعاليا في أحيان قليلة^٢ .^(١)

من هذا المنظور ينقد تلش سائر " النظريات التي حاولت أن تجعل حادثة 'القيام من الموت' حادثة محتملة. "^(٢) هذه النظريات يحصرها تلش في ثلاث نظريات هي النظرية الفيزيائية أو الجسدية أو المادية physical ، والنظرية الروحية ، والنظرية السيكلوجية أو النفسية . والنظرية الفيزيائية هي ، كما يقول تلش ، " أكثر النظريات بدائية ، وأكثرها جمالا من الناحية التعبيرية .. هذه القصة وردت في سياق قصة المقبرة التي وجدتھا النساء خالية في صباح عيد الفصح . ومصادر هذه القصة هي بالاحرى مصادر متأخرة ومشكوك فيها ، ولا توجد أية إشارة إليها في التراث السابق على تلك المصادر والذي يتناول حادثة 'قيام المسيح من بين الأموات' ، أعنى ، فى Co-rinthians الفصل رقم ١٥ . "^(٣) هذا يعنى أن تلش يشك فى صحة هذه النظرية لأنها مستقاة فى رأيه من مصادر متأخرة ومشكوك فيها . هذا بالإضافة إلى أنه يرى أن هذه النظرية هى نظرية خاطئة لأنها تنزع إلى تفسير حادثة " القيام من الموت " من خلال مقولات فيزيائية أو جسدية تطابق هذه الحادثة مع حضور أو عدم حضور جسد فيزيقى ، وهذا يعد بالامر المحال ويفضى إلى تساؤلات فيزيقية وكيميائية يستحيل الاجابة عليها . هذا المعنى متضمن فى عبارة تلش التالية التى تقول إن هذه النظرية تعد محاولة " لتعقل حادثة القيام من الموت، عن طريق تفسيرها بمقولات فيزيقية (جسدية) تطابق 'القيام من الموت' مع حضور أو غياب جسد فيزيقى . هذا يفضى إلى

1) Ibid., Loc . cit.

2) Ibid., Loc .cit.

3) Ibid., Loc. cit.

إثارة تساؤل يستحيل الاجابة عليه . هذا التساؤل هو : ماذا حدث للأجزاء التي تشكل جسد يسوع الناصري ؟ ونظرا لان هذا التساؤل هو تساؤل يستحيل الاجابة عليه فانه لايفضى إلا إلى التجديف على الله (أو الكفر blasphemy)^(١).

أما النظرية الثانية التي لا يوافق عليها تلش فهي النظرية الروحية . هذه النظرية تتحدث عن تجلى روح الرجل يسوع لاتباعه . وتلش يعتبر هذه النظرية نظرية خاطئة وذلك لانها تتجاهل الجانب الحقيقي في حادثة القيام من الموت . هذا النقد متضمن في نص تلش التالي الذي يقول : " ان المحاولة الثانية لسبر غور الجانب الحقيقي في حادثة القيام من الموت هي المحاولة الروحية . وهي تعتمد على مظاهر القيام من الموت التي يونها بولس . وهي تفسر تلك المظاهر بأنها تجليات لروح الرجل يسوع لاتباعه ، وتمائل تماما التجليات الذاتية لأرواح الموتى في التجارب الروحية . ومن الواضح تماما أن هذا التفسير لا علاقة له بقيام المسيح من الموت بل هو محاولة لاثبات الخلود العام للروح والزمع بأنها تتمتع بقدرة عامة على التجلى في موجود بعد موتها . ان التجارب الروحية قد تكون تجاريا صادقة او غير صادقة . وحتى إذا كانت صادقة ، فإنها لا تستطيع تفسير الجانب الحقيقي لقيام المسيح من الموت ، ذلك الجانب الذي عبر عنه بطريقة رمزية تشير إلى ظهور شخصية بأكملها مرة أخرى، يدخل في ذلك الجانب الجسدي من كينونته. هذا التجلى الاخير هو التجلى المعروف والمعترف به وهو الذي يبطل ادعاء النظرية الروحية التي تزعم أن تجليه كان على هيئة 'روح بلا جسد' ".^(٢)

أما النظرية الثالثة التي يرفضها تلش فهي النظرية السيكلوجية . والاسباب التي دعت به إلى رفض هذه النظرية ساقها في النص التالي الذي يقول " ان المحاولة الثالثة لسبر غور الجانب الحقيقي في حادثة القيام من الموت هي المحاولة السيكلوجية. هذه المحاولة تعد اسهل الطرق وأكثرها قبولا لوصف العنصر الحقيقي في القيام من الموت. فالقيام من الموت نظر اليه هنا على انه حادثة باطنية في اذهان المشايخين ليسوع. أن وصف بولس للتجارب الخاصة بالقيام من الموت (يدخل في ذلك تجربته

1) Ibid., PP. 155-156 .

2) Ibid., P. 156

هو) يرتكز على التفسير السيكولوجى . وكلمات بولس ، مثلها فى ذلك مثل قصة تحوله، تشير - هذا اذا استبعدنا التفسير الفيزيقي - إلى شئ حدث فى أذهان أولئك الذين عايشوا التجارب . هذا لايعني ضمنا أن الحادثة نفسها كانت مجرد حادثة سيكولوجية ، أعنى، معتمدة كلية على عناصر سيكولوجية فى أذهان أولئك الذين يذكرهم بولس . فالنظرية السيكولوجية تغفل حقيقة الحادثة المقترضة سلفا فى الرمز - حادثة قيام المسيح من الموت: (١)

من هنا انتهى تلش إلى أن سائر النظريات التى حاولت أن تجعل حادثة القيام من الموت حادثة محتملة هى نظريات خاطئة . هذا هو السبب الذى جعله يتبنى نظرية شخصية. هذه النظرية أطلق عليها اسم نظرية الاسترداد Restitution. (٢) وهو يعتبرها أقرب النظريات إلى الحقيقة . هذه النظرية، هكذا يقول تلش ، تؤكد بصفة خاصة على العنصر السلبي فى حادثة القيام من الموت ، والذى صور فى سائر القصص الرمزية المتعلقة بهذه الحادثة باعتباره عنصرا تم قهره . هذا العنصر السلبي هو " اختفاء ذلك الذى كان وجوده هو الوجود الجديد. " (٣) هذا هو العنصر السلبي فى حادثة القيام من الموت الذى يتعامل معه تلش هنا ، انه العنصر المتعلق باختفاء - وذلك حدث من خلال الموت - ذلك الذى كان وجوده هو الوجود الجديد وتحوله إلى ماض لا يذكر إلا بمقدار ما تسمح به حدود الذاكرة. هذا الاختفاء ، هكذا يوضح تلش ، سبب توترا بين حواريه. لقد تبادر لهم أنه " طالما أن قهر التلاشى (الاختفاء) يعد امرا جوهريا بالنسبة للوجود الجديد ، وطالما أن حامله قد تلاشى ، فإن هذا يعنى أنه من الجائز أن حامله لم يكن هو يسوع. وفى نفس الوقت وجدوا أن قوة وجوده قد أثرت عليهم باعتبارها قوة الوجود الجديد بطريقة لاتتمحى. (٤) هنا يشير تلش إلى

1) Ibid., Loc. cit.

2) Ibid., PP. 156 -168.

3) Ibid., P. 156.

4) Ibid., P. 157.

شئ فريد حدث من خلال هذا التوتر . فمن خلال تجربة وجدانية ، أصبحت الصورة المتعينة ليسوع الناصري متحدة على نحو لا يقبل الانفصال مع حقيقة الوجود الجديد . فهو يكون حاضرا حيثما يكون الوجود الجديد حاضرا . فالموت لم يستطع دفعه إلى الماضي ... هذا الحضور ... يتمتع بطابع الحضور الروحي ... هذه الحادثة حدثت اول ما حدثت لبعض اتباعه الذين فروا إلى جبل الجليل إبان الساعات الاولى لاعدامه ، ثم حدثت بعد ذلك لآخرين كثيرين ، ثم حدثت لبسولس ، ثم لكل من يستشعر حضوره الحى فى التوالى واللحظة فى كل عصر من العصور . هذه هى الحادثة . لقد فسرت من خلال رمز القيام من الموت .^(١) هكذا اعتقد تلمش أن نظريته قهرت العنصر السلبي فى حادثة القيام من الموت ، عن طريق استرداد ذلك الذى كان هو حامل الوجود الجديد إلى حيث الوحدة المطلقة مع الوجود الجديد ذاته وإلى حيث حضورهما الدائم معا . "قطبنا لهذه النظرية ، يكون القيام من الموت إسترداداً ليسوع باعتباره المسيح ، استرداداً يضرب بجذوره فى الوحدة الشخصية بين يسوع والك وفى تأثير هذه الوحدة على اذهان الحواريين".^(٢) هنا يجب أن نشير إلى حقيقة مؤداها انه على الرغم من أن تلمش يعتقد أن نظريته هذه هى اقرب النظريات إلى الحقيقة ، إلا أنه يقر فى نفس الوقت أن هذه النظرية هى ، مثلها فى ذلك مثل سائر النظريات السابقة ، نظرية محتملة بمعنى انها لا تتمتع بصفة اليقين المطلق ، ولقد عبر تلمش عن ذلك على النحو التالى : "على الرغم من أنني مقتنع أن نظرية الاسترداد هى اقرب النظريات إلى الحقيقة ، إلا أنه يتحتم النظر إليها على انها مجرد نظرية . انها تظل فى طى الاحتمال ولا تتمتع باليقين الايمانى . فالايمان يمنح التيقن من أن صورة المسيح فى الاناجيل هى عبارة عن حياة شخصية تجلى فيها الوجود الجديد بكامله وان موت يسوع الناصري لم يستطع فصل الوجود الجديد عن صورة حامله . إذا كان أصحاب المذهب الفيزيقي وأصحاب المذهب الروحي الذين تمسكوا بحرفية النص لا يقتنعون بهذا الحل ، فلا

1) Ibid., Loc. cit.

2) Ibid., Loc. cit.

يمكن لأحد أن يجبرهم على قبوله باسم الايمان غير انه قد يكون بإمكانهم الوثوق فى أن إتجاه العهد الجديد ، وخاصة اتجاه الحوارى بولس الذى لا يتمسك بحرفية النص ، يبرر نظرية الاسترداد.^(١) من هنا يمكن القول ان نظرية الاسترداد تهتم " بالتأكيد الوجدانى للوحدة غير المتحطمة بين الوجود الجديد وحامله ، يسوع الناصرى . فهما ينتميان إلى بعضهما البعض انتماء أبديا ."^(٢)

إذا كان تلش يرى أن رمز الصليب ورمز القيام من الموت هما الرمزان الرئيسيان فى صورة يسوع باعتباره المسيح التى جاءت فى العهد الجديد - نظرا لأن الرمز الأول يشير إلى تعرض ذلك الذى هو حامل الوجود الجديد لنتائج الازمة الانسانية أى الموت فى ظل اوضاع الاغتراب الوجودى، فى حين أن الرمز الثانى يشير إلى انتصاره عليه وعلى كل تلك الاوضاع - فهو يرى ايضا أن هناك رموزا ثانوية اخرى تعضد هذين الرمزين . وهو يمهّد لايضاح الرموز التى تعضد حادثة الصليب بقوله " ان قصة صلب يسوع باعتباره المسيح ليست تقريرا عن حادثة منعزلة فى حياته بل تقريرا عن حادثة كانت تتجه إليها قصة حياته كلها بل وتستمد منها سائر الاحداث الاخرى معناها . والمعنى المستمد من سائر تلك الاحداث هو أن ذلك الذى هو المسيح قد اخضع نفسه للسلبات المطلقة للوجود ولم تستطع تلك السلبات فصله عن وحدته مع الله . وعلى هذا نجد فى العهد الجديد رموزا أخرى تشير إلى وكذا تعضد الرمز الرئيسى الذى هو صلب يسوع باعتباره المسيح ."^(٣) هذا يعنى أن تلش يرى أن حادثة الصليب لم تكن مجرد حادثة منعزلة أو قائمة بذاتها فى حياة يسوع . لقد كانت حياته كلها موجهة ، على العكس ، نحو هذه الحادثة الرئيسية بمعنى ان نمط سير حياته كان يسير بالضرورة فى إتجاه هذه الحادثة ، ولهذا السبب كشفت حياته عن احداث ثانوية اخرى تشير، مثلها فى ذلك مثل حادثة الصليب الرئيسية، إلى خضوع وتعرض يسوع باعتباره المسيح لسلبات الوجود وإلى إحتفاظه ، رغما عن هذه السلبات ، بوحدته مع

1) Ibid., P. 158.

2) Ibid., P. 157 .

3) Ibid., P. 158.

الله هذه الأحداث هي التي يطلق عليها تلش اسم الرموز الثانوية التي تشير إلى وكذا تعضد الرمز الرئيسى أو صلب يسوع باعتباره المسيح . وعن هذه الرموز ، يقول تلش "لقد عبر بولس عن فكرة اخضاع الذات بلغة اسطورية وذلك فى الفصل الثانى من Philippians . فالمسيح السابق على الوجود Pre-existent تخلى عن شكله الالهى ، واصبح خادما ، ومات ميتة عبيد . هذه الرمزية تدمج الوجود القبلى بالخضوع الذاتى . وهى تعضد الرمز الرئيسى الذى هو رمز الصلب . غير انه يستحيل أن تفهم هذه الرمزية فهما حرفيا على أنها حادثة حدثت فى وقت ما فى مكان سماوى ما . نفس هذه الفكرة تم التعبير عنها بلغة خرافية من خلال قصص مولد المسيح فى بيت لحم ، ورقاده فى المهد ، وهروبه إلى مصر ، والتهديد المبكر لحياته على أيدي القوى السياسية . والوصاف التى قدمت لخضوعه للتناهى ومقولاته تمهد ايضا وكذا تعضد المعنى الرمزى للصلب . فالكثير من الاوصاف ، يدخل فى ذلك التوتر بين كرامته المسيحية والأحوال الوضيعة لوجوده ، تبين 'خضوعه' للوجود . وكل ذلك يصل إلى ذروته فى حديقة جيثسمان Gethsemane حيث قتل ودفن . كل هذه السمات ، التى يسهل مضاعفتها والتوسع فيها ، تلخصت فى رمز الصلب . والصلب يجب الايفصل عن هذه السمات أو الرموز الثانوية ، كما يجب تفسير هذه الرموز على انها دلالات على خضوع ذلك الذى تجلى من خلاله الوجود الجديد لأوضاع الاغتراب الوجودى . وسواء كانت هذه الدلالات دلالات اسطورية ، أو خرافية ، أو مزيج منهما ، فهى فى حد ذاتها ، مثلها فى ذلك مثل الصلب الذى تعضده هذه الرموز ، لا تتمتع بالاهمية كما تدل على ذلك صورة الكتاب المقدس . انها تتمتع بالاهمية من خلال قدرتها على توضيح خضوع ذلك الذى هو حامل الوجود الجديد للبنيات التحطيمية للوجود القديم . انها رموز للمفارقة الالهية المتعلقة بظهور الوحدة الأبدية بين الله والانسان داخل الاغتراب الوجودى .^(١)

1) Ibid.. PP. 158 -159.

نفس الامر ينطبق على رمز القيامة من الموت . " فقصة قيام المسيح من الموت ، مثلها في ذلك مثل قصة الصلب " ، هكذا يقول تلش ، " ليست مجرد تقرير عن حادثة منعزلة حدثت للمسيح بعد وفاته . إنها تقرير عن الحادثة التي حدثت من قبل من خلال عدد كبير من الاحداث ، والتي أكدت هذه الاحداث بالمثل . فالقيام من الموت ، وكذا الرموز التاريخية والخرافية والاسطورية التي تعضده ، توضح الوجود الجديد الذي تجلى في يسوع باعتباره المسيح باعتباره وجودا منتصرا على الاغتراب الوجودي الذي اخضع له نفسه . تلك هي الاهمية العامة لهذه الرموز .^(١) هذا يعني أن تلش يرى أن حادثة القيامة من الموت لم تكن حادثة منعزلة او قائمة بذاتها في حياة يسوع باعتباره المسيح . لقد كانت حياته كلها موجهة نحو هذه الحادثة ، والدليل على ذلك أن هناك احداثا ثانوية اخرى في حياة يسوع كانت بمثابة تمهيد وإيضاح وتعصيد لهذه الحادثة الرئيسية ، ومن ثم جاءت الحادثة الاخيرة تتويجا للاحداث الثانوية التمهيدية . وسائر الاحداث ، يدخل في ذلك الحدث الأخير ، توضح الوجود الجديد باعتباره وجودا منتصرا على الاغتراب الوجودي الذي اخضع له نفسه . ومن بين الرموز الثانوية التي تعضد رمز القيامة من الموت ، يذكر تلش أول ما يذكر أن " قصة الميلاد العذري تنتمي إلى الرموز التي تعضد رمز القيامة من الموت .^(٢) ثم يشير ، ثانيا ، إلى " قصة تجلى يسوع ومحاكمته لموسى واليشع .^(٣) ويشير ، ثالثا ، إلى " رمز صعود المسيح إلى السماء .^(٤) ويذكر ، في المقام الرابع ، " رمز جلوس المسيح على يمين الله .^(٥) ويشير ، في المقام الخامس ، " إلى العود الثاني .. للمسيح .^(٦) ثم يشير في النهاية إلى رمز "الحكم المطلق للعالم بواسطة المسيح .^(٧) ان سائر هذه الرموز تعضد في رأى تلش

1) Ibid., P. 159.

2) Ibid., P. 160.

3) Ibid., Loc. cit .

4) Ibid., P. 161.

5) Ibid., P. 162.

6) Ibid., P. 163.

7) Ibid., P. 164.

الرمز الرئيسى الذى هو رمز القيام من الموت ، بمعنى ، انها توضح انها توضح جميعا انتصار الوجود الجديد على الاغتراب الوجودى .

هنا يتحتم علينا أن نشير إلى حقيقة مؤداها أن تلش يرفض التفسيرات الحرفية لبعض هذه الرموز باعتبارها تفسيرات عبثية أو محالة. وهو يؤكد ذلك بقوله إن هذه الرموز قد تشوهت تماما ولاقت بالتالى اعتراضا من جانب الكثيرين بسبب التمسك بمعناها الحرفى الذى يجعل منها مجرد رموز عبثية.^(١) وفى مواجهة ذلك ، يقدم تلش اقتراحين. الاول هو تفسير تلك الرموز تفسيراً يخرج بها عن معناها الحرفى الذى أدى إلى تشوهها وجعلها تبدو رموزاً عبثية ، والثانى هو اذا ثبت استحالة تفسير هذه الرموز تفسيرات تخرج بها عن معناها الحرفى ، فلا يتبقى سوى التخلّى عنها وهجرها تماما . من بين هذه الرموز يشير تلش إلى قصة الميلاد العذرى التى يعدها " اسطورة تستوجب الشك بشدة فى قيمتها الرمزية ."^(٢) ولهذا السبب اكد تلش فى موضع آخر على ضرورة هجر هذا الرمز والتخلّى عنه تماما ، وذلك عندما كتب يقول " ان اقوى الرموز واكثرها تأثيرا عند الكنيسة الرومانية ، أعنى الميلاد العذرى لم يعد له وجود .. اننى اؤمن أن هذا الرمز مات تماما وأن سائر محاولات انتقاذه أو إعادة صياغته هى فى الغالب محاولات لا طائل من وراءها ."^(٣) وفى موضع آخر اكد تلش على هذا المعنى من جديد عندما راح يقرر " أن قصة الميلاد العذرى ليسوع .. هى اكبر قصة خرافية من وجهة نظر البحث التاريخى ، وهى قصة غير معروفة لبولس ويوحنا . انها اختراع متأخر، حاول أن يجعل امتلاك يسوع الناصرى للروح القدس امتلاكاً كاملاً امراً قابلاً للفهم أو التعقل . ولكن .. الطابع الخرافى لهذه القصة ليس هو السبب الذى

1) Ibid., Loc. cit.

2) Ibid., P. 160.

3) Tillich, P., Paul Tillich, Ultimate Concern, Dialogues With Students, P.147.

جعل هذا الرمز سوف يموت أو مات بالفعل عند الكثير من الناس ، بل وحتى عند طوائف محافظة تماما في الكنيسة البروتستانتية. إن السبب في موت هذا الرمز يختلف عن هذا السبب. فالسبب الذي جعل هذا الرمز يموت هو أن هذه القصة .. تبطل تماما أحد العقائد الرئيسية ... أعني ، العقيدة المسيحية الكلاسيكية التي مؤداها أنه يجب التأكيد على البشرية الكاملة ليسوع بقدر التأكيد على قدسيته. فالموجود البشري الذي لا يأتي من صلب أب بشري لا يتمتع ببشرية كاملة A human being who has no human father has no humanity^(١). هذه النصوص تشير إلى أن تلش لا يؤمن إلا بالبشرية الكاملة ليسوع ، وهذا يعنى بالتالى أنه يؤمن بأن يسوع قد أتى من صلب أب بشري. هذا هو السبب الذي جعله يتخلى تماما عن قصة الميلاد العذرى . هنا يجب أن نتساءل : اليس القول مع تلش أن يسوع الناصري أتى من صلب أب بشري يعد كفرا من وجهة نظر المسيحية ؟ صحيح أن الكثير من الطوائف المسيحية أكدت على العنصر البشري ليسوع إلى جانب تأكيدها على قدسيته ، ولكن الأمر المؤكد هو أنها فعلت ذلك دون أن تتخلى عن القول بالميلاد العذرى وذلك لأنها أرجعت العنصر البشري إلى عنصر الامومة من ناحية ، ولأن القول بالميلاد العذرى يعد من صلب العقيدة المسيحية وعدم الإيمان به يعد كفرا بل ويقوض العقيدة من أساسها ، من ناحية أخرى. نحن نرى أن اقرار تلش لهذا الموقف يعد خروجاً على المسيحية بمعناها التقليدي المعروف على الأقل. صحيح أن تلش يزعم أن إعادة تفسير بعض هذه الرموز الثانوية بطريقة تخرج بها عن معناها الحرفي ، أوحى التخلي عنها تماما لن يضر الإيمان فى شئ^(٢) وذلك لأن الوجود الجديد لا يتوقف على الرموز الخاصة التي تعبر عنه بل يتمتع بالقدرة على التحرر من أى شكل من الأشكال التي يتبدى فيها^(٢) ولكن من الواضح أن هذا الزعم هو زعم واه وذلك لأن الأمر الثابت هو أن الميلاد العذرى مثله فى ذلك مثل الصلب والقيام من الموت ، هو أحد الدعامات

1) Tillich . P., The Nature of Religious Language, Theology of Culture, P. 66

2) Tillich, P., Systematic Theology, Vol. 2, P. 165.

الرئيسية التى تقوم عليها المسيحية بالكامل ، وتقويض هذه الدعامة يعد تقويضاً للمسيحية بالكامل . حقا ، هل يعقل أن يكون هناك مسيحى مخلص يمكنه أن يقول مع تلمس أن يسوع الناصرى هو ابن بشرى لاب بشرى مجهول الهوية ؟ اليس التخلّى عن هذه الدعامة يستلزم - هذا اذا امكن استثناء دعامة الصلب - التخلّى عن دعامة القيام من الموت التى قال عنها تلمس فيما سبق انها تجربة غامضة لقلة قليلة ؟ واذا كان ذلك كذلك ، اليس هذا يعد كفرا من وجهة نظر المسيحية ؟

ان الأهمية العامة للوجود الجديد الذى تبدى فى يسوع باعتباره المسيح تتبدى ايضا من خلال وصف تلمس لطبيعة " الخلاص " . هذا يعنى ، بتعبير تلمس نفسه ، " ان الأهمية العامة ليسوع باعتباره المسيح ، التى عبر عنها رمز الاستسلام للوجود ورمز الانتصار على الوجود ، يمكن التعبير عنها من خلال مصطلح ' الخلاص ' " (١) . ولكن ما الذى يقصده تلمس بالخلّاص فى المقام الاول ؟ والاجابة التى يقدمها تلمس على هذا السؤال متضمنة فى النص التالى : " بالنظر إلى المعنى الاصلى لكلمة خلاص Salvation (الماخوذة من الكلمة اللاتينية Salvus ، ومعناها شفى healed) ، وبالنظر إلى موقفنا الانسانى المعاصر ، قد يكون من المناسب تفسير الخلاص ' بالشفاء ' . هذا التفسير يلائم حالة الاغتراب باعتبارها السمة الرئيسية للوجود . والشفاء ، بهذا المعنى ، يعنى إعادة اتحاد ذلك الذى اغترب وكذا تأسيس مركز لذلك الذى تصدع ، وقهر التصدع بين الله والانسان ، بين الانسان وعالمه ، وبين الانسان وذاته . أن مفهوم الوجود الجديد ينبثق عن هذا التفسير للخلاص . فالخلاص هو الانسحاب من الوجود القديم والتحول إلى الوجود الجديد . هذا الفهم يشمل عناصر الخلاص التى تأكّدت فى عصور اخرى ، إنه يشمل ، أولا وقبل كل شئ ، تحقق المعنى المطلق لوجود المرء ، غير أن هذا الفهم ينظر إلى ذلك من منظور خاص ، أعنى من منظور الشفاء . " (٢) هذا يعنى

1) Ibid., Loc. cit.

2) Ibid., P. 166.

أن تلش يرى أن قوة الوجود الجديد ، التى هى فى نفس الوقت خلاص أو شفاء ، ليست مقصورة على ظهور يسوع باعتباره المسيح ، بل تحدث على مدار التاريخ كله قبل وبعد ظهوره ، إنها تحدث حيثما يكون هناك 'وحي Revelation'. فحيثما يكون هناك وحي ، يكون هناك خلاص . والوحي هو .. التجلى الوجدانى Ecstatic لاساس الوجود (أى الله) فى الوقائع، والاشخاص ، والاشياء. هذه التجليات تتمتع بقوة شافية مبدلة . وهى تكون حاضرة بطريقة اولية (او تمهيدية)، وهشة ، وتكون عرضة للتشوه الشيطانى . ولكنها حاضرة وتشفى حيثما تقبل بجدية . ان الجنس البشرى يعتمد دوماً على تلك القوى الشافية للحياة ، انها تمنع البنيات التحطيمية للوجود من أن تفضى بالجنس البشرى إلى العدم التام. هذا يصدق على الافراد وعلى الجماعات وهو الاساس فى التطور الايجابى لديانات وحضارات الجنس البشرى^(١) والوحي، بهذا المعنى ، لايعنى مجرد الاخبار بأشياء الهية.^(٢) بل يعنى بالاحرى الشفاء أو الخلاص . فهو يشفى حيثما يقبل بجدية. هذا الوحي ، مفهومه على أنه قوة الوجود الجديد التى تشفى وتنقذ، يحدث على نحو تمهيدى وهش على مدار التاريخ كله قبل أو حتى بعد ظهور يسوع باعتباره المسيح.^(٣) وهو لذلك يمنع البنيات التحطيمية للوجود من أن تفضى بالجنس البشرى إلى العدم الكامل .

هنا تبرز الاهمية العامة التى يقدمها تلش للوجود الجديد الذى تجلى فى يسوع باعتباره المسيح . فالوحي ، باعتباره قوة الوجود الجديد التى تشفى وتنقذ ، يحدث بطريقة هشة وتمهيدية وأولية على مدار التاريخ وذلك قبل وبعد ظهور يسوع باعتباره المسيح. أما من خلال قوة الوجود الجديد التى تجلت فى يسوع باعتباره المسيح، هكذا يرى تلش، فقد اصبح الشفاء كاملاً. تلك هى الميزة الخاصة التى يجدها تلش المؤمن

1) Ibid., PP. 166-167.

2) Ibid., P. 166.

3) Ibid., PP. 166- 168 .

فى الوجود الجديد الذى تجلى فى يسوع باعتباره المسيح ، ولقد عبر هو نفسه عن ذلك على النحو التالى : " ماهى الميزة الخاصة للشفاء من خلال الوجود الجديد الذى تجلى فى يسوع باعتباره المسيح ؟ اذا قبل يسوع باعتباره المسيح على انه المنقذ أو المخلص أو الشافى ، فما معنى الخلاص من خلاله ؟ اننا لانستطيع أن نجيب على ذلك بقولنا انه ليست هناك قوة مخلصه بمعزل عنه ، ولكننا نستطيع أن نجيب بقولنا انه المعيار المطلق لكل عملية شفاء وخلاص .. فالشفاء من خلاله يكون كاملا ولا محدودا ... هذا هو ما يجعله المسيح ، ومن ثم حيثما تكون هناك قوة مخلصه لدى الجنس البشرى ، يجسب الحكم عليها من خلال القوة المخلصه التى تجلت فى يسوع باعتباره المسيح .^(١) هذا لايمنى أن تلش يقبل وجهة النظر التى تؤكد على الشفاء الكامل لكل من تقبل يسوع باعتباره المسيح تقبلا ايمانيا . أن العكس هو الصحيح بمعنى ان تلش يرفض تماما هذه النظرة ، وذلك انطلاقا من اقتناعه الذى مؤداه " ان أولئك الذين تقبلوا يسوع باعتباره المسيح تقبلا ايمانيا لم يحصلوا إلا على شفاء هش .. فالمسيحى يظل فى حالة شفاء نسبى ، فى حين أن الوجود الجديد الذى تجلى فى يسوع باعتباره المسيح يتجاوز فى طابعه الشافى وفى قدرته على الشفاء كل نسبية .^(٢) "

هذا الفهم لطبيعة الخلاص أو الشفاء يشكل الاساس الذى يبنى عليه تلش

1) Ibid., PP. 167-168.

يقول تلش فى موضع آخر " ان الوجود الجديد ليس هو مجرد شئ يحل محل الوجود القديم. انه تجديد للقديم الذى فسد ، وتشوه ، وتصدع ، وتحطم. غير انه لم يتحطم تماما . ان الخلاص لا يحطم المخلوقات ، بل يحولها الى مخلوقات جديدة "

Tillich, P., 'The New Being', The Boundaries of Our Being , P. 166.

وفى موضع ثالث راح تلش يضيف " ان واقعا جديدا هو وحده الذى يجعلنا اصحاء وذلك من خلال إختراقه للواقع القديم ، ومصالحته مع نفسه .. ان الايمان المسيحى يرى ان هذا الواقع الجديد الذى كان يعمل يوما فى التاريخ ، قد ظهر بالكامل ويقوة فى يسوع ، المسيح ، والشافى ، والمنقذ .

Tillich, P., 'On Healing' , The Boundaries of Our Being, PP. 182 - 183.

2) Tillich, P., Systematic Theology , Vol . 2, P. 168.

فهمه للطبيعة الثلاثية للخلاص، التي استشفرتها كل أولئك الذين استحوذ عليهم الوجود الجديد الذي تجلى في يسوع باعتباره المسيح اعنى، التجديد Regeneration، والتبرير Justification، والتقديس Sanctification. والصفة الاولى ناقشها تلش في كتابه " اللاهوت النسقى " تحت عنوان " الخلاص باعتباره مشاركة في الوجود الجديد (التجديد) . والتجديد ، فى رأى تلش، يشير عامة إلى " الحالة التى يصبح فيها المرء منخرطاً فى الواقع الجديد الذى تجلى فى يسوع باعتباره المسيح ".^(١) والتجديد، بهذا المعنى ، ينطوى على جانبين احدهما موضوعى والآخر ذاتى . والجانب الموضوعى يشير إلى الواقع الموضوعى للوجود الجديد ، الذى يسبق المشاركة الذاتية فيه . أما الجانب الذاتى فيشير إلى الحالة التى يكون فيها المرء قد شارك فى الواقع الجديد الذى تجلى فى يسوع باعتباره المسيح .^(٢) هنا يشير تلش إلى حقيقة مؤداها انه من خلال هذه المشاركة يجد المرء نفسه وقد تحول إلى حالة من الميلاد الجديد، إلى مخلوق جديد.^(٣) هذا التشارك يؤثر فى حياة الفرد ككل . هذا بالاضافة إلى أن تلش يرى أن هذا الجانب الذاتى يشير ايضا إلى الحالة التى فيها يكتسب المرء ، من خلال الواقع الجديد الذى تبدى فى يسوع باعتباره المسيح ، الصفات الرئيسية لحالة التجديد التى تناقض الصفات الرئيسية للاغتراب ، اعنى ، الايمان بدلا من اللايمان ، والتواضع بدلا من الهيوبرس، والحب بدلا من الكونكيوينس .^(٤) هذا الاكتساب الذى يحدث من خلال التشارك، والذى ينتمى إلى الجانب الذاتى من التجديد ، يتسم دوما بالطابع الغامض والهش .^(٥) فى حين أن الصفات الموضوعية، والواقعية، وغير الغامضة للوجود الجديد ، أو للتجديد، التى تناقض صفات الاغتراب، تسبق تشارك الانسان الغامض والهش فيها . هذا يعنى، بتعبير آخر، أن الواقع الموضوعى للوجود الجديد، او

1) Ibid., P. 177.

2) Ibid., Loc. cit .

3) Ibid., Loc. cit.

4) Ibid., Loc .cit

5) Ibid., Loc. cit .

التجديد ، الذى تجلى فى يسوع باعتباره المسيح ، والذى يتسم بعدم الغموض ، يسبق مشاركة الانسان الغامضة والهشة فيه. فى ضوء ذلك ، راح تلش يقرر " ان التجديد هو حالة للأشياء عامة. إنه الحالة الجديدة للأشياء، الدهر الجديد، الذى جلبه المسيح، والفرد يدخل فيها، وعلى هذا يشارك فيها ويولد من جديد من خلال التشارك . ان الواقع الموضوعى للوجود الجديد يسبق المشاركة الذاتية فيه، ورسالة التحول هي ، أولا ، رسالة واقع جديد يطلب من المرء أن يتحول إليه ، وفى ضوء ذلك التحول ، يبتعد المرء عن الواقع القديم ، عن حالة الاغتراب الوجودى التى يكون المرء قد عاش فيها. (١) ان هذا الواقع الموضوعى للتجديد ، او للوجود الجديد الذى تجلى فى يسوع باعتباره المسيح ، هو الذى يجعل المشاركة الذاتية للانسان فيه امرا ممكنا .

اما الصفة الثانية فقد ناقشها تلش ، فى " لاهوته النسقى " ، تحت عنوان " الخلاص باعتباره قبول الوجود الجديد (التبرير) . وهو يستهل مناقشته لهذه الصفة بقوله ان حالة التجديد السابقة " تسبق التبرير ، لان التبرير يفترض سلفا الايمان ، باعتباره الحالة التى يستحوذ فيها على المرء الحضور الالهى . (٢) هذا يعنى، بتعبير آخر ، انه طالما أن التجديد ، مفهوما على أنه الحالة التى يكون فيها المرء قد انخرط فى الواقع الجديد الذى تجلى فى يسوع باعتباره المسيح ، هو الذى يجعل تجربة الايمان تجربة ممكنة ، وطالما أن التبرير يفترض سلفا الايمان ، " فانه يتحتم على المرء أن يضع التجديد .. قبل التبرير . (٣) والتبرير ، مثله فى ذلك مثل التجديد ، ينطوى على جانبين احدهما موضوعى، والاخر ذاتى. هذا يعنى، كما يقول تلش نفسه، أن " التبرير هو حادثة موضوعية فى المقام الاول ، ثم بعد ذلك مسألة قبول ذاتى. ومن الناحية الموضوعية يعد التبرير بمثابة الفعل الابدئى لله الذى بمقتضاه يقبل أولئك الذين اغتربوا

1) Ibid., Loc. cit.

2) Ibid., P. 178.

3) Ibid., Loc. cit.

عنه بسبب الذنب ويعتبرهم غير مفترين وهو ايضا الفعل الذى بمقتضاه يأخذهم إلى حيث الوحدة معه، والتي تجلت فى الوجود الجديد الذى تجلى فى المسيح. إن التبرير .. هو فعل الهى لا دخل للانسان فيه على الاطلاق ، انه الفعل الذى بمقتضاه يقبل ذلك الذى هو اصلا غير مقبول .. إن العنصر 'على الرغم من' هو عنصر حاسم بالنسبة للرسالة المسيحية بأكملها وذلك باعتباره خلاصا من اليأس الذى ينتاب المرء بسبب الذنب. انه حقا الطريق الوحيد لقهر القلق على الذنب، إنه يساعد الانسان على أن ينظر من تلقاء نفسه ومن حالته المفترية والمتحطمة إلى الفعل التبريرى لله . إن من ينظر إلى نفسه ويحاول أن يقيس علاقته بالله فى ضوء ما حققه من انجازات يزيد من قلقه على الذنب واليأس .^(١) هذا الفعل ، الذى يحاول الانسان من خلاله قياس مدى علاقته بالله ، يعد فى رأى تلش أحد الاسباب الرئيسية فى فشل سائر محاولات الخلاص الذاتى. والامر الذى يريد أن يؤكد هنا هو أنه مهما فعلنا من أفعال فلن نكون أمام الله سوى مذنبين أو خاطئين ، وهذا الامر يحتم الجانب الآخر للتبرير أى الجانب الذاتى ، نظرا لأن الجانب الموضوعى للتبرير المتعلق بالفعل الابدى لله الذى بمقتضاه يقبل أولئك الذين اغتربوا عنه ويعتبرهم غير مفترين ، والذى بمقتضاه يأخذهم أيضا إلى حيث الوحدة معه ، يتطلب ، كما يقول تلش ، الجانب الذاتى أعنى جانب القبول ، فهذا الجانب الاخير ينتمى إلى الانسان . هنا يتحتم على الانسان ان يقبل هذا الامر : "إنه يجب أن يقبل انه قبل ، إنه يجب عليه أن يقبل القبول ."^(٢) هذا يعنى ، بتعبير اوضح ،انه يجب على المرء فى هذه الحالة الذاتية أن يقبل قبول الله له هذا "على الرغم من الذنب الذى يجعله معاديا له ."^(٣) إنه يقبل فى هذه الحالة قبول الله له هذا على الرغم من وعيه بعدم قبوله بسبب ذنبه . وهذا هو المقصود بالعنصر "على الرغم من" الذى أشار إليه تلش فيما سبق، والذى يعده عنصرا حاسما بالنسبة

1) Ibid., Loc .cit .

2) Ibid., P. 179.

3) Ibid., Loc. cit.

للمرسالة المسيحية بأكملها. ولكن تلش يقول هنا إن الانسان لن يستطيع أن يقوم بهذا الفعل الذاتى بدون مغفرة الله . " فالسبب هو الله وحده (بواسطة الصفع) ، ولكن إيمان المرء بأنه قبل هو القناة التى يمر من خلالها الصفع إلى الانسان (من خلال الايمان)^(١) هذا يعنى أن الانسان لن يستطيع أن يقبل قبول الله له ، على الرغم من وعيه بذنبه ، إلا من خلال مغفرة الله التى تصل إليه من خلال الايمان . هذا الايمان يأتى إلى الانسان من خلال مشاركته فى الوجود الجديد الذى تجلسى فى يسوع باعتباره المسيح .

أما الصفة الثالثة للخلاص فقد ناقشها تلش فى كتابه " اللاهوت النسقى " تحت عنوان " الخلاص باعتباره التبدل بواسطة الوجود الجديد (القداسة) " وهو يمهّد لمناقشته لهذه الصفة بقوله " من حيث كونهما فعلا إلهيا ، يعتبر التجديد والتبرير أمرا واحدا . فكلاهما يصف إعادة اتحاد المفترق . فالتجديد يشير إلى إعادة الاتحاد الفعلى، والتبرير يشير إلى الطابع المفارق لإعادة الاتحاد^(٢) ولكن " التقديس يتميز عنهما من حيث كونه عملية متميزة عن الحادثة التى انبثق عنها^(٣) وتلش يعرف التقديس " بأنه العملية التى من خلالها تبدل قوة الوجود الجديد الشخصية والمجتمع سواء فى داخل نطاق الكنيسة أو خارج نطاقها . فالشخص المسيحى والكنيسة ، والجانب الدينى، والجانب الدنيوى هم جميعا موضوعات للعمل التقديسى الذى تقوم به الروح القدس، والذى هو التحقق الفعلى للوجود الجديد^(٤) .

بهذا نكون قد وصلنا إلى نهاية الاجابة الدينية التى قدمها تلش المؤمن للالزمة الانسانية، ويمكننا أن نلخص هذه الاجابة فى الكلمات التالية : إن الالزمة الوجودية للانسان عامة هى أزمة اغتراب، هذا الاغتراب العام هو اغتراب عن الله وبالتالى عن

1) Ibid., Loc .cit.

2) Ibid., Loc .cit.

3) Ibid., Loc .cit.

4) Ibid., PP.179-180

الطبيعة الماهوية أو الدينية للانسان . ولكن يسوع باعتباره المسيح يمثل ظهور الانسانية الماهوية أو الوحدة الابدية بين الله والانسان فى ظل أوضاع الاغتراب الوجودى . فعلى الرغم من أن يسوع يتمتع ، كئى انسان آخر ، بحرية متناهية ، إلا أنه يختلف عن سائر البشر من هذا الاعتبار : إنه لم يبدد حريره ، لم يفقد وحدته الماهوية مع الله . ومن خلال هذه الوحدة التى لم تتصدع أبدا استطاع يسوع باعتباره المسيح أن يقهر دلالات الاغتراب الوجودى ولم يكن نهبة لسلبيات التناهى ، هذا على الرغم من مشاركته ، كئى انسان آخر ، فى سلبيات الوجود وسلبيات التناهى . هذا هو الذى جعله التجلى النهائى والحامل المطلق للوجود الجديد والمعيار المطلق لكل عملية شفاء . هذا الوجود الجديد الذى تجلى فى يسوع باعتباره المسيح هو الوحيد الذى يفى سائر التوقعات الانسانية المتعلقة بظهور وجود جديد يستطيعون من خلاله قهر اغترابهم وإعادة تأسيس الوحدة مع الله ، ومن ثم فهو الوحيد الذى يحتاجونه والذى يتحتم عليهم المشاركة فيه . فمن خلال المشاركة ، من خلال الايمان ، فى الوجود الجديد الذى تجلى فى يسوع باعتباره المسيح سوف يقهر الانسان اغترابه وسوف يقبل بالتالى سلبيات التناهى من خلال قوة وحدته مع الله ، وسوف ينقذ أيضا من البنيات التحطيمية المدمرة ومن نهاية مطاف الازمة الانسانية أعنى اليأس .

والآن ، إذا كانت هذه الاجابة الايمانية هى الاجابة التى قدمها تلش المؤمن كحل لمشكلة الاغتراب ، فإن السؤال الذى يطرح نفسه الآن هو : هل هذه الاجابة هى الاجابة الوحيدة التى قدمها تلش كحل لهذه المشكلة؟ إن كل من تابع معنا هذه الدراسة منذ بدايتها سوف يتوقع أن تكون الاجابة على هذا السؤال بالنفى . ونحن نراها حقا كذلك . فهذه الاجابة تمثل بعدا أو نصفاً أو نقيضاً واحداً عند تلش . ومادامت هى كذلك فسوف تظل ، مثلها فى ذلك مثل الازمة الانسانية فى حد ذاتها والطبيعة الماهوية فى حد ذاتها ، متجردة عن الواقع إلى أن " تختلط " بالبعد أو النصف أو النقيض الآخر عند تلش أعنى الاجابة الاحادية التى قدمها تلش الملحد كحل لمشكلة

الاغتراب ، وذلك لان الاثنين معا يقدمان تلش المنقسم أعنى تلش المؤمن ، والملحد معا وفى نفس الوقت. حقا، لقد رأينا فيما سبق كيف أن تلش يؤكد أنه حتى المسيحي الذى يشارك فى الوجود الجديد الذى تجلى فى يسوع باعتباره المسيح لا يشفى شفاء تاما ، والسبب الذى نراه كامنا وراء هذا التاكيد هو أن هناك يوما النصف الآخر أعنى النصف الاحادى الذى يستحيل على أى شخص الفكاك منه. هنا لا تكون الاجابة المسيحية إجابة كاملة أى قاهرة للاغتراب قهرا كاملا، فهناك يوما إجابة اخرى "مكملة" لها هى الاجابة الاحادية، حيث إن الاثنين معا يشكلان عدم الاتساق السار . هذه الاجابة الاحادية التى يقدمها تلش الملحد هى التى سنحاول أن نكتشفها بشئ من التفصيل فى هذا الجزء من هذا الفصل .

ولكن الكشف عن هذه الاجابة يحتم علينا أولا وقبل كل شئ الإشارة من جديد إلى الطريق الخفى الذى سلكه تلش الملحد والذى استطاع من خلاله تقديم حله الاحادى لمشكلة الاغتراب . فما هو هذا الطريق ؟ إن الاجابة على هذا السؤال تحتم علينا أن نتذكر من جديد أن منهج التضايف، الذى يعده تلش الاساس الذى يشيد عليه موقفه الوجودى، أو مفهومه فى الاغتراب ، والذى أرسينا قواعده فى الفصل الاول ، قد حتم عليه تقديم تحليلات سائر الوجوديين للزمة الانسانية بسائر أبعادها باعتبارها تحليلات معبرة عن موقفه هو الشخصى . هذا ، هكذا يجب أن نتذكر ، هو السر الذى جعله يستفيض فى تقديم آراء سائر الوجوديين حول الزمة الانسانية . لقد قدم هذه الآراء باعتبارها إيضاحات لأرائه هو . ولكن الوجوديين الملاحدة يتبنون ، كما أوضح تلش نفسه مرارا وتكرارا فيما سبق ، وكما سيوضح بصورة أكثر تفصيلا فيما بعد ، حلا احاديا لمشكلة الاغتراب . والنتيجة التى نراها مترتبة على ذلك هى أنه طالما أن تلش قد استفاض ، كما سنرى ، فى توضيح هذا الحل ، وطالما أن منهج التضايف قد حتم عليه تقديم هذا الحل باعتباره معبرا عن موقفه الشخصى، فإن هذا يعنى أن تلش نفسه يتبنى هذا الحل بطريقة غير مباشرة أو بالاحرى خفية، لقد

استحال عليه أن يتبناه بصورة علنية ، وذلك لأنه يعنى تماما أن ذلك سوف يؤلب عليه اللاهوت المسيحى المسيطر الامر الذى سيفضى في النهاية إلى تحطيمه .لهذا السبب لجأ تلش إلى إسقاط موقفه في هذا الصدد على موقف الوجوديين الملاحدة. فما هو إذن موقف الوجوديين الملاحدة - الذى هو موقف تلش الملحد نفسه - الذى عرضه تلش الملحد بإسهاب شديد فى كتاباته؟ أو، بتعبير آخر ، ما هو الحل الذى يتبناه الوجوديون الملاحدة لمشكلة الاغتراب والذى قدمه تلش الملحد باعتباره معبرا عن نصفه الالهادى ؟

لقد قدم تلش شيئا من الاجابة علي السؤال فى قلب كتابه "اللاهوت النسقى"!!
عندما كتب يقول : " ان الوجودية المعاصرة قد 'جابهت العدم' (كما يقول كوهن Kuhn) بطريقة عميقة ومتطرفة. لقد استبدلت بكيفية ما الوجود ذاته (اى الله) باللاوجود، وخطعت على اللاوجود نوعا من الايجابية والقوة تناقضان المعنى المباشر للكلمة. إن 'العدم المعدم' عند هيدجر يصف الموقف الانسانى بأنه موقف مهدد باللاوجود على نحو مطلق ويستحيل الهروب منه أعنى أنه موقف مهدد بالموت. إن توقع العدم من خلال الموت يمنع الوجود الانسانى طابعه الوجودى. وسارتر جعل اللاوجود لا يشتمل على تهديد العدم فحسب، بل يشتمل أيضا علي تهديد اللامعنى (أعنى، تحطيم بنية الوجود). والوجودية ترى أنه ليست هناك طريقة لقهر هذا التهديد، والطريقة الوحيدة للتعامل معه تكمن فى شجاعة أخذه علي عاتق المرء^(١) فى هذا الصدد ينوه تلش من جديد إلى اعتقاده الراسخ الذى مؤداه أن الوجودية مرادفة للالحاد. فالوجودية المعاصرة، هكذا يقول النص، استبدلت الوجود ذاته أو الله باللاوجود أو العدم. ولكن الامر المؤكد والذى لايقبل الشك هو أن الوجودية الملاحدة هي التى فعلت ذلك.وحين فعلت ذلك ، خلعت الوجودية باعتبارها مرادفة للالحاد، هكذا يريد أن يقول تلش الملحد ، نوعا من الايجابية والقوة على اللاوجود. فاللاوجود عندها ليس

1) Ibid ., Vol . I, P. 189

حدا للوجود فحسب، بل يؤكد أيضا الوجود. إنه المهماز الذي يحفز المرء على تأكيد ذاته من خلال الشجاعة الالحادية من أجل الوجود كذات رغما عنه، وهو لذلك يشارك في الوجود بمعنى أنه يعطيه سمته الايجابية. هذه السمة الايجابية للوجود، هكذا يريد أن يقول تلش، تناقض المعنى المباشر لكلمة لاوجود نفسها، حيث إن المعنى المباشر لهذه الكلمة يشير إلى سلب الوجود من كل اعتبار. فاداة النفي (لا) تشير هنا وبصورة مباشرة إلى سلب الوجود. ولكن الوجودية باعتبارها مرادفة للالحاد، هكذا يريد أن يقول تلش، لا تقرر هذا المعنى المباشر وتتفق مع تلش على أن اللاوجود يتمتع بطابع ايجابي. هذا بالاضافة إلى أن التهديد المطلق للوجود من خلال الموت، هكذا يريد أن يقول، لا يمثل مشكلة على الإطلاق بالنسبة للوجودية باعتبارها مرادفة للالحاد. فهذا التهديد لا يمكن تجنبه ولا يمكن قهره عن طريق الدين أو أى شيء آخر، والطريقة الوحيدة الممكنة أمام الانسان هي أن يأخذه على عاتقه وأن يحقق ذاته رغما عن هذا التهديد وذلك بواسطة الشجاعة الالحادية من أجل الوجود كذات. هذا هو الحل الذي يتبناه، كما يلمح تلش في النص، كل من سارتر، وهيدجر باعتبارهما ابرز ممثلي الوجودية باعتبارها مرادفة للالحاد، وهو أيضا الحل الذي يتبناه تلش الملحد.

هذا الموقف لا ينطبق على الوجودية باعتبارها مرادفة للالحاد فحسب، بل ينطبق أيضا على تحالف البراجماتية، والبهيمية، والمذهب الطبيعي الرومانتيكى، ومدرسة لاهوت الازمة. فكلها تقرر سواء بطريقة علنية أو بطريقة خفية الشجاعة الدينية من أجل الوجود كجزء من التراث الدينى، وتقرر أيضا وفي نفس الوقت الشجاعة الالحادية من أجل الوجود كذات. هذا النوع الاخير من الشجاعة هو الذى أشار إليه تلش عندما كتب يقول "إن الشجاعة من أجل الوجود كذات عند سائر هذه المجموعات تتمتع بطابع التأكيد الذاتى للذات المتفردة من حيث هي ذات متفردة رغما عن عناصر اللاوجود التى تهددها. لقد قهر قلق القدر من خلال التأكيد الذاتى للفرد.. فهو يوجه

مجرى حياته ويستطيع أن يتحمل التراجيديا والموت على نحو بطولى. (١) هذا النص يوضح، بتعبير آخر، أن الطريق الوحيد لقهر سلبيات الوجود يكمن فى أخذها على عاتق المرء وتحقيق الذات رغما عنها، وذلك من خلال الشجاعة الإلهادية من أجل الوجود كذات، فالمرء يوجه مجرى حياته بحرية تامة أو مطلقة لاتعرف أى قيود، ويستطيع أن يأخذ على عاتقه سائر سلبيات الوجود وأن يحقق ذاته رغما عنها. هذه الشجاعة هى حقا نفس الشجاعة الإلهادية من أجل الوجود كذات التى أكدتها الوجودية باعتبارها مرادفة للإلهاد أو الوجودية بمعناها الواسع التى يجعلها تلش مرادفة للإيمان تارة، ومرادفة للإلهاد تارة أخرى، وذلك لان تلش يرى أن هذه المجموعات تعد من هذه الناحية أسلافا لتطرف (أو الحاد) القرن العشرين، ذلك التطرف (أو الإلهاد) الذى وصلت من خلاله الشجاعة من أجل الوجود كذات إلى أقوى تعبیر لها على النحو الذى نجده عند الحركة الوجودية... إن الرومانتيكية المتأخرة، والبوهيمية، والمذهب الطبيعى الرومانتيكى قد مهدوا الطريق للوجودية المعاصرة، التى تعد أكثر أشكال الشجاعة من أجل الوجود كذات تطرفا (أو الحادا): (٢)

هذه الشجاعة الإلهادية التى تقرها الوجودية باعتبارها مرادفة للإلهاد أبرزها تلش بصورة مفصلة من خلال النص التالى الذى يقول: "إن شجاعة اليأس، وتجربة اللامعنى، والتأكيد الذاتى رغما عنهما تتجلى كلها عند الوجوديين فى القرن العشرين. فاللامعنى هو المشكلة المشتركة بينهم جميعا. وقلق الشك واللامعنى هو.. القلق المميز لعصرنا. وقلق القدر والموت وكذا قلق الذنب والعقاب متضمنان هنا ولكنهما لا يشكلان العنصر الحاسم. فعندما يتحدث هيدجر عن توقع المرء لموته فإن ما يهمه هنا ليس مسألة الخلود، بل بالاحرى معنى توقع الموت بالنسبة للموقف الإنسانى... إن الحادثة التى تشكل الأساس التحتى للبحث عن معنى واليأس الناجم عن ذلك فى القرن العشرين هو فقد الإله فى القرن التاسع عشر... والنتيجة التى ترتبت على ذلك الفقد هى إعلان موت الله، ومعنىه نسق القيم والمعانى التى عاش فيها المرء. لقد ساد

1) Tillich, P., The Courage to Be, P. 121

2) Ibid., P. 123.

الاحساس بأن هذا الفقد كان فقدا وتحررا معا وفي نفس الوقت .إنه يدفع المرء إما إلى العدم أو إلى الشجاعة التي تأخذ على عاتقها الوجود. ربما لا يوجد شخص اثر في الوجودية المعاصرة على نحو ما فعل نيتشه وربما لا يوجد شخص جسد ارادة أن يكون ذاته بصورة متسقة وعبثية على نحو ما فعل هو. فمن خلاله اصبح الشعور باللامعنى شعورا يائسا ومحطما لذاته. على هذا الأساس (أى موت الله) نجد أن الوجودية .: تكشف عن شجاعة مواجهة الاشياء على ما هي عليه وتعبر عن قلق اللامعنى. إن الشجاعة الخلاقة أو المبدعة هي التي تظهر من خلال التعبيرات المبدعة عن اليأس. لقد اطلق سارتر على واحدة من اقوى رواياته اسم 'لامخرج'. هذه العبارة هي عبارة كلاسيكية تعبر عن موقف اليأس. ولكن سارتر نفسه لديه مخرجا : إنه يستطيع أن يقول ليس هناك مخرج ، ويقول هذا يكون قد أخذ موقف اللامعنى على عاتقه. وفي رواية 'عصر العقل' جعل سارتر بطل هذه الرواية يواجه موقفا مؤداه أن رغبته المشبوبة في أن يكون ذاته قد ساقته إلى معارضة كل التزام إنسانى. إنه يرفض قبول أى شئ يمكنه أن يحد من حريته. ليس هناك شئ يتمتع بمعنى مطلق بالنسبة له. لا الحب ، ولا العدالة ، ولا السياسة. إن الأساس الراسخ الوحيد عنده هو الحرية اللامحدودة في التغيير، في الاحتفاظ بالحرية بدون مضمون. إنه يجسد واحدة من أكثر صور الشجاعة من أجل الوجود كذات تطرفا ، الشجاعة من أجل الوجود كذات متحررة من أى عائق.^(١) في هذا النص يلقي تلش الضوء على الحل اللاحادى الذى قدمه. أبرز زعماء الوجودية باعتبارها مرادفة لللاحاد أعنى نيتشه ، وهيدجر ، وسارتر. فنييتشه ، هكذا يقول تلش فى كتابه " اللاهوت النسقى"، حاول أن يقهر سلبيات الوجود من خلال إظهاره لشجاعة تأخذ على عاتقها سلبيات الوجود.... وهو .. لم يوضح المعايير والمبادئ التى يمكن من خلالها الحكم على إرادة القوة (باعتبارها معبرة عن

1) Ibid ., PP. 140-142.

الشجاعة الالحادية من أجل الوجود كذات). إنها تظل غير محدودة وتنطوي على سمات شيطانية مدمرة. ^(١) هذه الشجاعة النيتشوية قدمها تلش بصورة أكثر وضوحاً في كتابه "الشجاعة من أجل الوجود" وذلك عندما كتب يقول : "نحن نستطيع أن نختم مناقشتنا لانطولوجيا الشجاعة عند نيتشه بالنص التالي الذي اقتبسناه من كتبه والذي يقول : 'هل نتمتع بالشجاعة يا أخى؟ .. بالشجاعة ليس أمام شهود عيان ، بل بالشجاعة الذاتية التي يتمتع بها الصقر (أو النسر)، ولا يتمتع بها حتى الاله.. إن من يعرف الخوف ويقهره هو وحده الذي له قلب ، هو وحده الذي يرى الهاوية ، يراها بكبرياء.. إن من يرى الهاوية بعيني صقر - أن من يقبض على الهاوية بمخالبه صقر : هو وحده الشجاع. ^(٢) هذه الشجاعة النيتشوية ليس لها سوى معنى واحد محدد أكدته تلش بكل جلاء في تعليقه، على هذا النص الذي اقتبسته تلش من كتاب نيتشه "هكذا تكلم زرادشت" ، الذي يقول : "هذه الكلمات تكشف عن الجانب الآخر لنيتشه، الجانب الذي يجعله وجودياً ، تكشف عن شجاعة النظر إلى هاوية اللاوجود من خلال الوحدة الكاملة لذلك الذي لا يؤمن إلا بالرسالة التي مؤداها أن 'الله قد مات' ^(٣) هذا النص يوضح بصورة لاتدع مجالاً للشك رأى تلش الذي مؤداه أن الجانب الوجودي عند نيتشه - وهذا ينطبق أيضاً على الجانب الوجودي عند تلش وعند كل وجودي آخر - هو الجانب الذي يؤكد الشجاعة الالحادية من أجل الوجود كذات والتي تكون ممكنة ومؤثرة في ظل إيمانه بالرسالة التي مؤداها أن 'الله قد مات' وماتت معه سائر القيم والمعايير. هذا يبرز من جديد اقتناعنا الراسخ بأن الوجودية عند تلش مرادفة للالحاد، ويؤكد أيضاً أن وصف تلش لنفسه بأنه يتمتع بنصف وجودي لايعنى سوى أنه يتمتع بنصف إلحادي.

نفس هذا النوع من الشجاعة هو الذي وجدته تلش ، كما أشار هو نفسه فيما

1) Tillich, P., Systematic Theology, Vol.2, P. 55

2) Tillich , P., The Courage to Be, P. 39.

3) Ibid., P. 40

سبق ، عند هيدجر الذى كشف فى كتابه " الوجود والزمان " عن هذا النوع من الشجاعة وذلك من خلال تحليله " للظاهرة التى يطلق عليها اسم التحرر . فالكلمة الألمانية Entschlossenheit والمقابلة لكلمة تحرر resolve الانجليزية ، تشير إلى تحرير ماكبلة القلق ، والخضوع للمجاعة (أى الشجاعة الدينية من أجل الوجود كجزء من التراث الدينى المسيطر) ، والاحتجاب عن الذات ، وعندما يتحرر ذلك الذى كبته هذه الأشياء ، يستطيع المرء أن يفعل act ، ولكن الفعل لن يكون طبقا لمعايير معطاة بواسطة أى شخص أو أى شئ ، لأنه لا يوجد شخص يمكنه أن يوجه أفعال الفرد المتحرر (او المنطلق) - لا اله ، ولا التقاليد ، ولا قوانين العقل ، ولا المعايير والمبادئ . إنه يتحتم علينا أن نكون أنفسنا ، إنه يتحتم علينا أن نقرر إلى أين نمضى . وضميرنا هو الوجه لانفسنا . إنه لا يخبرنا بشئ متعين ، لأنه ليس هو بصوت الاله ولا هو الوعى بالمبادئ الابدية . إنه يوجه نواتنا بمعزل عن سلوك الرجل العادى ، وعن الثروة اليومية ، والروتين اليومى ، والضبط (أو الانضباط) الذى يعد المبدأ الاساسى لشجاعة المجاعة من أجل الوجود كجزء (أى الشجاعة الدينية) . ولكن إذا تابعنا هذا التوجيه نصبح مذنبين بالضرورة ، لا من خلال ضعف أخلاقى ، بل من خلال موقفنا الوجودى . وعندما نتمتع بالشجاعة من أجل الوجود كنوات نصبح مذنبين ، ولا يتبقى أمامنا سوى أن نأخذ هذا الذنب الوجودى على عاتقنا . إن أولئك الذين يأخذون بصورة متحررة قلق التناهى والذنب على عاتقهم هم فقط الذين يستطيعون مواجهة اللامعنى بسائر أوجهه . ليس هناك معيار أو مقياس لما هو صواب وما هو خطأ . فالتحرر يضيف الصواب على ماسوف يكون صوابا . لقد كانت احد المهام التاريخية لهيدجر تتمثل فى تقديم التحليل الوجودى للشجاعة من أجل الوجود كذات على نحو كامل لم يفعله أحد من قبل ، وعلى نحو أكثر تدميرا من نى قبل .^(١) هذه الشجاعة اللاحادية التى يسوقها تلش هنا على لسان هيدجر لاقت مزيدا من الاسهاب فى أعمال تلش

1) Ibid., P. 146.

الآخرى. ففي كتابه "الحقبة البروتستانتية"، على سبيل المثال، قدم تلش نفس هذا الموقف على لسان هيدجر، وذلك عندما كتب يقول: "إن هيدجر، ذلك الممثل الرئيسي للفلسفة الوجودية، يقول: 'إن نداء الضمير يهيب بالإنسان أن يحقق إمكاناته الأصلية من خلال تنافيه، وهذا يعنى أن هذا النداء يناشد الإنسان أن يصبح مذنبا'. إن الضمير يأخذنا من الحديث السوقي اليومي والسلوك المبتذل للدهماء، ويستدعينا للمثول أمام أنفسنا. والضمير ليس له مطالب خاصة، إنه يتحدث إلينا في 'حالة الصمت'. إنه لا يخبرنا سوى أن نفعل وأن نصبح مذنبين من خلال الفعل، وذلك لأن كل فعل هو فعل يفتقر إلى الضمير. إن من يفعل يجرب نداء الضمير ويمر - في نفس الوقت - بتجربة مناقضته لضميره، بتجربة كونه مذنبا. فالوجود في حد ذاته هو وجود مذنّب: إن خداع الذات هو وحده الذي يمنح ضميرا أخلاقيا خيرا، وذلك لأن المرء يتحتم عليه أن يفعل وكل فعل من أفعاله يتضمن ذنبا. إنه يتحتم علينا أن نفعل، والاتجاه الذي نستطيع من خلاله أن نفعل هو 'التحرر'. فالتحرر يتجاوز الضمير الأخلاقي بحججه وتحريماته. إنه يحدد موقفا بدلا من أن يتحدد هو من خلال الموقف. إن الضمير الخير، المتجاوز للأخلاق، يكمن في قبول الضمير الأخلاقي السيئ bad الذي لا يمكن تحاشيه حيثما تتخذ القرارات وتتجز الأفعال".^(١) إن هذا الأسهاب الشديد والاستفاضة في تقديم موقف هيدجر الألحادى لم يكن صدفة علي الإطلاق. فنحن نراه امرا مدبرا تماما من جانب تلش قصد به ابراز العنصر الألحادى عنده (تلش) بطريقة ملتوية اعني علي لسان هيدجر. فكلاهما يقر الشجاعة الألحادية من أجل الوجود كذات. ولكن إذا كان هيدجر قد أقرها بصورة علنية، فإن تلش قد أقرها بصورة ملتوية خفية.

هذا أيضا هو السر الذي جعل تلش يسهب في إيضاح المواقف الألحادية لسائر الوجوديين الملاحدة هنا وهناك في كتاباته. لقد قدم أراءهم باعتبارها معبرة عن رأيه الشخصي. ومن ثم إذا جاز لنا أن نلخص معنى اتفاقه مع سائر الوجوديين

2) Tillich, P., The Protestant Era, P. 148

الملاحظة في هذا الصدد في عبارة موجزة، فلن نجد أفضل من عبارته التالية التي يلخص فيها موقفه الالهادي على لسان سارتر، والتي تقول : "لقد انجز سارتر التحليل الوجودي لهينجر بدون .. تحفظات. هذا هو السبب الذي جعله يصبح رمزا للوجودية المعاصرة . هذه المكانة لم يستحقها بفضل أصالة مفاهيمه الرئيسية بقدر ما استحقها بفضل التطرف (الاحاد) ، والاتساق والدقة السيكلولوجية التي قدم بها هذه المفاهيم . إنني أشير أولا وقبل كل شيء إلى فرضيته التي تقول : 'إن ماهية الإنسان هي وجوده' . هذه العبارة تشبه وميضاً من الضوء يشرق على الحركة الوجودية كلها . ونحن نستطيع أن نقول إن هذه العبارة هي أكثر العبارات بأساً وأكثرها شجاعة في الأدب الوجودي كله . إن ماتعنيه هذه العبارة هو أنه ليست هناك طبيعة ماهوية للإنسان ، سوى من اعتبار واحد هو أنه يصنع ذاته على النحو الذي يريده . فالإنسان يصنع ما يكونه . ليس هناك شيء معطى له لتحديد ابداعه . إن ماهية وجود الإنسان - مايتحتم أن يكون، مايجب أن يكون - ليست شيئاً يجده ، إنها شيئاً يصنعه . إن الإنسان ليس شيئاً خلاف مايصنعه بنفسه . والشجاعة من أجل الوجود كذات هي شجاعة أن يصنع المرء ذاته على النحو الذي يريده. (١)

يتضح من كل ما سبق أن الشجاعة الالهادية التي يقرها تلش والوجودية الملحدة تؤكد على القدرة على أخذ سلبيات الوجود على عاتق المرء وتحقيق الذات رغماً عن هذه السلبيات وذلك بواسطة الشجاعة الالهادية من أجل الوجود كذات. هذه الشجاعة لا تكون ممكنة إلا في ظل الحرية المطلقة التي تتمتع بها الذات في ظل موت الله ومع سائر القيم والمعايير . وعلى هذا تتخذ الشجاعة معنى واحداً محدداً هو : الشجاعة من أجل الوجود كذات متحررة تصنع نفسها على النحو الذي تريده ، وتأخذ على عاتقها سائر سلبيات الوجود في ظل موت الله.

1) Tillich , P., The Courage to Be, P. 147

هذا يجب أن نوضح من جديد نقطة على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لهذه الدراسة. فالقارئ لنصوص تلش سوف يجد أنه يتهم هذا النوع من الشجاعة بالعبث والتدمير. وهو يقول ذلك بطريقة علنية ، هذا على الرغم من أننا قد كشفنا أنه يقر ويثبت ويتبنى هذا النوع من الشجاعة بطريقة خفية. فما هو السر الذي جعله يفعل ذلك؟ إذا كنا قد أجبنا على هذا السؤال في أكثر من مناسبة سابقة ، فإنه يتحتم علينا أن نكرر من جديد - وذلك من قبيل الإيضاح - إن الإجابة على هذا السؤال تكمن في موقف النصف ، والنصف عند تلش . في ضوء هذا الموقف نستطيع أن نقرر أن تلش الملحد يتبنى مع الوجودية الملحدة هذا الحل بطريقة خفية ، في حين أن تلش المؤمن يتبنى الحل الديني لمشكلة الاغتراب بطريقة علنية ومن ثم يشارك اللاهوتيين في الهجوم العلني على هذا الحل. ولكن اقرار تلش الخفي للحل الالحادي يعنى ضمنا هجومه على ، أو على الأقل عدم رضاه التام عن، الحل الديني. لقد استحال عليه الهجوم على الحل الديني انطلاقا من نصفه الالحادي بصورة علنية ، لأنه يعلم أن في ذلك هلاكه . هذا يعنى ، بتعبير آخر، أن تلش المؤمن يرى أن الحل الالحادي وحده لا يكفي ، وأن تلش الملحد يرى أن الحل الايماني وحده لا يكفي. ولقد نوه هو نفسه إلى هذا الموقف الأخير في النص التالى الذى يوضح فيه طبيعة الاحتجاج الوجودى ضد ما يحدث فى المجتمع الصناعى المعاصر. فهذا الاحتجاج ، هكذا يقول تلش، "حدث فى عمق الحضارة الصناعية، أحيانا بواسطة أشخاص قدموه فى صورة معادية للدين تماما (أى الحادية). هذا يشير إلى الحركة المعروفة باسم الوجودية التى بدأت مع باسكال، وحملت لواحا بعض العقول النبوية فى القرن التاسع عشر (يقصد نيتشه بنحو خاص)، إلى أن وصلت إلى انتصارها الكامل فى القرن العشرين (على يد هيدجر وسارتر). إن الوجودية ، بأوسع معانيها (أى باعتبارها تقر موقف النصف، والنصف)، هى احتجاج ضد روح المجتمع الصناعى داخل إطار المجتمع الصناعى . هذا الاحتجاج موجه ضد وضع الانسان بالنسبة لنظام الانتاج والاستهلاك فى

مجتمعنا. فمن المفروض أن يكون الانسان سيد عالمه وسيد ذاته. ولكن الانسان أصبح... موضوعا ضمن موضوعات أخرى، أصبح شيئا من بين أشياء أخرى.. إن أزمة الانسان في المجتمع الصناعي ولدت تجارب الخواء واللامعنى، التشيؤ والاغتراب... وأحد الطرق للخروج من هذه الازمة يتمثل في أن يقصر الانسان ذاته على قطاع محدود من الواقع ويدافع عنه ضد غزو العالم لقلعته. تلك هي الطريقة العصابية والتي تغزو ذهانية في حالة اختفاء الواقع تماما. وهي تشتمل على الخضوع لمتطلبات الثقافة وكبح مشكلة المعنى. أو قد يكون لدى البعض القدرة على أخذ القلق واللامعنى على عاتقهم بشجاعة والعيش على نحو مبدع، والتدليل على أزمة أكثر الناس حساسية في عصرنا من خلال إنتاج ثقافي. إن هذه الطريقة الأخيرة هي التي عبرت عنها الاعمال الفنية والفلسفية في النصف الأول من القرن العشرين (خاصة وجودية سارتر وهيدجر). فهذه الاعمال هي تعبيرات إبداعية عن الميول المدمرة في الثقافة المعاصرة. إن الاعمال العظيمة في مجالات الفنون المرئية، والموسيقى، والشعر، والأدب، والنحت والفلسفة، توضح، كلا بأسلوبه، كلا من الملاقاة مع اللاوجود، والقدرة على حمل كل ذلك وإظهاره بطريقة إبداعية^(١) نحن نرى أن تلش ينوه في هذا النص إلى أن الوجودية تنقسم إلى شعبتين إحداهما دينية بدأت مع باسكال وحمل لواعها كيركيجورد وغيره، والأخرى ملحدة حمل لواعها نيتشه ثم هيدجر وسارتر من بعده. وكل شعبة من هاتين الشعبتين تمثل معنى ضيق للوجودية، وذلك لأن المعنى الأوسع للوجودية، هكذا ينوه النص، هو المعنى الذي يجعلها تضم النقيضين معا. غير أن هناك قاسما مشتركا بين الشعبتين: فكليتهما تحتج على أزمة الانسان في المجتمع المعاصر. هذا الاحتجاج يتبناه تلش أيضا، وذلك لأن كلا النقيضين يمثلان وجوديته بمعناها الواسع. ولكن حينما نأتى إلى الحل أو الطريق للخروج من الازمة، نجد أن الشعبتين تتخذان مواقف متعارضة أو متناقضة. فالوجودية المؤمنة، هكذا ينوه النص،

1) Tillich, P., 'Aspects of a Religious Analysis of Culture', Theology of Culture, PP. 45-46.

تقصر نفسها على جزء محدود من الواقع ، على الشجاعة الدينية من أجل الوجود كجزء من التراث الدينى المسيطر ، الذى يتضمن الخضوع لمقتضيات الدين وكبح ما هو سلبى. هذه الطريقة يعدها تلش الملحد طريقة عصابية لأنها لاتطلق العنان لما هو سلبى، لما هو الحادى ، ويتحول إلى ذهان وذلك فى حالة اختفاء ذلك الجزء الدينى من الواقع أمام الغزو الالهادى الجارف ، حيث تختل صلته بالواقع او تنقطع تماما. أما الوجودية الملحدة فتتخذ طريقا او حلا آخر. هذا الطريق هو طريق الشجاعة الالهادية من أجل الوجود كذات تتمتع بحرية مطلقة ، وتأخذ على عاتقها سائر سلبيات الوجود وتحقق ذاتها على نحو إبداعى رغما عن هذه السلبيات. هذا الطريق هو الذى عبرت عنه الاعمال الوجودية الالهادية العظيمة سواء فى مجال الأدب أو الفن أو المسرح أو الفلسفة ... الخ. لقد لاقت هذه الاعمال رواجا لأنها جاءت معبرة عن أزمة الانسان المعاصر . والحل الذى قدمته ، هكذا يريد أن يقول تلش ، هو حقا حلا إبداعيا . لقد استطاع الوجوديون الملاحدة أن يأخذوا كل السلبيات على عاتقهم بشجاعة وأن يعيشوا على نحو إبداعى بمعنى انهم كشفوا معا وفى نفس الوقت عن مواجهة اللاوجود وعن قدرتهم الشجاعة على اخذ سائر السلبيات على عاتقهم. هذا الحل الاخير الذى يقر الشجاعة الالهادية يحبذه تلش ، كما ينوه النص ، على الحل الدينى الذى يقر الشجاعة الدينية ، والذى يصفه بأنه حل عصابى او ذهانى. من هنا نستطيع أن نقرر انه بينما أن تلش المؤمن يشارك الوجودية المؤمنة فى اقرار الشجاعة الدينية وفى الهجوم العلنى على الشجاعة الالهادية، فان تلش الملحد يشارك الوجودية الملحدة فى اقرار الشجاعة الالهادية الأمر الذى يعنى ضمنا هجومه على الشجاعة الدينية.

هذا الموقف الالهادى هو الذى جعله يجد شيئا من الايجابية فى الشجاعة الالهادية من أجل الوجود كذات ، هذا على الرغم من معارضة تلش المؤمن العلنية لهذه الايجابية. وقبل أن نوضح هذه الايجابية، نود أن نشير أولا إلى أن تلش الملحد لم يكن هو الوحيد الذى أكد هذه الايجابية. لقد تنبه إليها الكثيرون غيره ، ونذكر من بينهم

هنا ، علي سبيل المثال ، ديفيد وود الذي أشار إلى هذه الايجابية عندما كتب ، في معرض تقييمه لموقف نيتشه ، يقول : " إن فكرة العود الابدی عند نيتشه تنطوي علي وجهين : وجه مربع ووجه مبهج. فالامتحان الذي يضعه العود الابدی يدور حول ما إذا كان بإمكان المرء أن يقابله بالايجاب ، وأن يتجاوز الرعب والامتعاض. إن الشجاعة ، هكذا يكتب نيتشه ، تحطم حتى الموت ، لانها تقول 'هل كانت تلك حياة ؟ حسنا إذن ، فلنجرب من جديد'... عندما يستحوذ العود الابدی علی المرء لأول مرة، تنمحي سائر الآمال. فكل شيء غير مكتمل ، وردئ التشكيل ، وغير مرغوب ، سوف يعود. ولكن عندئذ يأتي الاتساع ، تأتي لحظة مدهشة ، يجد المرء نفسه من خلالها قويا إلى حد يجعله يقهر كل ذلك . إنني أؤمن بأننا نتعلم شيئا من كلمات نيتشه نفسها التي تقول : 'إذا تملكك هذه الفكرة ، فسوف تبدلك، أو قد تسحقك، أو ما لا يقتلني يجعلني أقوى أو أكثر صلابة' - هكذا كتب نيتشه في كتابه 'أقول الآلهة'.^(١) هذه الايجابية التي وجدها ديفيد وود تضرب بجنورها في الشجاعة الالحادية من اجل الوجود كذات ، هي نفس الايجابية التي قدمها تلش الملحد في كتابه " توقع سياسي" ولكن تحت ما أسماه باسم " اليوتوبيا الخفية " أو بالأحرى الالحادية . لقد وجد هذه اليوتوبيا تضرب بجنورها عند الوجودية باعتبارها مرادفة للالحاد أو ، بتعبير آخر ، عند الوجودية بمعناها الواسع الذي يضم النقيض الالحادي ، إلى جانب النقيض الديني ، كما وجدها أيضا عند سائر المجموعات المرادفة لها والمتحالفة معها والتي أشرنا إليها مرارا فيما سبق. ودليلنا على ذلك هو أنه كتب يقول : "هناك يوتوبيا خفية يمكن تأكيدها حتى عند

1) Wood., D.C., 'Nietzsche's Transvaluation of Time', Exceedingly Nietzsche : Aspects of Contemporary Nietzsche Interpretation, PP.45-46, Ed. by Krell, D.F., and Wood, D.C., Routledge, London and New York, 1988.

الوجوديين ، وكذا عند المجموعات الأخرى ، أعنى ، يوتوبيا 'ظهور الوجود الخالص'.^(١)

Just as with other groups, a hidden utopia could be confirmed even among the existentialists, namely the utopia of the 'revelation of pure being'.

هذه العبارة توضح بما لا يدع مجالا للشك أن تلش يرى أن الوجودية وسائر المجموعات المتحالفة معها تقر نوعا من اليوتوبيا ، يوتوبيا من نوع خاص. هذه اليوتوبيا هي اليوتوبيا التي تتوقع " ظهور أو انكشاف الوجود الخالص: حسنا ! ولكن الوجود الخالص عند تلش هو، كما أوضحنا في الفصل الأول، هكذا يجب أن نتذكر ، الوجود الالهادى الذى يتمتع بالحرية المطلقة التى ، فى ظل موت الله ، لاتعرف عوائق أو قيود . وطالما أن الأمر كذلك ، فإن هذا يعنى أن تلش يريد أن يقول هنا إن اليوتوبيا التى تنتظرها الوجودية باعتبارها مرادفة للالهاد هي يوتوبيا ظهور الوجود الالهادى الخالص أو ، باختصار، اليوتوبيا الالهادية. هذه اليوتوبيا الالهادية لاتقيم وزنا إلا للحرية المطلقة ، وهذا فى رأينا هو السبب الذى جعله يضيف فى نفس السياق قوله الذى مؤداه : " فى الوجودية هناك .. قضية واحدة ، وهذه القضية هي التى يطلق عليها الوجوديون اسم الحرية. ^(٢)

In existentialism there is ... a point, and this point is what the existentialists call freedom.

هذه الحرية التى يشير إليها تلش هنا هي الحرية المطلقة والأمر الذى يؤكد ذلك هو أنه كتب ، فى معرض تفسيره لليوتوبيا الخفية عند نيتشه فى نفس السياق ، يقول " إن نيتشه .. يعتبر مذهب فى العود الأبدى أعظم اكتشافاته. هذا المذهب عن له قرب ذلك الحجر فى سلزماريا Sils-Maria الذى كنت أجلس عليه (أى تلش) بوقار فى

1) Tillich, P., 'The Political Meaning of Utopia', Political Expectation, P. 146

2) Ibid., Loc. cit.

الغالب، وأعتبره (المذهب) نيتشه رؤية في العالم تساعد على أن يناقض بصورة مطلقة الرؤية المسيحية في العالم في مجملها.. إن الامر الهام ، أو الذى تجدر الإشارة إليه على الأقل ، هو حل نيتشه .. الذى مكّنه من أن يتنبأ ويتوقع بطريقة يوتوبية تماما مجئ وقت الظهيرة العظيم ، مجئ الانسان الذى يبرز كل أقرانه والذى يكون وحده الجدير بأن يسمى بالانسان. هذا هو معنى السوبرمان : التحقق الذاتى للحياة بصورة جديدة تفوق كل شئ وجد حتى الآن. ^(١) هنا ينوه تلش إلى نص نيتشه الذى أوردناه في الفصل الأول ، والذى توقع فيه مجئ السوبرمان وذلك فى أعقاب " موت الله "، لان السوبرمان هو البديل للاله، إنه المكفى بذاته، والغنى بذاته، والمتمتع بالحرية المطلقة وبالشجاعة اللاحادية من أجل الوجود كذات. هذا هو "الوجود الجديد" ، الوجود "الايجابى" أو اليوتوبى الذى يترقب ويتوقع نيتشه ظهوره فى رأى تلش. إنه يتوقع ظهور أو بالاحرى سيادة الوجود الخالص أو اللاحادى الذى ، كما ينوه تلش فى النص ، يناقض الحل المسيحى من كل اعتبار. من هذا الاعتبار " آمن نيتشه " ، كما يقول تلش نفسه ، "بمعجزة ظهور طائفة منقذة جديدة من الجنس البشرى، طائفة عليا مبدعة". ^(٢) هذه الطائفة ، هكذا يجب أن يضيف تلش ، هى طائفة السوبرمان .

نفس هذه اليوتوبيا الايجابية اللاحادية يجدها تلش عند هيدجر. فهيدجر، هكذا يقول تلش ، يترقب " يوتوبيا 'ظهور الوجود الخالص' ، وهو ينتظرها كنبى يحملق من فوق جبل مقدس خفى ... إنه يتوقع ظهورا ، إذا حدث وجاء ، سوف ينتهى عصر الميتافيزيقا، أعنى ، العصر الذى يتعلق فيه الانسان بصور للوجود بدلا من تعلقه بالوجود الخالص ، وإذا تعلق الانسان بالوجود الخالص ... نحن لانستطيع أن نفصل القول فى ذلك فى هذا الموضع. ^(٣) هذا النص يبرز من جديد دهاء تلش ومكره

1) Ibid., P. 145

2) Tillich, P., The Religious Situation, P. 174.

3) Tillich, P., 'The Political Meaning of Utopia', Political Expectation, PP. 146-147.

الشديد، وذلك لان تلش تحاشى هنا الدخول فى تفاصيل مايعنيه هيدجر بتعلق الانسان بالوجود الخالص، وذلك لانه يعلم تماما النتائج السلبية أو بالاحرى الالحادية لموقفه المتعارض مع اللاهوت المسيحى. ولهذا السبب ترك العبارة مبتورة هكذا، على أمل الإفصاح عن مدلولها فى مواضع أخرى ، نظرا لأنه يعلم أن الإفصاح عنها فى نفس السياق سيكشف أمره لللاهوت المسيحى الذى يزعم أنه ينتمى إليه. وهو حقا فعل ذلك ، على نحو مارأينا ، فى مواضع أخرى من كتاباته ، فلوضح أن هيدجر لا يتمسك إلا بالحرية المطلقة وبالشجاعة الالحادية من أجل الوجود كذات. هذا هو الوجود الخالص أو الالحادى الذى يتوقع هيدجر ظهوره أو بالاحرى سيادته ، وهو أيضا الوجود الذى سيؤدى ، كما ينوه النص ، إلى انهيار سائر المذاهب الميتافيزيقية وعلى رأسها المذهب الالهى فى شتى صورته.

فى ضوء كل ما سبق نستطيع أن نقرر ان تلش يشارك الوجودية الملحدة، أو الوجودية باعتبارها مرادفة للالحاد، الحل الإلحادى لمشكلة الاغتراب كما شاركها اعتقادها اليوتوبى الايجابى الذى مؤداه أن سيادة هذا الحل هو امر يتسم بالايجابية لأنه يفضى إلى اليوتوبيا الالحادية أعنى يوتوبيا الوجود الالحادى أو الخالص. أما تلش المؤمن فقد شارك الوجودية المؤمنة أو الوجودية باعتبارها مرادفة للايمان الحل الايمانى أو اليوتوبيا الايمانية التى تتوقع سيادة الحل الدينى ، ومن ثم هاجم الحل الالحادى بصورة علنية.

هذا يعنى أن تلش الملحد يريد الحل الالحادى ، أما تلش المؤمن فيريد الحل الايمانى ، وماذلك إلا لأنه منقسم إلى النصفين. هذا الانقسام لخصه تلش بصورة قاطعة فى عبارتين صغيرتين جاءت إحداهما فى كتابه "زعزعة الاساسات"، وجاءت الاخرى فى كتابه " ما الدين؟" فانطلاقا من نصفه الايمانى ، كتب تلش المؤمن يقول : "إن الالحاد الاصيل (أو الخالص) هو أمر مستحيل من الناحية الانسانية ، وذلك لأن الله أقرب إلى الانسان من قرب الانسان لنفسه".^(١)

(1) Tillich, P., 'The Theologian', The Shaking of the Foundations, P. 131.

Genuine atheism is not humanly possible, for God is nearer to a man than that man is to himself.

وانطلاقاً من نصفه الالهادي ، كتب تلتش الملحد يقول : " في كل تأكيد لله باعتباره اللامشروط ، تكمن هوة الحادية." (١)

(In every affirmation of God as the unconditional, an abyss of atheism is contained.

هذه الهوة لا يعبرها تلتش ، كما أوضحنا في الفصل الاول ، بطريق التضاييف ، ولا حتى بطريق التركيب ، بل يعبرها بواسطة وثبة لا معقولة ومستمرة من أحد النقيضين ، إلى الآخر . وهو فعل ذلك انطلاقاً من إدراكه الذكي الذي تحدثنا عنه في الفصل الثاني . فمن خلال إدراكه الذكي ، عرف تلتش كيف يثب بذكاء أو بالآخرى بدهاء من أحد النقيضين، إلى الآخر. لقد عرف بذكاء أو بخبث كيف يخدع اللاهوت المسيحي.

هذه الكلمات تشكل نهاية هذا الجزء من هذا الفصل ، والنتيجة الرئيسية التي نستطيع أن نستخلصها من كل ما سبق هي أن موقف النصف ، والنصف قاد تلتش إلى إقرار حلين متناقضين لمشكلة الاغتراب هما الحل الايماني ، والحل الالهادي . فاعتنق الحل الاول بصورة علنية، وتبنى الحل الآخر بصورة ملتوية أو خفية . ومن ثم أقام بينهما هوة لم يعبرها إلا بوثبة مستمرة ولا معقولة من أحد النقيضين، إلى الآخر، وذلك على أساس إدراكه الذكي ، أو خبثه الشديد.

بهذا نكون قد وصلنا إلى نهاية الموقف الوجودي أو مفهوم الاغتراب عند تلتش . والنتيجة الرئيسية التي نستطيع أن نقررها بكل اطمئنان في ضوء كشفنا لابعاد هذا الموقف هي أن هذا الموقف هو حقا موقف النصف ، والنصف ، النقيض ، والنقيض ،

1) Tillich, P., What is Religion?, P. 79, Translated by Adams, J.L., Harper Torchbooks, Harper and Row, Publishers, New York, London, 1969

الماهية ، والوجود المغترَب ، الايمان، والالحاد . هذه النتيجة تضرب بجذورها في المنهج الذى ارسينا قواعده في الفصل الاول ، والذى طرح في ضوئه موقفه الوجودي اعني منهج التضاييف ، وهى تكمن فى قلب تفسيره للطبيعة الماهوية او الدينية للانسان علي نحو ما كشفنا فى الفصل الثانى ، وهى النتيجة المهيمنة على الحالة الفعلية للانسان كما ثبت لنا فى الفصل الثالث ، وهى فى النهاية الاجابة على التساؤل المتعلق بكيفية قهر الاغتراب على نحو ما تأكد لنا فى هذا الفصل. هنا لايتبقى أمامنا سوى أن نتساءل : ماهى علاقة هذا الموقف بفكرة ككل ؟ إن الاجابة علي هذا السؤال تشكل مضمون الفصل الاخير.

الفصل الخامس

الموقف والفكر أو الفكر والموقف

لقد ساقنا فحوصنا لموقف تلش الوجودى إلى نتيجة رئيسية هى أنه حقا موقف النصف، والنصف، النقيض، والنقيض، الماهية، والوجود المغترب، الايمان، والالحاد. والآن أن الأوان كى نجيب على التساؤل الذى طرحناه فى مقدمة هذه الدراسة والمتعلق بعلاقة هذا الموقف بفكره ككل أو بفكره فى شموليته. ولكى نجيب على هذا التساؤل يتحتم علينا أن نجيب أولا على هذا السؤال : هل يمكن إدراج فكر تلش بأكمله تحت مقولة واحدة بعينها ؟ والاجابة التى يقدمها تلش على هذا السؤال هى بالايجاب ، وذلك لانه كتب فى مقالته التى تحمل عنوان " على الحد " والتى لخص فيها سيرته الذاتية يقول : " عندما طلب منى تقديم وصف للطريقة التى تطورت بها أفكارى عبر مجرى حياتى ، أعتقد أن مفهوم الحد قد يكون هو الرمز الذى يناسب سائر تطوراتى الشخصية والفكرية. ففى كل مرحلة من مراحل هذا التطور ، اضطررت إلى الوقوف بين إكائيتين بديلتين من إمكانات الوجود، اضطررت ألا أأدرج تماما تحت واحدة منهما وألا أأخذ موقفا محيدا تجاه إحداهما. طالما أن التفكير يتطلب سلفا الاستعداد لتقبل إمكانات جديدة ، فإن هذا يعنى أن هذا الموقف يثرى الفكر من ناحية ، ويتسم بالصعوبة والخطورة بالنسبة للحياة، التى تتطلب يوما اتخاذ قرارات ومن ثم إقصاء بدائل ، من ناحية أخرى . هذه النزعة بكل ما فيها من توتر هى التى شكلت كلا من مصيرى وأعمالى".^(١) هذا النص يؤكد تماما أن مفهوم " الحد " هو المقولة الرئيسية التى تشكل فى ضوئها كلا من فكر تلش وحياته.

1) Tillich, P., 'On the Boundary', The Boundaries of Our Being, P. 297

ولكن ماهو المقصود " بالحد " عند تلش فى المقام الأول ؟ لقد قدم تلش فى النص السابق شيئا من الاجابة على هذا السؤال. ففي هذا النص يقول تلش إنه اضطر يوما وعبر تطور سائر مدارج حياته وأفكاره إلى أن يقف بين إكائيتين بديلتين من إمكانات الوجود ، اضطر ألا يكون مندرجا كلية تحت واحدة منهما ، وألا يتخذ موقفا محددا تجاه احدهما.

I have had to stand between alternative possibilities of existence, to be completely at home in neither and to take no definitive stand against either.

هذا يعنى أن تلش يرى أن وقوفه على الحدود بين إكائيتين بديلتين من إمكانات الوجود يعنى أنه لا يندرج كلية تحت ، أو لا يحصر نفسه تماما فى ، أو لا ينحاز كلية إلى واحدة منهما ، وأنه لا يتخذ فى نفس الوقت موقفا محددا تجاه أى واحدة منهما . ونحن نستطيع أن نوضح هذا المعنى " للحد " عند تلش بصورة أكثر من خلال المثال التالى : افترض مثلا أننا نواجه الآن إكائيتين بديلتين من إمكانات الوجود ، التى يتحتم علينا اتخاذ قرار بشأنها - كامكانية ان يكون المرء ، على سبيل المثال ، إما ديمقراطيا أو ديكتاتوريا . هنا يمكن القول إن المرء الذى لا يقف على الحدود بينهما يتحتم عليه ، طبقا لتلش ، أن ينحاز إلى واحدة منهما ، وذلك لأن إقرار احدهما أو الانحياز إلى واحدة من هاتين الامكائيتين يحتم عدم إقرار الأخرى . أما الشخص الذى يقف على الحدود بينهما - على غرار تلش - يتحتم عليه الا يندرج كلية تحت ، أو ألا يحصر نفسه تماما فى ، أو الا ينحاز كلية إلى واحدة منهما ، إنه يتحتم عليه ألا يكون ديمقراطيا بالمعنى الكامل، وألا يكون ديكتاتوريا بالمعنى الكامل ، وهذا يقضى بالتالى

إلى نتيجة مؤداها انه لا يتخذ موقفا محددا تجاه واحدة منهما.

هذا المعنى " للحد " يظل غامضا إلى أن يتحد مع ماقرره تلش في موضع آخر في نفس المقال حول معنى وقوفه بين حزبين سياسيين . لقد كتب في هذا السياق يقول : " عندما أقول إننى أقف على الحدود بين حزبين سياسيين ، يجب تفسير 'المابين' بطريقة مختلفة عن تلك التي جاءت في مواضع أخرى في هذا المقال. إنها يجب أن تؤخذ على أنها تعنى أننى لا انتمى من الداخل ولم يحدث أبدا أن انتميت من الداخل (أى بقلبه) لأى حزب ". (١) في هذا النص يقدم تلش الوجه الباطنى أو الداخلى أو القلبى لمعنى وقوفه على الحدود بين إكائيتين بديلتين من إمكائات الوجود - والمثال الذى يقدمه هنا هو وقوفه على الحدود بين حزبين سياسيين متعارضين - والذى يفيد بأنه لاينتمى بقلبه أو من الداخل إلى حزب (اى امكانية) من الحزبين ، انه لا يحس فى قرارة نفسه بأى ميل إلى كلا البديلين أو الحزبين.

غير أن المعنى الكامل " للحد " عند تلش لن ينكشف إلا من خلال ماكتبه فى معرض حديثه عن وقوفه على الحدود بين الماركسية والمثالية . هنا كتب تلش يقول : " إن الماركسيين قد يتهموننى بالنزعة المثالية ، والمثاليين قد يتنمرون من نزعتى المادية ، ولكن موقفى الفعلى هو إننى على الحدود بين الاثنين. " (٢)

Marxists may accuse me of my idealism, and idealists may complain of my materialism, but I am actually on the boundary between the two.

1) Ibid., P., 345.

2) Ibid., Loc. cit.

هذه العبارة توضح تماما أن وقوف تلش على الحدود بين الماركسية والمثالية - وهذا ينطبق أيضا على وقوفه على الحدود عامة - يعنى أنه يضم إلى ماركسيته ما هو سلبى من وجهة نظر الماركسيين أنفسهم أعنى النزعة المثالية ، على سبيل المثال ، وهذا الامر يجعل الماركسيين يتذمرون حتما من نزعته المثالية ، وانه ، من الناحية الأخرى ، يضم إلى نزعته المثالية ما هو سلبى من وجهة نظر المثالية أعنى النزعة المادية ، على سبيل المثال ، ولهذا السبب يتهمة المثاليون بالنزعة المادية الماركسية. هذا يجعل موقف تلش الفعلى هو : انه نصف ماركسى ، ونصف مثالى.

فى ضوء النصوص الثلاثة السابقة نستطيع أن نلخص معنى الحد عند تلش على النحو التالى : إن الوقوف على الحد باعتباره وقفا بين أى إمكانيتين بديلتين من إمكانات الوجود يعنى عدم الاندراج كلية تحت أى إمكانية من الامكانيتين البديلتين أو المتناقضتين ، وكذا عدم اتخاذ موقف محدد تجاه أي منهما ، كما يفيد - كما هو الحال فى الوقوف على الحدود بين حزبين سياسيين متعارضين - عدم الانتماء القلبي أو الباطنى أو الداخلى إلى أية إمكانية من الامكانيتين ، ولهذا السبب قد يتهمة أنصار أى إمكانية من الامكانيتين - كما هو الحال فى وقوفه على الحدود بين الماركسية والمثالية - بموالة الامكانية الأخرى ، فى حين أن موقفه الحقيقى هو موقف ينتمى نصفه إلى أحد الامكانيتين ، وينتمى نصفه الآخر إلى الامكانية الأخرى.

هذا الموقف الحدى الذى اقترن بتطور حياة وفكر بول تلش، لم يلزمه إلا منذ بداية حياته وحتى بداية مرحلة نضوجه الفكرى فقط، ثم تخلص عنه تماما منذ ذلك الحين. ودليلنا على ذلك هو أنه كتب ، فى بداية مقالته على الحد، فى عبارة وردت أنفاً، يقول : "عندما طلب منى تقديم وصف للطريقة التى تطورت بها أفكارى عبر مجرى

حياتي ، اعتقدت I thought أن مفهوم الحد قد يكون هو الرمز الذي يناسب سائر تطوراتى الشخصية والفكرية.^(١) هذه العبارة تؤكد تماما وبما لا يدع مجالا لاي شك أن وقت كتابة هذا المقال كان تلش قد أطلع تماما ، أو كان على الأقل فى طريقه إلى الاقلاع عن مفهوم الحد ، والأمر الذي يؤكد ذلك هو أن كلمة "اعتقدت" أو بالأحرى "ظننت" جاءت هنا فى الزمن الماضى لتؤكد ذلك تماما . هذا يعنى ، بتعبير أوضح ، أن تلش آمن فى بداية حياته العملية والفكرية بأن مفهوم الحد هو الرمز الذي يصلح لتطوير أفكاره عبر مجرى حياته ، ثم أطلع عن هذا الاعتقاد فيما بعد أعنى فى مرحلة نضوجه الفكرى على وجه الخصوص حيث استبدل هذا المفهوم بمفهوم آخر . ولكن تلش استمر فى مقالته "على الحد" فى الحديث عن مفهوم الحد ، ويبدو أن السبب فى ذلك يرجع إما إلى أنه كان يمر فى تلك الفترة بمرحلة بلورة مفهومه الجديد ، أو أنه استمر فى الحديث عن مفهوم الحد اعتقادا منه ، كما سنرى فيما بعد ، أن كليهما واحد . ولكن ، مهما كان الأمر ، فإن ما يهمنا هنا هو أن تلش أطلع فى وقت نضوجه الفكرى عن مفهوم الحد المبكر واستبدله بمفهوم آخر أكثر نضجا .

هذا المفهوم الجديد الذى تبناه تلش فى مرحلة نضوجه الفكرى هو مفهوم التضافى الذى أرسينا قواعده فى الفصل الأول . ويبدو أن تلش كان يؤمن بأن مفهوم الحد المبكر مطابق تماما لمفهوم التضافى المتأخر ، ودليلنا على ذلك هو أنه أشار إلى هذا التطابق فى نهاية مقالته "على الحد" عندما كتب يقول : "لقد ناقشت فى هذا المقال العديد من إمكانات الوجود الإنسانى ، الروحية والفيزيقية ... ومع ذلك ، فقد ناقشت كل إمكانية من هذه الامكانيات ، فى ضوء علاقتها بإمكانية أخرى - فأوضحت كيفية

1) Ibid., P.297

التعارض بين الامكانيتين، وكذا إمكانية المضايقة بينهما.^(١)

Many possibilities of human existence, both physical and spiritual, have been discussed in these pages.... Each possibility that I have discussed, however, I have discussed in its relationship to another possibility - the way they are opposed, the way they can be correlated.

هذه العبارة الهامة تؤكد تماما أن تلش يرى أن مفهوم الحد المبكر هو نفسه مفهوم التضاييف المتأخر ، كما تؤكد أيضا أن الامكانات البديلة التي يقف بينها تلش ليست في حقيقة الأمر سوى إمكانات متعارضة أو متناقضة .من هنا نستطيع أن نستنتج نتيجة على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لهذه الدراسة هي أنه طالما أن تلش يرى أن مفهوم الحد هو المفهوم الذي يصف تطوره الحياتي والفكري ، وطالما أنه يطابق هذا المفهوم بمفهوم التضاييف، فإن هذا يعني أن مفهوم التضاييف أو الحد هو المفهوم الذي يناسب وصف فكره ككل. هذا يعني أن فكر تلش ككل أو فكره في شموليته يندرج تحت مقولة أو مفهوم التضاييف الذي هو ، بتعبير آخر ، مفهوم في الحد.

هذه النتيجة تثير ملاحظة على قدر كبير من الأهمية. لقد رأينا في هذه الدراسة كيف أن مفهوم التضاييف عند تلش يتركز حول مسألة واحدة هي "تضاييف" الفلسفة والدين. فهل هذا التطابق الذي يجده تلش بين مفهوم الحد ومفهوم التضاييف يرجع في رأيه إلى كونهما يدوران حول نفس المسألة ؟ إن الإجابة على هذا السؤال هي إلى حد ما بالإيجاب، وذلك لأنه على الرغم من أننا سنجد تلش يتحدث عن مواقف حدية

1) Ibid., P. 349.

عديدة ، إلا أنه كتب ، فى معرض حديثه عن وقوفه على الحدود بين الفلسفة والدين، يقول : " إن الموقف الحدى الذى أحاول من خلاله تفسير كل من حياتى وفكرى لا يتبدى بوضوح إلا من خلال وقوفى على الحدود بين الفلسفة والدين. ^(١) نفس هذه الحقيقة أكدها تلش بوضوح أكثر فى كتابه " الحقبة البروتستانتية " عندما قرر : " ان الخط الحدى بين الفلسفة واللاهوت هو مركز (أو بؤرة) فكرى واعمالى. ^(٢) فى ضوء ذلك نستطيع أن نقرر بكل اطمئنان ان حياة وفكر بول تلش كانا موجّهين نحو مسألة واحدة . هى إبراز العلاقة بين الفلسفة والدين من خلال تبنيه لمفهوم الحد أو التضاييف . لقد كانت قصة حياته وفكره تسير بأكملها فى هذا الاتجاه.

ولكن إذا كان تلش يطابق هكذا بين مفهوم الحد ومفهوم التضاييف ، فما هو السر الذى جعله يستبدل فى مرحلة نضوجه الحد بالتضاييف ؟ لقد نوه تلش إلى الاجابة على هذا السؤال عندما كتب ، فى مقالته "على الحد" ، يقول : " عندما دخلت الفلسفة الوجودية ألمانيا ، توصلت إلى فهم جديد للعلاقة بين اللاهوت والفلسفة ... توصلت إلى تمييز بين اللاهوت والفلسفة أكثر حدة من ذلك الذى قدمته فى 'فلسفتى الدينية' المبكرة. ^(٣)

When existential philosophy was introduced into Germany, I came to a new understanding of the relationship between theology and philosophy... to a sharper distinction between theology and philosophy than my earlier Philosophy of Religion had made.

1) Ibid., P. 317.

2) Tillich, P., The Protestant Era, P. 83 .

3) Tillich, P., 'On the Boundary', The Boundaries of Our Being, PP.324-325

فى هذا النص يؤكد تلش بوضوح تام أنه توصل إلى فهم جديد للعلاقة بين الفلسفة واللاهوت وذلك عندما دخلت الفلسفة الوجودية ألمانيا وتعرف عليها . هذا الفهم الجديد لم يقدمه تلش إلا بعد طرده من ألمانيا ورحيله إلى أمريكا . فهناك وجد ، كما رأينا فى الفصل الثالث ، المناخ الملائم لتحقيق بغيته ، وكانت النتيجة تفتح قريحته الفلسفية وصدر كتابه " اللاهوت النسقى " بمجلداته الثلاث ، الذى قدم فيه هذا الفهم الجديد تحت ستار التضاييف . هذا الفهم الجديد هو الذى تمكن تلش من خلاله ، كما كشفت هذه الدراسة ، من أن يجعل الفلسفة فى مجموعها مرادفة للفلسفة الوجودية ، وأن يجعل هذه الأخيرة مرادفة للالحاد . هنا أصبح التمييز بين الفلسفة والدين بالنسبة لتلش تناقضا بين الايمان ، والالحاد . ومن خلال هذا التناقض تمكن تلش من إقامة هوة عميقة بين الايمان ، والالحاد ، هوة لم يستطع أن يعبرها إلا بوثة لامعقولة من أحد النقيضين ، إلى الآخر . والذى ساعده على إقامة هذه الهوة العميقة هو ، كما كشفت الدراسة ، مفهوم التضاييف الذى وجد فيه تلش الستار أو القناع الذى أخفى تحته حقيقة انقسامه إلى نصف (نقيض) مؤمن ، ونصف (نقيض) ملحد . هذا فى رأينا هو الفهم الجديد للعلاقة بين الفلسفة واللاهوت الذى أجبر تلش على التخلّى عن مفهوم الحد المبكر واللجوء إلى مفهوم التضاييف ، والذى اعتبره (الفهم) تلش فى نصه السابق أكثر حدة من ذلك الفهم الذى تبناه فى فلسفته الدينية المبكرة . إنه ، بتعبير أوضح ، يختلف من حيث الحدة عن ذلك الفهم الذى تبناه فى فلسفته الدينية المبكرة تحت ستار الحد . صحيح أن مفهوم الحد المبكر كان يهدف ، كما سنرى تفصيلا فيما بعد ، إلى إقامة هذا التناقض ، ولكن يبدو أن محاولة تلش إقامة هذا التناقض فى صورته الجديدة والحادة تحت ستار الحد هى التى افضت به إلى الطرد من ألمانيا ،

ولهذا استبدل هذا الستار بستار التضاييف بمجرد نهابه إلى أمريكا. لقد كان هذا الاستبدال بمثابة اعتراف ضمني من جانب تلش بأن ستار الحد المبكر لم يعد يصلح لإقامة هذا الفهم الأكثر حدة وذلك لأنه لن يخفى حقيقة موقفه أمام اللاهوت الذي يزعم في الظاهر أنه ينتمي إليه ، على نحو ما يفعل ستار التضاييف. هذا بالإضافة إلى أنه يبدو أنه استحال على تلش الاستمرار في استخدام ستار الحد بعد انكشافه وطرده إلى أمريكا. والامر الذي يؤكد ذلك هو أن تلش كتب، في عبارة ختامية جاءت في مقالته " على الحد " وذكرت أجزاء منها فيما سبق ، يقول : " لقد ناقشت في هذا المقال العديد من إمكانات الوجود الانساني ، الفيزيقية والروحية . هناك بعض الاشياء التي لم أنكرها في هذا المقال ، هذا على الرغم من أنها تعد جزء من سيرتي الذاتية . وهناك أشياء أخرى عديدة لم تمس ، وذلك لأنها لا تنتمي إلى قصة حياتي وفكري . ومع ذلك ، فإنني ناقشت كل إمكانية من الامكانيات في ضوء علاقتها بإمكانية أخرى - فوضحت كيفية التعارض بين الامكانييتين ، وكذا إمكانية المضايقة بينهما^(١) في هذا النص الهام الذي سنقتبس منه كثيرا فيما يلي ينوه تلش إلى حقيقة مؤكدة هي أنه لم يذكر في هذا المقال الذي يلخص سيرته الذاتية أشياء معينة هذا على الرغم من أنها تنتمي إلى سيرته الذاتية.

Some things have not been mentioned, although they are part of my biography.

هنا يجب أن نتساءل عن السبب الذي جعل تلش لا يذكر تلك الأشياء هذا على الرغم من أنها تنتمي إلى سيرته الذاتية. والاجابة على هذا التساؤل لن تخرج عن واحدة

1) Ibid., P. 349.

من اثنتين : إما أن هذه الأشياء تافهة إلى حد أنها لاتستحق الذكر، وإما أنها خطيرة إلى حد أن ذكرها أو حتى التعرض لها بطريقة مباشرة سوف يفضي إلى عواقب وخيمة. وفي ضوء تفسيرنا لحقيقة تلش ، نستطيع أن نؤكد أن الاجابة الأخيرة هي الاجابة الأكيدة على هذا السؤال . هذا بالإضافة إلى أنه لو كانت تلك الأشياء تتسم بالتفاهة لما نوه إليها تلش هكذا بخفاء شديد. ولكن ماهي الأشياء التي لم يشر إليها تلش في هذا المقال بصورة مباشرة هذا على الرغم من أنها تعد جزء من سيرته الذاتية؟ نحن نرى أن هذه الأشياء لن تخرج، كما سنرى بعد قليل، عن موقف النصف، والنصف ، النقيض ، والنقيض ، الايمان ، والالحاد. هذا هو الموقف الذي لم يستطع تلش الاستمرار في الحديث عنه تحت ستار الحد خشية انكشاف أمره، وهو أيضا الموقف الذي اضطره إلى استبدال ستار الحد المبكر بستار التضاييف الأكثر نضجا. هذا لايعنى أن تلش لم يشيد موقفه هذا تحت ستار الحد. إن العكس في رأينا هو الصحيح بمعنى ان تلش لم يكف لحظة واحدة من حياته عن تشييد هذا الموقف ولهذا تناوله تحت ستار الحد كما تناوله فيما بعد تحت ستار التضاييف. والفارق الوحيد بينهما هو أنه تحت ستار التضاييف تمكن من تشييد موقفه بصورة أكثر حدة عن تلك التي شيدها تحت ستار الحد. من هنا نستطيع أن نقرر أن مفهوم الحد أو التضاييف عند تلش ليس هو مفهومها في الحد أو التضاييف ، كما سنرى تفصيلا فيما بعد ، بل هو مفهوم يهتم ببيان ألوان من التناقض يمكن ردها جميعا إلى تناقض الايمان - الالحاد. ولقد نوه تلش نفسه إلى عدم اهتمامه بالحد أو التضاييف وذلك في نفس العبارة الختامية التي أوردناها فيما سبق والتي قرر فيها أن كل إمكانية من الامكانات التي ناقشها في مقالته على الحد قد ناقشها في ضوء علاقتها بإمكانية

أخرى - فلو ضح كيفية التعارض، وكذا إمكانية المضايقة بينهما.

Each possibility that I have discussed, however, I have discussed in its relationship to another possibility- the way they are opposed, the way they can be correlated.

هنا يؤكد تلش أن اهتمامه كان منصبا على بيان التناقض بين إمكانات الوجود ، وليس على المضايقة بينهما. فكلية can هنا تشير ليس إلى اهتمام تلش بإقامة علاقة تضاييف فعلية بين إمكانات الوجود المتناقضة ، بل تشير بالاحرى إلى إمكانية المضايقة بينها ، والامكانية هي قطعاً شئ مخالف للفعل . من هنا نستطيع أن نقرر أن الحد أو التضاييف عند تلش قد بقى مجرد إمكان لم يتحقق بالفعل على الإطلاق ، وكل ماحققه بالفعل هو أنه اقام هوة عميقة بين كل إمكانييتين متناقضتين من إمكانات الوجود ، هوة لم يستطع أن يعبرها إلا بوثبة لا معقولة من أحد النقيضين ، إلى الآخر.

إن النتيجة الهامة التي نستطيع أن نستخلصها من كل ماسبق هي أن تلش يطابق بين مفهوم الحد المبكر ومفهوم التضاييف المتأخر ، فكليهما يصف في رأيه موقف النصف ، والنصف ، وكليهما يعد أيضا المقولة الرئيسية التي يندرج تحتها فكر تلش ككل أو فكره في شموليته. لكن هناك قارقاً واحداً بين الاثنين هو أن مفهوم الحد المبكر يصف موقف النصف ، والنصف بصورة أقل حدة من تلك التي يصفها مفهوم التضاييف المتأخر. هذا يعنى، بتعبير آخر ، أنه إذا كان تلش المتأخر - الناضج قد أدرج فكره في شموليته - على نحو مافعل في كتابه " اللاهوت النسقى " بمجلداته الثلاث ، على سبيل المثال - تحت مقولة التضاييف ، وجعل النتيجة الرئيسية والخفية لهذه المقولة، كما اكتشفنا في الفصل الأول، هي موقف النصف، والنصف، الايمان، والالحاد، فإن

تلش المبكر أدرج فكره ككل تحت مقولة الحد وجعل النتيجة النهائية والحاسمة لهذه المقولة أو المفهوم ، كما سنكتشف تفصيلا فيما بعد ، هي نفس هذا الموقف. هذا يعنى أننا نرى أن مفهوم الحد عند تلش يؤكد ، ولكن بصورة أقل حدة ، نفس موقفه المتأخر. ولكى نكتشف ذلك يتحتم علينا فحص المواقف الحدية العديدة التى لخص فيها تلش قصة حياته وفكره والتى قدمها فى مقالته " على الحد". والهدف الأساسى الذى نطمح إليه هو إثبات أن سائر هذه المواقف تؤكد خطوة بخطوة نفس موقف النصف ، والنصف . إنها ، بتعبير آخر ، تصب جميعا فى نفس هذا الموقف.

لقد بدأ تلش مواقفه الحدية بالحديث عن علاقته بأمه وأبيه وذلك تحت عنوان : علي الحدود "بين مزاجين Between Two Temperaments". أى مزاج أمه ومزاج أبيه. ثم كتب تحت هذا العنوان يقول : " عندما يحاول المرء رسم أبعاد شخصية طفل ، يجب عليه الا يعزو أهمية كبيرة لشخصية والديه. ومع ذلك ، فهناك صفات أبوية وسلفية تنطبع فى الاطفال والاجيال التالية بطريقة مدهشة ، وقد تسبب لهم العديد من الصراعات العميقة . والتساؤل المتعلق بما إذا كانت تلك مسألة وراثية أم أنها ترجع إلى انطباعات الطفولة المبكرة هو تساؤل لا يزال يبحث عن إجابة . وعلى الرغم من ذلك ، فإننى لم أشك لحظة فى أن اتحاد والسد من براندنبيرج Brandenburg وام من ارض الراين Rhineland قد غرس فى داخلى التوتر بين المانيا الشرقية والمانيا الغربية. فالمانيا الشرقية لاتزال تميل إلى التأمل المشوب بالسوداوية ، وإلى الاحساس الجليل بالواجب والخطيئة الشخصية، وإلى الاحترام الجم للسلطة والنظام الاقطاعى. أما المانيا الغربية فتميل إلى التلذذ بالحياة ، وحب ما هو متعين، والتقلب، والعقلانية، والديمقراطية. وعلى الرغم من أن أى مجموعة من هاتين

المجموعتين من الصفات لم تكن حكرا على أحد الأبوين دون الآخر ، إلا أن تلك الصفات المتصارعة قد أثرت في مجرى حياتي الباطنية والخارجية وذلك من خلال الأبوين . إن أهمية مثل هذا الميراث الأبوي لا ترجع إلى أنه يحدد مجرى حياة المرء ، بل إلى أنه يحدد الهدف ويقدم المادة التي في ضوئها تتخذ القرارات الحاسمة. بدون هذا الميراث المزيج يصعب فهم موقفى على الحد. لقد كان تأثير أبى على يتمتع بالسيادة ، وذلك يرجع إلى حد ما إلى موت أمى المبكر. ولهذا لم تؤكد سمات الشخصية التي ورثتها عن أمى، نفسها إلا من خلال نضالها العميق والمستمر مع سمات الشخصية التي ورثتها عن أبى . ولكى يعبر الجانب الذى ورثته من أمى عن نفسه ، كان من الضروري أن يحدث صراع ، يتسم فى الغالب بالتطرف extreme ، مع الجانب الذى ورثته من أبى. إن التناغم ورياسة الجاش الكلاسيكيين لم يكونا أبدا جزء من ميراثى .^(١) هذا النص يؤكد أن انقسام تلش إلى شخصيتين أو نصفين متناقضين ومتصارعين لم يكن أمرا عارضا بالنسبة له. لقد لعبت الوراثة دورا أساسيا فى هذا الانقسام إلى حد يجعلنا نستطيع أن نقول إن حياته وفكره كانا موجهان منذ البداية صوب ذلك. لقد ورث عن أبيه صفاتا تناقض تلك التي ورثها عن أمه ، ومن ثم نشأ موزعا بين، أو منقسما إلى، شخصيتين متناقضتين. وكل شخصية من الشخصيتين لم تعبر عن نفسها ولم تؤكد نفسها إلا من خلال الصراع مع الشخصية الأخرى. هذا الموقف المنقسم والمتصارع، هكذا يقول النص، هو الموقف الذى بدونه يصعب فهم موقف تلش على الحد. هذا يعنى أن موقف الحد عند تلش

1) Ibid., PP.297-298

ليس سوى موقف المنقسم إلى شخصيتين متناقضتين ومتصارعتين أحدهما ورثها في الأصل عن أبيه ، والأخرى عن أمه . فأبوه كان ينحدر من ألمانيا الشرقية ومن ثم كان يتمتع إلى حد كبير بتلك الصفات التي يتميز بها أهل ذلك البلد والتي ذكرها تلش نفسه في نصه السابق أعنى الميل إلى التأمل المشوب بالسوداوية ، والإحساس الجليل بالواجب والخطيئة الشخصية ، والاحترام الجرم للسلطة. هذا يعنى، بتعبير آخر، أن والد تلش كان من رجال الدين ، وذلك لأن هذه الصفات هي في المقام الأول من أهم صفات رجل الدين ، ولقد كان أبوه حقا راهبا أو قسيسا بكل مافى الكلمة من معنى . لقد كان ، هكذا يقول تلش، "الراهب الرئيسى والمدير للكنيسة في قريته الصغيرة" (١) . ويبدو أن طريق التدين قد انغرس في تلش منذ البداية بسبب تأثير والده عليه. أما والدته فقد كانت تنحدر من ألمانيا الغربية ، ومن ثم كانت تتمتع إلى حد كبير بتلك الصفات التي تميز ذلك البلد، والتي تناقض ، كما يقول تلش ، تلك الصفات التي يتصف بها والده ، أعنى ، التلذذ بمتع الحياة ، وحب ما هو متعين أو حسى ، والتقلب الخ . ويبدو أن تلش يريد أن يقول هنا ويخفاء شديد إن شخصية والدته كانت تنقسم بالميل إلى التحرر من قيود الدين ، والتمتع بكل ما هو متعين أو حسى أو شهوانى متقلب ... الخ ، ولعل هذه الشخصية هي التي غرست فيه نصفه اللاحادى الذى لم يكن يعبر عن نفسه إلا من خلال الصراع العنيف مع النصف الآخر أعنى النصف أو النقيض الايمانى الذى ورثه عن أبيه . والأمر الذى يرجع ذلك هو أن تلش رفض ، ربما عن عمد ، الحديث عن شخصية والدته واكتفى في نفس العبارة الختامية التى أوردناها فى أكثر من مناسبة سابقة بالتنويه إلى أنه لم يذكر بعض الأشياء فى

1) Ibid., P. 299.

مقالته " على الحد " هذا على الرغم من أنها تعتبر جزء من سيرته الذاتية ، ولم يمس
أشياء أخرى عديدة لأنها لا تنتمي إلى قصة حياته وفكره.

Some things have not been mentioned, although they are
part of my biography. Many more things have been left
untouched, because they do not belong to the story of my
life and thought.

نحن نرى أن التنويه الغامض الذي يسوقه تلش في هذه العبارة يرجع هذا التفسير ،
وذلك لأنه إذا كنا قد أوضحنا فيما سبق أن الأشياء التي رفض تلش الحديث عنها
بصورة مباشرة في مقالته "على الحد"، هذا على الرغم من أنها تنتمي إلى سيرته
الذاتية، تتركز في موقف النصف ، والنصف ، فإننا لا نستبعد هنا أن تكون الأشياء
التي رفض الحديث عنها لأنها لا تنتمي حقا إلى قصة حياته وفكره، بل تنتمي إلى
شخصية والدته، تتركز في العلاقة بين أمه وأبيه باعتبارها علاقة تخصهما ولا تخصه
هو . فهذه العلاقة قد تكون في جوهرها علاقة بين أب مؤمن ، وأم ملحدة ، وذلك لأن
هذه العلاقة هي وحدها التي تستطيع أن تفرس في داخل تلش ذلك الكم الهائل من
الصراع الرهيب الذي عاناه بسبب بقائه موزعا بين شخصيتين متناقضتين. لقد كان
ذلك الصراع بمثابة الميراث الذي ورثه تلش عن الأبوين ، والذي جعله منقسما إلى
شخصيتين متناقضتين ، الأمر الذي جعله لا يعبر عن جانب الامومة الالهادي عنده إلا
من خلال الصراع العميق مع شخصية أبيه الدينية التي انغrust أيضا في داخله .
وإذا كان الأمر كذلك ، فإن هذا يعني أن حياة تلش كلها كانت تسير منذ البداية في
اتجاه ذلك الصراع أو التناقض الذي هو تناقض الإيمان - الالحاد ، والذي انغrust فيه

منذ نشأته بواسطة الأبوين. ويبدو أن ذلك التأثير قد بلغ من الحدة إلى درجة أنه لم يستطع إغفاله كلية ، فاضطر إلى التنويه إليه على النحو الذى جاء فيما سبق. هذا التأثير سيتأكد بصورة أكثر وضوحا فى سياق حديثنا عن موقف تلش على الحدود " بين الواقع والخيال".

إن الموقف الحدى الثانى الذى تناوله تلش هو موقفه على الحدود " بين المدينة والوطن " أى بين برلين وألمانيا الشرقية . ولقد بدأ تلش حديثه هنا بعجالة سريعة عن طابع الحياة المميز للقرية التى نشأ فيها - والذى لا يختلف كثيرا فى رأيه عن الطابع المميز للقرية فى ألمانيا عامة - فنشار إلى طرق المعيشة بها ، وإلى نظامها وكذا إلى الطابع الدينى المحافظ المميز لها والذى لا يزال حيا ، كما يقول تلش ، " منذ العصور الوسطى: (١) ثم سرعان ما اتجه إلى الحديث عن المدينة بطابعها الحضارى المتحرر ، والذى يخالف الطابع الريفى الذى يغلب عليه الطابع الدينى المحافظ . هنا أبدى تلش إعجابه الشديد بطابع المدينة وأوضح تماما أنه كان منجذبا منذ البداية ، ليس إلى الريف ، بل بالأحرى إلى المدينة . هذا الانجذاب كان له تأثيره الكبير عليه . " لقد انقذنى " ، هكذا يقول هو ، " من المعارضة الرومانتيكية للحضارة التكنيكية وعلمنى كيفية تقدير أهمية المدينة فى تنمية الجانب النقدى من الحياة الفكرية والفنية: (٢) غير أن هذا الانجذاب نحو المدينة كان له سببه الخاص عند تلش. ففي المدينة ، هكذا يؤكد هو ، " توصلت إلى تفهم حيوى وعاطفى للحركة البوهيمية ، تلك الحركة التى

1) Ibid., Loc.cit.

2) Ibid., Loc.cit.

لا تتمتع بالوجود إلا في المدن الكبيرة .^(١) هذه العبارة تعد في رأينا أهم العبارات التي جاءت في سياق حديث تلش عن موقفه بين المدينة والقطر ، وذلك لأن سائر ما نكره في هذا الصدد لا يعدو أن يكون وصفا لما يتمتع به هذا البلد من مناظر طبيعية كالأشجار ، والغابات ، والبحار الخ صحيح أن تلش يذكر أن هذه الأشياء قد أثرت في حياته وفكره بطرق متعددة ، ولكن طبقا لما جاء في هذه الدراسة من تفسيرات لموقف تلش الخفى نستطيع أن نقرر أن تلش لم يكن متحمسا لشئ قدر حمسه للانتقال من الريف حيث تسود النزعة المحافظة إلى المدينة حتى يمكن لنزعته المتحررة أن تعبر عن نفسها بحرية ، حيث إن المدينة - خاصة في أوروبا - تتمتع يوما بطابع متحرر يناقض إلى حد كبير الطابع المحافظ الذي تتمتع به القرية. وهو حقا وجد في المدينة بغيته. فهناك تفهم ، وقبل ، وتعاطف مع موقف البوهيمية ، التي لا تتمتع بالوجود إلا في المدن الكبيرة وذلك لأنها تقر ، كما سبق أن اكتشفنا ، موقف النصف ، والنصف، النقيض ، والنقيض ، الإيمان ، والاحاد ، أو النزعة الدينية المحافظة ، والنزعة الاحادية المتحررة. لهذا لم يكن من قبيل الصدفة على الإطلاق أن يختم تلش حديثه عن موقفه بين المدينة والقطر بهذه العبارة التي اقتبسنا جزء منها في الفصل الأول ، والتي نقول : " لقد قال نيتشه إن الفكرة لن تكون صادقة ما لم يتم تأملها في الهواء الطلق. وعلى نفس النهج أقول إنني تأملت الكثير من أفكارى في العراء ، وأنجزت الكثير من أعمالى بين الأشجار أو بجوار البحر. إن التراجع المستمر بين عنصرى القرية والقطر كان ولا يزال جزء من ذلك الذي اعتبره أمرا لا بد منه ولا يمكننى أبدا الحياد عنه في حياتى .^(٢) هنا يجب أن نتساءل : ماهو ذلك الذي يعده تلش أمرا

1) Ibid., Loc.cit.

1) Ibid., PP. 300 - 301

ضروريا بالنسبة لحياته وفكره والذي لا يمكنه مطلقا الحياد عنه ؟ إن تلش لم يفصح عن عمد أو بالأحرى بسوء نية عن ذلك الأمر فى هذا السياق على الاطلاق. لقد تركه، كما هي عاداته دائما ، غامضا على أمل الإفصاح عنه بصورة أخرى فى موضع آخر.

ولكن فى ضوء ما قدمنا من تفسيرات لمواقفه ، نستطيع أن نؤكد من جديد أن ذلك الأمر هو موقف النصف ، والنصف . فهذا الموقف هو الموقف الذى ظل يتأرجح بين قرنيه بمعنى انه كان يتأرجح من أحد النصفين أو النقيضين، إلى الآخر، والعكس، وهكذا إلى ما لا نهاية. هذا التأرجح يتمثل هنا ، كما ينوه النص ، فى تأرجحه بين القرية بنزعته الدينية المحافظة ، وبين القطر أو بالأحرى المدينة بنزعته الدينية المتحررة . لهذا السبب لم يتحدث تلش فى النص عن مدينة ووطن كما جاء فى العنوان الرئيسى ، بل تحدث عن قرية ووطن ، والذي يقصده هنا هو الحديث عن قرية ومدينة وذلك لأن الوطن فى مجموعه ليس سوى مجموع قراه ومدنه . لقد وجد فى القرية النزعة الدينية المحافظة ، ووجد فى المدينة النزعة اللاحادية المتحررة ، والنقت النزعتان معا فى قبوله للبوهيمية باعتبارها تقر النصفين ومن ثم لا تتمتع بوجود إلا فى المدن حيث تسود النزعة المتحررة. هذه النزعة المتحررة تشكل الأساس الخفى لذلك التماثل الذى يسوقه تلش فى النص بينه وبين نيتشه. فنيتشه، كما يقول تلش ، قدم أفكاره فى " الهواء الطلق " ، وكذلك فعل تلش بمعنى انه قدم جزء من أفكاره على الأقل فى نفس " المناخ " أو فى نفس " الهواء الطلق " . حسنا!، ولكن " الهواء الطلق " الذى ينوه إليه تلش هنا هو ، كما أوضحنا فى الفصل الأول ، المناخ اللاحادى الطليق من أى قيود دينية ، لأن هذا المناخ هو الذى يقصده نيتشه وهو الذى شيد فيه اتجاهه اللاحادى الصريح. والأمر المترتب على ذلك هو أن تلش يريد أن يقول هنا ويخفاء

شديد انه شديد جزء من أفكاره على الأقل في نفس المناخ الذي شديد فيه نيتشه أفكاره
أعنى المناخ الالحادى الطليق من كل قيود الدين. هذا المناخ الالحادى هو الذى وجده
تلش مختلطا فى المدينة بالمناخ الدينى المحافظ والمنحدر من القرية ، ولهذا كان من
الطبيعى أن يعتنق تلش البوهيمية باعتبارها تقر النصفين أو النقيضين معا وفى نفس
الوقت. هذا الاعتناق كان إذن بمثابة تأرجح بين الريف ، والمدينة. ومن ثم فإن النتيجة
التي نستطيع أن نستخلصها من هذا الموقف الحدى عند تلش هي أن هذا الموقف
لا يؤكد سوى انقسام تلش إلى نصف دينى ، ونصف إلحادى . فهذا الانقسام إلى
نصف دينى ورثه فى الأصل عن أبيه ، وإلى نصف إلحادى ورثه فى الأصل عن أمه ،
هو الذى جعله يتأرجح يوما بين عنصر القرية بنزعتها الدينية المحافظة ، وعنصر المدينة
بنزعتها الالحادية المتحررة. ومن ثم يكون التأرجح بين الاثنين هو ، كما نوه تلش فى
نصه السابق ، جزء من ذلك الذى يعده أمرا ضروريا بالنسبة لحياته وفكره ويستحيل
أن يحيد عنه أعنى موقف النصف ، والنصف ، أو الايمان ، والالحاد.

نفس هذه النتيجة تضرب بجنورها فى الموقف الحدى الثالث الذى تناوله تلش
فى مقالته " على الحد " تحت عنوان على الحدود " بين طبقات اجتماعية ". ففى هذا
السياق كتب تلش يقول : " إن الطابع الخاص المميز للحياة فى القرية الصغيرة جعلنى
أُتبعين موقفى على الحدود بين الطبقات الاجتماعية فى المرحلة المبكرة من حياتى . لقد
التحقت بالمدرسة المحلية ، وكونت صداقات بها ، وشاركت هؤلاء الأصدقاء كراهيتهم
للطبقة العليا upper class التى كان ينتمى إليها والداى ، وكذا أسر العمة، والطبيب
البشرى ، والصيدلى ، وأسر بعض التجار ، وأسر قلة آخرين . وعلى الرغم من أننى
أخذت دروسا خصوصية فى اللغة اللاتينية مع بعض تلاميذ هذه الطبقة العليا ،

والتحقت معهم بعد ذلك بمدرسة 'Gemanisum' التي تقع في مدينة على مقربة من القرية ، إلا أن أصدقائي الحقيقيين كانوا من بين تلاميذ المدرسة المحلية (أى ليسوا من أفراد الطبقة العليا). هذا أفضى إلى حدوث توتر كبير بينى وبين التلاميذ الذين ينتمون إلى نفس مستوى الاجتماعى (أى الطبقة العليا) ، فبقينا غرباء عن بعضنا البعض إبان دراستنا فى المدرسة. وهكذا أفضى انتمائى إلى الطبقة المختارة (أو المتميزة Privileged) منذ البداية إلى إثارة الوعى بالذنب الاجتماعى فى داخلى ، ذلك الوعى الذى أصبح فيما بعد يتسم بأهمية كبيرة بالنسبة لحياتى وأعمالى . عندما تحدث ملاقة حميمة مبكرة لطفل مرهف الحس وينتمى إلى الطبقة العليا مع أطفال من الطبقات الأدنى ، لا تكون هناك على ما يبدو سوى نتيجتين محتملتين لهذه الملاقاة إحداهما نمو الوعى بالذنب الاجتماعى ، والأخرى - وهذه تعتبر رد فعل للنفور العدوانى لأطفال الطبقة الأدنى - كراهية الطبقية . ولقد استشعرت كليهما مرارا وتكرارا. (١) فى هذا النص يوضح تلش أنه كان ينتمى إلى الطبقة العليا أو المختارة أو ، كما سماها هو نفسه فى موضع آخر (٢) ، البرجوازية ، بحكم النشأة فقط . والأمر الهام الذى نود أن نبرزه هنا هو أن تلش أوضح فى هذا النص أن والده ينتمى إلى هذه الطبقة. ثم طابق فى نص آخر بين سلطة أبيه والسلطة الدينية عامة ، ومن ثم كتب يقول : " لقد كانت سلطة أبى ، تلك السلطة التى تتسم بطابع شخصى وطابع فكرى ، بالنسبة لى ، متطابقة مع السلطة الدينية القائمة على الوعى وذلك بسبب المكانة التى كان يتمتع بها فى الكنيسة. (٣) والنتيجة المترتبة على هذين الموقفين هى أن تلش كان يرى أن السلطة الدينية فى قريته كانت تتسم بمسحة برجوازية .

1) Ibid., P. 301.

2) Ibid., P. 302

3) Ibid., P. 312.

هذه النتيجة تجعلنا نستطيع أن نقرر أن كراهية تلش للطبقة البرجوازية فى ذلك السن المبكر كانت تعنى ضمنا كراهيته للسلطة الدينية. هذه الكراهية ترجع بالطبع إلى العنصر الالهادى الوراثى عند تلش. والأمر الذى يؤكد ذلك هو أن تلش كتب يقول : " إن المقت الشديد الذى أحسست به تجاه حياة برجوازية متميزة قد عبر عن نفسه من خلال تفضيلى للطائفة الاجتماعية الصغيرة التى تدعى 'البوهيمية' ".^(١)

The deep-seated aversion I felt against a distinctly bourgeois life was expressed in my preference for the small social group called 'Bohemia'.

فهذه العبارة تؤكد تماما أن تفضيل أو بالأحرى اعتناق تلش للبوهيمية كان سببه مقتته الشديد للحياة البرجوازية ومن ثم للسلطة الدينية وذلك لأن تلش طابق فيما سبق بين الاثنين الأمر الذى يجعل كراهيته لاحدهما يعنى بالضرورة كراهيته للآخرى . ولكن طالما أنه قد ثبت لنا أن البوهيمية تقر موقف النصف، والنصف، الايمان ، والالحاد، فإن هذا يعنى أن هذه الكراهية لم تكن كراهية مطلقة بل كراهية نصف قلبية فقط ، أما النصف الآخر فكان مع هذه الحياة . هذا يعنى ، بتعبير آخر ، أن تلش كان منقسما بين البرجوازية المتدينة تدينا خالصا ، وبين نقيضها أعنى الحياة الالحادية غير البرجوازية. هذا الانقسام تبدى من خلال اعتناقه للبوهيمية ، وهو نفسه (أى الانقسام) الذى جعل تلش يضيف قائلا : " إن فنانيين ، وممثلين ، وصحفيين ، وكتابا كانوا من بين الممثلين المؤثرين جدا داخل هذه الطائفة البوهيمية ، التى تسبغ على رؤيتها الفكرية نظرة غير برجوازية non-bourgeois فريدة. ونظروا لأننى رجل

1) Ibid., P. 303.

لاهوتى ورجل أكاديمى معا وفى نفس الوقت ، فقد بقيت هنا على الحد. إن السمات المميزة لهذه الطائفة تتمثل في الافتقار إلى تقاليد برجوازية فكرية وسلوكية معينة ، والتطرف الفكرى ، والقدرة البارعة على النقد الذاتى الهزلى . لقد كان البوهيميون يلتقون فى مقاهى وحانات ومنتجعات غير مألوفة للطبقة الوسطى . وكانوا يميلون إلى التطرف السياسى ويشعرون أن العمال الشيوعيين هم أقرب إليهم من أعضاء معينين من طبقتهم . لقد تابعوا حركات فنية وأدبية ذات مكانة عالمية ، وكانوا يتصرفون بالتشكك، والتطرف الدينى، والرومانتيكية ، وكانوا يعانون سياسة الاستعداد العسكرى العدوانى، وتأثروا بنيتشه ، والمدرسة التعبيرية، ومدرسة التحليل النفسى . إن الطوائف 'البوهيمية' لم تلق معارضة سواء من جانب النظام الاقطاعى أو من جانب البرجوازيين الأثرياء ، بل ، على العكس ، كان بإمكان كلا الفريقين الدخول يوما فى الطائفة البوهيمية. لقد منح كلا الفريقين امتيازات اجتماعية واقتصادية للبوهيمية ، وذلك لقاء دخولهما كأعضاء فيها. أما الفريق الوحيد الذى عارض البوهيمية فهو فريق البرجوازيين الصغار petit ، الذى يعد بمثابة الطبقة الأدنى من الطبقة الوسطى ، والذى يتسم بالتحيز والغرور ، وعدم اهتمامه بالمشكلات الفكرية والفنية بنحو أخص ، وبافتقاره إلى الأمان ، وعدم ثقته فى طبقة أهل الفكر. إن الحقيقة التى مؤداها اننى لم أنخرط مطلقا بجدية فى حياة الطبقة البرجوازية الصغيرة بل بالأحرى أنكرتها ، كما أنكرها العديد من ممثلى هذه الطبقة نفسها، بعجرفة ظاهرة ، وإن كانت نصف واعية ، هى حقيقة تشكل كلا من مصيرى الفكرى والشخصى . فمن الناحية الفكرية أقول إن نضالى المستمر لقهر ضحالة الطبقة البرجوازية الصغيرة فتح امامى آفاقا جديدة هلت من الصعب على أن أجد مكانا فكريا أو اجتماعيا يمكننى أن استقر فيه . أما من

الناحية الشخصية فقد حدث أن تعرضت لهجوم من قبل الثورة الرجعية التي قامت بها الطبقة المتوسطة ، تلك الثورة التي هاجمت بشدة طبقة أهل الفكر وحطمتها في نهاية المطاف. إن الاضطهاد الملقى بالضغينة الذي تعرضت له طبقة أهل الفكر في ألمانيا من قبل ممثلي الطبقة الوسطى الايديولوجيين الرومانتيكيين (النازية) كان بمثابة رد فعل تجاه تنكر طبقة أهل الفكر للطبقة المتوسطة ، ذلك التنكر الذي يعد أمرا مشروعاً من اعتبار ، وغير مشروع من اعتبار آخر.^(١) نحن نرى أن تلش ينوه في هذا النص إلى أن اعتناقه للبوهيمية ومن ثم لموقف النصف ، والنصف ، كان مرده إلى كراهيته لطائفة معينة متدينة تدعى خالصاً وتنتمي إلى الطبقة البرجوازية أعني طبقة البرجوازيين الصغار التي هي الطبقة الأدنى من الطبقة البرجوازية - وذلك في مقابل الطبقتين الأخريتين أعني الطبقة العليا والطبقة الوسطى من الطبقة البرجوازية. ونحن نستطيع أن نؤكد ذلك من خلال تحليلنا المفصل التالي للنص من أجل محاولة الكشف عن مضامينه الخفية. ففي هذا النص يوضح تلش أن البوهيمية تقر موقف النصف ، والنصف ، الايمان ، والاحاد ، ولهذا كانت تتسم بالتطرف الدينى ، وتابعت لإحاد نيقيشه ومدرسة التحليل النفسى أو - طالما اننا رأينا في الفصل الأول كيف أن تلش جعل هذه المدرسة مرادفة للاحاد - الوجودية باعتبارها مرادفة للاحاد. ولقد اعتنق تلش هذه الحركة نظراً لأنها تقر هذا الموقف ونظراً لكراهيته للحياة البرجوازية بصفة عامة وكراهيته بصفة خاصة للفئة الأدنى من هذه الطبقة أعني فئة البرجوازيين الصغار التي تتسم في رأيه بالتدين الخالص. هذا لايعنى أن هذه الكراهية كانت كراهية مطلقة. إن العكس هو الصحيح بمعنى ان تلش كرهاها بنصف قلب فقط ، الأمر

1) Ibid., PP. 303-304.

الذى يعنى أنه بقى معها بنصف قلب فقط ، أما النصف الآخر فكان مع أعداء البرجوازية. وعندما وجد النقيضين يضربان بجذورهما فى البوهيمية لم يتردد تلش فى اعتناقها لأنها جاءت معبرة عن النصفين ومن ثم عن موقفه الشخصى. فالبوهيميون كانوا ، كما ينوه النص ، يفتقرون إلى تقاليد برجوازية فكرية وسلوكية معينة. لقد كانوا يلتقون فى حانات ومقاهى ومنتجعات غير مألوفة للبرجوازيين ومن ثم كانوا أقرب إلى العمال الشيوعيين فى سلوكهم وطرق معيشتهم وفوق هذا وذاك فى اتجاههم الالحادى - هذا إذا أخذنا الشيوعية على أنها تقر الموقف الالحادى. غير أن البوهيمية أقرت إلى جانب هذا العنصر الالحادى، العنصر الدينى الذى يقرنه تلش ، كما سبق أن رأينا ، بالعنصر البرجوازى ، ولكن بصورة متطرفة. ولهذا السبب لاقت البوهيمية قبولا من جانب الطبقة البرجوازية العليا والطبقة البرجوازية الوسطى على وجه الخصوص. فأفراد هاتين الطبقتين كانوا يتسمون بالتسامح تجاه العنصر الالحادى عند البوهيمية ولهذا كان الكثير منهم يرغب فى الانضمام إليها لقاء منحها امتيازات خاصة معينة. هذا يعنى ضمنا أن هؤلاء البرجوازيين قبلوا الانضمام إلى البوهيمية نظرا لأنهم قبلوا ضمنا على الأقل هذا العنصر الالحادى. أما المعارضة الوحيدة التى لاقتها البوهيمية، هكذا ينوه النص، فقد جاءت من الطبقة الأدنى من البرجوازية ، وذلك لأن هذه الطبقة تتسم بضيق الافق والتزمت الدينى وتؤكد فقط، وذلك التماسا للأمان ، الشجاعة الدينية من أجل الوجود كجزء من التراث الدينى المسيطر . هذه المعارضة للبوهيمية من جانب هذه الطبقة لم يقبلها تلش ، وهذا هو السبب الذى جعله يتنكر لهذه الطبقة ولأفقها الضيق والمحدود والمتسم بالتزمت الدينى . ولكن تنكر تلش لهذه الفئة ، هكذا ينوه النص ، هو الذى أدى إلى هجوم الرجعية الدينية أو الايديولوجية ،

التي يعادلها تلش هنا بالنازية التي قامت في الاصل كحركة سياسية، عليه . هذا الهجوم اعتبره تلش مشروعاً من اعتبار وغير مشروع من اعتبار آخر. لقد كان مشروعاً ، هكذا يجب أن يضيف تلش ، لأنه يهدف إلى الحفاظ على العنصر الديني، وكان غير مشروع نظراً لأنه يحاول القضاء على العنصر الالهادي الذي يعده تلش ، مثله في ذلك مثل العنصر الديني ، عنصراً لا غنى عنه بالنسبة للإنسان. هذا الهجوم على تلش أدى إلى طرده من ألمانيا ورحيله إلى أمريكا. ولكن تلش وعى الدرس تماماً في أمريكا. فأقلع عن مفهوم الحد المبكر واستبدله بمفهوم التضاييف المتأخر والذي بقي أيضاً مفهوماً في الحد. لقد عرف أن استمراره في استخدام مفهوم الحد ربما سيفضي إلى مزيد من الانكشاف لأمره أمام اللاهوت المسيطر والذي يزعم في الظاهر أنه ينتمي إليه، كما عرف أن مفهوم الحد لم يعد يصلح لنشر موقفه بصورة أكثر حدة من تلك التي جاءت في المرحلة المبكرة من حياته. لهذا استخدم مفهوم التضاييف من أجل الاستمرار في التمسك بعدم الاتساق السار . لقد تمكن من خلاله من إقرار موقفه الايماني بصورة علنية ، وإقرار النصف أو موقفه الالهادي بصورة خفية ، ومن ثم أنقذ نفسه من ويلات اللاهوت المسيطر . أما الفئة الوحيدة التي تحطمت فهي ، كما ينوه النص ، فئة أهل الفكر التي أصرت على إقرار النصف الالهادي فقط، ولعل تلش ينوه هنا بصفة خاصة إلى أقطاب الفلسفة الوجودية باعتبارها مرادفة للالحاد . والأمر الذي يرجح ذلك هو أنه كتب في موضع آخر يقول : "إن التفسير المتساوي للحياة الذي ساد بين طبقة أهل الفكر من الأوربيين في السنوات الماضية ينتمي إلى الفلسفة الوجودية." (١) هذا التفسير المتساوي أو الالهادي للحياة هو الذي قدمته

1) Tillich, P., 'Existential Philosophy', Journal of the History of Ideas, Vol. V (January- October, 1944) , P. 64.

الوجودية باعتبارها مرادفة للالحاد وباعتبارها، كما ينوه النص هنا ، تضم طبقة أهل الفكر . هذا التفسير أدى إلى تحطيم هذه الفئة بواسطة اللاهوت المسيطر. من هنا نستطيع أن نقرر ان موقف تلش الثالث على الحدود بين "طبقات اجتماعية " يؤكد نفس النتيجة أعنى موقف النصف ، والنصف.

نفس هذه النتيجة نراها تضرب بجذورها في موقف تلش الرابع الذى ناقشه فى مقالته " على الحد" تحت عنوان " بين الواقع والخيال Between Reality and Imagination". ونحن نستطيع أن ندلل على صدق دعوانا من خلال النص التالى لتلش الذى يقول : "إن الصعوبات التى واجهتها أثناء محاولتى التكيف مع الواقع قد أفضت بى إلى أن أحيا حياة خيالية فى سن مبكرة. ففى الفترة ما بين الرابعة والسابعة عشر ، انغمست بكل طاقتى فى عوالم خيالية بدت لى أصدق من العالم الخارجى . ثم سرعان ماتحول ذلك الخيال الرومانتيكى إلى خيال فلسفى . ولقد استمر معى هذا الخيال الأخير ، لحسن الحظ وسوئه معا وفى نفس الوقت ، منذ ذلك الحين.. إن الفن هو .. المجال الابداعى الأصيل للخيال . وعلى الرغم من أننى لم أقدم أى شئ فى مجال الفنون الابداعية ، إلا أن حبى للفنون كان يتسم بأهمية كبيرة بالنسبة لأعمالى اللاهوتية والفلسفية. لقد كان أبى يحتفظ فى المنزل بأنواع من الموسيقى التقليدية الخاصة بالعقيدة الانجيلية. وألف هو نفسه مؤلفات موسيقية خاصة. ومع ذلك لم يهتم ، مثله فى ذلك مثل البروتستانتين الألمان ، بفن العمارة والفنون الجميلة إلا اهتماما ضئيلا ... وطالما أننى لم أكن أميل إلى الفن الأمر الذى جعلنى لا أقدر الفنون المرئية إلا فى مرحلة متأخرة ، فان شغفى بالفن كان موجها صوب الأدب. هذا الشغف كان متناغما مع الاتجاه الانسانى للتعليم فى مدرسة 'الجيمنيزيوم' ومن ثم

غذت الترجمة الألمانية الكلاسيكية التي قدمها اشليجل Schlegel لشكسبير تتمتع بأهمية خاصة بالنسبة لى. لقد طابقت (ويخطورة فى الغالب) بين شخصيتى وشخصيات مثل شخصية هاملت . وتعاطفى الغريزى فى الوقت الحاضر مع مايسمى باسم الوجودية يرجع إلى حد ما إلى تفهمى الوجودى لهذا العمل الأدبى العظيم.^(١)

I identified myself (almost dangerously) with figures like Hamlet. My instinctive sympathy today for what is called existentialism goes back in part to an existential understanding of this great work of literature.

إن ما يهمنى فى المقام الأول فى هذا النص هو قول تلش الذى يفيد بأنه افقتن بمسرحية هاملت لشكسبير فى سن مبكرة إلى حد أنه تقمص شخصية بطلها هاملت أو بالاحرى توحد به توحدًا كاملاً وارجع حماسه وتعاطفه أو بالاحرى اعتناقه الغريزى للوجودية - ذلك الاعتناق الذى لم يتخل عنه طوال حياته - إلى تأثره بهذا العمل الادبى العظيم . وأهمية هذا النص بالنسبة لنا ترجع إلى أننا نرى أن تلش يخفى فيه ، بدهاء ومكر شديدين ، نصفه اللاحادى . ولكى نكشف عن ذلك ، يتجتم علينا أن نتساعل عن السر فى افقتان تلش بهاملت إلى هذا الحد . ولكى نجيب على هذا التساؤل ، يجب علينا أن تلقى الضوء أولاً على مشكلة هاملت كما عرضها شكسبير فى عمله المسرحى الشهير الذى يحمل نفس هذا العنوان (هاملت). وعن هذه المشكلة، أخبرنا شكسبير بان شبح أو طيف والد هاملت قد "تجلى" لابنه - أى لهاملت - ذات ليلة وأخبره بالآتى : " الآن اسمع يا هاملت "، هكذا يقول شبح أو طيف الأب للابن ، "لقد

1) Tillich, P., 'On the Boundary', The Boundaries of Our Being, PP. 304-306.

أذاعوا على الأمة الدانيماركية بأن موتى كان مرده إلى أن ثعبانا قد لدغنى بينما كنت نائما فى بستانى ومن ثم خدعت الأمة بأكملها بهذه الشائعة الملفقة ... ولكننى أخبرك الآن ، أيها الشاب النبيل ، أن الثعبان الذى فتك بحياة أبيك هو الذى يتقلد تاجه الآن .. إنه عمك ، ذلك الخائن، ذلك الوحش الداعر ، الذى عرف ، بدهائه المغرر وهداياه القذرة (آه من تلك الهدايا ، وذلك الدهاء الشرير الذى يمتلك مثل هذه القدرة على التفرير!)، كيف يستميل قلب مليكتى ويوقعها فى شرك شهوته المخزية هذا على الرغم من مظاهر العفة والفضيلة البادية عليها. آه هاملت ، ياله من سقوط ذلك الذى كان ! لقد كان سقوطا من كونها زوجتى ، وأنا الذى أحببتها بكرامة ، حبا سار جنبا إلى جنب حتى مع ذلك القسم الذى أقسمته لها ساعة الزواج ، إلى حيث الارتواء فى أحضان خائن ، كل هباته الطبيعية (أى التى منت بها الطبيعة عليه) تتسم بالضالة بالقياس إلى الهبات الطبيعية التى منت بها الطبيعة على! ... دعنى أقول بإيجاز - بينما كنت نائما فى بستانى ، كما هى عادتى يوما بعد الظهر ، تسلل عمك إلى حيث كنت أرقد فى سلام فى ذلك الوقت ، ثم صب سبما قاتلا يدعى عصير الهيبتون الملعون فى أننى من قارورة كانت بيده. ^(١) هذه هى مشكلة هاملت ، والتى تتلخص ببساطة ، وكما هو واضح من النص ، فى أن طيف أو شبح الوالد قد أخبر الابن هاملت أن اخاه - أى عم هاملت - قد خان به مع زوجته، وأنهما دبوا واقعة قتله مسموما، فأصبح عمه ملكا "للدانيمارك" خلفا لأخيه المقتول، وأصبحت أمه ملكة بعد زواجها من عمه فى أعقاب مصرع زوجها بأيام قليلة لا تتجاوز الشهر. هذه الواقعة أصبحت مشكلة المشاكل

1) Shakespeare, W., Hamlet, The Illustrated Shakespeare, P.804, Chancellor Press, London, 1982.

بالنسبة لهاملت وأفضت في النهاية إلى مقتل عمه ، وكذا مقتل أمه بتناولها شرابا مسموما كان قد أعد خصيصا لقتل هاملت.

والآن ، إذا كانت هذه مشكلة هاملت الرئيسية ، فنحن لانستبعد على الاطلاق أن يكون تلش قد تعرض لمشكلة من هذا الطراز ومن ثم افتنن بهاملت لهذا السبب، والأمر الذي يرجح ذلك هو أننا رأينا يؤكد ، في سياق موقفه على الحدود بين مزاجين ، أن مزاج أو شخصية أبيه كانت تناقض مزاج أو شخصية أمه. فالمزاج الأول يتسم بالنزعة الدينية المحافظة ، أما المزاج الآخر فيتسم بالنزعة اللاحادية المتحررة. ونظرا لأن هذا المزاج الأخير يتسم بهذه النزعة ، فمن المحتمل أن يكون تلش قد عرف خيانتها لأبيه وبالتالي الحادها بطريق أو بآخر ، وتمخض عن ذلك توحده بهاملت منذ البداية وكذا اعتناقه الغريزي للوجودية باعتبارها مرادفة لللاحاد. ويبدو أن ذلك قد ترك أثره الشديد عليه طوال حياته إلى حد أنه وجد نفسه مدفوعا إلى التنويه إليه في مقالته "على الحد" وذلك في العبارة الختامية التي تناولناها فيما سبق والتي تقول إنه لم يمس أشياء معينة وذلك لأنها لاتتنمى إلى حياته وفكره. لقد كانت هذه الأشياء تتركز ، كما سبق أن أوضحنا ، في علاقة أب متدين بأم متحررة أو بالاحرى ملحدة . صحيح أن هذه العلاقة لاتخص ، كما يقول تلش نفسه ، تلش بل تخص الوالدين ، ولكن الأمر الأكيد هو أنها تخصه هو أيضا بصورة غير مباشرة على الأقل ومن المؤكد أنها أثرت بشدة في مجرى حياته وفكره ، لأنه لو لم يكن الأمر كذلك ، لما نوه إليها تلش على النحو الذي جاء في المقال ولما تحدث عن تناقض شخصية أبيه وشخصية أمه موضحا كيف أن هذا التناقض قد غرس فيه منذ النشأة شخصيتين متناقضتين متصارعتين. من هنا نستطيع أن نقرر ان توحيد تلش المبكر بهاملت واعتناقه الغريزي للوجودية باعتبارها

مرادفة للالحاد كان يرجع إلى حد ما إلى هذا الميراث الابوي. هذا لايعنى أن هذا التوحد بهاملت وذلك الاعتناق الغريزي للوجودية باعتبارها مرادفة للالحاد كانا محض خيال بالنسبة لتلش. أن العكس فى رأينا هو الصحيح ، بمعنى ، انهما يضربان بجذورهما فى أعماق شخصية تلش الملحد، تلك الشخصية التى تشكل مع شخصية تلش المؤمن الموقف الوجودى الواقعى لتلش نفسه أعنى موقف النصف ، والنصف. فالنصف أو النقيض الأول لن يكون متجردا عن الواقع إلا فى حالة سيادته سيادة كاملة بمعنى طغيانه على النصف أو النقيض الدينى ، والعكس صحيح أيضا ، بمعنى ان النصف الدينى لن يكون متجردا عن الواقع إلا فى حالة سيادته سيادة كاملة ومن ثم طغيانه على النصف الالهادى. ولكن طالما أن تلش احتفظ بكلا النقيضين، فإن هذا يعنى أن كليهما يضرب بجذوره فى حالته الفعلية. ولقد عبر هو عن ذلك بكل وضوح فى سياق إجابته على التساؤل الذى ورد فى مقدمة هذه الدراسة والذى يتعلق بما إذا كان تلش لاهوتيا - وجوديا - ملحدا، لقد جاءت إجابته مؤكدة ، كما رأينا ، لموقف النصف ، والنصف . فالتدين الخالص مستحيل بالنسبة له لأنه يكون متجردا عن الواقع ، والالحاد الخالص مستحيل أيضا بالنسبة له وذلك لنفس السبب. فى ضوء ذلك نستطيع أن نفهم تأكيد تلش الذى جاء فى سياق موقفه على الحدود بين "الواقع والخيال" والذى يقول فيه : " لقد طورت ، فيما بعد ، وذلك عندما أفسحت المدرسة التعبيرية الطريق أمامى لنوع جديد من الواقعية ، طورت مفهوماً عن الواقعية الايمانية 'belief-ful realism'، وذلك من خلال دراستى للأسلوب الجديد فى التعبير".^(١) فهذا

1) Tillich, P., 'On the Boundary', The Boundaries of Our Being,P.307

التأكيد يعد في رأينا صورة أخرى من صور تأكيده الذي قدمناه فيما سبق، والذي يفيد بأنه عندما دخلت الفلسفة الوجودية المانيا توصل تلش إلى فهم جديد للعلاقة بين اللاهوت والفلسفة أكثر حدة من ذلك الذي قدمه في فلسفته الدينية المبكرة ، أعنى ، انه جعل الفلسفة في مجملها مرادفة للفلسفة الوجودية وجعل هذه الأخيرة مرادفة للالحاد ومن ثم تمكن من إقامة هوة أكثر حدة بين تناقض الايمان - الالحاد ، هوة لم يعبرها إلا بوثة لا معقولة ومستمرة من أحد النقيضين إلى الآخر . نفس هذا الموقف هو الذى ينوه إليه تلش هنا من جديد بمعنى ان واقعيته الايمانية التى يتحدث عنها هنا تشير إلى نفس موقف النصف ، والنصف ، الايمان ، والالحاد ، الذى طوره فيما بعد وذلك، كما ينوه النص ، من خلال معرفته بالاسلوب الوجودى الجديد فى التعبير سواء فى مجال الفلسفة أو الأدب أو الفن. هذا يعنى ، بتعبير آخر ، أن تلش يريد أن يقول هنا انه توصل إلى فهم جديد لواقعيته الايمانية عندما تعرف على المدرسة التعبيرية الوجودية وأسلوبها الوجودى الجديد فى التعبير ، وذلك لأن الأمر الذى لايقبل الشك هو أن هذه المدرسة التعبيرية التى يشير إليها تلش هنا هى فى جوهرها المدرسة الوجودية باعتبارها مرادفة للالحاد نظرا لأن تلش لم يفتن بشئ قدر افتتانه بالتعبير الوجودى الالحادى سواء فى مجال الفلسفة أو الأدب أو الفن الخ. والنتيجة التى نراها مترتبة على ذلك هى أن المدرسة التعبيرية التى تعرف عليها تلش وافضت به إلى تطوير واقعيته الايمانية هى نفس المدرسة الوجودية باعتبارها مرادفة للالحاد التى تعرف عليها وأدت إلى تطوير موقفه الوجودى بصورة أكثر حدة من تلك التى عرضها فى مرحلته المبكرة ، ومن ثم تكون الواقعية الايمانية الجديدة هى نفس الموقف الوجودى الجديد والأكثر حدة عند تلش ، فكلاهما يؤكد نفس موقف النصف ،

والنصف ، الايمان ، والالحاد . فى ضوء كل ذلك نستطيع أن نقرر أن توحيد تلش بهاملت فى سن مبكرة يرجع إلى حد ما إلى الميراث الأبوى الذى كان السبب فى اعتناقه الغريزى للوجودية باعتبارها مرادفة للالحاد ، وبالتالى لموقف النصف ، والنصف . هذا الاعتناق بقى مع تلش ، كما نوه فيما سبق ، طوال حياته ، وكان له جانب حسن ، وجانب ضار . وطبقا لما قدمنا من تفسيرات لموقف تلش ، نستطيع أن نقرر من جديد أن الجانب الحسن يتمثل هنا فى أنه استطاع من خلال الجانب الفلسفى ، الذى يرادفه بالوجودية ومن ثم بالالحاد ، أن يبيث موقفه الالحادى فى طيات موقفه الدينى بطريقة صعب على الجميع اكتشافها وإرساء أبعادها . لقد تمكن من تقديم عدم الاتساق السار الذى أنقذه من ويلات اللاهوت المسيحى المسيطر فى الغرب . أما الجانب السيئ فهو أن اعتناقه للجانب الفلسفى -الوجودى - الالحادى قد أفضى إلى طرده من المانيا وذهابه إلى امريكا . حتى هنا لم يكن تلش سى الحظ تماما ، لأنه وجد فى أمريكا المناخ الملائم لنشر موقفه الالحادى تحت ستار جديد هو ستار التضاييف . فى ضوء ذلك يتأكد لنا أن هذا الموقف الحدى - "بين الواقع والخيال" - لا يؤكد إلا نتيجة واقعية واحدة هى موقف النصف ، والنصف .

نفس هذه النتيجة نراها تضرب بجذورها فى الموقف الحدى الخامس الذى ناقشه تلش فى مقالته "على الحد" أعنى موقفه على الحدود "بين النظر والعمل" . ففى هذا السياق كتب تلش يقول : "إننى لم أشك أبدا - كما لم يشك أحد غيرى - فى أن مصيرى كان موجها منذ البداية نحو حياة ترتكز أساسا على المسائل النظرية بدلا من المسائل العملية . لقد صارعت فكرة اللامتناهى لأول مرة فى سن لم يكن قد تجاوز الثامنة بعد . كما افتمتت فى مرحلة الدراسة بالوجماتيقية المسيحية ، وهضمت

الكتب الفلسفية الدارجة . كما أن اطلاعى على التراث الانسانى وكذا تحمسى للغة وأدب الاغريق أدى إلى تقوية ميلى هذا نحو ما هو نظرى . لقد اتفقت تماما مع رأى أرسطو ، الذى عبر عنه فى 'الأخلاق النيقوماخية' ، والذى مؤداه أن التأمل وحده هو الذى يمنع السعادة الخالصة . ونضالى الباطنى مع الحقيقة الدينية التقليدية قد ساعد على بقائى فى قبضة ما هو تأملى (أو نظرى) Speculative . غير أن مجال الحياة الدينية يجعل التأمل يتضمن شيئا آخر غير التعمق الفلسفى فى الوجود . ففى مجال الحقيقة الدينية ، يراهن المرء بوجوده كله . وتغدو مشكلته الرئيسية هنا : أكون أو لا أكون . إن الحقيقة الدينية هى حقيقة وجدانية ، ومن هذا الاعتبار لا يمكن فصلها عن الممارسة العملية . فالحقيقة الدينية هى ، كما يقول انجيل يوحنا ، حقيقة تمارس ممارسة عملية . ومع ذلك ، فقد اتضح لى بعد فترة وجيزة أن التشبث بالتأمل وحده هو تشبث احادى الجانب لأنه يركز على الهروب من الواقع هروبا يماثل تماما هروبنى إلى حيث الأدب الخيالى . وبمجرد إدراكى لهذا الخطر ومجابهتى للمهام العملية ، انغمست فى تلك المهام بكل حماس - وكان ذلك مفيدا للمساعى الفكرية الخاصة بى من اعتبار ، وضارا بها من اعتبار آخر والمثال الذى أسوقه هنا كدليل على انغماسى فى الشئون العملية اليومية فى ذلك الحين هو مشاركتى الفعالة فى منظمة طلابية تسمى 'ونجولف Wingolf' . إن التوتر بين المبادئ المسيحية لهذه المنظمة وبين أفكارها وانشطتها التحررية ، أضف إلى ذلك التوترات الشخصية التى تفجرت بين مجموعات من الطلبة الصغار ، قد أثارت قضايا عديدة فى محيط السياسة العملية ، خصوصا إبان الوقت الذى كنت أشغل فيه منصب رئيس المنظمة . لقد قدمت المنظمة القضية المتعلقة بمبادئ المجتمع المسيحى

بعناية فائقة الأمر الذى جعل الأعضاء البارزين فيها يجنون الكثير من الربح خلال جهادهم من أجل هذه القضية. وفى تلك الفترة أصبحت على براية بأهمية القضايا الهادفة كقضية العقائد الطائفية على سبيل المثال. لقد أيقنت بأنه إذا اعترف مجتمع من المجتمعات بمؤسسة طائفية ذات معنى يتجاوز الإيمان الذاتى أو الشك ، فإن المجتمع سوف يتماسك حتى إذا أفسح مكانا لميول الشك ، والنقد ، وعدم اليقين. " (١) نحن نرى أن تلش ينوه فى هذا النص إلى أن وقوفه على الحدود " بين النظر والعمل " هو فى جوهره انقسام إلى نصف أو نقيض إيمانى ، ونصف أو نقيض الحادى . فالنص يشير أولا إلى أن تلش قد بدأ بالتشبيث بالجانب النظرى أو التأملى فقط. ثم أدرك تلش بفطنته أن هذا التشبيث هو تشبيث احادى الجانب أى يتعلق بجانب أو نصف واحد فقط ويغفل النصف أو الجانب الآخر ، ومن ثم فهو تشبيث قائم على الهروب من الواقع - حيث إن الواقع عنده هو إقرار النصفين - يماثل تماما هروبه إلى حيث الأدب الخيالى أعنى إلى حيث مطابقة شخصيته مع شخصية هاملت. هذا التشبيث بالجانب النظرى أو التأملى يعادل فى رأينا ، كما سنرى الآن ، تشبيث تلش بالفلسفة أو بالأحرى بالفلسفة الوجودية باعتبارها مرادفة للالحاد. ولكن تلش لا يريد الجانب أو النصف الالحادى أن يطفى على الجانب الإيمانى ، كما أنه لا يريد العكس ، لأن طغيان أحد الجانبين معناه ، هروب تلش إلى حيث اللاواقعية. لقد أدرك بفطنته مدى خطورة اقتصاره على الجانب النظرى أو الفلسفى أو الالحادى فقط ، ولهذا سعى إلى إخفائه فى النصف الدينى ، وإلى النزول بالاثنين إلى حيث الواقع العملى أعنى إلى حيث الانخراط المبكر فى المنظمة الطلابية التى تسمى " ونجولف " والتى تكشف عن

1) Ibid., PP. 308-309.

توتر أو بالآخرى تناقض بين مبادئها المسيحية ، وأفكارها التحررية أو بالآخرى
اللاحادية . لقد أكد تلش هذا المعنى الأخير عندما أضاف في نفس السياق قائلاً :
" إن التوتر بين النظر والعمل يحتل مركز الصدارة في المناقشة التي جرت بعد الحرب
حول إعادة تنظيم الجامعات الألمانية . . . ولقد اقترحت خطة لبرنامج تعليمي مزدوج أثارت
عاصفة من القبول وعاصفة من الاحتجاج . ودافعت في هذه الخطة عن تأسيس مدرسة
مهنية ، من ناحية ، كما دافعت ، من الناحية الأخرى ، عن تأسيس كلية للفنون العقلية
liberal arts ^(١) تكون متحررة من مهام التدريب المهني حتى تمثل الفكرة القديمة
للجامعة . ولقد أوضحت في هذه الخطة أن الاثنين (أي المدرسة والجامعة) يتوافقان
على بضعهما توافقاً متبادلاً ، هذا على الرغم من اختلافهما في الهدف والمنهج . كما
أكدت على أن الروح التي يجب أن تتخلل كلية الفنون هي روح تلك الفلسفة التي تأخذ
على عاتقها مهمة إيضاح السؤال المتعلق بالوجود الإنساني بواسطة العقل Logos .
وذلك لأنه يجب أن تكون هناك تساؤلات متطرفة بغض النظر عن الولاء السياسي أو
الديني . كما أنه يجب على الفلسفة التعليمية للكلية ألا تغفل ، في نفس الوقت ،
المشاكل الروحية والاجتماعية للحياة المعاصرة . إن أي فلسفة إبداعية عظيمة يجب أن
تقى بهذين المطلبين . إن الدليل على ضعف الفلسفة في القرن التاسع عشر ، يستثنى
من ذلك فلسفات قليلة ، هو أنها أصبحت أداة تستخدمها المدارس ويستخدمها اساتذة
الفلسفة لخدمة أغراض معينة . ومع ذلك ، فحيثما يحاول القرن العشرين كبح التساؤلات
المتطرفة بوسائل سياسية وكذا عن طريق فرض نظرة سياسية عالمية ، فإنه يكون بذلك

(١) "تتألف الفنون العقلية من الآداب ، والعلوم الطبيعية ، والعلوم الاجتماعية ، والانسانيات ."

The New Hamlyn Encyclopedic World Dictionary, P. 959.

مدمرا للفلسفة تدميرا لا يقل عن التدمير الذى تعرضت له فى القرن التاسع عشر. (١) نحن نرى أن هذا النص يؤكد تماما أن وقوف تلش على الحدود "بين النظر والعمل" ليس سوى انقسام إلى نصف فلسفى الحادى ، ونصف ايمانى. فالنص يشير أولا وقبل كل شئ إلى أن تلش كان قد تقدم باقتراح يتضمن خطة لبرنامج تعليمى. هذه الخطة ، هكذا يقول هو ، أثارت عاصفة من القبول ، وعاصفة من الاحتجاج أو الرفض معا وفى نفس الوقت . هذه الخطة تتلخص فى تأسيس كلية للفنون أو الآداب تتحلى بروح تلك الفلسفة التى تأخذ على عاتقها مهمة إيضاح السؤال المتعلق بالوجود الانسانى بواسطة العقل. ولكن ماهى ، هكذا يجب أن نتساءل ، تلك الفلسفة التى تأخذ على عاتقها مهمة إيضاح ذلك السؤال؟ وإجابتنا على هذا السؤال هى، كما رأينا فى هذه الدراسة ، إن الفلسفة الوجودية وحدها هى التى اختصها تلش بهذه المهمة. ولكن الفلسفة الوجودية هى فى رأيه المرادف الطبيعى للالحاد. ومن ثم فإن النتيجة التى نراها مترتبة على ذلك هى أن تلش يريد لكلية الفنون أو الآداب أن تتحلى بروح الفلسفة الوجودية باعتبارها مرادفة للالحاد أى بالروح الالحادى . هذا هو السبب الذى جعله ينوه فى النص إلى ضرورة أن تكون هناك تساؤلات متطرفة أو بالأحرى الحادية وذلك بغض النظر عن الولاء الدينى والولاء السياسى. هذه الفلسفة الوجودية الالحادية تقدم السؤال أو الموقف الالحادى للانسان استنادا إلى العقل أو اللوغوس ، والعقل هو قطعاً حليف النظر ومن ثم فهو المعبر عن الجانب أو النصف الأول عند تلش أعنى النصف النظرى أو التأملى أو الفلسفى أو الالحادى. هذا لايعنى أن هذا النصف الالحادى متجرد تماما عن الواقع. إنه لا يكون كذلك ، هكذا يجب أن نتذكر ، إلا فى

1)Tillich, P., 'On the Boundary', The Boundaries of Our Being, P.311.

حالة طغيانه على النصف الايماني وقهره كلية، أما في حالة إقرارهما معا ، فيكون النصف الالهادي متمتعا بنفس الواقعية التي يتمتع بها النصف الايماني. ولقد عبر تلش عن شيء من هذه الواقعية من خلال موقفه الخفي الذي يفيد بأن الوجودية باعتبارها مرادفة للالحاد تقدم السؤال استنادا ، كما قال في النص السابق ، إلى العقل أو اللوغوس . فاللوغوس عنده يشير إلى " العقل النظري والعقل العملي" (١) وهذا يعنى أن الوجودية الملحدة تقدم تحليلها الالهادي للموقف الانساني من الناحية النظرية والعملية على حد سواء. من هنا يمكن القول ان تلش وجد أن إقرار النصف الالهادي وحده هو اقرار احادي الجانب بل ويتسم بالخطورة . ولهذا راح يقرر ، كما جاء في النص السابق، انه يجب على الفلسفة التعليمية للكلية ألا تغفل في نفس الوقت المشاكل الروحية أو الدينية وكذا المشاكل الاجتماعية للحياة المعاصرة. إنها، هكذا يجب أن يضيف تلش، يجب أن تقر النصف الديني، إلى جانب النصف الفلسفي أو الالهادي، وذلك لأن النصفين معا يضريان بجنورهما في صميم الموقف الانساني الفعلي . إن إقرار تلش لهذين النصفين على هذا النحو قد أثار، كما نوه هو في نصه السابق، عاصفة من القبول وعاصفة من الرفض معا وفي نفس الوقت. لقد قبله البوهيميون وسائر من كانوا على استعداد لاعتناق البوهيمية خاصة بعض أفراد الطبقة العليا والطبقة الوسطى للبرجوازية ، الذين لا يجدون مانعا من إقرار موقف النصف، والنصف، أما الذين رفضوه فهم أولئك البرجوازيين الصغار، وكل من هم على شاكلتهم في سائر الفئات أو الطبقات ،الذين ينتمون إلى الطبقة الأدنى من البرجوازية والمعروفين

1) Ibid., P.326.

بعقليتهم الرجعية المتمسكة بأهداب الدين فقط . من هنا نستطيع أن نقرر ان اقتراح تلش كان في حقيقة الأمر اقتراحا يعبر عن موقفه الشخصى أعنى عن موقف النصف ، والنصف . وهو لم يجد هذا الموقف معبرا عن موقفه الشخصى فحسب ، بل وجد أيضا أن هذا الموقف هو الموقف الذى يصف الموقف الانسانى العام . ولهذا السبب نوه فى النص إلى أن كبح أحد النصفين على حساب الآخر سيضر بالموقف الانسانى العام الذى يحتم عدم كبح أو بالأحرى عدم التضحية بالجانب الالحادى ، على سبيل المثال ، من أجل خدمة الأغراض الدينية أو حتى السياسية ، وكذا عدم التضحية بالجانب الدينى من أجل خدمة الأغراض الالحادية أو السياسية . فالتضحية بأحد النصفين لا يقل تدميرا عن التضحية بالنصف الآخر ، وذلك لأن الموقف الانسانى العام الذى يراه تلش مطابقا للحالة الفعلية للانسان هو موقف النصف ، والنصف . هذا الموقف يعده تلش أيضا الموقف الذى سيحدد مصير الجامعة فى المستقبل وكذا مصير الثقافة الانسانية فى العالم المتحضر .^(١) فى ضوء ذلك يتضح لنا أن موقف تلش على الحدود "بين النظر والعمل" يؤكد بصورة خفية موقف تلش الأساسى أعنى موقف النصف ، والنصف .

نفس هذه النتيجة نراها تضرب بجذورها فى موقف تلش السادس الذى قدمه فى مقالته "على الحد" تحت عنوان على الحدود بين "التبعية والاستقلال الذاتى Between Heteronomy and autonomy" . فعن الجانب الأول من هذا الموقف ، كتب تلش يقول : "إننى لم أتمكن من الوصول إلى الاستقلال الذاتى الفكرى والاخلاقى إلا بعد نضال عنيف ، ولقد جعلت سلطة والدى ، التى كانت معا وفى نفس الوقت سلطة دينية وسلطة فكرية بالنسبة لى ، والتى كانت مطابقة فى نظرى ، وذلك بسبب المكاة التى كان يتمتع بها فى الكنيسة ، للسلطة الدينية القائمة على الوحي ، جعلت كل محاولة من جانبى من أجل الوصول إلى تفكير مستقل فعلا يتسم بالجسارة الدينية

1) Ibid., PP. 311-312

ويربط نقدي للسلطة بإحساسى بالذنب . ان التجربة التى عايشها الجنس البشرى منذ القدم والتى تفيد بأن الفوز بالمعرفة الجديدة لن يتم الا من خلال انتهاك ما هو محرم (أوتابو) Taboo وأن كل تفكير مستقل يكون مصحوبا يوما بالوعى بالذنب، هى تجربة اساسية بالنسبة لحياتى . والأمر الذى ترتب على هذه التجربة هو أننى كسنت أواجه مع كل نقد لاهوتى ، وأخلاقى ، وسياسى أقدمه عقبات باطنية لم اتمكن من التغلب عليها إلا بعد نضال طويل^(١) . فى هذا النص يوضح تلش أنه لم يحقق استقلالة الذاتى على الصعيدين الفكرى والأخلاقى إلا بعد نضال عميق خصوصا مع السلطة الدينية. وهذا يعنى ضمنا أن تلش كان يسعى منذ البداية إلى التحرر من قيود السلطة عامة ومن قيود الدين بصفة خاصة. لقد كان يسعى إلى أن يكون ذاته بمعزل عن أى سلطة دينية. وهذا يعنى بدوره أن تلش كان يسعى منذ البداية إلى تأكيد الشجاعة الإلحادية من أجل الوجود كذات تتمتع بحرية مطلقة ، وعن ثم راح فى نفس السياق يضيف : " إننى أفضل الاتهام 'بالتحرر' على تجاهل ذلك المبدأ الانسانى الأصيل والعظيم للاستقلال الذاتى أعنى مبدأ التحرر"^(٢) . هذا السعى نحو التحرر ونحو اكتساب خبرة ومعرفة جديدتين جاء . كما يقول تلش فى نصه السابق . على حساب انتهاكه لحرمة وقدسية الدين . وهو هنا يشبه أو يماثل تماما فأوست جوته الذى تحدث هو نفسه عنه فى معرض حديثه عن الكونكيوبسنس فى الفصل الثالث مبينا أنه قبل التحالف مع الشيطان من أجل أن يعرف كل شيء . هذه التجربة كانت أساسية فى حياة تلش . لقد تحالف مع الشيطان من أجل أن يعرف كل شيء . لقد كان يتمتع بالكونكيوبسنس أو بالأحرى بنصف الحادى . هذا ليعنى أن تأكيد تلش للاستقلال الذاتى أو التحرر من قيود الدين بصفة خاصة قد أدى به إلى إغفال التبعية للاهوت المسيحى . إن العكس هو الصحيح بمعنى انه طبقا لموقف النصف ، والنصف يمكن القول ان ان تلش أخفى استقلاله الذاتى الإلحادى فى تبعيته

(1) I bid., P., 312

(2) Ibid., P., 317

الظاهرة للاهوت المسيحى . لقد بقى مستقلا أو متحررا أو ملحدا بنصف قلب فقط ، أما النصف الآخر فقد كان يزعم التبعية للاهوت المسيحى . هذه التبعية المزعومة هى التى أجبرته ، كى ينفى عن نفسه تهمة الالحاد ، إلى توجيه النقد للاستقلال الذاتى أو التحرر الالهادى الخالص على النحو التالى : "لقد وثقت ثقة ضئيلة فى القدرة الابداعية للتفكير الاستقلالى الخالص".^(١) أما انطلاقا من نصفه الالهادى فيمكن القول أيضا إن الاستقلال الذاتى الخالص أو التحرر الالهادى لتلش قد جعل من المستحيل عليه أيضا أن يضع ثقته المطلقة فى التبعية للاهوت المسيحى . ولهذا نقده كما نقد النصف الأول، ولقد جاء نقده على النحو التالى : "إن نقدى للاستقلال الذاتى الخالص لم يكن يعنى إفساح الطريق لتبعية جديدة . إننى لم أقبل مطلقا الخضوع للسلطة الدينية أو السلطة الدنيوية أعنى أننى لم أقبل مطلقا الخضوع للتبعية . إننى لا أستطيع وكذلك لا أريد العودة إلى التبعية . وحتى إذا كان سياق الأحداث فى أوربا يتجه نحو العودة إلى تبعية قديمة وتبعية جديدة ، فإننى لا أملك إلا أن أحتج بشدة ، حتى إذا كنت أتفهم الدوافع الكامنة وراء ذلك . إن الاستقلال الذاتى الذى يفوز به المرء بعد نضال شديد لايسهل التخلي عنه أبدا نظرا لأن المرء كان يتمسك به باعتباره حقيقة واقعة . وعندما ينتهك المرء حرمة أكثر السلطات قداسة ، فإنه لا يستطيع أن يخضع نفسه لأى تبعية أخرى دينية كانت أم سياسية . إن ذلك الخضوع قد أصبح أمرا سهلا بالنسبة للكثيرين فى عصرنا هذا وذلك بسبب الخواء والشك المحيطين بالسلطة التقليدية . إن الحرية التى لا تتأتى بعد نضال وتضحيات هى حرية يسهل فقدها (أو التخلي عنها) . فى ضوء ذلك نستطيع أن نفهم السر فى رغبة الشباب الأوربى فى العودة إلى عبودية جديدة (ناهيك عن العوامل الاجتماعية)."^(٢) فى هذا النص يؤكد تلش أنه لم يحصل على استقلاله الذاتى الخالص أو الالهادى - الذى يعنى الاستقلال

1) Ibid., P. 312

2) Ibid., P. 313

عن التبعية عامة وعن التبعية الدينية بصفة خاصة - إلا بعد نضال عنيف ولهذا استحال عليه العودة إلى أى تبعية كائنة ما كانت. لقد كافح طويلا من أجل الحصول على التحرر الكامل ومن ثم استحال عليه التخلي عنه والارتقاء فى أحضان أى تبعية . هذا يعنى أن تلش كره التبعية فى شتى صورها وذلك انطلاقا من استقلاله الذاتى الخالص أو تحرره اللاحادى الكامل . هذا بالإضافة إلى أنه لم يناد علنيا بالتحرر اللاحادى الكامل الذى تقره الوجودية الملحدة. ولكن إذا كان تلش قد نقد هكذا الاستقلال الذاتى الكامل أو الخالص أو اللاحادى وإذا كان قد نقد أيضا التبعية عامة والتبعية الدينية خاصة ، فما الذى يريده حقا ؟ لقد كتب تلش فى نفس السياق يقول إن مايريده هو تحقيق نوعا من "التيونومى أعنى استقلالا ذاتيا يتمتع بشكل دينى".^(١) فمن خلال التيونومى وحده، هكذا يضيف تلش فى نفس السياق ، يتم "قهر التناقض بين الاستقلال الذاتى والتبعية".^(٢) ولكن هل هذا هو مايريده تلش على وجه الخصوص ؟ فى ضوء ما قدمنا من تفسيرات لموقف تلش، نستطيع أن نقرر ان الاجابة على هذا السؤال هى قطعاً بالنفى . فتلش لم يكن يهدف، كما يقول هنا بصورة علنية، إلى إقامة نوع من التيونومى - الذى هو بمثابة استقلال ذاتى يلبث ثوبا دينيا - يتم من خلاله قهر التناقض بين الاستقلال الذاتى والتبعية. لأن قهر هذا التناقض لن يتم الا من خلال مركب من النقيضين، وتلش ، كما رأينا فى الفصل الأول، لا يكره شيئا قدر كراهيته للتركيب . إن الأمر الذى كان يهدف إليه تلش هو فى رأينا أن يبقى منقسما إلى النصف، والنصف، أو النقيض، والنقيض. هذا الانقسام يتمثل هنا فى انقسامه إلى نصف يتمتع بالاستقلال الذاتى الخالص أو التحرر اللاحادى الكامل، ونصف يتمتع بالتبعية (الظاهرية) لللاهوت المسيحى المسيطر فى الغرب. لقد فضل أن يظل منقسما إلى النقيضين ، وهذا يعنى ، بتعبير آخر ، انه فضل عسدم

1) Ibid., Loc. cit.

2) Ibid., P. 315.

الاتساق السار ، على التركيب والتناغم . من هنا نستطيع أن نقرر أن الثيونومى الذى كان يزعم تلش أنه يقره هنا ليس فى واقع الأمر سوى انقسام إلى نصف أو نقيض يتمتع بالتحرر الذاتى الالهادى ، ونصف يدعى التبعية للاهوت المسيحى . هذا المعنى الأخير "لثيونومى" هو فى رأينا الذى جعله يصف فلسفة هيدجر بأنها "فلسفة ثيونومية" ، هذا على الرغم من إلحاد هيدجر الأكيد^(١) . إنها ، هكذا يوضح تلش ، ثيونومية بمعنى أنها تنقسم إلى نصف الهادى ، ونصف "ينتمى بشدة إلى التفسير المسيحى للوجود الانسانى"^(٢) . إنها ، هكذا يجب أن يقول تلش بصورة علنية ، ثيونومية "بمعنى أنها تنقسم إلى نصف يتسم بالاستقلال الذاتى الخالص أو التحرر الالهادى الكامل ، ونصف يتسم بالتأثر بالتفسير المسيحى للطبيعة الانسانية . هذا هو السر فى التماثل الذى يجده تلش بين موقفه "الثيونومى" أو المنقسم وبين الموقف "الثيونومى" أو المنقسم لهيدجر ، والذي سنوضحه من خلال موقفه التالى

إذا كان موقف تلش السابق يسوق ، مثله فى ذلك مثل سائر المواقف السابقة ، إلى نفس النتيجة أعنى إلى انقسام تلش إلى نصف ملحد ، ونصف مؤمن ، فإن سائر المواقف السابقة تعد بمثابة تمهيد لموقفه الرئيسى الذى تندرج تحته كل هذه المواقف ، والذي يشكل حياته وفكره ككل أعنى موقفه السابع الذى ناقشه فى مقالته "على الحد" تحت عنوان على الحدود "بين اللاهوت والفلسفة" . فهذا الموقف الأخير هو ، كما أوضحت الدراسة ، الموقف الذى يصل فيه تناقض تلش أو بالاحرى انقسامه إلى نصف مؤمن ، ونصف ملحد إلى ذروته . ومن ثم فإنه يعد المقولة الكبرى التى تضم تحتها سائر مواقف تلش الأخرى التى تبدو ، مقارنة بهذا الموقف الرئيسى ، مجرد مواقف هامشية لا تتمتع إلا بأهمية ضئيلة أو قد لا يكون لها أهمية على الإطلاق . هذا الموقف الرئيسى هو الموقف الذى تعاملت معه هذه الدراسة منذ البداية . ولقد أكت

1) Ibid., P. 324

2) Ibid., Loc. cit.

الدراسة أن هذا الموقف ليس هو، كما يزعم تلش هنا، بالموقف الحدى أو بالموقف التضائفى، بل هو موقف منقسم إلى نصف لاهوتى، ونصف الحادى، وهو يجعل كلا النقيضين يسيران فى خطين متوازيين بينهما هوة عميقة لا يمكن اجتيازها إلا بوثة لا معقولة ومستمرة من أحد النقيضين، إلى الآخر. لقد بقى فى واقع الأمر منقسما إلى نصف الحادى، ونصف ايمانى، هذا على الرغم من ادعائه الظاهرى بأنه يقيم علاقة "حدية" أو علاقة "تضائفى" بين الفلسفة، واللاهوت. ولعل هذا هو السبب الذى جعل تلش لا يناقش هذا الموقف بالتفصيل فى مقالته "على الحد" هذا على الرغم من أنه افرد له عنوانا خاصا فى هذا المقال. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يبدو أن تلش كان يطمح إلى تقديم تفسير أكثر حدة لانقسامه - ذلك التفسير الذى قدمه فيما بعد فى "لاهوته النسقى" بمجلداته الثلاث تحت اسم التضائفى - ولهذا اكتفى فى هذا المقال بتقديم بعض الملاحظات التى نود أن نسوقها هنا لأنها تؤكد فى رأينا، وإن يكن بصورة أقل حدة، حقيقة انقسامه إلى نصف مؤمن، ونصف ملحد. والملاحظة الأولى نجدها متضمنة فى النص التالى لتلش الذى يقول: "إن التجربة التى عشتها خلال السنوات الأربع للحرب (العالمية) كشفت لى وللجيل كله عن امر هام هو أن الوجود الانسانى ينطوى على هوة لا يمكن تجاهلها، وأن إمكانية إعادة اتحاد اللاهوت والفلسفة لن تتحقق إلا من خلال مركب ينصف تجربة الهاوية التى تضرب بجنورها فى حياتنا، ولقد حاولت فلسفتى الدينية تحقيق ذلك، فهى تظل وبوعى على الحدود بين اللاهوت والفلسفة، واضعة فى اعتبارها ألا تضحى بالواحد منهما فى سبيل الآخر. إنها تحاول التعبير عن تجربة الهاوية بمفاهيم فلسفية وعن فكرة التبرير باعتبارها نهاية مطاف الفلسفة".^(١) نحن نرى أن هذا النص يؤكد من جديد حقيقة انقسام تلش إلى نصف ملحد، ونصف مؤمن. فالنص يشير أولا وقبل كل شىء إلى أن معاشة تلش

1) Ibid., P. 321-322

لأهوال الحرب قد كشفت له حقيقة هامة هي أن الوجود الانساني ينطوى على هاوية لا يمكن تجاهلها . هنا يجب أن نتساءل : ما هي تلك الهوة أو الهاوية التي انكشفت لتلش ولابناء جيله خصوصا في أعقاب تجربة الحرب ؟ وفي ضوء ما جاء في هذه الدراسة من تفسيرات لموقف تلش الخفى ، نستطيع أن نقرر ان الهاوية التي ينوء إليها تلش هنا هي الهاوية الالحادية . هذه الهاوية هي التي استحال على تلش إغفالها والتي دعتة إلى إلى انصافها . والطريق الذى سلكه تلش لانصاف هذه الهاوية ليس هو، كما يزعم هنا ، طريق التركيب ، بل بالأحرى طريق الانقسام إلى نصف مؤمن ، ونصف ملحد . هذا يعنى ضمنا أن تلش لم يهتم بإقامة وحدة بينهما ، بل اهتم بتعميق الهاوية بينهما ، واستعان على ذلك بالفلسفة التى جعلها مرادفة للفلسفة الوجودية وجعل هذه الأخيرة مرادفة للالحاد . هنا استحال على تلش التضحية بالواحد منهما، فى سبيل الآخر، لقد بقى منقسما إلى النصف ، والنصف . وهكذا يكون تلش قد انصف الهاوية التى وجدها تضرب بجذورها فى صميم الموقف الانساني من ناحية ، ولم يغفل فى نفس الوقت ، ومن الناحية الأخرى ، العنصر الايمانى الذى اعتبره أمرا يستحيل التخلص منه . هذه النتيجة تتأكد لنا من خلال ملاحظتنا الثانية التى ساقها تلش فى النص التالى الذى يقول : "إن فلسفتى الدينية ... قد تشكلت من مفاهيم فلسفية وحقائق دينية . ولقد شيدت موقفى الفلسفى من خلال حوارى النقدى مع الكانطيين الجدد، وفلسفة القيم، والفينومينولوجيا . فقبلت معارضتهم للفلسفة الوضعية . ولكننى لم أستطع أن ألصق نفسى بأى اتجاه من هذه الاتجاهات الثلاثة . فالكانطيين الجدد لم يستطيعوا إدراك تجربة الهاوية والمفارقة وذلك بسبب ميلهم إلى القول بتحقيق الماهية فى الوجود . كما أننى لم أستطع تقبل فلسفة القيم وذلك لأنها ليست سوى لون من ألوان الفلسفة الكانطية الجديدة ولأنها تحاول أيضا أن تفهم الدين على أنه مملكة قيمية تناقض ذلك التجاوز للقيم المفترض فى تجربة الهاوية . أما الفينومينولوجيا فتفتقر إلى عنصر الديناميكية كما أنها تزيد من الميل الكاثوليكية المحافظة، كما يدل على ذلك ما بين

أيدينا من كم لا حصر له من السير الذاتية للمعارضين لها^(١) في هذا النص يقول تلش إن فلسفته الدينية تتكون من جانبين أحدهما فلسفى ، والآخر دينى ، والجانب الفلسفى تشيد ، هكذا ينوه النص ، فى ضوء فهم تلش النقدي لاتجاهات فلسفية ثلاث هى الاتجاه الكانطى الجديد ، والفلسفة القيمية، والفينومينولوجيا . هذه الاتجاهات الثلاث هكذا يقول تلش ، تعارض - ولكن من زوايا مختلفة - الاتجاه الوضعى Positivism . وهو يتفق مع هذه الاتجاهات على معارضة هذا الاتجاه ، غير أنه لم يستطع فى نفس الوقت أن يندرج كلية تحت أى اتجاه من هذه الاتجاهات. لقد عارض الاتجاه الكانطى الجديد وذلك لأن هذا الاتجاه اتفق مع هيجل على القول بتحقيق الماهية فى الوجود ومن ثم قهر الهوة بينهما ، وهذا القول يرفضه تلش تماما وذلك لأنه لم يتحمس لشيء قدر تحمسه لتعميق الهوة الإلحادية التى وجدها تضرب بجذورها فى الواقع الانسانى الذى جعل من المستحيل عليه إنكارها أو التفاضى عنها . كما عارض تلش الفلسفة القيمية وذلك لأنها، كما يقول هو ، تابعت وسأيرت نفس موقف الكانطيين الجدد. أما الاتجاه الفينومينولوجى (ولعله يقصد هنا الوجودية الملمدة) فقد عارضه تلش لأنه يفتقر إلى الديناميكية الأمر الذى أدى إلى تزايد المعارضين له. هذه المعارضة جاءت ، كما يقول تلش ، من جانب المسيحيين الكاثوليك الذين ينتمون إلى الطوائف المسيحية المحافظة. هذا الموقف الأخير يشير إلى أن افتقار الاتجاه الفينومينولوجى إلى الديناميكية يرجع، فى رأى تلش ، إلى رفضه التام للعنصر الايمانى الذى وجده تلش يضرب بجذوره - مثله فى ذلك مثل العنصر الالهادى - فى صميم الواقع الانسانى، وذلك لأن هذا الرفض أدى إلى إثارة الكاثوليكين المحافظين أو الذين يقرون فقط الشجاعة الدينية من أجل الوجود كجزء من التراث الدينى الأمر الذى أدى ، وذلك كرد فعل لهذا الاتجاه الذى يفتقر إلى الديناميكية بمعنى انه لايقر العنصر الايمانى، إلى اتساع نسبة المعارضين له من المتدينين المحافظين الذين يقرون فقط

1) Ibid., P. 322.

الشجاعة الدينية من أجل الوجود كجزء من التراث الدينى المسيطر فى الغرب. هذا يعنى أن تلش لم يقبل الاتجاهات الايمانية الخالصة التى لاتقر الهاوية الالحادية التى تضرب بجنورها فى رأيه فى قلب الموقف الانسانى الوجودى، كما لم يقبل الاتجاهات الالحادية الخالصة التى تنكر العنصر الايمانى . لقد وجد أن كلا الجانبين يفتقران إلى الديناميكية أعنى إلى المرونة التى يتسم بها تلش نفسه والتى جعلته يقر النصفين أو الجانبين أو النقيضين معا وفى نفس الوقت. هذا المعنى الأخير متضمن بصورة أوضح فى ملاحظتنا الثالثة التى ساقها تلش فى النص التالى الذى اقتبسنا أجزاء منه فيما سبق ، والذى يقول : "عندما دخلت الفلسفة الوجودية ألمانيا توصلت إلى فهم جديد للعلاقة بين اللاهوت والفلسفة . ولقد ساعد على ذلك محاضرات هيدجر فى ماربورج Marburg، وصدور كتابه 'الوجود والزمان' وكذا تفسيره لكانط، فمنذ كتاب هوسرل (دراسات فى المنطق) لم يحدث أن تمتع كتاب بأهمية، سواء بالنسبة للمشايعة للفلسفة الوجودية أو لخصومها، كذلك التى تمتع بها كتاب هيدجر. هناك عوامل ثلاث مهدت الطريق لقبولى للفلسفة الوجودية. العامل الأول هو معرفتى الوثيقة بالفترة المتأخرة من حياة شلنج العلمية، التى لخص فيها فلسفته الوجودية كرد فعل لفلسفة هيجل الماهوية . والعامل الثانى هو معرفتى، مهما كانت معرفة محدودة ، بالمؤسس الحقيقى للفلسفة الوجودية أعنى كير كيجورد. أما العامل الثالث والأخير فهو تحمسى لفلسفة الحياة عند نيتشه. هذه العناصر الثلاثة موجودة عند هيدجر. وانصهارها إلى نوع من التصوف المشوب بالنزعة الاوغسطينية هو السبب فى السحر الذى تتمتع به فلسفة هيدجر. فالكثير من مصطلحاته الفلسفية توجد فى أدب المواعظ الذى قدمه المذهب التقوى الالمانى . وتفسيره للوجود الانسانى يتضمن وكذا يشيد، وإن يكن عن غير قصد منه ، مذهباً إنسانياً أعنى مذهباً فى الحرية والتناهى . هذا المذهب ينتمى بشدة إلى التفسير المسيحى للوجود الانسانى إلى حد أننى وجدت نفسى مضطراً إلى وصفه 'بالفلسفة الثيولوجية' هذا على الرغم من إلحاد هيدجر الذى

لا يمكن إنكاره . ومما لاشك فيه أن الفلسفة ليست هي التي تفترض سلفا الاجابة اللاهوتية على التساؤل المتعلق بالتناهي الانساني ثم بعد ذلك تفسرها بلغة فلسفية. إن الفلسفة الوجودية تسأل بطريقة جديدة ومتطرفة ذلك التساؤل الذي يجيب عليه اللاهوت. هذه الأفكار التي طورتها في جامعة ييل Yale ، قد حدث بي إلى تقديم تمييز بين اللاهوت والفلسفة أكثر حدة من ذلك التمييز الذي قدمته في فلسفتي الدينية المبكرة.^(١) هذا النص يؤكد في بدايته ان دخول الفلسفة الوجودية ألمانيا قد جعل تلش يتوصل، كما ذكرنا فيما سبق، إلى فهم جديد للعلاقة بين اللاهوت والفلسفة يختلف عن ذلك الفهم الذي قدمه في مرحلته المبكرة ، ثم يؤكد النص في نهايته ان ذلك الفهم قد حدا بتلش إلى تقديم تمييز بين اللاهوت، والفلسفة أكثر حدة من ذلك الذي قدمه في مرحلته المبكرة. وفي ضوء ما قدمنا في هذه الدراسة من تفسيرات لموقف تلش، لانملك إلا أن نكرر من جديد ان هذا الفهم الجديد للعلاقة بين اللاهوت والفلسفة، الذي أدى به إلى إقامة تمييز أكثر حدة بينهما يتمثل في قصره للفلسفة بأكملها على الفلسفة الوجودية ثم جعل هذه الأخيرة مرادفة للالحاد ثم إقامة هوة عميقة بين الالحاد ، واللاهوت، هوة لا يمكن عبورها إلا بوثبة لامعقولة مستمرة من الواحد منهما، إلى الآخر. هذا في رأينا، وكما سبق أن أوضحنا، هو التمييز الأكثر حدة بين الفلسفة، واللاهوت ، الذي قدمه تلش في مرحلة نضوجه تحت ستار التضاييف، والذي يعد في رأينا تطورا لنفس التمييز غير الناضج بينهما والذي قدمه في مرحلته المبكرة تحت ستار الحد. حقا، لقد تأكد لنا حتى الآن أن سائر مواقف تلش الحدية تسوق إلى هذا الفهم الأكثر حدة الذي قدمه تلش، بمعنى ان سائر مواقفه الحدية لا تؤكد إلا موقف النصف، والنصف، النقيض، والنقيض، الايمان، والالحاد ونحن نجد في النص السابق بصفة خاصة تأكيدا لذلك. فهذا التأكيد يضرب بجذوره حتى في إشارة تلش إلى العوامل الثلاثة التي جعلته يقبل الفلسفة الوجودية أعني معرفته بكيركيجورد،

1) Ibid ., PP. 324-325.

وشلنج ، ونيتشه . فكيركيجورد يمثل في رأيه ، كما رأينا في الفصل الأول، الجناح الدينى للفلسفة الوجودية. أما نيتشه فيمثل جناحها الملحد. وقبوله للآتين معا لايعنى سوى انقسامه إلى النقيضين : المؤمن، والملحد. نفس هذا الانقسام، هكذا ينوه النص، وجده تلش عند هيدجر . ولكن هناك فارق واحد، فى رأينا، بين موقف هيدجر، وموقف تلش. هذا الفارق هو أن موقف هيدجر هو موقف تغلب عليه السمة الالهابية بمعنى ان موقفه هو موقف كله الحاد. اما نزعتة الايمانية، هذا إذا كان صحيحا أن لديه نزعة ايمانية ، فهى نزعة خفية أو باطنية . أما موقف تلش فهو موقف ظاهره ايمان، وباطنه الحاد. هذا يعنى أننا نرى أن تلش هنا ليس سوى هيدجر مقلوبا . فباطن هيدجر، هذا إذا كان صحيحا أن هيدجر له باطن، هو ظاهر تلش ، وظاهر هيدجر هو باطن تلش . لهذا لم تكن من قبيل الصدفة على الاطلاق أن يقرر تلش فى نصه السابق أن محاضرات هيدجر فى ماربورج، ومصدر كتابه "الوجود والزمان"، وتفسيره لكانط، كانت من ضمن العوامل التى ساعدته على تقديم تفسيراً للعلاقة بين اللاهوت والفلسفة أكثر حدة من تفسيره المبكر. لقد ساعده هيدجر على اكتشاف طريقة جديدة لاختفاء نصفه الالهادى ، فى طيات نصفه الدينى، فجاء موقفه عكس موقف هيدجر تماما بمعنى انه فعل عكس ما فعل هيدجر تماما.

على الرغم من أن موقف تلش على الحدود "بين اللاهوت والفلسفة" يعد، كما رأينا، الموقف الرئيسى بالنسبة لحياته وفكره الأمر الذى يجعل سائر مواقفه "الحدية" الأخرى تبدو، مقارنة بهذا الموقف، مواقف هامشية ، إلا أن مناقشته لمواقفه الحدية فى مقالته "على الحد" لم تنته بانتهاه حديثه عن هذا الموقف. ففي اعقاب حديثه عن موقفه على الحدود "بين اللاهوت والفلسفة" تحدث تلش عن مواقف "حدية" هامشية أخرى كلها تؤكد فى رأينا انقسامه إلى إمكانات ترد فى النهاية إلى تناقض الايمان، والالحاد. ونحن نستطيع أن نتبين ذلك من موقفه ، على سبيل المثال ، "بين الدين والثقافة

(الحضارة) Between Religion and Culture. ففي هذا السياق كتب تلش ، في عبارة وردت آنفا، يقول : "ليس هناك أشخاص ، أو كتب مقدسة، أو مجتمعات ، أو مؤسسات، أو أفعال تتمتع في ذاتها بالقداسة ، كما أنه ليست هناك واحدة منها تتمتع في ذاتها بالدنس. فالشخص الدنس يستطيع أن يكون قديسا ، والقديس لا يكف عن أن يكون دنسا. والراهب هو انسان عادي، والانسان العادي يمكنه أن يصبح راهبا في أى وقت. إن ذلك لم يكن بالنسبة لى مبدأ لاهوتيا فحسب ، بل كان أيضا موقفا أكدته يوما بطريقة محترفة وبطريقة شخصية معا وفي نفس الوقت . فباعتبارى لاهوتى ورجل دين لا أستطيع أن أكون سوى إنسانا عاديا وفيلسوفيا حاول أن يقول شيئا عن حدود الوجود الانسانى. كما أننى لم أكن أنوى أبدا إخفاء المساعى اللاهوتية الخاصة بى، بل، على العكس، أفصحت عنها حيثما كان من السهل على إخفاؤها، أعنى، على سبيل المثال، فى كتبى الفلسفية. غير أننى لم أرغب مطلقا فى تأسيس طريقة لاهوتية تجعلنى بمعزل عن الحياة الدنسة وتخلع على لقب 'متدين' ". (١) نحن نرى أن هذا النص يؤكد من جديد انقسام تلش إلى نصف لاهوتى مؤمن ، ونصف وجودى - ملحد . فهو لايسمح لنصفه الأول أن يجعله بمعزل عن الحياة الدنسة او الالحادية ، كما لايسمح لنصفه الالهادى أو الدنس أن يجعله بمعزل عن الحياة الدينية. فالنصفان لا غنى عنهما بالنسبة لتلش ولهذا فهو لايريد مطلقا أن يضحى بالواحد منهما على حساب الآخر. لقد جعل من الانقسام المبدأ الرئيسى فى حياته ، ولهذا حاول يوما تأكيد بطرقة شخصية وبطريقة محترفة أو بالأحرى خفية معا وفي نفس الوقت . هذا بالإضافة إلى أن تلش وجد أن هذا المبدأ ينطبق على موقفه الشخصى، كما ينطبق على موقف كل انسان آخر، لأنه الموقف الذى يصف الوجود الانسانى عامة . هذه هى النتيجة التى نراها كامنة فى موقف تلش على الحدود "بين الدين والثقافة" .

1) Ibid., PP. 333-334.

نفس هذه النتيجة تتخفى فى ثنايا مناقشة تلش لموقفه على الحدود " بين اللوثرية والشيوعية Between Lutheranism and Socialism ، ودليلنا على ذلك هو أنه كتب فى هذا السياق يقول : "هناك مفهوم هام للغاية هو مفهوم 'الشیطانى The Demonic' . لقد ناقشت هذا المفهوم فى مقال يحمل عنوان 'حول ما هو شیطانى On the Demonic' ، ولم أتمكن من تشييد هذا المفهوم إلا بعد الاستعانة بالأساس الذى وضعه كل من المذهب الصوفى اللوثرى والمذهب اللاعقلانى الفلسفى Philosophical Irrationalism . إن الشیطانى هو قوة تضرب بجنورها فى محيط الحياة الشخصية والاجتماعية وتتمتع بطابع بناء وطابع مدمر معا وفى نفس الوقت . ولقد جاء فى العهد الجديد ان اولئك الذين تستحوذ عليهم الشياطين يعرفون عن يسوع أكثر مما يعرف الأشخاص العاديين ولكنهم يعرفون ذلك باعتباره إدانة لأنفسهم وذلك لأنهم منقسمون على أنفسهم.

They know it as a condemnation of themselves because they are divided against themselves.

وفى عصورها الاولى أطلقت الكنيسة على الامبراطورية الرومانية اسم الامبراطورية الشيطانية وذلك لأنها جعلت نفسها مساوية لله ، وصلت الكنيسة للامبراطور وقدمت التشرکات للسلام الاجتماعى الذى كفله.^(١) هنا يشير تلش إلى انه لم يشيد مفهومه حول ما هو شیطانى إلا بعد الاستعانة بذلك الأساس الذى شيده فى ضوء كل من المذهب اللوثرى الصوفى ، والمذهب اللاعقلانى الفلسفى ، والمغزى الذى نراه كامنا وراء مايقوله تلش هنا هو أنه لم يشيد هذا المفهوم الا بعد إرساء دعائم موقف النصف ، والنصف ، الايمان ، والاحاد باعتباره الأساس الذى شيده فى ضوءه العلاقة بين ما هو إلهى ، وما هو شیطانى . وذلك لأن الأساس الذى ينوه إليه تلش هنا

1) Ibid., P. 338.

هو أساس منقسم إلى نصف إيماني استمدته من المذهب اللوثرى الصوفى، ونصف فلسفى - لاعقلانى - وجودى - الحادى استمدته من الوجودية باعتبارها مرادفة للالحاد وذلك لأن الفلسفة اللاعقلانية التى يشير إليها تلش هنا ليست فى حقيقة الأمر سوى الفلسفة الوجودية (باعتبارها مرادفة للالحاد) لأنها هى التى توصف يوما بهذا الوصف، الأمر الذى جعل وليم باريت، على سبيل المثال، يناقشها فى كتاب يحمل عنوان "الانسان اللاعقلانى : دراسة فى الفلسفة الوجودية." هذا يعنى، بتعبير آخر، أن انقسام تلش بين الايمان، والالحاد هو، كما ينوه هنا، الأساس فى انقسامه إلى نصف إيماني، ونصف شيطاني. ونحن حقا قد كشفنا فيما سبق كيف أن تلش تحالف، مثله فى ذلك مثل فاوست جوته، مع الشيطان من أجل أن يصبح، مثل الاله، عارفا بكل شئ. هنا أصبح التحالف أمرا إيجابيا بالنسبة له. ولكن تلش يعلم تماما أن هذا التحالف يتسم أيضا بطابع مدمر بمعنى أنه سيؤدى إلى تدميره، ولهذا اضطر إلى إخفائه فى النصف أو النقيض الإيماني ومن ثم قدم عدم الاتساق السار الذى أنقذه من ويلات اللاهوت المسيحى. هنا أصبح تلش منقسما إلى نصفين أحدهما مع يسوع، والآخر مع الالحاد أو الشيطان وما ذلك إلا لأنه منقسم على نفسه. وكما فعلت الكنيسة فى عصورها الأولى مع الامبراطور الرومانى، فعلت الكنيسة المعاصرة مع تلش. لقد قدمت له التشكرات على النصف الإيماني الذى شيده، غير دارية أنه تحالف أيضا وفى نفس الوقت مع الشيطان من أجل أن يصبح، مثله فى ذلك مثل الامبراطورية الرومانية إبان العصور الأولى للكنيسة المسيحية، مساويا للاله أعنى عارفا بكل شئ. من هنا نستطيع أن نقرر أن موقف تلش على الحدود بين اللوثرية والشيوعية هو فى حقيقة الأمر انقسام إلى نصف مؤمن، ونصف ملحد. هذا النصف الأخير يتأكد إما من خلال رد الشيوعية، كما فعل تلش نفسه فى النص السابق، إلى الفلسفة اللاعقلانية - الوجودية - الالحادية، أو، وهذا هو ماجرى العرف عليه، من خلال جعل الشيوعية مرادفة للالحاد. فى ضوء ذلك نستطيع أن

نفهم إصرار تلش على الحديث في موضع آخر عن "تضاييف ما هو شيطاني وما هو الهى" (١) فهذا التضاييف، كما هو واضح ليس سوى صورة أخرى من صور تضاييف الفلسفة والدين الذى تناولناه فى الفصل الأول ، والذى يسوق حتما إلى تأكيد موقف النصف ، والنصف ، النقيض، والنقيض ، الإيمان ، والالحاد .

نفس النتيجة يمكن أن تشتق من موقف تلش على الصدود " بين المثالية والماركسية " . فإذا أخذنا المثالية والماركسية على أنهما يشكلان حزبين سياسيين متناقضين ، فإن موقف تلش بينهما الذى قدمه فى هذا الصدد هو : " اننى لا انتمى من الداخل إلى أى حزب ولم يحدث أبدا أن انتميت من الداخل لأى حزب " (٢) أما إذا كان صحيحا ، كما جرى العرف ، أن المثالية هى المرادف الطبيعى للإيمان ، وأن الماركسية هى الحليف الطبيعى للالحاد ، فإن موقف تلش بينهما - وذلك فى ضوء موقفه الذى عرضه من خلال إجابته على التساؤل : هل هو لاهوتى جودى ؟ - لن يكون سوى انه النصف ، والنصف بمعنى انه يكون منقسما إلى نصف مثالى مؤمن ، ونصف ماركسى ملحد . لهذا السبب ، هكذا يقول تلش ، " قد يتهمنى الماركسيون بنزعتى المثالية وقد يتذمر المثاليون من نزعتى المادية " (٣) هذا يعنى ، بتعبير أكثر دقة ، انه نظرا لأن تلش منقسم إلى نصف مثالى مؤمن ، ونصف ماركسى ملحد ، فإن ذلك الانقسام يجعل المثاليين يتهمونونه بالنزعة الماركسية الالحادية ، ويجعل الماركسيين يتذمرون من نزعتهم الدينية أو الإيمانية المثالية . ولكن موقفه الفعلى هو أنه منقسم إلى النصف ، والنصف .

1) Tillich, P., 'The Demonic', Translated by Talmey, E.L., Interpretation of History, P.87, Charles Scribner's sons, New York and London, 1936.

2) Tillich, P., 'On the Boundary', The Boundaries of Our Being, P.345

3) Ibid., Loc.cit.

أما الموقف الأخير لتلش الذى ناقشه فى مقالته "على الحد" تحت عنوان على الحدود بين "الوطن الأم (ألمانيا) والوطن الغريب (أمريكا التى هاجر إليها)" فيؤكد نفس موقف النصف ، والنصف ولكن بصورة مخالفة لتلك التى عرضها فى المقال. فنحن قد رأينا كيف أن حياة تلش وفكره كانا يسيران منذ البداية فى اتجاه موقف النصف ، والنصف ، الايمان ، والالحاد . وفى ألمانيا حاول تلش منذ بداية حياته تشييد هذا الموقف تحت ستار "الحد". ولكن تلش انكشف أمره وطرد من ألمانيا وذهب إلى أمريكا فوجد المناخ ملائما لنشر نفس الموقف بصورة أكثر حدة ولكن تحت ستار التضاييف المرادف تماما لستار الحد . هذا يعنى أن موقف تلش فى أمريكا أو فى الوطن الغريب جاء استمرارا لموقفه فى وطنه الأم أو مسقط رأسه . هذا يعنى ، بتعبير آخر ، أن موقف تلش "الحدى" المبكر الذى أخذه على عاتقه فى ألمانيا هو نفس موقف "التضاييف" المتأخر الذى أخذه على عاتقه فى أمريكا بمعنى أن كليهما يؤكد انقسامه إلى نصف مؤمن ، ونصف ملحد.

هذا الفحص المفصل لسائر جوانب فكر تلش ، الذى أخذناه على عاتقنا فى هذا الفصل يتضمن الاجابة على التساؤل الرئيسى لهذا الفصل والمتعلق بعلاقة فكر تلش ككل بموقفه الوجودى. وفى ضوء هذا الفحص نستطيع أن نقرر بكل اطمئنان انه يمكن النظر إلى هذه العلاقة من منظورين ينتميان إلى بعضهما البعض . المنظور الأول هو : إذا قلنا - وهذا القول يشجعه تلش تماما - إن الموقف الوجودى لتلش ، موقف النصف ، والنصف ، هو الموقف الذى تشكل فى ضوءه كل من فكره وحياته ، فإن العلاقة بين هذا الموقف وفكره ككل تكون على النحو التالى : إن حياة وفكر تلش ليسا سوى انعكاس لهذا الموقف الرئيسى الأمر الذى يجعل سائر المواقف الأخرى تبنى مقارنة بهذا الموقف، مجرد مواقف هامشية متناقضة لا تستحق الذكر ويمكن ردها فى النهاية إلى نفس هذا الموقف أعنى إلى تناقض الايمان - الالحاد. أما المنظور الثانى فهو : إذا قلنا إن الموقف الوجودى لتلش هو مجرد موقف ضمن مواقف أخرى

عديدة تشكل حياته وفكره ، ففي هذه الحالة تكون العلاقة بين الموقف الوجودى لتلش وفكره ككل على النحو التالى : إن الموقف الوجودى لتلش هو مجرد موقف متناقض متضمن فى ثنايا فكره الذى يعد ، مثله فى ذلك مثل الموقف الوجودى نفسه ، "محيطا" من أفكار أو إمكانات متناقضة يمكن ردها فى النهاية إلى الموقف الوجودى أعنى إلى تناقض الايمان - الالحاد. هذا يعنى ، بتعبير آخر، أن الموقف الوجودى لتلش إما أنه الموقف الرئيسى الغالب على حياته وفكره ، أو أنه مجرد موقف متناقض ضمن مواقف أخرى متناقضة تشكل منها فكره . والنتيجة فى الحالتين هى نتيجة واحدة بمعنى ان سائر المواقف المتناقضة تسوق فى النهاية إلى تناقض الايمان - الالحاد . لقد تأكد لنا ذلك بصورة قاطعة من خلال فحصنا لسائر مواقف تلش فى هذا الفصل. وثبت لنا أن هذه المواقف تؤكد خطوة بعد خطوة نفس هذه النتيجة. وهذا يعنى فى النهاية أن الموقف هو ، بمعنى ما ، الفكر ، وأن الفكر هو، بمعنى ما ، الموقف .

فى النهاية نود أن نطرح على القارئ الذى تابعنا حتى الآن تساؤلا لابد من الاجابة عليه فى هذه المرحلة الحالية . هذا التساؤل هو : هل هناك ، بعد كل هذا الفحص لمواقف تلش التى جاءت فى هذه الدراسة ، أدنى شك فى أن تلش هو " مزعزع اساسات " قبل أن يكون "مشيدا" لاساسات ؟ نحن لانملك، فى نهاية هذه الدراسة ، إلا أن نقرر بكل اطمئنان ان الاجابة على هذا السؤال ، ولعل القارئ يتفق معنا على ذلك ، هى بالايجاب. فتلش كان بالاحرى مزعزعا لاساسات اللاهوت أكثر من كونه مشيدا لها . لقد كان مهتما بكل ما هو سلبى أو إلهادى أكثر من اهتمامه بما هو إيجابى أو إيمانى . هنا يجب أن نوجه الانتباه إلى أننا نعى تماما أن الوقوف الايجابى على الحدود بين إمكانيتين بديلتين أو متناقضتين من إمكانات الوجود يعنى البحث عما هو إيجابى فى كليهما من أجل قهر ما هو سلبى. ولكن تلش لم يفعل ذلك على الاطلاق لأنه كان يبحث عما هو سلبى من أجل تعميق الهاوية بين المتناقضات التى يقف على رأسها تناقض الايمان - الالحاد. حقا ، لقد كتب تلش

يقول إنه كان "يرغب في تشييد نسق شامل يقلل من مخاطر الاختيار الشخصي".^(١) والأمر الذي يقصده هنا هو أنه أراد أن يكون "كل شيء" حتى يتعذر أو بالاحرى يستحيل ادراجه أو تصنيفه تحت أى شيء . فإذا قلنا ، على سبيل المثال ، إنه "ماركسي" ، فسنجده "مثالياً" ، وإذا قلنا إنه "لاهوتي" فسنجده "فيلسوفاً" ، وإذا قلنا إنه "مؤمن" ، فسنجده "ملحداً" ، وهلم جرا . والأمر الذي ساعده على أن يفر هكذا من أى نقيض يمكن تخيله ، إلى نقيضه هو مفهوم الحد الذي ثبت لنا أنه مرادف لمفهوم التضاييف الذي لايهتم ، كما اكتشفنا في الفصل الأول ، بالتضاييف ولاحتي بالتركيب ، بل هو عبارة عن وثب لا معقول ومستمر من النقيض ، إلى النقيض . هذا يعنى أن المعنى الخفى للحد ، مثله في ذلك مثل المعنى الخفى للتضاييف ، هو الوثب اللامعقول والمستمر من أى فكرة يمكن تخيلها ، إلى نقيض تلك الفكرة الأمر الذي يعنى أن فكر تلش ككل ليس سوى "محيط" من أفكار متناقضة . باختصار ، يمكن القول إن تلش كان يرغب في "الكل" ، ومن ثم تردى في نفس الهيوبرس الميتافيزيقى الذي الصقه هو نفسه ، كما رأينا في الفصل الثالث ، بهيجل الذي ادعى أنه اخترع مذهباً يحتوى كل حقيقة ممكنة . لهذا كان من الطبيعي أن يتحالف تلش مع الشيطان من أجل أن يصبح ، مثل الآله ، عارفاً بكل شيء . لقد وقع تحت وطأة الهيوبرس ، كما وقع تحت وطأة الكونكيوبسنس ، وأصبح الاثنان وجهين لعملة واحدة هي تلش الملحد نفسه . بهذه الكلمات نكون قد وصلنا إلى نهاية هذه الدراسة ونتائج الدراسة سوف تعرض في الخاتمة.

1) Ibid., P. 303.

خاتمة

لقد كانت الأهداف الرئيسية لهذه الدراسة تتخلص ، كما رأينا ، فى هدفين .
الأول هو محاولة اكتشاف أن الموقف الوجودى لتلش ليس سوى موقف منقسم إلى
النصف ، والنصف ، النقيض ، والنقيض ، الايمان ، والالحاد . والثانى هو محاولة
اكتشاف أن العلاقة بين هذا الموقف وبين فكره ككل أو فكره فى شموليته هي علاقة
تضمن بمعنى أن موقفه الوجودى متضمن فى طيات فكره ككل - ذلك الفكر الذى
انكشف لنا باعتباره "خليطا" من أفكار متناقضة يمكن أن ترد جميعا إلى تناقض
الايمان - الالحاد - وأن فكره ككل متضمن بمعنى ما فى طيات موقفه الوجودى الذى
انكشف لنا باعتباره الموقف الرئيسى الذى تشكل فى ضوئه كل من فكر وحياة تلش
الأمر الذى يعنى أن سائر مواقفه الأخرى تبدو ، مقارنة بهذا الموقف ، مواقف هامشية
لاستحق الذكر .

ولكى نحقق الهدف الأول ، كان من المحتم علينا أن نتناول بالفحص والتحصيل
والنقد مفهوم الاغتراب عند تلش وذلك لأن هذا المفهوم هو ، كما رأينا ، الجامع المانع
لموقفه الوجودى بأسره أعنى لتناقض الايمان - الالحاد . ولقد بدأنا بتناول المنهج الذى
عالج فى ضوئه مفهوم أو مشكلة الاغتراب أعنى منهج "التضاييف" ، واكتشفنا فى
الفصل الأول أن النتيجة الرئيسية التى يقود إليها هذا المنهج هي نتيجة الحادية بمعنى
أن المنهج لا يثبت أو يؤكد شيئا قدر تأكيده لموقف النصف ، والنصف ، أو لتناقض
الايمان - الالحاد .

فالمنهج بدأ ، كما رأينا ، بادعاء أن هناك سؤالا يبحث عن إجابة وأن العلاقة بين
السؤال و الإجابة هي علاقة "تضاييف" . وإذا كنا قد وجدنا أن السؤال الذى وضعه
تلش هو سؤال يختص بالموقف الوجودى المغترب للإنسان أو بالأزمة الإنسانية ، فنحن
قد وجدنا أيضا أن الإجابة التى قدمها لهذا السؤال هي الإجابة المسيحية القائمة على

الوحي والتي هي الشفاء أو المصالحة أو قهر الاغتراب عن طريق المشاركة في الوجود الجديد الذى تبدى فى يسوع باعتباره المسيح. أما العلاقة بين الاثنين - السؤال والاجابة - فقد زعم تلش علنيا أنه يشيدها في ضوء منهج "التضاييف" ومن ثم فهي بإختصار علاقة تضاييف!!

غير أن معارضتنا الكاملة لهذا الزعم العلنى لتلش قد أفضت بنا إلى تفنيده وبيان بطلانه. ونحن قد فعلنا ذلك فى الفصل الأول من خلال الفحص المفصل الذى قدمناه للمنهج وأبعاده وأهدافه واكتشفنا أول ما اكتشفنا أن منهج "التضاييف" عند تلش ينطوي علي جانبين اقترحنا تسمية أحدهما باسم الجانب النظرى، وتسمية الآخر باسم الجانب العملى . وإذا كنا قد اكتشفنا أن الجانب النظرى هو الجانب الذى يقوم تلش من خلاله بتوضيح معنى المنهج وأبعاده وتوضيحا نظريا دونما أى تطبيق علي التحليلات التى قدمها الوجوديون للآزمة الانسانية أو للموقف الوجودى المغترب للإنسان، فنحن قد اكتشفنا أيضا أن الجانب العملى للمنهج عند تلش هو الجانب الذى ينتقل فيه من النظر إلي العمل أعني إلى حيث تطبيق الجانب النظرى الخالص علي التحليلات التى قدمها الوجوديون للآزمة الانسانية.

ولقد استبان لنا أن الجانب النظرى للمنهج يؤكد استقلال مضمون السؤال عن مضمون الاجابة، كما يؤكد أيضا وفي نفس الوقت اعتماد أو توافق السؤال والاجابة على بعضهما توافقا متبادلا من حيث الشكل فقط (وليس من حيث المضمون). هذا الاستقلال فى المضمون هو الذى جعل تلش يحيل مهمة تحليل السؤال ليس إلي الفلسفة عامة، كما يزعم أحيانا، بل إلى الفلسفة الوجودية - وذلك لأن الفلسفة الوجودية هي الوحيدة التى اختصها تلش بالفعل للقيام بهذه المهمة - كما جعله (أى الاستقلال فى المضمون) يحيل مهمة تقديم الاجابة علي السؤال المرتبط بالموقف الانسانى (سؤال الاغتراب) إلى اللاهوت المسيحى. هذا التقسيم للوظائف هو الذى

جعل تلش يقرر بكل وضوح انه يعتمد في تقديمه للسؤال أو للأزمة الانسانية على التحليلات التي قدمها الوجوديون في هذا الشأن بمعنى إنه قدم هذه التحليلات باعتبارها معبرة عن موقفه الشخصي، كما جعله (أى التقسيم) يقرر أيضا، ومن الناحية الأخرى، انه يعتمد في تقديمه للإجابة على ما قدمه اللاهوت المسيحي القائم على الوحي من إجابات على ذلك السؤال، ولقد كانت النتيجة الأولية التي توصلنا إليها في ضوء هذا التقسيم الذى أجراه تلش نفسه وظل يصبر عليه يوما هى أنه قسم نفسه إلى قسمين أو نصفين أحدهما وجودى، والآخر لاهوتى. وإذا كنا قد وجدنا أن القسم أو النصف الأول لتلش هو النصف الذى شيد من خلاله الموقف الوجودى المغترب للانسان وذلك فى ضوء ما قدمه فلاسفة الوجودية من تحليلات لتلك الأزمة، فنحن قد وجدنا أيضا أن النصف الآخر لتلش هو النصف الذى قدم من خلاله إجابته المسيحية وذلك فى ضوء ما قدمه اللاهوت المسيحي القائم على الوحي من وصف للوجود الجديد الذى تبدى فى يسوع باعتباره المسيح والذى اعتبره القاهر الرئيسى للاغتراب أو المعيار المطلق لكل عملية شفاء أو مصالحة أو خلاص. هذه النتيجة كانت بمثابة الخطوة الأولى نحو تأكيد اقتناعنا الراسخ الذى مؤداه أن هذا التقسيم الذى وضعه تلش نفسه لا يكشف فى النهاية سوى عن حقيقة واحدة هى أن تلش لم يكن مهتما بالتضاييف، ولا حتى بالتركيب، بل كان مهتما بشىء واحد فقط هو تعميق الانقسام أو، بتعبير أدق، تعميق انقسامه إلى تناقض الإيمان- الإلحاد وتوسيع الهوة بين هذين النقيضين حتى لا يمكن عبورها إلا بوثة لامعقولة من أحد النقيضين، إلى الآخر. والغريب أن الذى ساعده على اتخاذ هذه الخطوة هو، كما اتضح من الدراسة، "منهج التضاييف" نفسه. لقد اتخذ منه أربعة لتعميق هذا التناقض.

أما التأكيد القاطع لهذه النتيجة فلم يتحقق إلا من خلال التطبيق العملى للمنهج الذى كشف لنا وبما لا يدع مجالا للشك حقيقة انقسام تلش إلى نصف لاهوتى مؤمن، ونصف وجودى ملحد، فنحن قد اكتشفنا أن هناك تطبيقين عمليين مختلفين ومتناقضين

للمنهج عند تلش . ولقد اقترحنا تسمية أحدهما باسم التطبيق الإيماني العلني ،
وتسمية الآخر باسم التطبيق الألحادي الخفي . ولقد تأكد لنا أن هذين التطبيقين
متطابقان تماما مع تلش نفسه أعني مع انقسامه إلي نصف لاهوتي مؤمن ، ونصف
وجودي - ملحد . فمن خلال التطبيق الإيماني للمنهج ، زعم تلش المؤمن بكما رأينا ، أن
سائر الوجوديين يتفقون مع الفهم المسيحي للاغتراب الذي يتبناه تلش المؤمن والذي
يؤكد علي أن الاغتراب هو مسألة اغتراب عام عن الماهية الدينية للإنسان ومن ثم
لا يمكن قهره إلا بواسطة الدين . والأمر الذي مكن تلش من إيجاد تبرير واه لهذا الزعم
هو احتكامه المزعوم إلى ثورة الوجوديين علي هيجل . هنا زعم تلش المؤمن أن هذه
الثورة تتلخص في شيء واحد هو أن سائر الوجوديين يؤكدون ، ضد هيجل ، أن
الإنسان ليس علي النحو الماهوي وكما يجب أن يكون الوجود ، لقد اغترب عن وجوده
الماهوي الأصلي . هذا الزعم ساعد تلش المؤمن علي تحقيق ثلاثة مآرب . الأول هو أن
تلش المؤمن تمكن هنا من الزعم أنه يتابع منهج "التضاف" الذي يحتم عليه تشييد
مفهومه للاغتراب في ضوء التحليلات التي قدمها سائر الوجوديين للزمة الإنسانية ،
ودليله الواهي علي ذلك هو اتفاق سائر الوجوديين معه (ومن ثم مع اللاهوت
المسيحي) علي الفهم المسيحي للاغتراب الذي يؤكد علي أن الاغتراب هو اغتراب عن
الماهية الدينية للإنسان ومن ثم لا يمكن قهره إلا عن طريق الدين . والمآرب الثاني هو
أن تلش المؤمن تمكن من الزعم أن سائر الوجوديين لا يستطيعون تقديم حلول أو
إجابات علي سؤال الاغتراب في ضوء تحليلاتهم وإنما يقدمونها استنادا إلى مضامين
دينية ، ودليله الواهي الذي قدمه كتبرير لذلك هو أن الفهم الذي قدمه الوجوديين
للاغتراب يؤكد هذا الزعم . هذا يعني بالنسبة لتلش المؤمن أنه ليست هناك وجودية
مؤمنة ، وأخرى ملحدة . فكل محل وجودي ، مثله في ذلك مثل تلش نفسه ، منقسم إلي
نصف وجودي يقوم بتحليل الموقف الإنساني المغترب وإثارة السؤال ، ونصف لاهوتي
أو إيماني يقوم بتقديم الإجابة استنادا إلى اللاهوت المسيحي القائم علي الوحي . هنا

تأكد لنا أن تلش المؤمن جعل الوجودية مرادفة بمعنى ما للإيمان بمعنى أنه طمس التمييز التقليدي بين الوجودية المؤمنة، والوجودية الملحدة، وذلك من خلال زعمه أن سائر الوجوديين يثنون عنصرا إيمانيا في ثنايا تحليلاتهم الوجودية الأمر الذي أفضى به إلى جعل الوجودية مجرد خادم لللاهوت . أما المأرب الثالث والأهم فهو أن تلش تمكن من خلال هذا التطبيق من إيهام اللاهوت المسيحي كله أنه يتابعه ولايحيد عنه. لقد مكنه من التظاهر بالولاء التام لهذا اللاهوت، بينما هو يضمّر شيئا آخر.

هذه المزاغم أدت بنا إلي مواجهة تلش المؤمن بهذا السؤال : هل صحيح أن الوجودية في مجملها ، كما يزعم التطبيق الإيماني العلني للمنهج ، مرادفة للإيمان الأمر الذي يجعل سائر الوجوديين يثنون بمعنى ما عنصرا إيمانيا في كتاباتهم ؟ ولقد جاءت الإجابة كما توقعنا . لقد اكتشفنا أن هناك تطبيقا آخر للمنهج عند تلش أعنى التطبيق الإلحادي . هذا التطبيق أدى بتلش الملحد إلي أن يؤكد علي نحو لايدع مجالا للشك أن الوجودية مرادفة للإلحاد بمعنى أن سائر الوجوديين هم بطبيعتهم ملحدون الأمر الذي أكد لنا نتيجة في غاية الأهمية هي أن تلش الملحد يشيد مفهومه في الاغتراب - وهذا طبقا لمنهج "التضاييف" - في ضوء ما قدمته الوجودية باعتبارها مرادفة للإلحاد من تحليلات إلحادية للآزمة الإنسانية. لقد قدم آراء الوجوديين باعتبارها آراء معبرة عن موقفه الشخصي ، وهذا هو السبب الذي جعله يسهب في تقديم الآراء الإلحادية التي تتبناها الوجودية الملحدة. إن ذلك لم يكن من قبيل الصدفة علي الإطلاق. فكل إسهاب قدمه علي لسان الوجوديين الملاحدة كان بمثابة إسهاب غير مباشر لموقفه الإلحادي الخفي .

في ضوء هذين التطبيقين للمنهج تأكد لنا ويدا لايدع مجالا للشك أن المنهج الذي استخدمه تلش لايفضى، كما يزعم في الظاهر، إلى "التضاييف"، ولاحتي إلي التركيب، بل يفضى إلي تعميق انقسامه إلي نصف مؤمن جعل الوجودية مرادفة

بمعنى ما للإيمان، ونصف ملحد جعل الوجودية مرادفة بمعنى ما للالحاد، وإلى تعميق الهوة بينهما الأمر الذى جعله لايعبرها إلا بوثبة لامعقولة ومستبصرة من أحد النقيضين، إلى الآخر. هذا الانقسام هو الذى جعل تلش يؤكد أن كل وجودى عظيم، على غرارهِ ، منقسم بالضرورة إلى نفس النصفين ، فالوجودى المؤمن يؤكد نصفه الايمانى بصورة علنية، ويثبت نصفه الالهادى فى طيات نصفه الايمانى بصورة خفية. أما الوجودى الملحد فيؤكد نصفه الالهادى بصورة علنية ، ويثبت ، وإن يكن عن غير قصد منه، نصفاً ايمانياً فى ثنايا نصفه الالهادى . فالإيمان بدون إلحاد هو أمر مستحيل، والالحاد بدون إيمان هو أيضاً مستحيل. فكل العظماء منقسمون فى رأيهِ إلى نفس هذين النصفين. ولكن هناك من العظماء من أنقنوا أنفسهم من ويلات اللاهوت المسيحى المسيطر- نذكر هنا، على سبيل المثال ، تلش ، ويارث، وبولطمان ، والعديد من البراجماتيين - بواسطة عدم اتساق سار أعنى من خلال تأكيد النصف الايمانى بصورة علنية ، ويث. النصف الالهادى فى ثنايا النصف الايمانى بصورة خفية . وهناك أيضاً من دمروا أنفسهم - الوجوديون الملاحدة - من خلال إقرارهم للنصف الالهادى بصورة علنية، وللنصف الايمانى بصورة خفية وغير مقصودة فى الغالب. لقد تعرضت هذه الفئة الأخيرة للاتهام بالعبث والنزعة العدمية وكان مصيرها النبذ أو الطرد من جانب اللاهوت المسيحى المسيطر فى الغرب.

هذا الانقسام لتلش إلى نصف إيمانى ، ونصف إلحادى قد تأكد بصورة أكثر فى الفصل الأول وذلك من خلال اكتشافنا لطريقتين ينوه من خلالهما تلش إلى أنه يقبل هذا الانقسام. الطريقة الأولى تتعلق بتفضيله للبوهيمية - ذلك التفضيل الذى لم يكن بالنسبة لنا شيئاً من قبيل الصدفة على الإطلاق ، بل كان ، على العكس ، شيئاً مدبراً من جانبه لأنه يعكس حقيقة انقسامهِ إلى نصف إيمانى ، ونصف إلحادى. فنحن قد اكتشفنا هنا كيف أن تلش جعل البوهيمية مرادفة للبراجماتية، والمذهب الطبيعى الرومانتيكى ، وللوجودية ، وكيف أنه جعل هذا التحالف منقسماً إلى نصف إيمانى ،

ونصف إلحادى، وكيف أنه أعلن بعد ذلك ويدهاء شديد انه يفضل أحد أعضاء هذا التحالف أعنى البوهيمية الأمر الذى يعنى ضمنا أنه يريد أن يقول إنه يفضل هذا التحالف في مجموعه ومن ثم موقف النصف ، والنصف.

أما الطريقة الثانية فتتعلق بإعلان تلش انه ينتمى إلى مدرسة لاهوت الأزمة التى تضم كلا من بارث ، ويولطمان. فهذا الاعلان لم يكن من قبيل الصدفة على الإطلاق بالنسبة لنا ، بل كان ، على العكس ، أمرا مدبرا أيضا وذلك لأنه يعكس حقيقة انقسامه إلى النصف ، والنصف . حقا ، لقد اكتشفنا أن هذه الطريقة مرتبطة تماما بالطريقة السابقة ، وذلك لأن تلش جعل هذه المدرسة مرادفة تماما للتحالف السابق أعنى منقسمة إلى نصف إيمانى ، ونصف إلحادى . وهو فعل ذلك من أجل أن يعلن بدهاء شديد انه ينتمى إلى هذه المدرسة الأمر الذى يفيد أنه يريد أن يقول بطريقة ملتوية إن إقرار هذه المدرسة لموقف النصف ، والنصف هو السبب في انتمائه إليها .

أما التأكيد المطلق لحقيقة انقسام تلش إلى نصف مؤمن ، ونصف ملحد فلم يتحقق إلا من خلال اكتشافنا لحقيقة مؤداها انه يشيد مفهومين متناقضين للاغتراب أحدهما إيمانى ، والآخر إلحادى . هنا استبان لنا وبما لا يدع مجالا للشك أن تلش المؤمن قد اضطر إلى تشييد مفهوم إيمانى للاغتراب . هذا المفهوم جاء متناغما مع تلش المؤمن ومن ثم مع الوجودية المؤمنة أو ، بتعبير أدق ، مع التفسير المسيحى للطبيعة الانسانية . أما تلش الملحد فقد شيد مفهوما إلحاديا جاء متناغما مع ماقدمته الوجودية الملحدة من تحليلات للأزمة الانسانية .

لهذا لم يكن من قبيل الصدفة على الإطلاق أن يقدم تلش المؤمن مفهومه الايمانى فى ضوء النظرة المسيحية الثلاثية للطبيعة الانسانية أعنى الطبيعة الماهوية أو الدينية للإنسان، والطبيعة المغترية بإمكانية الشفاء أو قهر الاغتراب عن طريق المشاركة فى الوجود الجديد الذى تبدى فى يسوع باعتباره المسيح . ونحن قد ناقشنا هذه

الجوانب الثلاث تباعا في النصف الأول من كل فصل من هذه الفصول: الثاني ، والثالث ، والرابع. أما النصف الثاني من كل فصل من هذه الفصول فقد خصصناه لتناول موقف تلش الملحد من هذه الجوانب الثلاثة وذلك لأن موقف النصف، والنصف جعل تلش ، كما اكتشفنا، يتخذ موقفا إحاديا من كل جانب من هذه الجوانب الثلاثة التي تشكل مفهومه الإيماني في الاغتراب ، ويشيد بالتالي مفهومها إحاديا يناقض تماما مفهومه المسيحي.

إن الغاية الأساسية التي كان يهدف إليها إيضاحنا لأبعاد الجوانب الثلاث التي تشكل المفهوم الإيماني للاغتراب عند تلش المؤمن هي تقديم مفهوم إيماني واضح المعالم. وتحقيق هذه الغاية لم يكن بالأمر السهل على الإطلاق ، وذلك لأن تلش، باعتراف سائر النقاد ، يتسم بالغموض والإبهام التام. وهذا هو السر في كون أن هذه الغاية كانت تتسم بالصعوبة الشديدة . والإجابة الإيجابية على التساؤل عما إذا كنا قد نجحنا في هذه المهمة أم لا متطابقة مع ما جاء من إيضاحات للجوانب الثلاثة التي تشكل هذا المفهوم والتي قدمناها في النصف الأول من الفصول المشار إليها.

ونحن لن نستطيع بالطبع أن نعيد هنا سرد سائر المسائل التي تتشكل منها الجوانب الثلاث التي تشكل المفهوم الإيماني للاغتراب عند تلش ، ويكفي أن نقرر هنا وبإختصار شديد إن الجانب الأول الذي يتعلق بوصف تلش للطبيعة الماهوية أو الدينية للإنسان والذي جاء في النصف الأول من الفصل الثاني ، يشتمل على ثلاث دلائل رئيسية هي الإيمان ، وإقرار التناهي ، والحب. هذا بالإضافة إلى أن هذه الطبيعة تتمتع ببنية رئيسية هي بنية أو قطبية الذات - العالم التي تتضمن بدورها ثلاث بنيات أخرى هي بنية أو قطبية التفرد - التشارك ، وقطبية الديناميكية - الشكل (أو الثبات)، وقطبية الحرية - المصير . والسمة المميزة لهذه البنيات هي أنها تكون جميعا في حالة توازن قطبي نظرا لأن هذا التوازن هو الذي يشكل الحالة الماهوية أو الدينية للإنسان .

وفضلا عن ذلك ، فقد جعل تلش هذه الطبيعة مشتملة أيضا على التناهي وقرينه أعنى القلق، وعلى الأوجه الرئيسية للتناهي أعنى مقولات الزمان والمكان والعلية ، والجوهر . هنا أوضح تلش أن هناك توازنا كاملا بين الجانب الإيجابى ، والجانب السلبى لكل مقولة من المقولات ، الأمر الذى يقضى باستحالة التصويت لصالح أى جانب من الجانبين بقرار موضوعى ، حيث إن ذلك يحتم قرارا ذاتيا أو لاعقلانيا . ولكن موقف النصف، والنصف يؤكد تماما أن تلش المؤمن ينحاز مع الوجودية المؤمنة إلى الجوانب الايجابية ، فى حين أن تلش الملحد ينحاز مع الوجودية الملحدة إلى الجوانب السلبية. وفى النهاية جعل تلش الطبيعة الماهوية متضمنة للشك الماهوى غير المدمر، وكذا للمعاناة الماهوية التى تتمتع أيضا بطابع إيجابى غير مدمر.

أما الجانب الثانى للمفهوم الإيمانى والذى تناولناه فى الجزء الأول من الفصل الثالث أعنى الجانب المتعلق بوصف تلش المؤمن للطبيعة المفترية للإنسان فيشتمل على تلك الدلائل الثلاث الرئيسية التى تناقض الدلائل الثلاث السابقة التى تميز الحالة الماهوية أو الدينية للإنسان أعنى عدم الايمان بدلا من الايمان، والهيويرس بدلا من إقرار التناهى ، والكونكيويسنس بدلا من الحب . هذا بالإضافة إلى أن هذه الطبيعة المفترية تشير إلى تحطيم البنية الماهوية أو الدينية الرئيسية بسائر عناصرها . هذا يشير إلى تحطيم الذات - العالم ، وتحطيم الديناميكية - الشكل (الثبات) ، وتحطيم الحرية - المصير. وعلاوة على ذلك ، فقد جعل تلش الحالة المفترية للإنسان تشير إلى تحول التناهى الماهوى إلى شر وجودى ، وإلى تحول القلق الماهوى على الوجود إلى هلع من الموت، كما تشير إلى سيادة الجوانب السلبية لمقولات التناهى ، وإلى تحول المعاناة الماهوية الإيجابية إلى معاناة مدمرة، وتحول الشك الماهوى الإيجابى إلى شك مدمر أو محطم . وأخيرا جعل تلش هذه الحالة المفترية تقضى إلى نهاية مطاف الازمة الإنسانية أعنى اليأس. هنا يتحتم على الإنسان أن يختار أحد أمرين : إما أن يظل مريضا حتى الموت ، أو يطلب وجودا جديدا يتم من خلاله قهر أزمته الوجودية.

هذا يقودنا إلى الجانب الثالث والأخير من جوانب المفهوم الإيماني للاغتراب الذي قدمه تلش المؤمن ، والذي تناولناه في الجزء الأول من الفصل الرابع أعنى قهر الاغتراب من خلال المشاركة في الوجود الجديد الذي تبدي في يسوع باعتباره المسيح، باعتبار أن ذلك الوجود الجديد هو المعيار المطلق لكل عملية شفاء أو خلاص .

ولكن إذا كنا قد أوضحنا كيف أن تلش المؤمن قد اضطر إلى مجازاة النظرة المسيحية الثلاثية للطبيعة الماهوية أو الدينية للإنسان (النصف الأول من الفصل الثاني)، والطبيعة المغترية (النصف الأول من الفصل الثالث) ، وإمكانية الشفاء أو قهر الاغتراب عن طريق المشاركة في الوجود الجديد الذي تبدي في يسوع باعتباره المسيح (الجزء الأول من الفصل الرابع) ، فنحن قد اكتشفنا أيضا كيف أن تلش الملحد قد شارك الوجودية الملحدة في تشييد مفهوم إلحادي في الاغتراب . هذا المفهوم الأخير ينطوي على جانبين فقط : أحدهما هو التفسير الإلحادي للطبيعة الانسانية ، ذلك التفسير الذي لا يقر الطبيعة الماهوية أو الدينية للإنسان ويخضع علي الإنسان طبيعة واحدة هي الطبيعة الإلحادية ، والآخر هو الحل الإلحادي لمشكلة الاغتراب.

ونحن قد كشفنا عن الجانب الأول في الجزء الثاني من الفصل الثاني . هنا نأكد لنا أن تلش الملحد قد لجأ إلى تفسير الطبيعة الماهوية أو الدينية للإنسان بطريقة إلحادية الأمر الذي يعنى ضمنا أنه يشارك الوجودية الملحدة اقتناعها الراسخ الذي مؤداه أنه ليست هناك سوى طبيعة واحدة للإنسان هي الطبيعة الإلحادية التي لا تستلزم سوى حلا واحدا هو الحل الإلحادي .

هذا الموقف الإلحادي الذي تمكن تلش الملحد من خلاله من تفسير البنية الماهوية أو الدينية للإنسان بسائر عناصرها بطريقة إلحادية يتلخص في الآتي : لقد بدأ تلش الملحد باختزال البنية الماهوية أو الدينية للإنسان بسائر عناصرها في بنية الحرية - المصير. ثم استبدل هذه البنية ببنية الحرية - القدر ، الأمر الذي جعله يؤكد بكل

وضوح أن القدر ينتمى إلى الوجود الماهوى أو الدينى للانسان . ثم برهن بعد ذلك ،
ويما لا يدع مجالا للشك ، على أن القدر يقف مع الحرية على طرفى نقيض . والنتيجة
التي وجدناها مترتبة على ذلك هى أن تلش الملحد فسر البنية الماهوية أو الدينية
للانسان بطريقة إلحادية بمعنى إنه رد هذه البنية بسائر عناصرها إلى تناقض الحرية
- القدر ، وليس إلى قطبية الحرية - المصير . هذا الموقف الإلحادى هو الذى جعله
يؤكد بصورة خفية أن الطبيعة الماهوية أو الدينية للانسان هى نفس الطبيعة الإلحادية
التي تشير إلى تناقض الذات - العالم ، وتناقض الديناميكية - الشكل (أو الثبات) ،
وتناقض التفرد - التشارك ، وتناقض الحرية - القدر . هنا تعامل تلش مع طبيعة واحدة
وليس مع طبيعتين ، بمعنى إنه رد كلتا الطبيعتين إلى نفس هذا التناقض . ولقد عزز
تلش الملحد هذا الموقف من خلال جعله للهيوبرس والكونكيويسنس المتشوه بمثابة
عنصرين يضربان بجذورهما ليس فى الحالة المقترية فحسب ، بل فى الحالة الماهوية
أيضا . كما أكد هذا الموقف الإلحادى بصورة أكثر من خلال تعريفه للإيمان بأنه حالة
من الاهتمام المطلق . فهذا التعريف انكشف لنا باعتباره منطبقا على المؤمن ، وعلى
الملحد على حد سواء . هذا بالإضافة إلى أن تلش الملحد قدم مزيدا من التأكيد لموقفه
الإلحادى الخفى من خلال استخدامه لمصطلحات غامضة كمصطلح قوة الوجود ،
ومصطلح أساس الوجود ، ومصطلح الوجود ذاته ، للدلالة على الله . فسائر هذه
المصطلحات انكشفت لنا باعتبارها تشير إلى النقيض الإيمانى ، والنقيض الإلحادى معا
وفى نفس الوقت . ثم لا يفوتنا أن نشير فى النهاية إلى أن تلش الملحد قد رفض الألوهية
فى شتى صورها واعتبرها محض خرافة ، إن صح التعبير ، أو مجرد اختراع من
خيال الانسان وحده ولا يمكن إدراك كنهها على الإطلاق .

أما الجانب الثانى للمفهوم الإلحادى للاغتراب الذى قدمه تلش الملحد أعنى
الجانب المتعلق بالحل الإلحادى فقد جاء فى الجزء الثانى من الفصل الرابع . هنا تأكد
لنا أن تلش الملحد يشارك الوجودية الملحدة اقتناعها إن الاغتراب هو واقعة عامة

يستحيل قهرها وذلك لأنه ليست هناك ماهية دينية يمكن أن يقال إن الإنسان سقط منها ، ومن ثم فإن كل ما يستطيع الإنسان أن يفعله هو أن يأخذ هذا الاغتراب ، ومع سائر سلبيات الوجود ، على عاتقه وأن يحقق ذاته رغما عنه، وذلك من خلال الشجاعة اللاحادية من أجل الوجود كذات ، والتي لا تكون ممكنة إلا في ظل "موت الله" ومع سائر القيم والمعايير. هذا الحل اللاحادي ، مثله في ذلك مثل الحل الايماني ، يتسم بالاجابية وهذا هو السبب الذي جعل تلش يخلع عليه نفس الصفة التي خلعها على الحل الديني أعنى صفة اليوتوبيا. هذه اليوتوبيا هي يوتوبيا الوجود الخالص أو الوجود اللاحادي الطليق من سائر القيود والذي لا يعرف سوى عائق واحد هو الحرية المطلقة التي لا تعرف عوائق أو قيود.

ولكن علي الرغم من أن تلش وضع المفهوم الإيماني هكذا في جانب ، ووضع المفهوم اللاحادي في جانب آخر ، وعلى الرغم من أنه أقام بينهما هوة عميقة لم يعبرها إلا بوثة لا معقولة مستمرة من أحد النقيضين، إلى الآخر ، فقد جعل بينهما قاسما مشتركا واحدا هو أن كليهما بمفرده ، وبمعزل عن الآخر ، يتسم بالتجريد بمعنى إنه يكون متسما بعدم مطابقته للحالة الفعلية للإنسان. لهذا السبب وجدنا تلش يؤكد مرارا على أن الجوانب الثلاثة للمفهوم الايماني تظل متجردة عن الواقع إلى أن "تختلط" بالجانبين اللذين يشكلان المفهوم اللاحادي ، والعكس صحيح أيضا ، بمعنى أن المفهوم اللاحادي لتلش الملحد يظل متجردا عن الواقع إلى أن "يختلط" بالمفهوم الايماني لتلش المؤمن. وهذا أمر طبيعي طالما أن تلش منقسم بالفعل إلى النصف، والنصف، وطالما أنه وجد نفس هذا الانقسام ضاربا بجذوره في الحالة الفعلية للإنسان. ففي أعماق التدين توجد هوة إحادية ، وفي أعماق الألحاد توجد هوة إيمانية. فالتدين الخالص هو أمر مستحيل ، كما أن الألحاد الخالص هو أيضا أمر مستحيل ، والحالة الفعلية للإنسان تشير إلى الانقسام إلى هذين النقيضين الذين تفصلهما هوة عميقة لا يمكن عبورها إلا بوثة لامعقولة ومستمرة من الواحد منهما، إلى

الأخر، وهكذا إلى مالا نهاية . هذه النتيجة تأكدت مرارا وتكرارا في سائر قصود هذه الدراسة بصفة عامة ، وفي الجزء الثاني من الفصل الثالث بصفة خاصة وذلك في معرض اكتشافنا لموقف تلش الالحادي الخفى الذى يؤكد على أن موقف النصف، والنصف هو الموقف المميز ليس للحالة الفعلية للانسان فى أمريكا فحسب ، بل للحالة الفعلية للانسان فى كل زمان ومكان يدخل فى ذلك حالة تلش نفسه .

إذا كنا قد اكتشفنا أن الموقف الوجودى لبول تلش هو موقف منقسم إلى النصف ، والنصف ، النقيض ، والنقيض ، الايمان، والالحاد ، فنحن قد اكتشفنا أيضا أن علاقة هذا الموقف بفكره ككل هى علاقة تضمن بمعنى أن موقفه الوجودى متضمن فى طيات فكره ككل باعتبار أن هذا الفكر ليس سوى " خليط " من أفكار أو إمكانيات متناقضة يمكن أن ترد جميعا إلى تناقض الايمان - الالحاد، وأن فكره ككل متضمن بمعنى ما فى طيات موقفه الوجودى باعتبار أن هذا الأخير هو الموقف الغالب على فكر تلش الأمر الذى يجعل سائر المواقف الأخرى تبدو ، مقارنة به ، إما مواقف هامشية لاتستحق الذكر أو مواقف تؤكد بطرق مختلفة نفس هذا الموقف الرئيسى. هذه العلاقة تشير إلى علاقة مفهوم الحد ، الذى تبناه تلش منذ بداية حياته وحتى بداية نضوجه الفكرى ، بمفهوم التضاييف الذى صاغه منذ بداية نضوجه الفكرى وبقي معه إلى مابعد ذلك. فنحن قد اكتشفنا أن استبدال تلش لمفهوم الحد المبكر بمفهوم التضاييف الناضج - المتأخر لم يكن سوى استبدال كلمات بكلمات . لقد بقى مفهوم التضاييف مفهوما فى الحد بمعنى أن كليهما يؤكد الوثبة المستمرة اللامعقولة من النقيض ، إلى النقيض .

بهذه النتيجة الأخيرة نكون قد وصلنا إلى نهاية هذه الخاتمة المختصرة . ومن ثم إذا جاز لنا أن تلخص رأينا النهائى فى تلش فى كلمات بسيطة فهى لن تخرج عن هذه الكلمات : أن تلش هو المنقسم ، أعنى، المتناقض ، أعنى، المؤمن - الملحد معا وفى نفس الوقت.

المراجع

أولا : المراجع العربية

- (١) د. محمود رجب ، الاغتراب ، منشأة دار المعارف بالأسكندرية ، ١٩٧٨ .
 - (٢) د. يمنى طريف الخولى ، بول تلش ، فيلسوف علي الحدود ، عالم الفكر ، العدد الثاني ، يوليو - أغسطس - سبتمبر ١٩٨٩ م.
- ### ثانيا المراجع الأجنبية :-

- (1) Ayer, A.J., Philosophy in the Twentieth Century, Unwin Paperbacks, London, Boston, Sydney, 1982.
- (2) Barrett, W., Irrational Man : A Study in the Existential Philosophy, Doubleday Anchor Books, Doubleday and Company, Inc., Garden City, New York, 1958.
- (3) Barrett, W., What is Existentialism ?, PR Series, No. 2, Copyright 1947, Partisan Review, U.S.A.
- (4) Beck, S.J., 'Implications for Ego in Tillich's Ontology of Anxiety', Philosophy and Phenomenological Research, a Quarterly Journal, Vol. XVIII (September 1957-June 1958).
- (5) Clayton, J.P., The Concept of Correlation : Paul Tillich and the Possibility of A Mediating Theology, Gruyter, W.D., Berlin, New York, 1980.

- (6) Edwards, P., 'Professor Tillich's Confusions', *Mind, a Quarterly Review of Psychology and Philosophy*, Vol. LXXIV-1965.
- (7) Franklin, M., 'On Hegel's Theory of Alienation and its Historic Force', *Tulane Studies in Philosophy*, Vol. 9, (1960).
- (8) Friedman, L., *Psychoanalysis, Existentialism, and the Esthetic Universe*, *The Journal of Philosophy*, Vol. LV, No. 15(July 17, 1958).
- (9) Hammond, G.B., *Man in Estrangement : A Comparison of the Thoughts of Paul Tillich and Eric Fromm*, Vanderbilt Univ. Pres, Nashville, Tennessee, U.S.A., 1965.
- (10) Hanks, P., *The New Hamlyn Encyclopedic World Dictionary*, Golden Press, London, 1988.
- (11) Hegel, G.W., *Early Theological writings*, Translated By Knox, T. M., Univ. of Pennsylvania Press, Philadelphia, 1948.
- (12) Hegel, G.W., *Phenomenology of Spirit*, Translated by Miller, A.V., Clarendon Press, Oxford, 1977.

- (13) Heidegger, M., *Being and Time*, Translated by Macquarrie, J., and Robinson, J., Basil Blackwell, Great Britain, 1962.
- (14) Heidegger, M., 'Letter On Humanism', *Martin Heidegger : Basic Writings From Being and Time (1927) to the Task of Thinking (1964)*, Ed. by Krell, D.F., Routledge and Kegan Paul, London and Henley, 1977.
- (15) Heidegger, M., 'On the Essence of Truth', *Martin Heidegger: Basic Writings from Being and Time (1927) to the Task of Thinking (1964)*
- (16) Heidegger, M., 'What is Metaphysics?' *Martin Heidegger: Basic Writings From Being and Time (1927) to the Task of Thinking (1964)*
- (17) Heineemann, F.H., *Existentialism and the Modern Predicament*, London, Adam and Charles Black, 1953, 1954, 1958.
- (18) Hobart, C.W., and Warne, N., 'On Sources of Alienation', *Journal of Existentialism*, Vol.5 (Fall, 1964).
- (19) Kant, I., *Critique of Pure Reason*, Translated by Smith, N.K., The Macmillan Press Ltd., London, 1983.

- (20) Kierkegaard, S., The Concept of Anxiety : A Simple Psychologically Orienting Deliberation on the Dogmatic Issue of Hereditary Sin, Translated by Thome, R., in Collaboration with Anderson, A.B., Princeton Univ. Press, New jersey, 1980.
- (21) Kierkegaard, S., The Concept of Dread, Translated by Lowrie, W., London, Geoffrey Cumberlege, Oxford Univ. Press, 1946.
- (22) Kockelmans, J.J., 'The Challenge of Nietzsche's "God is Dead,"' The Great Year of Zarathustra (1881-1981), Ed. by Goicoechea, D., Univ. Press of America, Langham, New York, London, 1983.
- (23) Leibrecht, W., The Life and Mind of Paul Tillich, Religion and Culture : Essays in Honor of Paul Tillich, ed. by Leibrecht, W., SCM Press Ltd., London, 1959.
- (24) Lund., E, Pihl, M., Slok, J., A History of European Ideas, Translated by Jones, W.G., ed. by Hatton, R., London, C. Hurst and Company, 1962.
- (25) Macleod, A.M., Paul Tillich; An Essay on the Role of Ontology in his Philosophical Theology, London, George Allen and Unwin Ltd., 1973.
- (26) Macquarrie, J., Existentialism, Penguin Books, Great Britain, 1972.

- (27) Macquarrie, J., Twentieth-Century Religious Thought, SCM Press Ltd., London, 1963, 1971.
- (28) Macquarrie, J., 'A Theology of Alienation', in Alienation : Concept, Term, and Meanings , Ed . by Johnson, F., Seminar Press, New York and London , 1973.
- 29- Martin, B., The Existentialist Theology of Paul Tillich, College and Univ. Press, New Haven, Conn., 1963.
- (30) Masterson, P., Atheism and Alienation, Gill and Macmillan, Dublin, 1971.
- (31) Mckelway, A.J., The Systematic Theology of Paul Tillich, London, Lutterworth Press, 1964.
- (32) Nietzsche, F., The Gay Science, Translated by Kaufmann, W., Vintage Books, a Division of Random House, New York, 1974.
- (33) Nietzsche, F., The Will to Power, Translated by Kaufmann, W., and Hollingdale, R.J., Vintage Books, A Division of Random House, New York, 1967.
- (34) Nietzsche, F., Thus Spoke Zarathustra, Translated by Hollingdale, R.J., Penguin Books, London, 1961, 1969.

- (35) Reizler, K., 'Discussion', The Journal of the History of Ideas, Vol. VI, No. 1 (January , (1945).
- 46) Roberts, D.E., 'Thillich's Doctrine of Man', The Theology of Paul Tillich, The Macmillan Company, New York, 1964.
- (37) Sartre, J.P., Being and Nothingness, Translated by Barnes, H.E., Methuen and Co. Ltd., Great Britain, 1958.
- (38) Sartre, J.P., Existentialism and Humanism, Translated by Mairet, P., Methuen, London, 1980.
- (39) Sartre, J.p., Sketch for a Theory of the Emotions, Translated by Mairet, P., Methuen and Co. Ltd., London, 1962.
- (40) Schacht, R., Alienation, London, George Allen and Unwin Ltd., 1970.
- (41) Shakespeare, W., 'Hamlet', The Illustrated Stratford Shakespeare, Chancellor Press, London, 1985.
- (42) Stern, J.P., Nietzsche, Fontana Modern Masters, London, 1978.
- (43) Steiner, G., Heidegger, Fontana Modern Masters, Great Britain, 1978.

- (44) Thomas, J.H., Paul Tillich, London , The Carey Kingsgate Press Ltd., 1965.
- (45) Tillich, P., Systematic Theology , Vol. 1 , SCM Press Ltd ., The Univ. of Chicago, 1951.
- (46) Tillich, P., Systematic Theology, Vol.2, SCM Press Ltd., The Univ. of Chicago, 1957.
- (47) Tillich, P., Systematic Theology, Vol.3, SCM Press Ltd ., The Univ. of Chicago, 1963.
- (84) Tillich, P., Courage To Be, Collins, The Fontana Library, Theology and Philosophy, Great Britain, Collins Clear-Type Press, London and Glasgow, 1952.
- (49) Tillich, P., The System of the Sciences According to Objects and Methods, Translated by Wiebe, P., Lewisburg, Bucknell Univ. Press, London and Toronto, Associated Univ. Presses, 1981.
- (50) Tillich, P., The Interpretation of History, Part 1, Translated by Rosetski, N.A., Parts 2, 3, and 4, Translated by Talmay, E.L., Charles Scribner's Sons, New York, Charles Scribner's Sons Ltd., London, 1936.
- (51) Tillich, P., Dynamics of Faith, Ruskin House, George Allen and Unwin Ltd., London, 1957.

- (52) Tillich P., *Morality and Beyond*, Ed. by Anshen, R.A., London, Routledge and Kegan Paul, 1963.
- (53) Tillich, P., *The Boundaries of Our Being ; A Collection of His Sermons with His Autobiographical Sketch*, Collins Library of Theology and Philosophy, Great Britain, Collins Clear-Type Press, London and Glasgow, 1973.
- (54) Tillich, P., *The Religious Situation*, Translated by Niebuhr, H.R., Meridian Books, New York, 1956.
- (56) Tillich, P., *Theology of Culture*, Ed. by Kimball, R.C., Oxford Univ. Press, London, Oxford , New York, 1959.
- (57) Tillich, P., *Love, Power, and Justice*, Geoffrey Cumberlege, Oxford Univ. Press, London, New York, Toronto, 1954.
- (58) Tillich, P., *Biblical Religion and the Search for Ultimate Reality*, The Univ. of Chicago Press, 1955.
- (59) Tillich , P., *Christianity and the Encounter of the World Religions*, Columbia Univ. Press, New York and London, 1963.
- (60) Tillich, P., *The Shaking of the Foundations*, Penguin Books Ltd., Harmondsworth, Middlesex, 1959.

- (61) Tillich, P., Paul Tillich, Ultimate Concern, Dialogues with Students, Ed. by Brown, D.M., SCM Press Ltd., London, 1965.
- (62) Tillich, P., Political Expectation, Ed. by Adams, J.L., Univ. Press of America, Lanham, New York, London, 1971.
- (63) Tillich, P., The Protestant Era, Translated by Adams, J.L., The Univ. of Chicago Press, 1984, 1957.
- (64) Tillich, P., What Is Religion? , Translated by Admas, J.L., Harper Torchbooks, Harper and Row, New York, London, 1973.
- (65) Tillich, P., 'Reply to Interpretation and Criticism', The Theology of Paul Tillich, Ed. by Kegley, C.W., and Bretall, R.W., The Macmillan Company, New York, 1964.
- (66) Tillich, P., 'Estrangement and Reconciliation in Modern Thought', Review of Religion, Vol. IX (Nov., 1944).
- (67) Tillich, P., 'Psychotherapy and a Christian Interpretation of Human Nature', Review of Religion, Vol. XIII (March, 1949).

- (68) Tillich , P., 'Existential Philosophy', Journal of the History of Ideas, A Quarterly Devoted to Intellectual History, Vol. V. (January-October, 1944).
- (69) Tillich P., 'The Conception of Man in Existential Philosophy', Journal of Religion, Vol. XIX (July, 1939).
- (70) Tillich, P., 'Symposium : Existentialist Thought and Contemporary Philosophy in the West', The Journal of Philosophy, Vol. LIII (January -December, 1956).
- (71) Tillich, P., 'Relation of Metaphysics and Theology', The Review of Metaphysics, A philosophical Quarterly, Vol.X, No.1, Issue No. 37 (September, 1956).
- (72) Tillich, P., 'Abstracts of Papers', The Journal of Philosophy, Vol. XLIII (January- December, 1946).
- (73) Tinsley, E.T. (Ed), Paul Tillich : Selections from Twentieth-Century Theologians, London, Epworth Press, 1973.
- (74) Wood, D., 'Nietzsche's Transvaluation of Time', Exceedingly Nietzsche : Aspects of Contemporary Nietzsche Interpretation, Ed. by Krell, D.F., and Wood, D., Routledge, London and New York, 1988.

فهرس

١	مقدمة
٣٠	الفصل الاول : المنهج او الطريق إلى الالحاد
١١٠	الفصل الثاني : الطبيعة الانسانية بين الايمان والالحاد
٢٠٣	الفصل الثالث : الازمة الانسانية بين الواقع والخيال
٢٦٧	الفصل الرابع : قهر الاغتراب بين الايمان والالحاد
٣٣٩	الفصل الخامس : الموقف والفكر أو الفكر والموقف
٣٩٤	خاتمة :
٤٠٧	المراجع :

رقم الإيداع بدار الكتب ٩٣/٩٠.٨٥

I.S.B.N.

777 - 00 - 5898 - X

١٩٩٢ م

Mr . W.T. Abo El- Ella is an able and serious philosopher , wholly committed to the philosophical endeavour , who has a clear head for argument . He is inclined to a conceptual and analytical approach rather than a historical one , and is concerned in his thesis to adopt a strictly philosophical approach to his subject matter The thesis has , in my view , many virtues including intellectual honesty , concern for clarity , and a real persistence in its argument . And his central distinction between Tillich's explicit and implicit method is , I believe , original Mr . El - Ella is a man of real philosophical ability

Dr . David Wood
Warwick Univ .
England .

إن السيد وهبة طلعت أبو العلا فيلسوف كفء وجاد ، ومهياً تماماً لمقتضيات البحث الفلسفي ، ويتمتع بقدرة فائقة على النقاش . وهو ينزع الى تبني مدخلاً تحليلياً مفاهيمياً بدلاً من تبني مدخلاً تاريخياً ، كما يهتم في رسالته بتبني مدخلاً فلسفياً محدداً للمادة التي يتعامل معها والرسالة تتمتع ، في رأيي ، بفضائل عديدة منها الأمانة العلمية ، والإهتمام بالوضوح ، والتواصل الحقيقي لحجتها الرئيسية . وأنا أؤمن ان التمييز الرئيسي الذي قدمه بين طريقة تلش العلنية (الإيمانية) وطريقته الخفية (الإلحادية) هو تمييز لم يتوصل إليه أحد من قبل إن السيد أبو العلا رجل يتمتع بمقدرة فلسفية حقيقية .

د . ديفيد وود
جامعة وورن
انجلترا

صورة الغلاف مأخوذة من كتاب

" بحثي عن كل ما هو مطلق . My Search For Absolutes . "

الذي نشره بول تلش عام ١٩٦٧

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف